

١٧١

جواهر

في تفسير القرآن الكريم

المتمم على عجائب البيان لآيات القرآن

تأليف

الأستاذ الحكيم شيخ طنطاوى جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بحياته آمين

الجزء الحادي عشر

طبع بمطبعة

مطبعة البستاني في بيروت

وتفوق الطبع محفوظة

وباشر طبعه — محمد امين عمارة

محرم سنة ١٣٤٧ هـ

١٧١

الجزء العاشر

في تفسير القرآن الكريم

المتمثل على عجائب بيان الكون وغرائب آيات الباهر

تأليف

الاستاذ الحكيم شيخ طنطاوى جوعرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بحياة آمين

الجزء الحادى عشر

طبع مطبعة

مطبعة لبنان الجليلي واولاده بمصر

وتفوق الطبع محفوظ

وباشر طبعه — محمد امين عمراني

محرم سنة ١٣٤٧ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحج مكية غير ست آيات

(من قوله - هذان خصمان - الى قوله - وهدوا الى صراط الحيد - وهي ٧٨ آية)
وسندكر مناسبتها لما قبلها عند الابتداء في تفسير القسم الثاني من السورة
(وهي ثلاثة أقسام)

(القسم الأول) في البعث والدليل عليه وما يتبع ذلك من أول السورة الى قوله تعالى - وهدوا الى صراط الحيد -

(القسم الثاني) في الحج والمسجد الحرام من قوله - إن الذين كفروا ويعتدون عن سبيل الله - الى قوله - وبشر المحسنين -

(القسم الثالث) في أمور عامة كالقتال وهلاك الظالمين والاستدلال بنظام هذه الدنيا على خالقها وضرب مثل بالعجز عن خلق الذباب عجزا تاما من قبل الأصنام المعبودة من قوله تعالى - إن الله يدافع عن الذين آمنوا الى آخر السورة

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى

ولكن

وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْخَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ بِظُلَامٍ لِّلْعَبِيدِ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * يَدْعُوا مَن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ * يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِّن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ * إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ * مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ * وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهِرُ بِهِ مَا

فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ
أَعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ *
وَهَذَا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَذَا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ *

التفسير اللفظي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) احذروا عقابه واعملوا بطاعته (إن زلزلة الساعة) قيام الساعة (شيء عظيم) هائل (يوم ترونها) أي الساعة أو الزلزلة (تذهل) الدهول الذهاب عن الشيء بدهشة (كل مرضعة عما أرضعت) أي كل امرأة معها ولدها ترضعه عنه . والمقصود من هذا تصوير هولها (وتضع كل ذات حمل حملها) جنبها (وترى الناس سكارى) كأنهم سكارى (وما هم بسكارى) في الواقع (ولكن عذاب الله شديد) فأرهقهم هوله بحيث طارت عقولهم وذهب تمييزهم . ولما كان النضرين الخارث يكثر الجدل يقول لابعث ولاوحى نزل على النبي ﷺ وما الملائكة إلا نبات الله نزلت هذه الآيات في غير من على شاكلته إلى يوم القيامة (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع) في المجادلة وفي غيرها (كل شيطان مرید) متجرب للفساد ثم وصفه بأنه (كتب عليه) أي الشيطان (أنه من تولاه) اتبعه وضمير الهاء للشان والحال (فانه بضله) الجلة خبر لمن أجواب له . والمعنى كتب عليه انه من يقبل منه فهو في ضلال (ويهديه إلى عذاب السعير) لأنه يحمله على ما يؤدى إليه . ثم أخذ يذكر الحجة على ذلك بالبراهين الطبيعية فقال (يا أيها الناس إن كنتم في ريب) أي شك (من البعث) بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) فان أباكم آدم خلق منه وهكذا أنتم تغذون بالنبات والحيوان أيضا تغذى بالنبات والنبات غذاؤه من عناصر مختلفة وهو من التراب فأنتم أيضا من تراب بواطة (ثم من نطفة) أي أنثى فالإنسان يكون جسمه مكونا من الدم الناشئ من الغذاء المنتهى إلى التراب وينشأ من فضل ذلك الدم النطفة فيخلق بسببها آخر (ثم من علقه) أي دم جامد غليظ (ثم من مضغه) قطعة من اللحم وهي في الأصل قدر ما يمتص (مخلقة وغير مخلقة) مسواة لانقص فيها ولا عيب وغير مسواة أو مصورة وغير مصورة (لنبيين لكم) بهذا التدرج حكمتنا وابداعنا ونظامنا (ونقر في الأرحام ما نشاء) أي نقره (إلى أجل مسمى) هو وقت الوضع من ستة أشهر إلى أربع سنين ومالم نشأ ثبوته أسقطته الأرحام (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) صغارا وطفلا حال أجريت على تأويل كل واحد * وقرئ - ونقر ثم نخرج - بالنصب عطفا على نبين ويكون المعنى خلقناكم بالتدرج (لأمرين * الأول) إيقافكم بالتعليم على هيئة تربيتنا في عملنا وحكمتنا في نظامنا (والثاني) اننا نقركم في الأرحام حتى تولدوا وتنشؤوا وبلغوا أمد التكليف . وفي هذا دلالة على أن قراءة علم الأجنة له من الشأن ما ليس لنفس الأجنة بل هو مقدم عليها فهو سبحانه يقول ان نظامي المتقن انما المقصد منه أن تدرسه وما خلقكم إلا لتبينوه وتعرفوه . إن معرفتكم لهذا الخلق ونظامه هي المقصودة من خلقكم ولولم يكن في القرآن كله سوى هذه الجلة لكفى في تبيان أن العلوم الطبيعية كلها واجبة دراستها وجوبا عاما أي انها فرض كفاية يقوم بها البعض والباقيون يستمدون من ذلك البعض . وكما ان القرآن يقول الله فيه انه تبيان هكذا يقول في الطبيعة أو أهم قسم منها انها للتبيين فالقرآن تبيان والطبيعة تبين (ثم) ربيكم (لتبلغوا أشدكم) كمال عقلكم وقوتكم جمع شدة كالجمع جمع نعمة

(ومنكم من يتوفى) عند بلوغه الأشد أو قبله (ومنكم من يرث إلى أرذل العمر) وهو الهرم والحرف (الكيلا يعلم من بعد علم شياً) أى ليعود كهيئته الأولى سخييف العقل قليل الفهم ناسيا للعلم . فهذا دليل على إمكان البعث لأن هذه التغيرات المتتابعة المتناسقة تدل على أن التغير مستمر فإذا مات أمكن أن يحيا

﴿ عجيبة من عجائب العلم ﴾

اعلم أن هذه الحجة بعينها هي التي أدلى بها (سقراط) عند موته لما كان تلاميذه حوله وهو يودعهم في النفس الأخير . فهناك ما ترجمه الفيلسوف (سنتلانه) الطلياني والقفطي المصري . ولاكتف لك بما يناسب هذه الآية قال ﴿ إنا نشاهد الضد يتولد عن ضده فالجيل ينشأ من القبيح والعدل من الجور واليقظة من النوم والنوم من اليقظة والقوة من الضعف وبالعكس فلاشياء يستحيل بعضها إلى بعض ثم ترجع بصفة دائرة إلى ما كانت عليه والحياة والموت والوجود والعدم تقيضات . فالوجود ينشأ من العدم والموت ينشأ من الحياة وعلى ذلك يلزم أن تنشأ الحياة من الموت إذ لا بد أن يكون للموت ما يناقضه والا فقد خالفت الطبيعة قاعدتها المطردة في جميع الأشياء ﴾ انتهى المقصود منه

فانظر كيف كان استدلال (سقراط) على الحياة بعد الموت قبل القرآن بنحو تسعمائة سنة هو الطريق الذي نزل به الوحي . فالقرآن إذن بهذا يقيم للمسلمين الحجج العقلية ويفتح لهم باب الفهم فكأنه يقول أنا لم أرد أن أعلمكم ذلك بالوحي مجردا بل أتى أردت أن أفتح لكم باب البراهين العقلية وهذا بعض ما عناه بقوله - لنبين لكم - فهذا من التبيين وهو الاستدلال . ثم ذكر دليلا آخر تسهل مشاهدته للناس فقال سبحانه (وترى الأرض هامدة) ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رمادا (فأذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفضت * وقرئ - وربأت - أى ارتفعت (وأثبتت من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن رائق (ذلك) هذا إشارة إلى ما تقدم من خلق الإنسان في أطوار مختلفة واحياء الأرض بعد موتها وهو مبتدأ خبره (بأن الله هو الحق) أى ذلك حاصل بسبب أن الله هو الثابت الوجود فيصرف الموجودات في أطوارها وهو لا يتغير ويبقى وجودكم على كل حال وإن تغيرتم في الأطوار (١) فبقاؤكم سببه انه هو باق (٢) وتغيركم سببه انه قادر وحكيم ويكون ذلك لترتيبكم وترقيتكم لتقربوا منه في مقعد صدق . وعبر عن المعنى الثاني بقوله (وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير * وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) فهذه الجمل الأربع تبين للمعنى الثاني . يقول الله أنا حق ثابت باق فلذلك أبقىكم إلى ما لا ينهاى من الزمان وأنا قادر وحكيم فلذلك خلقتكم أطوارا . هذه هي الحجج التي ذكرها من علوم الطبيعة استدلالا على البعث

﴿ ذم المجيبين بأنفسهم والمعاندين ﴾

قال تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) أى بلا علم كالنضر بن الحرث (ولا هدى) أى استدلال يهذى إلى المعرفة (ولا كتاب منير) أى وحى حال كونه (ثاني عطفه) أى لاوى جنبه وعطفه متبخترا متكبيرا معرضا عما يدعى إليه من الحق * وقرئ - عطفه - بفتح العين أى مانعا تعطفه إلى غيره . يقول الله تعالى هو يجادل (ليضل عن سبيل الله) أى عن دين الله (له في الدنيا خزي) هو ان ذل فانه قتل هو وعقبة ابن أبي معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الخزي) المحرق . هكذا كل من اتبع هواه فطاش سهمه وقل عقله فتكبر عن العلم وأعرض عن الاستدلال تها وغرورا . ومثل هذا لا يعطف على الناس لأنه لا يرى أن هناك حياة بعد الموت فتكون همته في الحياة الدنيا ويقال له (ذلك بما قدمت يدك) وأن الله ليس بظلام للعبيد بل هو مجاز لهم على أعمالهم والمبالغة في ظلام لكثرة العبيد . ولذا ذكر أن المجيبين بأنفسهم يصدون عن ذكر الله ويعرضون عن الاستدلال أعقبه بذكر من كان أمرهم كالنصارى في الدين فلاهم آمنوا مطمئنين ولاهم من المتكبرين بل هم كالمذبحيين وهم قوم يعبدون الله على وجه التجربة والشك وانتظار نعمة فان

أصابه خير بئى مؤمنا وإن أصابه شر ترك الدين وهو قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أى طرف من الدين فلا ثبات له فثله كمثل الذى يكون على طرف الجيش فان كانت غنيمة اقسى وان كانت هزيمة كان أول من انهزم وهذا قوله (فان أصابه خير اطمأن) سكن واستقر (به) بالخبر والدين فعبد الله (وان أصابه فتنة) شر وبلاء فى جسده وضيق فى معيشته (انقلب على وجهه) جهته أى ارتد ورجع الى الكفر حال كونه قد (خسر الدنيا والآخرة ذلك) أى خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر فلا يخفى على أحد وذلك منطبق على أغارب قدموا المدينة فاذا صح بدن أحدهم وتجت فرسه مهرا سريرا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله قال قد أصبت خيرا بالاسلام واطمأن . وان كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب عن دينه (يدعو من دون الله) بعد الردة من الأصنام (ملا بضره) ان لم يعبد (وما لا ينفعه) ان عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعون ضره) بكونه معبودا عبادة توجب القتل فى الدنيا بارتداده عن الاسلام والعذاب فى الآخرة (أقرب من نفعه) الذى يتوقع بعبادته وهو الشفاعة (لبئس المولى) الناصر (ولئس العشير) المصاحب وأى عشير هذا وأى مصاحب اذا كان لا ينفع مولاه ولا ينصر من يعاشره أما الله فهو ينفع (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الى قوله (إن الله يفعل ما يريد) فبين من هذا أن الأصنام لا تنفع وأن الله ينصر من تولاه فيدخله الجنات وعن تولاه سيدنا محمد ﷺ فهو ناصره ومن أكبر أسباب العذاب فى جهنم والحزى فيها والافتضاح ما يداخل الانسان من الحقد والغيط على النعم التى يسديها الله لعباده فان الله خلق الناس ليتعارفوا فمن داخله الحقد والغيط من نصر الله لمحمد ﷺ فليفعل كل ما يريد وليمد جبلا الى سقوف بيته فليقطع أى فليختنق لأن المختنق يقطع نفسه بحبس المجارى . والقصد من ذلك أن جهنم تحرق من كفر ومن حنق غيظا على الناس بل الآخرة لمن صفت سرائرهم ولم تبحث نياتهم وهذا قوله (من كان يظن أن لن ينصره الله) أى محمدا ﷺ (فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب) بحبل (الى السماء) سماء بيته (ثم ليقطع) ثم ليختنق (فلينظر) فليصوّر فى نفسه (هل يذهبن كيده) فعلة ذلك الذى سعى كيدا لأنه منتهى ما يطيقه الغناظ من الفعل (ما يغيط) أى غيظه من نصر الله لعبده محمد ﷺ وهكذا كل من كره النعم التى يعطيها الله لعباده جاهلا أن النوع الانسانى ينفع بعضه بعضا فمن كره نعمة غيره فقد كره نفسه من حيث لا يعلم لأن الناس فى الحقيقة جميعا على سطح الأرض كالنظامين وان لم يعرفوا ذلك فان أعم الشرق ينفعها أعم الغرب والعكس . فهكذا محمد ﷺ دينه نافع لهؤلاء الناس وقد صح ذلك فان أبناء العرب اتبعوه بعد ذلك إلا قليلا . وقولنا ان من كره نعم الناس فقد كره نفسه قد برهن عليها الحكماء فى علم الفلسفة فقد قالوا (إن الناس ينفع بعضهم بعضا فان كل امرئ محتاج لسواه من سائر الناس يصل اليه خبرهم من حيث لا يدري بالتجارة والعلم وغيرها فهو هؤلاء مكملون له ومن كره غيره فقد كره من يكمل نفسه ومن كره من يكمل نفسه فقد كره كمال نفسه ومن كره كمال نفسه فقد أحب قصصها . ومعلوم أن الانسان طبعاً مفرح بحب كمال نفسه فتكون النتيجة هكذا أحب كمال نفسه وأحب نقص نفسه أو أحب نفسه وكره نفسه واذا كرهها فقد استحل خنقها) وهذا البرهان الجيب هو الذى كان السر فى التعبير بقوله - فليقطع - كأنه يقال أيها الكاره لمحمد الذى جاء لانقاذك ان نعم جميع الناس لاسباب الأنبياء نافعة لك فاذا كرهت نعم محمد فكأنك تختنق لأن النتيجة انك تكره النعم لنفسك فتكره نفسك فتستبيح خنقها من حيث لا تشعر

لا تفعل ذلك أبها المكذب محمدا ﷺ ولا تجعل للغيط محلا من قلبك فان القرآن كله آيات وانجحات ولا بد من أن يم فاتبعه فهو خير لك من التحدى فى العداوة والغيط وهذا هو قوله (وكذلك) أى مثل ذلك الانزال (أنزله) أنزلنا القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وأن الله يهدي) أى ولأن الله يهدي به أو يثبت على الهدى (من يريد) هدايته أو ثباته أنزله كذلك مبينا . وهنا أخذ يجلى حقيقة العالم الانسانى كله بعد ما بين

حقيقة المعاندين فقال سبحانه (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) فيظهر الحق من المبطل ويجازى كلا بما فعل ويضعه في مقامه اللائق به فليس الله يغائب عن أحد . فالأنبياء وأممهم والطائعون والعاصون كلهم تحت مراقبته (إن الله على كل شئ شهيد) عالم مراقب لأحوالهم جميعا ومن ذلك مراقبة قلوب الحاسدين المغتاطين وقلوب المعاندين والكافرين وقلوب جميع المؤمنين بالأنبياء السابقين فإن هم استقاموا أدخلهم جنته وإن عصوا أو كفروا أدخلهم نارهم ومن أشد معصيتهم أن يسكروا رسالة محمد ﷺ حين عرفوا حقيقة دينه وهو مطلع على قلوبهم فيعذبهم وإن كنتم في شك من مراقبة الله لجميع العالم فانظروا كيف سجد له كل ما في السموات والأرض من عاقل وغيره وخضع لتسخيره مع النظام الجليل . فهل يغفل عما نظم به علمه وصرفه بقدرته ودبر أحقر الحشرات وأحقر الذرات وجعل لكل حشرة من الكمال ما جعل لكل فيل من كماله بل لكل كوكب وشمس من عنايته . فكيف ترون هذا وتظنون أنه غافل مع أن مراقبته واضحة لمن تأمل في الأشكال والأحوال والأخلاق والأطوار وأوضاع الأممات لأولادها وهو قوله مستدلا على أنه - على كل شئ شهيد - (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض) غلب العاقل على غيره وخص بالذكر أعظم ما تراه فعطف ما يأتي فقال (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والأنواب وكثير من الناس) قد سجدوا سجود عبادة مع سجود التسخير الذي اشتركوا فيه مع غيرهم من العوالم (وكثير حق عليه العذاب) لأنهم لم يسجدوا سجود عبادة ليطابق سجود التسخير بكفرهم . ثم أعقبه بأن الفعل له وحده فقال (ومن يهن الله) بالتقاوة (فقاله من مكرم) يكرمه بالسعادة وحينئذ يقال ما سبب هذا التمييز فيجواب (إن الله يفعل ما يشاء) لحكم لا تندر كونها في الإهانة لقوم والخفض لآخرين بما استعدوا له كما استعدت البودة لسكنى الطين والموام لسكنى التراب والسمك لسكنى البحر . فهذا من النظام العام في العالم الجسمي والعقلي وعقول أكثر الناس قاصرة لاتصل الى فهم الحقيقة (هذان خصمان) فريقان مختصمان فلفظ خصم وصف لفريق المحذوف وقوله - اختصموا في ربهم - راجع للمعنى فالؤمنون فريق والكافرون فريق آخر (اختصموا في ربهم) أى جادلوا في دينه فيقول أهل الكتاب نحن أولى بالله منكم ونحن أقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم . وقال المسلمون لهم نحن أحق بالله آمنّا بنبينا محمد ﷺ ونبيكم وبكتابنا وأنتم تعرفون نبينا وصدقه ولكن كفرتم حسدا والكلام أعم من هذين الفريقين وهؤلاء قد فصل الله بينهم كما قال - إن الله يفصل بينهم يوم القيامة - ثم قال (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) تحيط بهم إحاطة كأحاطة الثياب حال كونهم (يصب من فوق رؤسهم الجسيم) الماء الحار حال كون الجسيم (يصب) يذاب (به ما في بطونهم) من فرط الحرارة المؤثرة في ظواهرهم وجواردهم الممتدة الى أحشائهم (والجالود) لأنها الملائكة لتلك الحرارة (ولهم مقامع من حديد) سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) أى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم (أعبدوا فيها) أى ردوا اليها بالمقامع . ويقال إن جهنم لتجيش بهم فتلقبهم الى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بتلك المقامع فيهبون فيها سبعين خريفا

﴿ العذاب المصغر في الدنيا مقدمة العذاب في جهنم ﴾

واعلم أن نظائر هذا في الدنيا والناس يضربون الآن بمقامع معنوية وهم لا يشعرون أنهم يضربون ويرجون في العذاب . فهناك عادة شرب ﴿التبغ﴾ وهو التدخين وعادة الخمر وعادة شرب الشاي وعادة شرب القهوة وعادة الاسراف في المآثم والأفراح وعادات كثيرة من هذا القبيل يعلم الناس انها مهلكة لهم ولكنهم - كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعبدوا فيها - هكذا الدول في أوروبا شككت لجنة سميتها ﴿جمعية الأمم﴾ للفصل بينها في القضايا . ومن أكبر دول الأرض دولة الانجليز وهي التي بطشت ببلا نالصرية

بطشة الجبارين وقد كانت نزع السلاح من الفلاحين ومن الأئمة من قبل وأخذت منا السودان وأرجعت
عسكرنا . والعالم الانساني كله يصرخ ونفس عقلائهم يصرخون قائلين ﴿ لا سلام لاسلام في الأرض ﴾ والأمم
كلها تعلم انهم لاسعادة لهم إلا بسعادة كل منهم . ولكن مقامع الشره والحرص تردهم الى أسفل سافلين وهذا
هو معنى قوله تعالى - لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم - أى من حيث نظام جسمه وبهيجته ونظام عقله
- ثم رددناه أسفل سافلين - فجعلناه يرتطم في أوحال الأكاذيب والشهوات والطمع والحرص فيضرب المرء أخاه
وتضرر الأمة غيرها مع علمها أن الضرر يرجع عليها بنقص الثمرات النافعة التي كانت تجنبها من أخواتها في
الانسانية . ترى الرجل يكثر من الكلام أو الأكل أو يكثر غضبه أو حرصه على المال أو غمه عليه أو عدوانه
أو كبرياؤه أو عجزه أو كراهته للناس أو يكون جباناً أو كثير الكسل أو النوم أو الخوض في أعراض الناس ثم اذا
سمع مثل هذا القول أو عرف الحقائق قننى لو يرجع عن عادته ولكن سوء الأثر والتربية والعادة تقمعه بمقامع
من حديد لانراها ولكن أنزله أشد من آثار المقامع الحديدية فيزج في جهنم ومعه الأعمال . فهذا عذاب
واقع فعلاً ولكن الناس لا يفقهون أنه عذاب وهو مقدمة للاختباط والاختلاط والآلام بعد الموت وسيكون
للناس هناك حسرات وزفرات وحال مزعجة . فعقولهم هنا هي عقولهم هناك . فالمقامع تكون هناك آتم
والعذاب يكون هناك أخرى - إذ من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة
والناس أجمعين - ويقال لهم فيها (وذوقوا عذاب الحريق) أى النار البالغة في الاحراق . ولما فرغ من
الكلام على أصحاب النار الذين هم ناقصوا النفوس لجهنم أخذ يذكر الجنة لكامل النفوس لصلاتهم فقال
(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها) حلوا كانوا (من
أساور) جمع اسورة جمع سوار . وبين الأساور بأنها (من ذهب) وعطف على الأساور قوله (ولؤلؤا) أى
ويؤتون لؤلؤا (ولباسهم فيها حرير) جملة اسمية أفادت انهم اعتادوا لبس الابرسم الذي حرم لبسه على الرجال
في الدنيا * وفي حديث البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال ﴿ جناتان من فضة آتينهما وما فيهما وجنتان
من ذهب آتينهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم لإرداء الكبرياء على وجهه في جنة
عدن ﴾ انتهى

فأهل النار منغمسون في آلام الأهواء والشهوات والخوف والطمع والغضب والبغض ، وأعدى أعداء
الانسانية في كل حال ﴿ شياطين ﴾ البغض والخوف ومنه الجبن ، وسعادة الانسانية الحب والشجاعة والعلم
فيها يدخلون الجنة . ومن العلم الايمان الصحيح . ومتى ازدادت الحكمة والعلم وصفت الأخلاق رأى الناس
ربهم . وكبرياء الله في الحديث هي تعاطفه أن يراه الناس إلا اذا صفت النفوس فارتقت الى العالم الأعلى اللطيف
فعرفت وذلك قوله تعالى (وهدوا الى الطيب من القول) وهو قولهم - الحمد لله الذي صدقنا وعده -
و ﴿ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴾ (وهدوا الى صراط الجيد) أى الى دين الاسلام أى
هدوا الى دين الله المحمود . فالطيب من القول المذكور إنما هو وقوف النفس على الحقائق إذ يحيط علماً بهذه
المخلوقات على مقدار طاقتها المعبر عنه بانفراد الله بالربوبية وصدور جميع النعم عنه وتنزهه عن الحوادث وذلك
لا يكفي فيه علم التوحيد بل لابد من دراسة نظام هذه الدنيا درساً متقناً وهذه الدراسة تفتح باب الحب على
مصرعيه ﴿ لأمرين ﴾ الأول ﴿ جلال الله المنبعث في هذه الدنيا ﴾ (والثاني ﴾ النوع الانساني فيتشق العلم
بالأول والاحسان للثاني . فبالأول يرى الله وبالثاني يدخل الجنة لأن الجنة من يدخلها يكون سعيداً بالحب
ومادامت هناك بغضاء بين أهلها فلا سعادة ولاجنة فالقلوب المتباعدة متفرقة والقلوب المتحاببة مقترنة
كما ان النار مفرقة والجنة تجمع . ومثاله في الدنيا نار الحريق تفرق المجتمعات المختلفة كالخطب المركب من
عناصر مختلفة وتجمع المؤتلفات كالطين توقد النار عليه فيتحد . فنار الحب تجمع المؤتلفات ونار البغض تفرق

المختلفات وهكذا سيكون في الآخرة نار الحريق لنزوى النفوس المبعضة للناس ومنها نفوس الكفار الذين خالفوا طريق الحق في نفع الإنسانية ونور الحب المشرق في الجنة فيجمعهم لأن نفوسهم مؤتلفة والائتلاف بالإيمان والعلم ظاهر في الدنيا فهكذا في الأخرى . وكلما كان في الدنيا أمتن وأقوى كان في الآخرة أسمى فما هناك نهاية ما هنا . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول من السورة وهنا (أربع لطائف)

(اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم -

(اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم -

(اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - ثم نخرجكم طفلاً -

(اللطيفة الرابعة) في قوله تعالى - وترى الأرض هامدة - الخ

(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم -)

اعلم أن أول سورة (الحج) يناسب أول سورة (الأنبياء) فهناك يقال - اقرب للناس حسابهم - وهنا يقال - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - فليخص افتتاح السورتين أنها قرينة وإنها شديدة . وقد ذكرنا شيئاً من أمر قرب الساعة في أول (الأنبياء) ونذكر هنا قربها بأوضح وجه ، ذلك ليعلم المسلمون بعدنا أن الأمم الإسلامية قد حل بها كتب وآراء وأحلام أدخلت الغفلة على العقول وأحلت بساحاتها كثيراً من الأراجيف وأكاذيب أضرت بأخلاق الأمة . وما يحزنني ويوقع في نفسي أشد الأسى أن كثيراً من عظماء الأمم الإسلامية ورجالات العلم تجوز عليهم ترهات فيتبعها من بعدهم . واني أقول ولا أخشى لومة لائم أن الضلال الذي استحكمت وانتشر في أمر الساعة وتعيين زمانها قد أثر أسوأ الأثر في أم الإسلام كما أضرت بآبائنا وبنا أمر المهدي وظهوره . وانتشار هذه الآراء في أقطار الإسلام قد فرقههم وحط من شأنهم . ولأذ كر لك الكلام على قرب الساعة هنا وعلى ظهور المهدي في هذا المقام لتعرف الرأي الصحيح حتى إذا قرأت قوله تعالى في سورة (المؤمنون) - فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون - عرفت أن أمر المهدي فرقههم وقطع أوصالهم وأن ما ذكره هنا بمناسبة أمر الساعة يقوم مقام ذكره هناك في نفس هذا المجلد وإنما جعلناهما معاً لتشابههما وتقاربهما واتصالهما . فلا تجعل الكلام في (فصلين * الفصل الأول) في الكلام على قرب الساعة (الفصل الثاني) في الكلام على المهدي المنتظر الذي يكون قبل قيام الساعة

(الفصل الأول في الكلام على قرب الساعة)

(١) نقل السهيلي عن الطبري أن مدة بقاء الدنيا منذ الملة خمسمائة سنة قال العلامة ابن خلدون ونقض ذلك بظهور كذبه وكان رأي الطبري مأخوذاً بطريق الحدس والتخمين . وقد كان مستنده في ذلك أنه نقل عن ابن عباس (أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة والجمعة سبعة أيام واليوم ألف سنة) وقوله ﷺ (بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى) مع قوله ﷺ (أجلكم في أجل من قبلكم من صلاة العصر إلى غروب الشمس) وصلاة العصر في بعض المذاهب إذا صار ظل كل شيء مثليه وهذا على وجه التقريب نصف سبع وهو في هذا المقام ٥٠٠ سنة وبعد هذا التطويل والاستدلال والاستنتاج ظهر كذب هذا الرأي ذلك لأننا الآن في القرن الرابع عشر والقيامة قد مضى لها إذن تسعة قرون ونحن الآن في الآخرة لاني الدنيا وهذه من المفجعات

(٢) وقال السهيلي أيضاً (إن حروف أوائل السور بعد حذف المكرر منها تكون هكذا (ألم يسطع نص حق كره) وهي ١٤ حرفاً وجلها ٧٠٣) هذا قوله وقد أخطأ في ١٠ لأن الجمل ٢٩٣ فاعتقد السهيلي

أن القيامة تقوم سنة ٧٠٣ هجرية باعتبار هذا الجمل (بقشديد الميم) وقد ظهر كذبه أيضاً

(٣) وقال شاذان البلخي وهو من المنجمين (أن الملة تنتهي إلى سنة ٣٢٠ هجرية) ومعلوم كذب

هذا أيضا

- (٤) وقال يعقوب بن اسحاق السكندی ﴿ ان مدة الملة تنتهي الى سنة ٦٩٣ هـ ﴾ يريد عدد حروف الجمل المتقدمة على وجه التحقيق كما تقدم وقد عرفت كذبه أيضا
- (٥) وقال نوفيل الرومي المنجم في أيام بني أمية ﴿ ان ملة الاسلام تبقى ٩٦٠ سنة ﴾ وقد كذب أيضا
- (٦) قال جراس ﴿ انفقوا على أن خراب العالم بعد ٩٦٠ سنة ﴾ وهو كذب أيضا
- ﴿ الفصل الثاني في الكلام على ظهور المهدي المنتظر ﴾

اعلم أيها الذكي أنني وأنا طالب بالجامع الأزهر في السنين الأولى كنت مارا يوما صباحا إذ سمعت عالما يقرأ في الحديث الشريف وهو يقول مامعناه (سيخرج رجل من آل بيتي اسمه على اسمي واسم أبيه على اسم أبي يملأ الدنيا نورا وعدلا كما ملئت ظلمًا وجورًا) فلما سمعته تأقت نفسي لهذا المهدي الذي سيخرج في الأمم الاسلامية ويهديها . ولما كنت في الريف أيام العطلة ببلادنا بالشرقية كنت أسمع من العامة في سمرهم أن المهدي سيظهر ويقسم الأرض بين الناس وتكون سعادة عامة فأصبحت فكرة المهدي عامة في المسلمين العلماء والجهال . فلما قرأت الكتب وجدت لهذا المهدي أحاديث كثيرة وقد قام في الأمة فعلا رجال بهذا العنوان كالمهدي السوداني وكعبيد الله المهدي الذي كانت له ولزريته دولة الفاطميين بالمغرب ومصر وهكذا غيرهما . ولقد رأيت أعظم عالم بمصر أيام ظهور المهدي السوداني يقول انه هو المهدي فأيقنت بأن الأمة الاسلامية تغفلت فيها هذه الفكرة وثبتت ولم أر عالما في الأمة أطاق اللثام عنها وشرحها شرحا وافيا مثل العلامة ابن خلدون فانه هو الذي جمع الأحاديث الواردة في المهدي وأتى بمرحها وقال ان الجرح مقدم على التعديل كما هو معلوم عند علماء مصطلح الحديث وأنى بكلام الصوفية . وظهر من بيانه أنه لا فرق في هذه الأمة بين رجال الحديث ورجال التصوف من حيث ان كلا منهما تدخل عليه الغفلة مهما حذق وعلا كعبه في العلم . وعجبت لهذه الأمة المسكينة كيف ظهر فيها محققون وكيف يبتى هذا التحقيق في كتب لا تظهر لأهل العلم جميعا . إن هذا التحقيق في مقدمة ابن خلدون فكان واجبا على أهل العلم أن يبينوا ذلك وأمثاله في كتب الحديث وفي مناسبات كثيرة حتى تعرف الأمة الحقائق . ولعل تلخيص هذا المقام في هذا التفسير مما يعمم الفكرة ويزيل الضلالة والجهالة من بلاد الاسلام . فاذ كنت أنا وأفاضل شيوخى قد سرت فينا الفكرة وسرت في آفاق الاسلام فلا تلخص الموضوع تلخيصا تنويرا للأذهان حتى تطرد تلك الفكرة من الأذهان في بلاد الاسلام فأقول

- (١) روى أبو بكر الاسكاف في فرائد الأخبار عن مالك بن أنس بسنده عن رسول الله ﷺ انه قال ﴿ من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب بالسجال فقد كذب ﴾ وهكذا قال في طلوع الشمس من مغربها وأبو بكر الاسكاف عندهم متهم وضاع

(٢) وروى ﴿ لولم يبق من الدنيا إلا يوم أطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ﴾ وهناك روايات أخرى وكلها معتبرة من الأحاديث الحسنة الصحيحة ولكن مع هذه الصحة قد طعن فيها بأن الحديث مروي عن عاصم وعاصم ضعيف الرواية وكثير الخطأ في حديثه وفي حديثه اضطراب

- (٣) وروى أيضا في حديث من رواية قطن بن خليفة وهو متهم وقال الدارقطني لا يحتج به وقال الجرجاني زائف غير ثقة

(٤) نظر على إلى ابنه الحسن وقال ان ابني هذا سيد (كما سماه رسول الله ﷺ) سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلا . وفيه روايات أخرى ومن رواه عمر بن أبي قيس وفي حديثه خطأ وله أوهام ومن الرواة له أبو اسحق وقد اختلط في آخر عمره وهكذا ذكر بقية

الروايات وأتى بجرحها ثلثة وإنكارها أخرى . وليس لي أن أذكر ذلك كله فإن ذلك اطالة في هذا التفسير الذي أردت فيه أن تكون الفائدة قريبة المأخذ وهذه الأحاديث متشابهة ورواتها كثيرا ما يكون الحديث صحيحا بسبب عدالتهم وشهرتهم ولكن يطعن فيه بسبب غفلة رجل منهم أو خطئه أو نحو ذلك . فلذا تفيدنا الاطالة ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنى . فلما تمها قال . فهذه جولة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل منه ثم روى حديثا بنى المهدي وتكلم في جرحه وتعديله . انتهى

(كلام رجال الصوفية)

قال العلامة ابن خلدون (إن المتقدمين منهم لم يخوضوا في شيء من هذا وإنما كان كلامهم في المجاهدة بالأعمال وما يحصل عنها من المواجهيد والأحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله عنه والقول بإمامته وادعاء الوصية له بذلك من النبي ﷺ والزهري من الشيخين . ثم حدث بعد ذلك القول بالإمام المعصوم . (أقول وقد تقدم هذا في سورة الكهف عنه قوله تعالى - وما كنت متخذ المضلين عضدا - فأقره أن شئت فانه مستوفى هناك) وكثرت التأليف في مذاهم وجاء الاسماعيلية يدعون ألوهية الامام بنوع من الحلول والآخرون يدعون رجعة من مات من الأئمة بنوع التناسخ وآخرون منتظرون مجيء من يقطع بموته منهم وآخرون منتظرون عود الأمر في أهل البيت مستدين بأحاديث المهدي التي تقدم بعضها هنا . ثم حصل بعد ذلك عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس وظهور من كثير منهم القول على الإطلاق بالحلول والوحدة فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بألوهية الأئمة وحلول الاله فيهم وظهور أيضا منهم القول بالقطب والابدال وكأنه يحكي مذهب الرافضة في الامام والبقاء وأشربوا أقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بنذاهبهم حتى جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرق أن عليا رضي الله عنه ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالترام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالجند من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الصحابة كلهم أسوة في طرق المهدي وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية يفهم منها ومن غيرها دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه وظهور منهم أيضا القول بالقطب وامتلأت كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في الفاطمية المنتظر وبنوا ذلك على أصول وأهية وربما استدلوا بكلام المنجمين في القرانات)

قال (وأكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي ابن العربي الخاتمي في كتاب (عناء مغرب) وابن قسي في كتاب (خلق النعلين) وعبدالحق بن سبعين وابن أبي واطيل تلميذه في شرحه لكتاب (خلق النعلين) وأكثر كلماتهم في شأنه ألقاض وأمثال وربما يصرحون في الأقل أو يصرح مفسرو كلامهم بأن هناك نبوة خلافة فلان كما فيحدث تكبر وتجب وباطل وهناك تكون ولاية وخلافة للولاية فلان ثم كفر . فكما كانت النبوة لها خلافة فلان فتجب هكذا للولاية خلافة فلان ثم كفر والولاية للفاطمي المنتظر وسماه ابن العربي الخاتمي (خاتم الأولياء) وكفى عنه بلية الفضة مشيرا الى حديث البخاري في (باب خاتم النبيين) إذ قال ﷺ مثل فيمن قبل من الأنبياء كمثل رجل ابتنى بيتا وأكمله حتى إذا لم يبق منه إلا موضع لبنة فأتا تلك اللبنة فيفسرون خاتم النبيين باللبنة حتى أكلت البنيان)

ويقولون ان الولاية لها مراتب كمراتب النبوة وخاتم الأولياء خاتم الأنبياء . فخاتم الأنبياء أكمل بنيان الأنبياء وخاتم الأولياء أكمل بنيان الأولياء غاية الأمر أن النبي ﷺ لبنته من ذهاب وخاتم الأولياء لبنته من فضة . وقال ابن العربي فيما نقل عنه ابن أبي واطيل وهذا الامام المنتظر هو من أهل البيت من ولد فاطمة وظهوره يكون بعد مضي (خ ف ج) من الهجرة وذلك بالجل ٦٨٣ سنة وهي في آخر القرن السابع . ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر حل ذلك مقلدوهم على أن المراد بتلك المدة (مولده) وأن خروجه بعد ٧١٠ يخرج من

ناحية المغرب . أقول وأنت تعلم أن ذلك لم يتم . وأطال العلامة ابن خلدون في نقل كلامهم على هذا النحو ثم قال (والحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك أنه لا تتم دعوة من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله . قال وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي أربناك هناك وعصبية الفاطميين بل وفريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ، ووجد أهم آخرون قد استعانت عصبيتهم على عصبية قريش إلا ما بقي بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبين من بنى حسن و بنى حسين و بنى جعفر وهم منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصائب بدوية متفرقون في موطنهم وإماراتهم وآرائهم يبلغون آلاف من الكثرة . فإن صح ظهور المهدي فلا رجة لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في أتباعه حتى تتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحل الناس عليها وأما على غير هذا الوجه مثل أن يدعو فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصبية ولا شوكة إلا مجرد نسبه في أهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين الصحيحة . ثم أفاض في ذلك وأبان أن ما يدعيه العامة والاعمار في ذلك من الدهاء لا يرجع إلى عقل ولا هدى ولا كتاب منير

هذا ما أردت تلخيصه من مقدمة العلامة ابن خلدون في أمر قرب الساعة وفي أمر قيام المهدي لتسعين سبيل الرشاد ويقف المسلمون بعدنا على آراء قد انتشرت قبلنا في بلاد الاسلام وفرقتهم وزعزعتهم . فاقتراب الساعة بالمعنى المتقدم وظهور المهدي كلاهما قد أضعف عزائم الأمة وأورثها الخور . ومن أعجب العجب أن ينسب هذا للعلامة الكبير ابن العربي . ولقد اطلعت في الفتوحات المكية على هذا المعنى في مواضع منه فإن صح هذا ولم يكن مندوسا عليه من أهل زمانه كان ذلك دال على داء فتاك أصاب الأمة كلها وقطع أحشائها فإذا وصل الداء إلى كبار العلماء والأولياء فقد وصل إلى قلب الأمة وهذا هو الموت . يسمع المسلم بقرب قيام الساعة بالمعنى المتقدم التي قد ظهر كذبها فيقول لم أعمل ولم أجِد والناس سيموتون جميعا ويسمع بالمهدي المنتظر فإذا قام داع سارع إليه الجهلاء . والتفوا حوله ثم يقوم آخر فيتبعه آخر وهكذا حتى إن مشايخ الصوفية كل منهم قد اتخذ لنفسه أتباعا وأراهم أنهم أحق بالله وبالحقائق وغيرهم من أمم الاسلام جاهلون ولست أذكر شيخا خاصا فإن هذا التفسير عام للمسلمين ولكني أقول قولاً جامعاً

أيها المسلمون . يا أيها العلماء . اسمعوا . حم الأمر وقضى الله بالحق . هاهي ذه أمة الاسلام قد تفرقت شيعا وذاق بعضها بأس بعض . ليس لكم والله ملجأ إلا الرجوع لنفس القرآن وقراءة جميع العلوم ودراسة هذه الدنيا من العلوم الفلسفية والطبيعية والسياسية وهكذا . إذا درس المسلم علم الفلك نظر فقال يا الله أنت خلقت آلاف آلاف الكواكب وأرضا بالنسبة لتلك المخلوقات كما تقسم لوصفرت حتى صارت جوهرها فردا ثم صغرت العوالم على مقتضاها لصارت العوالم كلها ألف مليون أرض كأرضنا هذه على حالها اليوم . هنالك يقول المسلم . فإذا كانت أرضنا هذه حالها فهي أشبه بالعدم . فمن هو هذا الذي يدعى أنه قد حل فيه الله وما الأرض ومن عليها . ثم ينظر المسلم فيرى حكمة وإبداعا وغرائب وعجائب في أصغر حشرة وورقة فيدهش لإبداع الله ويتعجب بالحكمة وهنالك يقرأ المسلمون العلوم ويعرفون الصناعات ومتى فعلوا ذلك رفَعوا أذانهم أما الانكسار على المهدي وأنه سيجي . فيتبعه الناس فغنى هذا أنهم متكونون عليه في إسعادهم ولم شعنهم والله عز وجل هو الذي خلق الناس وأعطاهم عقولا وأمرهم أنهم هم الذين يجتهدون ويبتعدون بأنفسهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

سيأتي لهذا المقام بقية في (سورة المؤمنون) عند قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - إلى قوله - كل الينا راجعون - . وقصارى القول هنا أن الله عز وجل ما أنزل كتابا من السماء ولا علم علما إلا مريدا بذلك إيقاظ الهمة . فإذا قصد المسلمون من الرافضة والشيعة والامامية ومن تبعهم من

الصوفية المتأخرين بالمهدى أن يكون سببا في اسعادهم وهداهم مرة واحدة فقد أخطوا وليعلموا أن الطفل لا يولد إلا بعد نموه في الرحم بالتدرج . هكذا لا تكون الهداية والرحمة العامة التي تجعل الناس أسرة واحدة إلا بجد واجتهاد من الأمم كلها التي أهمها الأمم الإسلامية المستقبلية التي ستنتشر فيها هذه الآراء وبها يجتثون في الرقي . هنالك يعقل الناس معنى التعاون العام والهداية العامة والعيش بسلام مع الأمم والروح العيسوية التي ورد ذكرها في الأحاديث الشريفة . وقد قدمنا في هذا التفسير في غير ما موضع أن المدار على هذه الروح العامة بالجد والاجتهاد منا نحن الذين نعيش في الأرض . هنالك لا مانع يذم من نزول المسيح ابن مريم لأنه يحد الناس بقبول دعوته . وقلنا هناك إن المدار على هذه الروح في أهل الأرض لا على رجل واحد أو رجال يسقون الناس الهدى سقيا بلا استعداد ولاهدى . واعلم أن الأمم اليوم أخذت تتقارب في السياسة وتسعى للسلام كما سيأتي في سورة (المؤمنون) . انتهت اللطيفة الأولى

(اللطيفة الثانية في قوله تعالى - ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم -)

اعلم أن هذا المقام قد استوفيته في أول سورة (آل عمران) وتبين لك فيه كيف كان الله مينا في علم الطبيعة كما كان مينا بالكتب السماوية مفهما نوع الانسان في سفر الكائنات ما لا يتحمله كتاب من الكتب ولا عقل حكيم من الحكماء . وهناك ترى كيف كان الخلاف بين هيكل الألماني الفيلسوف وبين بعض علماء ألمانيا في تكوين الأجنة وكيف كانت أدوار الجنين في بطن أمه دالة على تناسق العوالم الحيوانية وأنها درجات وكيف كان هذا الكتاب الذي أودعه الله بطون الأممات مفصلا تفصيلا بحيث تقرأ أبوابه بابا بابا كما تقرأ كتب البيانات وكتب العلوم من الحساب والهندسة والطب . وكيف ترى أجسامنا ونحن أجنة تفتح باب العوالم الحية فتري كأنها حيوان الماء تارة وحيوان البر تارة وتنزع عنه صورة مينا مصير الانسان بصورة واضحة وأنه سائر الى طريق الكمال وهذا كله من قوله تعالى - لنبين لكم -

وهل لك أيها الذكي أن أقص عليك الآن من تفسير هذه الآية ما لم أعرفه وأنا أفسر في سورة (آل عمران) منذ نحو ستة ونصف فهناك فسرت قوله تعالى - لنبين لكم - تفسير علميا . أما الآن فلا فسرها تفسيراً خلقيا أدبيا لتعجب من هذه الدنيا ونظامها والتبيين واختلافه وأن الله كما بين العلم في دروس الطبيعة بين الأخلاق فيها . فاعلم هداك الله الى طريق الحق واجتباك الى سبيل الرشاد أن المضغة المسواة وغير المسواة اللتين جعلنا لتعليمنا قد شملت مواعظجة

(١) ذلك أن الانسان يرى أن من الناس من يخلقون صما ومنهم العمى أوفاقدو قوة النطق أو معوجوا اليدين أو الرجلين أو ضعيفوا العقل أو مشوهوا الخلقه ومنهم من يخلقون وانما هما توءمان ملتصقان لا ينفكان حتى يموتا . كل ذلك يكون خلقه أثناء التخلق في الرحم وقد يطرأ بعض ما تقدم بعد الولادة وهم في طريق الحياة . تلك كتب كتبت بحروف كبيرة . هذا كتاب كتبه الله للناس بحروف كبيرة ولكن أكثر الناس لا يعلمون . إن الله وضع النظام على هيئة ثابتة ولكنه هو نفسه يخرق القانون ويغيره ليرشدنا أن هناك نواميس وقوانين أرقى فهناك نظام الأجسام الحيوانية والانسانية ترى أن المواد الغذائية المستخلصة من أرضنا ومائنا وهوائنا قد اقتضت وجبست في أجسامنا فلم يفلت الهواء الى أعلى ولا الماء الى الأنهار ولا المواد الأرضية الى أرضنا وهي ما اقتضتها من الحبوب والفواكه والخضر . فتري الانسان والحيوان قد حكما هذه العناصر في أجسامهما . فهذا أول برهان على أن النظام الطبيعي فوقه نظام أعلى وأن هناك قوة قاهرة قد حكمت على هذه العناصر أن تغير خلقها وأن الانسان يقدر أن يبدل العادات السيئة فيه بعادات حسنة كما غيرت طبائع الذرات التي هي فيه

(٢) ترى أن من الحيوان ما لا حواس له إلا اللس كدود الفاكهة والدود الذي في باطن الحيوان . ومنه

ماله حاستان وثلاث وربع فقط كبعض الفيران تعيش في الظلمة فتفقد حاسة البصر لعدم لزومها . كل ذلك مخلوق في الطبيعة والناس يشاهدونه ويشاهدون الدود يعيش بالحواس ماعدا اللمس . ومعنى هذا التبيين أن الله يقول لنا انظروا الدود انه حي وقد فقد الحواس الأربعة وأعطيكموها فانظروا ماذا تصنعون بها انها شبكات لصيد العلم لترتقوا عن هذا العالم فعليكم أن تفكروا بهذه الحواس في هذا العالم واني ما أعطيت نعمة إلا وقد جعلت بجانبها نعمة فهمومكم وغمومكم أكثر ألف مرة من غموم وهموم الدود لكثرة حواسكم وانما فعلت ذلك لأضطرركم الى العمل بها واقتناص الآراء بشيئها . فالحلم الذي أحاط بكم لحكمكم على الاهتداء بالعلم لتخرجوا من هذا العالم . كل هذا خلقته بين ظهرائكم ولكني أعلم أن هذا الدرس لا يفهمه إلا القليل لذلك أردت أن يكون الدرس من نفس الانسان فجعلت المضغة تارة مسواة وتارة غير مسواة لتروا العمى منكم فتعرفون نعمة ربكم وتروا الحكم وتروا الزماني ومن ضعفت أيديهم ومن فقدوا عقولهم . كل ذلك لتروا اني ما جعلت هذا فائدة أو غفلة أو عدم عناية بل جعلت هذا لأبين لكم فتقولون ان أكثر الناس أصحاب العقول والحواس والأعضاء . وهؤلاء الذين خلقوا نقصين أو حدث لهم النقص فيما بعد انما جاؤا لنقرأ دروسنا عليهم ونعرف أن تلك المواهب نعمة يجب أن نقصصها ونعرف النعمة التي ستزول عنا كما زالت عن غيرنا فنسرع بالاستفادة منها . واذا كنا لم نفهم نقص تلك الحواس والأعضاء في الحيوان فنحن مستعدون لفهم نقصها في الانسان لأن الحيوان الذي نقص شيئا من هذا لا يؤثر فينا لشيوع ذلك النقص في نوعه كالود ولكن النقص والتشويه في جسم الانسان أسرع أثرا في نفوسنا وأبقى علما وأبلغ معنى . هذه القراءة ليس يعرفها الناس جميعا . هي قراءة لا يفهمها إلا ذوو العقول الكبيرة لأن حروفها وكلماتها هذه الصور الحيوانية والانسانية وهي كبيرة وهذه الكبيرة لا يفهمها إلا العقل الكبير . فاذا قال الله تعالى في كتبه السماوية ان الناس سيحشرون وكتب ذلك بالحروف المجهانية أو سمعوه بأصوات هوائية فمعه فهمها على قدر طاقة عقولهم ولكنه اذا مزق حجب الطبيعة بأن فتك بها وهدم كيائها وجعل عاليها سافلها في جسم الحيوان وخالف طبعها فجعل الخفيف والثقيل والمتوسط كله في شكل واحد . واذا حرم بعض الحيوان حواس . واذا فرق الأمراض والنقص حسا وعقلا وأعضاء على الناس لم يفهم هذا إلا القليل ولهذا قال الله - لنين لكم - تبيننا تعقلونه بعقولكم وتدرسونه بأنفسكم

فها أنت ذا أيها الذكي عرفت حكمة نقص بعض الأعضاء أو الحواس نقصا خلقيا أو عارضا وأن ذلك دروس يدركها الحكماء وانما مقصودة وان كان ظاهر الطبيعة يفيد انه عارض غير مقصود . وهالك مسألة التوأمين المخلوقين المرتبطين معا يرباط تام بحيث يولدان معا ويموتان معا في عصرنا الحاضر وكيف كانت حياتهما وهذا أيضا من مسألة المضغة غير المخلقة ليبين الله لنا بهذا أمرين يقول أنعمت عليكم بأن كلاً منكم خلق مستقلا فلم يتصل بجنين آخر . ويقول أيضا ان اتصال اثنين معناه الاتحاد في أمور الحياة وهذان الاثنان لما اتصلا لم يمنع ذلك كلاً منهما عن محاولة أعماله الخاصة به وهو مع ذلك مرتبط مع الثاني أشبهه بارتباط الأئمة كلها وأهل الدين الواحد كلهم وأهل الأرض قاطبة . فهذان التويمان المتحدان قد تلازما موتا وحياة وان اختلفت الصفات كما تختلف الأمة الواحدة في أحوالها ولكن التضامن فيما بينهم يجعلهم متحدين ارتقاء وانحطاطا وضعفا وقوة وهالك مسألة التوأمين

(٣) التويمان المتصلان

اعلم أن العالم الانساني الآن أصبح يدرس الغرائب والعجائب أكثر من ذي قبل . أخذ يدرسها بحجود النجيب وشاع هذا التفرج وكثر . ولماذا هذا . ذلك لأن السكك الحديدية والسفن البحرية والطائرات الهوائية قربت المسافات فأخذ أصحاب العجائب يعرضونها على الناس ويتناولون دراهم والناس فرحون بما

يشاهدون . وما جعل الله الغرائب إلا للدراسة لأن الناس لا يدرسون ولا يتفكرون غالبا إلا على ما كان نادرا وهذا النادر كلما كان أندر كان العلم به أعجب وألذ . علم الله ذلك في الانسان . فإذا عمل . خلق العبي والصم الخ كما قلت لك ليدرسها الناس وجعل أندر من ذلك وأعجب التوأمين . وقد خلق الله في هذا العصر توأمين كثيرة منها ما عرفناه ومنها ما لم نعرفه لعدم ظهوره

(١) فن ذلك (تويمان هنديان * أحدهما) يسمى (راديبكا) والآخر (دوديبكا) وهما بنتان عملت لهما عملية جراحية ففصلنا بحدسنة ١٩٠٠ بضع سنين وكاتتا لانبغمان تسع سنين وعاشتا بعد فصلهما . ثم إن اتحاد التوأمين قد يكون في الصدر أو في الرأس أو في البطن أو في الحوض

(٢) ومن التوأمين التي عاشت (تويمان صينيان) وهما ذكران كانا في السابعة عشرة من العمر وعاشا بعدها وهما قويا البنية وقد اتحدا في طوق القص أى العظم الصدرى فانه يستطيل قليلا ويخرج من الصدر حتى يلتقي برفيقه فيتحدان . وهذان التويمان لم يظهر عليهما تعب من هذه المشاركة

(٣) وهناك (تويمان ساميان) من بلاد (سيام) خلقا متقاربين أحدهما اسمه (شانغ) والآخر اسمه (انغ) وأبوهما اسمه (بونكر) ولدا في قرية (بانكوك) بـسيام سنة ١٨١١ وقد اتحدا بعظم القص في أسفل الصدر بزائدة لحمية ضخمة وفي جهة أخرى وقد جلا الى أوروبا وهما طفلان وسافرا الى أمريكا وعرضا نفسيهما للفرجة فجما مالا كثيرا وعاشا في (كارولينا) في الولايات المتحدة واشترى كل منهما عقارا واتحدا أن يقيم كل منهما مع الآخر في ملكه ثلاثة أعوام وكان الناس يحترمونهما وتزوجا أختين سنة ١٨٤٣ وأحدهما وهو (شانغ) ولد له عشرة أولاد سليمى البنية إلا صبيا وصبية ولدا أصميين . وولد لثانيهما وهو (انغ) ١٢ ولدا كلهم صحيحو البنية . فلما كانت الحرب الأهلية بالملك المتحدة خسرا كل مالهما فسافرا لأوروبا . وفي سنة ١٨٦٣ مال شانغ الى الافراط في المسكرات وظل أخوه معتدلا في كل شئ فاتحدا في كل شئ واختلفا في الأخلاق وفي سنة ١٨٧٢ أصاب (شانغ) المذكور ألم عصبي في العين اليمنى ثم انحلال في سائر بدنه ثم ضعف جدا . وفي سنة ١٨٧٤ أصابه زلة صدرية لم يسرع في معالجتها وبعد مدة أفاق (انغ) وظل (شانغ) نائما فنادى (انغ) بعض أولاده ليوقظ عمه فناداه الغلام (عماه عماه) وحركه اذا هوميت فصاح (هوميت) فاضطرب (انغ) وقال بنغمة البائس الحزين (فاذن أنا مائت أيضا) ثم اقطع بوله وعسر نفسه ومات بعد أخيه بساعتين وسنهما (٦٣) سنة

(٤) (تويمان متفاوتان) أحدهما ضامر والآخر تام كامل ويحمل الآخر كأنه طفل . وأغرب وأشهر هذا النوع رجل هندي يسمى (لالو) ولد في (لكنو) ببلاد الهند ومعه تويم آخر متصل به في بطنه كانا في أول الأمر متساويين في حجمهما فلما كبرا ظل أحدهما صغيرا ولم ينم إلا قليلا فأصبح كأنه طفل يحمله شاب ولما كان ذلك أمرا غريبا جعل يطوف المدن يعرض نفسه للفرجة في الأسواق وفي آخر ما عرف عنه انه كان في الولايات المتحدة في العقد الثاني من القرن العشرين اه

ها أنذا عرضت عليك ما عرضه الله على الناس في أسواقهم ومدنهم الكبيرة . إن الله وضع في الناس حب الغرائب لأنها دروسهم . فالعامة للتعجب . والخاصة يقولون . كلا . فالتعجب أول العلم بل هو الباعث عليه ويقولون ان هذه التوأمين وان بدت لعين الناظرين انها رمية من غير رام أو خطئ في الطبيعة فانا نقول انها مقصودة للدراسة . يرى الناس التوأمين (شانغ) و (انغ) وقد عاشا معا وماتا معا ولكن أحدهما قتله الآخر والآخر معتدل وقد عاشا في هناء واشتركا في السراء والضراء . هكذا الانسانية كلها أو الأمة كلها أو أهل الدين الواحد يعيشون ويقسمون الأفراح والأحراح . فاذا طاش فرد أو أفراد من الأمة والتووا ولم يقوموا بواجبهم كان ذلك اضعافا للأمة . فعلى بقية الأمة أن يقوموا المعوج منها والاسرى الداء من المريض الى الصحيح

جسدا وعتلا واقتصادا وسياسة وهكذا الأمم كلها متصلة اتصال التوأمين فأى نقص حصل فى أمة أثر فى الأخرى فإذا نقص محصول القمح فى أمة أو محصول القطن أو غيرها أثر فى الأمم الأخرى غلاء الأسعار ونقص التجارة وأى ضعف فى أمة يتصل بالأخرى فإن هذه الضعيفة لا تستطيع استقبال صناعاتها ولاتجارها . ان العالم الانسانى كله لم يخرج عن كونه مثل (شانخ) و (انغ) وأن أمة الشرق النائمة سقطت معا ولا تقوم إلا معا فإذا لم يقوم بعضها بعضا ولم يساعد بعضها بعضا لتقدمها أوروبا . إن الأمة الواحدة وأهل الدين الواحد بينهم تضامن حقيقى إن هذا التوهم نراه بأعيننا مكتوبا بالحروف الكبيرة يفسر لنا قول النسي عليه السلام ﴿المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا﴾ وتمثيل المؤمنين فى الحديث بالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . إن الله بين لنا بهذين الانسانين وأمثالهما تضامن الناس وأن علماء الشرق ينفعون أهل الغرب بطريق غير مباشر وبالعكس وانه خلق هذين فى (سيام) وجعل قوتهما بالتفرج عليهما لينشر ذكرهما فى الكرة الأرضية وليكونا درسا للناس وعبرة وتفسيرا لهذه الآية ولولا جهما المال وجعها له ما وصل خبرهما الى مصر وما جعلتهما درسا لقوله تعالى - لنبين لكم -

فأهل الدين الواحد . وأهل القرية الواحدة . وأهل الأمة الواحدة . وأهل الأرض الواحدة بينهم تضامن وهم يحملون وتعارف وهم يتغافلون . إن الانسانية لا تزال طفلة الى الآن والعقل الانسانى لا يزال أمامه عقبات وعقبات ومقاويز ومقاويز حتى يصل الى غايته المنشودة وطلبته المرغوبة وأعماله العالية وأغراضه الغالية إن كل امرئ كأنه مسؤول عن جميع الانسانية وأن كل الانسانية كأنها مسؤولة عن الفرد وأن السؤاس فى أوروبا وثرثرتهم وقولهم الانسانية ينطقون بألفاظ هى أصل المقصد الانسانى ولكنهم يفعلون ضدها . ذلك لأن الانسانية اليوم لفظية وسيجىء يوم للنوع الانسانى يكون فيه أرقى منه الآن وتحقق هذه المطالب وتذهب عنه تلك المثالب - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

﴿اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى - ثم نخرجكم طفلا -﴾

اعلم أن التناسل على ﴿قسمين﴾ التناسل بطريق الذكر والأنثى . والتناسل بغير ذلك . أما القسم الثانى فإنه يشمل جميع الأحياء الدنيا كالميكروبات والديدان وبعض أنواع النبات التى لازهر لها وهو على أنواع

- (١) الحى اذا بلغ أشده انقسم الى قسمين وكل منهما ينقسمان قسمين وهكذا على التعاقب
- (٢) أن ينقسم الحيوان الواحد الى عدة حيوانات
- (٣) اذا بلغ الحيوان أشده انفجر فخرج منه حيوانات صغيرة تنمو وتناسل ويموت فنفس جسمه ينقسم ويذهب ويعدم هو وتخرج حيوانات هى أجزاءه فى الأصل
- (٤) أن ينبت على جسم الحيوان شئ كأنه أصل غصن لشجرة ثم يبلغ فينفصل فيصير حيوانا مستقلا ومن هذه الأنواع ما ذكره اللورد (أقبرى) فى كتابه ﴿جبال الطبيعة﴾ وهو من النوع الأول هنا أن بعض الحيوانات الدنيا يحدث فى وسطها حز ولا يزال هذا الحز يدق ويدق حتى ينفصل القسمان المتقدم والمؤخر فيصير كل منهما حيوانا مستقلا . وهنا برد سؤال فيقال أيهما هو الأول وأيها هو الثانى . إن هذين الحيوانين كانا واحدا فمن منهما هو الذى كان أباً ومن منهما هو الابن أم الواحد انقسم اثنين وإذا قلنا بالثانى وقد علمنا أن كلا من هذين الاثنين ينقسمان ولا يزال الانقسام الى ما لا يعلم منتهاه . أفنقول ان هذه الحيوانات خالدة لن نموت . أم ماذا . هذا من عجائب الحكمة والناس على هذه الأرض تائهون متعبدون . فجّل الله الذى حيرنا وجلّ العلم الذى أشرق على القلوب . فليحيى الله العلم وليحيى الله قلوب المسلمين وأما القسم الأول وهو ما يكون تناسله بالزواج فإنه يكون بواسطة البيض فالجنين يكون فى البيضة وهو

على ﴿ قسمين ﴾ قسم تخرج البيضة منه قبل تكون الجنين كالخشرات والطيور وبعض السمك فان البيض يخرج منها ويتم الجنين بأعمال أخرى كخضن الطيور له الى أمد معلوم ثم يخرج من بيضته . وقسم تبقى بيضته في الرحم حتى تفقس ويخرج الجنين حيا يتحرك كما نرى في ذوات الثدي ومنها الانسان الذي كلامنا فيه في هذه الآية . واعلم أن هناك في رحم المرأة سائلا في المبيض كمثل البيضة التي نشاهدها للدجج فلها ما يشبه الزلال في البيضة الدجاجية وفي داخل ذلك المح وهو الذي نراه أصفر في بيض الدجاج . وفي داخل ذلك المح جرثومة صغيرة منها يتكون الجنين والبيضة البشرية قطرها من ١٠٠ الى ١٢٠ من القيراط والملح الذي فيها قطره ٧٠٠ من القيراط والبقعة الجرثومية قطرها ٣٠٠٠ من القيراط وهذه هي التي يتكون منها الجنين والجنين يتغذى من دم الأم المنتشر في جسمها . ودورة الدم في الجنين تخالف دورته في الطفل بعد الولادة . فالشريان في الجنين يحمل دما رديا والوريد يحمل دما شريانيا فتى ولد انعكس الأمر . فتعجب من الترتيب الحكيم . انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء - الخ ﴾

ههنا ترى عجائب النبات مع الحيوان . ستري ما يدعش له لبك اتري بعقلك الحكمة واضحة جليلة في هذه الدنيا الجليلة عند الحكماء القبيحة عند الجهلاء . اتنا نحيا واتنا نموت ونفرح بأن نبقى ونحزن بأن نموت ولكن اذا تأملنا هذا النظام فرحنا ببداعه واتسرحنا لانتقائه ووجدنا عجبا . لعالم تقول وما العجب أقول أنظر ﴿ لأمرين غريبين ﴾ ثانيهما أغرب من أولهما . أما الأول فان النبات البالغ عدده ٣٣ ألفا كما تقدم عن العلامة (سبنسر) على ظهر كرتنا الأرضية مختلف في كل شئ قدرا ولونا وطعما ومنفعة الخ وهذا الاختلاف ناشئ من اختلاف الأغذية واختلاف الأغذية ناشئ من تعاطي النبات نفسه بحيث إن كل نوع منه يجتذب من الأرض مارات له . ألا ترى أن نوع الحير والصودا والبوتاسا وحض الكبريتيك وحض الفوسفوريك والسلكا والكاور دخلت في القطن وفي القمح وفي الفول وفي البطاطس وفي الذرة وفي قصب السكر بمقادير موزونة مختلفة الوزن وباختلاف وزنها صارت ملابس أو أغذية للانسان أو لغيره كما رأيت في البرسيم وقد تقدم الجدول موضحا في سورة (البقرة)

انظر كيف كان اختلاف المقادير الغذائية من الأرض والهواء سببا في هذه المنافع والعجائب المختلفة . ثم انظر كيف كان هذا . كان هذا باجتناب النبات لما يناسبه . وهنا يقال كيف رتب الفتحات الشعرية . كيف نظمت . كيف قومت بحيث لا تدخل في النبات إلا ما يناسبه . لا تدخل الصودا في شعر القطن إلا ٢٣ من المائة ولا في حب القمح إلا ٢٦٦ من المائة ولا في حب الشعير إلا ٤ من المائة ولا في حب الذرة إلا ٣ من المائة وهكذا . كيف رتب تلك الفتحات بحيث لا تنقل إلا هذه المقادير . ذلك هو النظام انشأ في جميع النبات لا يمتص إلا ما هو لازم له

﴿ نبات الكرب ﴾

قال بعض أطباء الفرنجة في هذا العصر « انه نافع غذاء ودواء . إنه يشتمل على عناصر كيميائية ذات قيمة منها الفوسفور والحديد والمائيزيا وفيه مادة كبريتية تتضح من تصاعد رائحته عند غليه في المطبخ . ويقول إنه طعام عسر الهضم يجب المبالغة في طبخه ليسهل هضمه واذن يفيد المصابين بالإمساك لأنه يسلك الأوعية الهضمية ومع ذلك ينشأ منه أرياح فالمصابون بالتلبك المعدي يجتنبونه وجوبا ويجب أن يضاف اليه نحو الزيت وهو يصلح للمصابين بالانتهاب المعوي كما لا يصلح لأصحاب التلبك المعدي كما تقدم قال وكان الأطباء ينصحون بالبن الياغورتي (الزبادي) لاصلاح المعدة وتطهيرها فان الكرب يقوم مقامه اذا صنع على طريق مخصوص

وعصارة الكرب اذا تناولها الصبي بمقدار ملعقتين كبيرتين أعادته فائدة عظيمة في إيادة الدود والجراثيم من المعدة انتهى

ألا تظن رعاك الله كيف دخل فيه الحديد والمائزيا والكبريت والفوسفور . وكيف التقطت الأنابيب الشعرية ذلك من الأرض وأخذت تبحث حتى جعت ذلك ثم بالله قل لي أين هذه المواد الحديدية والفوسفورية والكبريتية والمائزية وكيف اجتمعت وأين الطفل لشرب من العصير الكبريتي المجتمع من هذا كله فيقتل دودة وأين الرجل الذي أصيب بالتهاب معوى فيفيده والذي أصيب بتلبك معمدى فيضره وما المناسبة بين الكرب ومعدة الأطفال ولأهاء التي هي ملتهبة فيخفف التهابها والمعدات المتلبكة فيزيد التهابها ولماذا يكون هذا مناسبا لذلك . هل كانت تلك الفتحات مقدرة بحيث لا تدخل إلا هذه المواد وقد علمت أن دخولها يكسب النبات نماء ثم هذا النبات يكون فيها بعد قاتلا لدود البطن في الصبي مصلحا للمعدة عند قوم ضاروا لها عند آخرين . ذلك هو المحجب في هذه الدنيا التي هي عبارة عن دار للدراسة . هذا هو الأمر الأول الذي هو الغريب . أما (الأمر الثاني) وهو الأغرب والأعجب فانظر ما يأتي

(تعاون الحيوان والنبات على الحياة وهما لا يتعراوان)

من الدلائل الدالة على أننا في عالم واحد كأنه انسان واحد أو حيوان واحد وأن ما فيه متواصل متعاون متعاطف متبادل المنافع كما تتبادلها أعضاؤنا وهذا ما تراه في هذا المقام

(تنفس الانسان وتنفس الحيوان)

إن التنفس يكون في الحيوان وفي النبات . ففي الحيوان ظاهر كما تراه في تنفس الانسان وذوات الأربع والطيور والزحافات وهكذا السمك وهذا الأخير بالخياشيم . وهكذا الهوام جميعها تنفس بالآلات صغيرة جدا وهكذا النقاقيات . وهكذا ترى الدم الذي يجري في عروق الحيوان والانسان تجري فيه كرات دموية وهذه الكرات أيضا تنفس فتأخذ الاوكسوجين من الدم الذي هي فيه سائحة وتفرزه بعد ما يصلحها كما تنفس نحن في الهواء . هذا هو تنفس الانسان والحيوان وكرات الدم فيه . فهناك تنفس الحيوانات العليا (إن الهواء يدخل في الرئة فيتحد أوكسيجه ببعض المواد الفاسدة فيه فيتحول الى حامض الكربونيك وحامض الكربونيك المذكور هو الغاز الذي يصعد بالزفير فما من حيوان إلا وهو آخذ الاوكسوجين ويخرج الحامض الكربونيك وتراه اذا تنفست قد جعل طبقة مغطيه وجه المראה وما هو إلا مادة خفية مما خرج مع الزفير) أما النبات فانه يتنفس بعكس الحيوان . إنه يمتص الحامض الكربونيك ويخرج الاوكسوجين عكس ما يفعله الحيوان . الحيوان يتعاطى في تنفسه الاوكسوجين والنبات يتعاطى الكربون المركب مع الاوكسوجين أى يأخذ رجب الانسان . فكما لا ينمو النبات إلا بالأقدار التي نبذها الانسان والقملات التي رمى بها خارج منارله والمواد البرازية الخارجة من جسمه وقد استفادها . هكذا في التنفس لا يأخذ النبات إلا ما خرج في زفير الانسان مركبا ضارا بصلاح جسمه فيكون فسادا للانسان حياة للحيوان

(كيفية تنفس النبات)

إن الحيوان يتنفس بالرئة أو بالخيشوم أو بجلده كما ترى في الحشرات التي يكون جلدها في الحقيقة كالمنخل أو كالغربال اذا نظرت اليها بالنظار المعظم . فهذه كلها لا تنفس إلا بجلدها ولذلك لا تسمع للزناير ولا للذباب ولا للصراصير صوت تنفسا بل كل هذه الأصوات السموعة منها أصوات أجنحتها كحركات أوتار العيذان لا كأصوات الحيوانات ذوات الرئة . أما النبات فانه يتنفس بأوراقه . إنك ترى على ظهر كل ورقة من الأوراق النباتية اذا نظرت (بالسكسكوب المعظم) آلاف وآلاف من الفتحات المستطيلة وهذه الفتحات هي التي تقابل الهواء ومنها يدخل في تجاويف ومجارأشبه بالتجاويف والمجاري التي في رئة الحيوان والانسان وكل تجويف

قد سقف بقباب صغيرة مصفوفة صفا منظما بحيث تكون كل واحدة مع الأخرى كالبناء المتناسب المنسق
﴿ مقادير ما يتنفس الانسان والحيوان ﴾

إن الانسان على وجه الأرض يمتص من الأكسوجين في السنة نحو (١٦٠.٠٠٠) مليون متر مكعب
ويقدر العلماء أيضا أن الحيوانات الأخرى تمتص أربعة أمثال هذا المقدار والانسان يخرج في اليوم ٢٥٠
غراما من غاز حامض الكربونيك وذلك ٧٥ غراما من الكربون الخالص وهو الفحم . وقد حسبوا أن سكان
القطر المصري وحدهم ماعدا الحيوان يخرجون في السنة (٤٠٠.٠٠٠) طن من الفحم في السنة . فانظر
الى جميع من على الأرض . فأهل القطر المصري نحو (١٤) مليونا وأهل الأرض نحو (١٥٠٠) مليونا
والحساب سهل عليك . فإذا دام الانسان والحيوان الذي هو أضعافه يخرجان غاما على هذا المتوال فإن الجوق
يتملى سماءا لأن الحامض الكربونيك مادة سمية وانظر ذلك في الحمام فإن المادة الكربونية اذا حبست فيه
وقد تصاعدت من الفحم قتلت من في المكان . فهكذا الجوق كله يصير كالسم بسبب تصاعد الفحم من أفواه
كل حيوان فأفواه الحيوان مثل موقد الفحم والجوق كالحمام والناس أشبه بمن في الحمام

فانظر كيف قصت الحكمة أن يكون (حامض الكربونيك) المذكور هو الذي يصلح لتنفس النبات
ويكون صلاحه كما كان فسادا للانسان فان الكربون المذكور يدخل في النبات ليغذيه ويقوى أغصانه
وفروعه ونمازه فتأخذ الحامض الكربونيك من الهواء قتله فاعتدى بالكربون وأرجع للهواء الأكسوجين
كي يرجع للانسان فيصلح دمه

يا عجباً . ايها الناس اتجربوا يدخل الحامض الكربونيك جرم النبات فيقبله ويحمله ويأخذ منه الكربون
أى الفحم وهو ما به نموت في الحمام وما به تغطى المرأة بأنفاسنا وما يسمم جوقنا ثم يخرج من الفتحات
الأكسوجين نقيا خالصا لينظف الهواء ويرجع الأكسوجين ثانيا الى الانسان فيدخل رقيقه ويصطاد الكربون
أى الفحم المحترق في أجسامنا لأن عضلاتنا مشتملة على مادة خميرة قد أخذتها من الدم الذي أخذه من النبات
فيتجدد الأكسوجين بالكربون المذكور ويحمله الى خارج أجسادنا كما يحمل الزبالون والكناسون القمامة
الى خارج المنازل ومتى حمله الهواء سار به جاريا حتى يوصله الى داخل الورق والورق يتقبل تلك القمامة
والكناسة فينظف هناك ويرجع لنا الأكسوجين ثانيا . فالهواء هو المنظف لدمنا من الكربون الحامل
ذلك الى النبات ليغتذى به فهو كالسواب تحمل السماد الى الزرع . فالهواء والحيوان كلاهما ينظفان أجسامنا
ومنارنا ليصلحا الزرع الذي يصلحه نعيش . فانظر هذه القضايا العجيبة المتقنة المبهجة لنوى العقول

﴿ جوهره في مقال عام في قوله تعالى - يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا بالحق ﴾

لما اطلع على هذه الآيات أحد أصحابي من أهل الفضل قال لي إن هذه الآيات جاءت للاستدلال بظواهر
خلق الانسان على اليوم الآخر ولكن الانسان اذا نظر لهذه الكائنات التي على الأرض أدهشه أن كل كائن
فيها قد منح كل ما يحتاج اليه ونال من الغرائز والطباع ما يكفل صلاحه . فهل فكرت يوما في غرائزنا
الانسان وطباعه . وهل دراستها على حقيقتها تكفل له سعادة الدنيا والآخرة اذا عمل بها . فقلت إن ما نقوله
أيها الأخ لقول عام وذو مرام بعيدة وليس لي بتحقيق ما قلته يدان ولا أدري كيف يصل العقل الانساني الى
ما نقول وهل في قدرته ذلك وهل سيوفق له يوما . أنا لا أدري . انما أقص عليك قصا مما تخيلته سابقا
فلعل فيه سدادا من عوز وبصيصا من العلم ومبدأ للحكمة التي تريدها

في ذات يوم كنت جالسا خارج القاهرة في ضواحيها بين الأشجار والزرع ليلنا أنامل النجوم والمجرة
وأسرح الطرف في عجائبها وألمح من خلالها جمالا وحسنا وبهجة وفي أثناء ذلك أسمع غويرا الأعشاب وأصوات
الحشرات ونغمات الأغصان الراقصات على نغمات أوتارها والرياح تعبث بها وكأن تلك الأغصان فرحات بمداعبة

الرياح جذلات طربات بعناقها مغتبطات بعشقها وغرامها ووصلها فترك ذلك المنظر من قلبى ماسكن وأثار
 فى من الوجدان ما بطن ووله القلب وله الأغصان وسكرت النفس لجمال النجوم والنور وبهجة الرياض ونغماتها
 المطربات . هنالك أخذنى ما يشبه السنة وكأنى أرى أمامى نوراً بهياً نزل من السماء الى الأرض وأخذ يجتمع
 ويتكئون قليلاً قليلاً بهيئة انسانية حتى رأيت به أمام عيني انساناً سوياً ولكنه كان كالهم بأمر عظيم فما كان
 إلا كبح البصر حتى رأيت قد ظهرت أمامه بلاد واسعة ومدن شاسعة وبحار عظيمة فما كان إلا طرفة عين
 حتى أمر الوفود من الأقطار فحضروا وأخذ يقلب طرفه فيهم كأنه يمتحنهم بنظراته ويدرسهم بلحناته فما
 أسرع أن انتقى أرقامهم عقلاً وأرفعهم أدباً وأشرفهم نفساً فكان أولئك خمسة رجال لا يزيدون ثم أمر الوفود
 الحاضرين الذين لا يحصى العدد ولا يحصرهم الحساب ولا يمتد اليهم الطرف أن انصرفوا فما كادت الإشارة تبدو
 منه حتى خلا منهم الفضاء فى أسرع من وميض البرق واختلاج العين ونبضة القلب فلا أدري أنى الجوق طاروا
 أم فى الأرض غاروا أم رجعت أجسامهم الى العالم الأثيرى فرجعت الى أمانها حالاً وظهرت هناك ليقوموا بهم
 الملك . ولم يبق من هؤلاء الجوع إلا الخمسة الذين هم أمام ذلك الملك (بكسر اللام) الذى نزل من السماء مذكراً
 (بفتحها) وهؤلاء الخمسة أمه واقفون خاضعون خاشعون مطيعون إذا أمرهم إلتزموا وإذا نهاهم انتهوا - وهم
 من خشية مشفقون - . عنت له وجوههم وخشعت له أبصارهم وظنوا له قانتين فقال لهم ابنائى أنتم المصطفون
 الأخيار من مملكتى . نثرت كنائى فوجدتكم أصابعكم كسر أو أصابعهم امراساً وأقوها بألسنة . اطلعت على مافى
 ضمائركم فوجدتكم للحق عاملين وللفضل مجتدين وعن الجبل معرضين ولأمرى مطيعين إن مملكتى واسعة
 الأطراف بعيدة الأكناف شاسعة المطاف لا يصلح لقيادتها إلا أنتم فلا تصلح إلا لكم ولا تصلحون إلا لها
 ها أنا ذا وليتكم زمامها وأعطيتمكم قيادتها فاسمعوا قولى وأطيعوا أمرى . فلما سمعوا ذلك قالوا سمعوا وطاعة
 نحن عبيدك الخاضعون وخدامك المطيعون فرناظمك وقل نسمعك فقال إن مملكتى قسمتها (٣٦) مقاطع
 وقد وليت كلا من الأول والثانى (١٠) مقاطعات والثالث (٩) مقاطعات والرابع (٥) مقاطعات والخامس
 مقاطعتين . هلموا الى ما أمرتكم وتوجهوا الى ممالككم وليكن عندى علم بكل ما يحدث فيها بحيث أراه
 وأنظر اليه فقالوا له أريد منا أن نذكرك بأبناء هذه الدول بالكتب فنشرح الحقائق ونقدمها لك فقال . كلا .
 إن هذا عمل الجهال ملوك الأرض . إن العالم الأرضى الذى أنتم فيه عالم متأخر وطرق الاقحام والاستفهام
 عسرة صعبة وليس بين الناس وبين ما يعبرون عنه علاقة . فقد كان أهل هذه الأرض قبل التاريخ يعبرون
 عما فى نفوسهم برسم صور الأشياء تقريباً ثم نوعوا فى التعبير والرسم واخترعوا الحروف الهجائية المعبرة عن
 المعانى ولا مناسبة بين حروف (ق ا م) وبين الفعل المخصوص إلا كالنسبة بين أمرين متباينين لا علاقة بينهما
 كالماء والحديد وإنما الذى تصنعونه لى يناسب مقامى لأنى من الملأ الأعلى وعالم القدس فلتكن اللغة التى تخاطبونى
 بها نفس صور الأشياء التى هى الحقائق واضحة جلية ظاهرة . فقوموا من فوركم ولتحضروا لى حالاً لوحاً عظيماً
 يقبل جميع الصور التى تحضرونها وليكن ذلك اللوح يقبل ما لا يتناهى من الصور لا تحجب صورة صورة ولا شكل
 شكلاً بحيث اذا رسمتم صورة ثم رسمتم فوقها آلافاً غيرها لا تحجب العليا منها السفلى بل تكون كلها حاضرة
 عندى . فهذه هى الكتابة التى تليق لمقامى ومركزى فى السموات العلى التى كنت فيها قبل تثنى عندكم فلم
 يكذب ينطق بهذه الجمل حتى رأيت لوحة عظيمة لا تنتهى لأمدتها قد مدت أمامى وهم حولها ينتظرون الأوامر
 فقال احضروا صور ممالككم بهيئة الخيالة (السينما) فما كان إلا كبح البصر حتى رأيت ما يشبه (السينما)
 التى أراها فى بلادنا المصرية وعددها خمسة قد نصبت أمامى كاملة تامة وما كان إلا كبح البصر حتى رأيت صوراً
 تلوح فى تلك الآلات السينمائية وأنواعها (٣٦) صورة وما كادت تظهر للأعين حتى رسمت الصور على تلك
 اللوحة وهكذا أخذت الصور تتأدب وأنا ألاحظ الملك قد شغل بها وكلما رسمت طبقة ظهر جبال فى اللوحة

يعقبه جبال آخر برسم طبقة أخرى وهكذا طبقا عن طبق صور فوق صور . كل ذلك لم يتجاوز من الزمان لحبات أو ثواني كما يرى الانسان في عالم الأحلام . هنالك أخذت أفكرو أقول من هذا الملك الذي كان ملكا ومن هؤلاء الخمسة وماهى ممالكهم وما هذه اللوحة ثم ما هذه الجبابر كلها وما كاد هذا الخاطر يلوح لى حتى تبدى لى شخص كهية انسان فقال - ولا ينبئك مثل خير - أنا جديلهما المحكك وعذيقها المرجب أنا ابن بجدتها وأبو عذرتها فاسمع لما ألقىه اليك ولا تنجل من قبل أن أدلى اليك بما عندى . فقلت هذه هدية من ربى ألقبلها بالشكر وأخذها بالقبول ونعمة أنعم الله بها على ليلوقى أأشكر أم أ كفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم . فقال ان هذا كله صور أمامك ليلقى اليك علما جا فتعرف معنى كون الانسان علما صغيرا ومعنى (من عرف نفسه عرف ربه) ومعنى قول على كرم الله وجهه

دواؤك منك وما تشعر * ودواؤك منك وما تبصر

وتزعم انك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الأكبر

فان هذه الأبيات والجل الحسان تسمعونها يا أهل العلم ولا تدركون مغزاها بل أكثركم يقول حين يسمعونها (أسمع عجيحة ولا أرى طحنا) فهذه ألقىت اليك لتعرف الله واليوم الآخر من نفس صورة الانسان ويستغنى الناس بما تذكره لك الآن عن البراهين الجدلية والفلسفة الوضعية والتعسف اللفظية ويقر بما أريه لك العاقل والجاهل والمحدود والشاكون اذا كانوا يعقلون . فقلت فاشرح لى ما وصفت وبين لى ما ذكرت فقال أما هذا الملك الذى صار أحد الملوك الأرضية فهو روح الانسان إذ حكم عليها أن تحبس فى هذا الجسد الأرضى . وأما الوزراء الخمسة فهى الحواس الخمس . وأما الممالك التى توصل أخبارها فهى العين والنور والظلمة والقرب والبعد واللون والشكل والحجم والصغر والكبر والحركة . والحاسة الخمس عشرة أيضا وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والنعومة والثقل والخفة واللين والقساوة . وقوة الذوق (٩) مثل الحلاوة والحوضة والملاحة والدمومة والمرارة والعفوسة والحرارة وطعم المر والعذوبة . والملاذات الأصوات الموسيقية الانسانية وغير الموسيقية وأصوات الآلات الموسيقية وأصوات الحيوان والجماد . والحاسة الشم نوعان الخبيث من الروائح والطيب منها . فهذه (٣٦) نوعا هى كل هذه العوالم التى سخرت للانسان ولا يضبطها ويحكمها إلا بحواسه الخمس . وأما ما رأيت من اللوحة فهى مخه والقوى التى فى دماغه . وهذه جعلها الله للانسان تقوم مقام الألواح التى يكتب فيها للأطفال للدراسة والألواح الحجرية التى كان يكتب عليها قدماء المصريين والبابليين والآشوريين وأهل الهند فهؤلاء كلهم كانوا يكتبون على ألواح حجرية تبقى آلاف السنين وعشرات الآلاف فتلقن للأبناء ما فعله الآباء . ولذلك لما أرسل موسى عليه السلام ألقى له الألواح مشاكفة لما كان فى زمانهم من اقامة الألواح والكتابة عليها . فهذه اللوحة التى تراها أمامك تصور لك هيئة لوحة دماغ الانسان التى ترسم فيها صور الأشياء الآتية من عوالم المادة التى لاتعد مثل الألوان التى هى من عوالم الابصار فهى أنواع سبعة أحمر وأصفر وأخضر الح وكل لون منها يتنوع الى ما لا حصر لها من أنواع الجلال والبهجة واختلاف الأشكال . فهذا عالم واحد من عوالم القوة الانسانية وعوالم الانسان كما قلنا لك ٣٦ علما تحكمها حواسه . فاذا كانت الألوان علما واحدا يشمل ما لا حصر له من الأصباغ والألوان فى الكواكب والماء والأرض والزرع والسهل والجبل والحيوان والانسان فكيف بما بقى من العوالم المقدرة (٣٦) علما . فلوح الانسان أرقى من ألواح أهل الأرض . فالألواح أهل الأرض الحجرية وغيرها ليست شيئا مذكورا بجانب لوحة الانسان لأنها تسع ما لا يتناهى من العوالم مع صغرها . فلوح الانسان واحد يشمل عوالم لا تنتهى لعدتها وهو أشرف من ألواح أهل الأرض وكتبهم وطواميرهم ودفاترهم فهو أشرف الدواوين وأرقاها وأعلاها وهو يدل الانسان على الله وسعة علمه وأنه واحد وعلمه واحد ولوحة المحفوظ واحد يجمع ما لا يتناهى واذا قال

الله - بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ - وقال - كل في كتاب مبين - فان هذا البيان يعرف الانسان ان كتاب الله ليس ككتبكم . واذا كان لوح عقولكم اشرف من لوح تكتبون فيه بما لا يتناهى وانتم في الأرض التي مثلت في العلم الحديث عندكم بجوهرفرد بينما العالم حولها يمثل بألف مليون أرض فكيف بمن خلق هذه العوالم كلها ونفاكم في هذه الذرة الحفيرة وقال لكم - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - فلا جرم يكون لوحه المحفوظ وكتابه القديم وعلمه بالنسبة لما لاح لكم في عقولكم أكبر وأكبر من نسبة العوالم لكم في أرضكم الحفيرة وبهذا تفهمون قول الامام الغزالي (ان اللوح المحفوظ كالقوة الخيلة في الانسان) فان هذا القول منه ضرب مثل لاغير . فكما ضرب الله المثل باللوح الذي ترونه أمامكم ضرب الغزالي مثلا بلوح اشرف منه وهو القوة الخيلة في الانسان كلاهما ضرب مثل يقرب المعنى . ثم قال لي ذلك الهاتف فهذه أول ثمرة من ثمرات هذا المثال الذي أمالك تعرف به معنى (من عرف نفسه عرف ربه) فلا شك ان الله مطيعون له طاعة الخواص للانسان ولكن بالتشبيه ولا تمثيل فالملائكة عوالم مستقلة خلقها الله كما خلق الأرواح فايك أن تظن غير ذلك . فكما خلق الكواكب والأرض والسماء خلق الملائكة فهم مخلوقون لله كالأجسام وهم له مطيعون (الثمرة الثانية) الايقان باليوم الآخر وهنا بيت القصيد . انظر رحك الله وتعجب من غرائب الانسان وطبائعه (١) انك لا ترى حيوانا ولا انسانا إلا وقد خلق فيه دافع يدفعه للتغذية وتناول الطعام والشراب فالطفل بكى للطعام فوجد لبن الأم وغير الطفل أحس بجوع يؤله فوجد مقتضى ذلك الألم ومطالبه وهو الطعام أشكالا وألوانا وأنواعا . فهذا عجب كأن الغرائهي نبراس هذه الدنيا وكأن هذه الأجسام الحيوانية والانسانية نموذج هذا الوجود أحست بالجوع وأحست بالعري فوجدت طعاما وملبسا . هذا عجب أن تكون غريزة الجوع والعطش والاحتياج لللبس مقرونة بوجود ما يناسبها وهذا أعجب العجب أن تكون البواطن والغرائز مخلوقات على نسبة العوالم الخارجية . ومعنى هذا أن القوى التي فيكم لم تخلق إلا ومعها مطالبها وهذه فائدة عظيمة جدا سيكون لها شأن عظيم

(٢) ثم هنا مسألة ثانية وهي مسألة حب الرجل للمرأة وحب المرأة للرجل وهكذا كل ذكر وكل أنثى من كل حيوان في الأرض فهذه كلها يهوى ذكرها أنثاها وبالعكس أحب الذكر أنثى فوجدتها أي ان أعضائه هيئت وغريزته الباطنة خلقت متناسبة مع وجود أنثى تكون معه وهكذا أمر المرأة مع الرجل فن العجب أن كل واحد منهما وجد الآخر فذكورا الحيوان والانسان كقوت لتكون مصاحبة لأنثى فحصل ذلك فعلمنا أن شهوة التناسل لما خلقت في كل منهما لم تعطل كما لم تعطل شهوة الغذاء وهذا عجب ثم قال أنا أقول لك هذا عجب ولكنكم أنتم لا تتعجبون لأن العجب انما يكون من الغريب وهذا أمر واقع فيكم فلا تعقلونه

(٣) ثم ان كلا من ذكران الحيوان والانسان أحب أن يكون له ولد فحصل ذلك نتيجة لما تقدم (٤) ثم ان الانسان منكم يحب أن يكون له ملك وحشم فتم ذلك لكم قليلا أو كثيرا . وخلق للأسد أنياب محمدة لتأكل اللحم . فخلق له الحيوانات آكلات الحشيش . وخلق في بني آدم أناس مغرمون بالعلم وآخرون مغرمون بالملك فكان العلم وكانت الممالك

(٥) وقد خطر للانسان من أول تاريخه وتنبى أن يطير في الجوّ ليسى الى حبيبه ويحتملها حتى قال الشاعر العربي

بكيت على سرب القطا إذ مررت في * فقلت ومثلي بالبكاء جدير
أسرب القطا هل من يعبر جناحه * لعل الى من قد هويت أطير
فجاؤني من فوق غصن أراك * ألا كلنا يامستعير نغير
وأى قطاة لم تعرك جناحها * فعاشت بذل والجناح كبير

فلم يكن الانسان في هذا الخطر ضالا أو غاويا . كان الشاعر يقول ذلك وما كان ليخطر له أن الانسان يوما سيظهر في الجو ويشارك الطير . إذن خواطر الانسان وأمانيه محترمة فلقد طارت فتاة أمريكية من أمريكا الى أوروبا في ساعات معدودات تحركت الشركات للسير بين القارتين بالطيارات . إذن هذا الشاعر كان خاطره حقا فقد صارت الطيارات اليوم تجرى في الساعة ٣٠٠ كيلومترا مع أن قطار السكة الحديدية يجرى نحو ٦٠ كيلو في الساعة وقد سار الطيارون في قارة استراليا واخترقوها في سائر جهاتها وقطعوا مفازة هناك مسافة ١٥٠٠ ميل بين مدينتي (برث) و (درين) هناك و ٤٨٠ ميلا من (اديليد) الى (ملبورن) و ٥٠٠ ميل من (ملبورن) الى (سدي) و ٥٠٠ ميل من (سدي) الى (بريسين) وهناك شيخ في السبعين من عمره قطع بالطيارة في يوم ١٢٠٠ ميل مع أنه كان يقطع هذه المسافة في ستة أسابيع على جواده وقد سيرت الطيارات الى مسافات أكثر من أربعة ملايين ميل من غير أن يصيب أي راكب من ركابها أو سائق من سائقيها أو ميكانيكي بها خدش في أصبعه

فتبين من هذا أن ما تمناه الانسان من الطيران حصل فعلا ولا بد من أن حال الانسان وأعماله ستغير في القريب العاجل ولا يعلم إلا الله ماذا سيكون غدا وإن غدا لناظره قريب وإلى هنا انتهى الأمر الخامس (٦) إن الانسان فوق ذلك قد أحب البقاء الى ما لا نهاية له وعشق الكواكب وأحب البحث فيها والاطلاع على عجائبها . هذه غريزة من غرائز الانسان وهي غريزة مقدسة لها قيمة بل هي أرقى مما قبلها واشتهى الطعام فوجده والزوجة فوجدها وهكذا الولد والمال وأن يطير في الهواء فهكذا هو يشتهي أن يطوف العوالم كلها ويسير بين النجوم ويعيش الى الأبد . هذه جبل عليها الانسان . أحب الانسان الاطلاع على العوالم . ثم قال هذا المهاتف لي بعد ذلك لقد جاء في كلامك سابقا في سورة (الأنعام) وفي سورة (يونس) كلام عن الكواكب والمجرة والسدم (جمع سديم) وهذه كلها عوالم يحب الانسان الاطلاع عليها فكيف تعطل هذه الغريزة ولا تعطل الغرائز التي قبلها ولم تصدق تلك وتكذب هذه . كلا . هذه غريزة صادقة لأن ما قبلها صادق كله . إن هذا القول أقوى الأدلة على بقاء أرواحكم واطلاع الفضلاء منكم على العوالم العالوية والمنسكرون منكم بعد الاطلاع على هذا البرهان إنما ينكرون بالاستبعاد لا غير . فكما استبعد الناس الطيران في الجو لأنهم لم يروا الناس يطيرون هكذا هم يستبعدون بقاء الأرواح والاطلاع على العوالم العالوية لأنهم لم يروا أرواحا تطير في الجو وتشاهد الكواكب بعد موتها . أما العقل فقد شهد بهذا البرهان . فقلت هل تسمح لي أن أناقشك . قال قل ما تشاء . قلت أنت بنيت هذا البرهان على الشوق والحب وأن كل ما أحبه فطرنا العاقبة لا بد من وجوده . فكما كان الغذاء والنساء والأموال والطيارات وقد طلبتها نفوسنا . هكذا ستبقى أرواحنا وتطلع على العوالم العالوية والكنى أقول اني اذا خاطبت الناس بما تقول ردوا على قائلين هذه الحجة مردودة لأن الشوق الى الاطلاع على العوالم العالوية ليس عاما في الناس بل هو خاص بطبقة ممتازة فكيف أدخلته في البرهان فرد على قائلنا ليس اختصاص غريزة الاطلاع بطبقة من الناس قادحا في انها غريزة . أليس ترى الأطفال لا يفرحون بجمال النساء وإنما يفرحون بالحلوى . فما مثل الحكماء في الأمم إلا كمثل البالغين العارفين بقيمة النساء فالناس جميعا بالنسبة لهذه الطائفة المهتارة أشبه (بالعين) بكسر العين الذي لا يرى وجهها لمصاحبة النساء وزواجهن . ففقت قد فهمت . فقال ودونك عالم السموات . هذا العالم البهيج . انظر ماذا ترى . انه يظهر فيه كل يوم كشف جديد عنكم فقد ظهر لكم في هذه الأيام أن هناك (سدم اوليه) وهذه السدم ظهر انها عوالم مستقلة كنظام مجرتكم وكل سديم منها سعة كسعة مجرتكم ومجرتكم قرص عدسي الشكل طول قطره نحو مائة ألف سنة نورية وعرضه ٢٠ ألف سنة نورية . ومعنى هذا أن النور الذي يجرى من الشمس الى الأرض في (٨) دقائق و (١٨) ثانية . وما بين الشمس والأرض يقطعه القطار في أكثر من ٣٥٠ سنة

وتقطعه قلة المدفع في ١٣ سنة . فهذا النور لا يقطع طول مجرتكم إلا في مائة ألف سنة الى آخر ما تقدم ومن هذه السدم التي تعادل مجرتكم ما يقال له (غيوم مجلان) ومنها ما يقال له (سديم المرأة المسلسلة) ومنها ما يقال له (الشلياق الخلق) ومنها ما يقال له (سديم السلاق اللوبي) ومنها ما يقال له (سديم الجبار غير المنتظم) . ولقد وجدوا أن (سديم المرأة المسلسلة) يبعد عنكم نحو (٩٠٠) ألف سنة نورية ، وهناك (سديم لولبية) يبعد عنكم أضعاف ما تقدم . وهناك سدم تبعد عنكم مائة مليون سنة من سنى النور . ثم ان (سديم المرأة المسلسلة) يجرى نحو مجرتكم بسرعة (٣٠٠) كيلومتر في الثانية وأكثر السدم اللولبية تبعد بسرعة (٦٠٠) كيلومتر في الثانية . ثم ان جرم (سديم المرأة المسلسلة) يساوى جرم شمسكم ألفي مليون ضعفا وأن هذا السديم يستغرق (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة واحدة وأرضكم تدور على نفسها مرة واحدة كل ٢٤ ساعة (انظر صور هذه السدم الأربعة في الصفحة التالية)

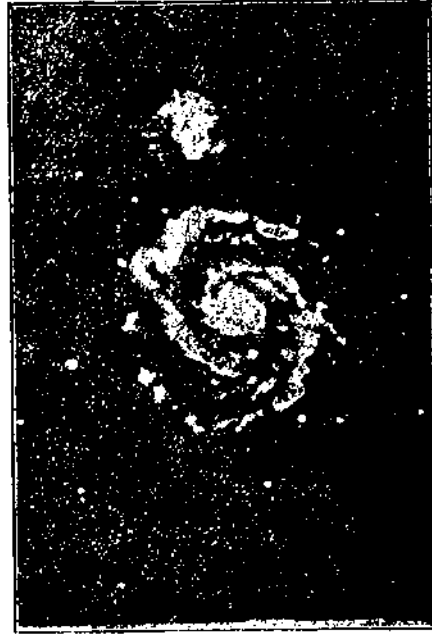
ثم قال لى . هل تذكرت شيئا عند اطلاعك على هذا . قلت نعم تذكرت قوله تعالى - وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون - وقوله - في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - فهو انما حدد هذه المدد على قدر عقولنا والا فعند الله أيام كل يوم منها مائة ألف سنة أو مليون سنة وهذا يوم مقداره (١٧) مليون سنة لا كالسنين عندنا بل هي سنة نورية والسنة النورية تعد سنوها المعتادة عندنا بالملايين . فقال أحسنت إذ فهمت . فقلت الحمد لله رب العالمين . فقال انت ولوعكم بهذه العجائب دليل على بقائكم بعد الموت كما كان ولوعكم بالطعام والنساء والطيران دليلا على حصولها وقد جاءت في الوجود ، ثم البرهان على - اليوم الآخر - والحمد لله رب العالمين . كتب في ليلة الثلاثاء ٢٤ يوليو سنة ١٩٣٨ م

(لطيفة في قوله تعالى - ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا -)
اعلم أن هذا ابن أهل قواه ونفسه . أما ذلك الذى جعل حياته كلها نافعة علما وعملا فانه اذا كبرت سنه فان عقله يزيد لا ينقص . ولقد أحصوا المخترعين في أوروبا فوجدوا أكثرهم من زادوا على الستين . ولقد رأيت المرحوم الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر سابقا قد عاش نحو ١١٥ سنة وهو قوى العقل يدبر الجامع الأزهر كله بعقل منير وفكر حاضر . ومن أعجب العجب أن يكون رجال من أوروبا مثل (كلنصو) الوزير الفرنسى يحسن في نفسه في زمن الشيخوخة بأنه شاب إذ بلغ الثمانين وهو نشط كالشباب قد أم الصلح مع ألمانيا وذهب الى بيته في الريف يفكر لمنفعة بلاده وهو لا يصدق أنه شيخ . جاء له الدكتور (فورنوف) ليجرى له عملية جراحية ترجع له الشباب فقال لست شيخا . يقرأ كتب الاغريق ليعرف علم المتقدمين ويكتب مقالات في الصحف ويقول (يجب أن نلقى مرسانا ونستقر على صخر المعرفة) ويقول (كل يوم يمر في هورهان لى على انى أجند نفسي بنشاط عقلى ولست أعرف شيئا كثيرا ولكنى أقبل ما أعرفه بكبرياء كما أقبل نتيجة معرفتى) ويقول للشباب (يجب أن تسموا الى أكثر ما تستطيع حتى تحصل على أقل مما ترمى اليه) ويلعب الألعاب الرياضية في الشيخوخة كأنه شاب ولا يشرب الخمر والتبغ ويقول انهما دون رجوليتي . هذا رجل افرنجى والله يقول لنا في القرآن - وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض - ويقول بعض العلماء عندنا (ان العالم يكون أطول عمرا من غيره) وهذا حق فقد ثبت بالاحصاء أن رجال الدين أطول أعمارا وأن النابغين العبقريين أطول أعمارا من الجميع . فاذا كان أهل أوروبا الذين حاد مجموعهم عن الفضائل النفسية قد ظهر فيهم أمثال هؤلاء فأولى ثم أولى نحن المسلمين فان ديننا يأمرنا بكل ما هو جليل . انتهى

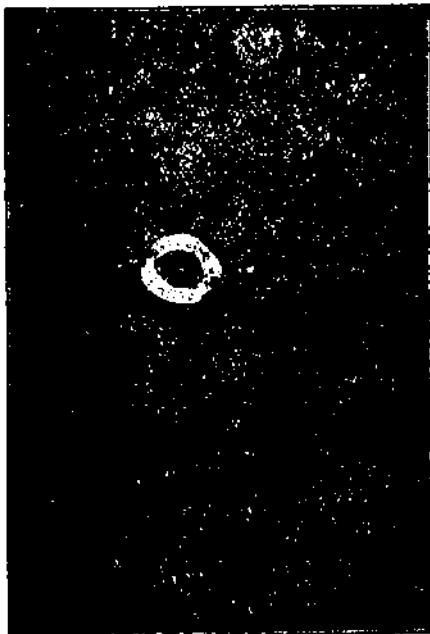
(ايضاح الكلام على النبوغ (العبقرية) وبيان انه يدخل في قوله تعالى - وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض -)
قد شاعت في أوروبا فكرة أن النابغين العبقريين مجانين وانهم يموتون ناقصي العمر وألف (لومبرود)



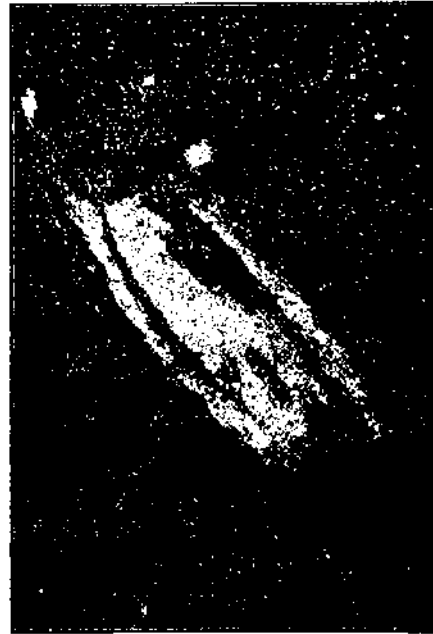
(شكل ٢ - سديم الجبار غير المنتظم)



(شكل ١ - سديم السلاقي اللولبي)



(شكل ٤ - سديم الشياق الخلق)



(شكل ٣ - سديم المرأة المسلسلة اللولبي)

كتاباً كبيراً في هذا المعنى وتلميذه (ماكس نوردي) له كتاب أكبر منه وقد رأيت في كتب (جوستاف لوبون) المترجمة ما يفيد أن التابعين نصف مجانين . والحقيقة التي لا مرأى فيها أن التابعين لهم صفات منها (١) أنهم في زمن الصبا يحسون بنقص وشين يلحقهم فيجعلون حياتهم وقفاً على العمل كي يرفعوا أنفسهم من الخزي والعار

(٢) ثبت بالاختبار أنهم يعنون بصحتهم أشد العناية ودليلك على ذلك ما جاء في التوراة من عناية كثير من العظماء المذكورين فيها بصحتهم . وترى الصحابة والتابعين يتجنبون اللذات ويحرقونها زهداً في الدنيا وكان ذلك صحة لهم وكانوا يحافظون على النظافة وعلى السواك والسواك اليوم القدرح المعلي وكانوا يأكلون الخبز غير منخول الدقيق زهداً وظهر اليوم أنه أعظم وأفيد للصحة وظهر الآن بعض سرّ قوله تعالى - ولتسألن يومئذ عن النعيم - وبعض سرّ قوله تعالى - أذهبتم طبيائكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - الخ وأن الاكثار من أكل الحلوى وأنواع اللحوم . كل ذلك مقصر للأعمار مخرب للآدم مثل للنفوس . (اقرأ هذا المقام في سورة طه عند قصة آدم وإبليس في آخر السورة)

وكان (افلاطون) يقول (الجسم السليم يرقى بالنفس كما ان النفس السليمة ترقى بالجسم) إذن النافعة بحسن بنقص في الشرف وفي الجسم فهو أبداً يجتهد في اكمال نفسه فيهما

(٣) وقد ثبت بالاحصاء أن هذه الطائفة تعيش طويلاً فقد أحصى أحد الأمريكان عدد الذين بلغوا السبعين بين العبريين فوجد أنهم خمسة أضعاف نسبتهم بين سائر الناس فقد بلغ (تيتيان) الرسام الطلياني المائة من عمره ومات بالطاعون ولكن كان موته أمراً مستغرباً عند أصحابه لما كانوا يعرفون فيه من القوة وكان (كارليل) معموداً فبلغ ٨٢ سنة وكان يسير في هذه السن خمسة أميال في اليوم . وكان (فاجنر) ضعيف الجسم فعاش الى السبعين . وكان (نابليون) مزاجه أشبه بمزاج الأثني فقاوم نفسه حتى صار يدوس الدول دوساً . انتهى

إذن نبين من هذا كله أن قول بعض أسانذتنا في قوله تعالى - وأما ما يدفع الناس فيمكث في الأرض - له شاهد من الواقع الحاصل في الأمم وأن حصول الخرف والجهل بعد العلم يتأخر في هذه الطبقة أولاً يكون وإنما قلت هذا ليكون نموذجاً لأناس يظهرهم الله في أمة الاسلام ويرون في أنفسهم همه عالية فليعلموا أن الله مع المحسنين وأن هذه القاعدة التي وضعها للناس في أنه يجعلهم مخترفين تتأخر في هذه الطائفة النافعة للناس لأنه خصهم لنفع عباده وخير الناس أنفعهم للناس والحمد لله رب العالمين

(القسم الثاني)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِخْلَادِ بِظُلْمٍ نُدْخِلْهُ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ * وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ *

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُنْتَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ * ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرُ اللَّهِ فَأَنَّى مِنَ تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ * وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَأَنَّهُمْ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْخَاسِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْحُسَيْنِينَ *

(١) اعلم أن هذه السورة متصلة بما قبلها فإن آخر سورة (الأنبياء) كان في أمر القيامة كقوله تعالى - يوم تطوى السماء كطي السجل للكتب - وما قبلها من الآيات كقوله - واقترب الوعد الحق - الخ وأول هذه الاستدلال على البعث بالبراهين العقلية

(٢) ان السور المتقدمة قد أقيمت فيها الحجج الطبيعية والنبوية على الألوهية غالباً . أما في هذه السورة فقد جعل العلم الطبيعي من براهين البعث كما أنه من براهين وجود الله . لقد جاء ذكر العلوم الطبيعية في (سورة الحجر) على مقتضى ترتيب المواليد . وهكذا نكرر ذلك في السور بعدها . وهما في هذه السورة قد جيء فيها بـ علم الأجنة استدلالاً على البعث وكذا بنظام المواليد الثلاثة استدلالاً عاماً في قوله - ألم تر أن الله يسجد له من في السموات والأرض - الخ فهنا سلسلة المواليد منتظمة تماماً . كواكب للأضواء عليها وجبال وشجر ودواب والناس ثم حشرهم وهذه هي المواليد من أولها إلى آخرها عناية بالعلوم الطبيعية

(٣) تقدم في السورة السابقة وما قبلها ذكر الأنبياء وبراهينهم لقومهم . أما في هذه السورة فالخطاب من الله رأساً للآدم الحاضرة وهو خطاب يسترعى السمع ويوجب علينا ولو على سبيل فرض الكفاية تفصيلاً

وفرض العين اجبالاً أن نعرف جميع ماصنع الله في أرضه وسماه وما دبر في خلق الأجنة والنبات والحيوان (٤) ولما تم الكلام على الاستدلال على البعث وما لحق به شرع سبحانه يذكركنا بما يناسبه وهو أما كن الحجج وأعماله فإن الحجج انتقل من حال إلى حال جديدة . ففيه يترك الإنسان وطنه وملا بـه المعتادة ويصرف ماله ويلبى دعوة ربه رافعاً صوته بالتلبية تاركاً لبس المحيط مهرولاً ما بين جبلين طائفاً حول بيت الله واقفاً والشمس فوق رأسه وهو مخبئ خاشع والناس معه كذلك ملين لرهبهم خاضعين له واقفين معاً فلا أهل ولا مال ولا ولد راجعين إلى منازلهم تائبين من الخطايا منتظرين الموت . كل هذا أشبه بالحشر في أكثر صفاته لذلك ذكر الله الحجج بعد البعث فقال (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) أي وهم يصدون (و) عن

(المسجد الحرام) أى الدخول فيه (الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه) أى المقيم (والباد) الطارى
أى جعلنا المسجد الحرام للناس مستويا فيه العاكف والباد فهما مرفوعان بسواء الذى هو منصوب عند حفص
* وقرئ - العاكف - بالجر على البدل من الناس (ومن يرد فيه) فى المسجد الحرام أى مراد (بالحاد
بظلم) حالان مترادفان أى عادلا عن القصد ظالما (نذقه من عذاب أليم) فى الآخرة وخبر إن فى قوله - إن
الذين كفروا - مقتدر تقديره نذيقهم من عذاب أليم (و) اذكر (إذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) أى حين
جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة أى مرجعا ليعبد فيه ويعمره إذ رفع البيت أيام الطوفان وكان من ياقوته
حرأ فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها فكسنت مكان البيت فبناه على أسسه القديم وأوحينا إليه (أن لا تشرك
بى شيئا) من الأصنام (وطهر بيتى) من الشرك والأوثان وكل قدر (للطائفين) أى الذين يطوفون بالبيت
(والقائمين) أى المقيمين فيه (والركع السجود) أى المصلين (وأذن فى الناس) ناد فيهم وأعلم . والأذان فى
اللغة الاعلام والناس أهل القبلة (بالحج) بدعوة الحج (يأتونك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (وعلى
كل ضامر) أى ركبانا على كل بعير مهزول أتبعه بعد السفر فهزله (يأتين) صفة لضامر أى جماعة الابل
* رقرئ - يأتون - صفة لرجال (من كل فيج عميق) طريق بعيد (ليشهدوا) ليحضرُوا (منافع لهم)
دينية ودنيوية كالمغفرة والتجارة (ويذكروا اسم الله) عند أعداد الهدايا والضحايا وذبحها (فى أيام معلومات)
هى عشر ذى الحجة عند أبى حنيفة وآخرها يوم النحر وعند ابن عباس أيام عرفة والنحر وأيام النحر وقيل
انها أيام النحر وثلاثة أيام بعده (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها) أمر بإباحة (١) اذا كان الهدى
تطوعا وكذلك الأنحية . وأما الواجب فلا يأكل منه عند الشافعى (٢) ولا يأكل من جزاء الصيد والنذر
ويأكل ما سوى ذلك عند ابن عمر وأحمد واسحق (٣) وقال مالك مثل ذلك وزاد فى التحريم فدية الأذى
(٤) وأصحاب الرأى حرّموا الأكل من كل واجب الاדם التمتع والقران وانما يأكله الزمن الذى لاشئ له وهو
قوله تعالى (وأطعموا البائس الفقير) ثم ليقضوا نفقهم) أى ليزيلوا أدرانهم أى ليخرجوا من الاحرام بالحق
وقص الشارب وتتف الابط وقلم الأظفار والاستحداد ولبس الثياب . والحاج أشعث أغبر مادام لم يزل هذه
الأوساخ (وليوفوا نذورهم) ما ينذرون من البرّ فى حجهم (وليطوفوا) طواف الركن الذى به تمام التحلل
أوطواف الوداع (بالبیت العتيق) القديم لأنه أول بيت وضع للناس أو الذى أعتقه الله من تسلط الجبابرة الأمر
(ذلك ومن يعظم حرمات الله) أحكامه وكل ما لا يحل استباحته ومنه الحرم وتكاليف الحج والكعبة والمسجد
الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فكل هذه من حرمات الله التى لا يحل انتهاكها (فهو) أى فالتعظيم (خبر
له عند ربه) ثوابا (وأحل لكم الأنعام) أى أحل لكم أن تأكلوها بعد الذبح وهى الابل والبقر والغنم
(إلا ما تبلى عليكم) تحريمه فيما تقدم فى سورة (المائدة) وهو - حرمت عليكم الميتة والدم - الخ (فاجتنبوا
الرجس من الأوثان) أى اتركوا الرجس الذى هو الأوثان فهى نجاسة معنوية أقبح من النجاسة الحسية
(واجتنبوا قول الزور) وهو أعم من عبادة الأوثان كتحريم السوائب والبحار وغيرها وكشهادة الزور
* يروى أن النبى ﷺ قال (عدلت شهادة الزور الا شراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية) والزور من الزور وهو
الانحراف (حنفاء لله) مخلصين له (غير مشركين به) وهذا وما قبله حالان من الواو فى اجتنبوا (ومن يشرك
بالله فكأنما خر) سقط (من السماء) الى الأرض (فتخططه الطير) أى تسلبه وتذهب بسرعة (أو تهوى
به الريح) أى تميل وتذهب به (فى مكان سحيق) بعيد . هذا تشبيه مركب وهو أبلغ التشبيهات ، يقول من
أشرك فى فقد أهلك نفسه هلاكا ليس وراءه هلاك بأن صورت حاله بصورة حال من خر من السماء فتخططه
الطير ففرقت أجزائه فى حواصلها . أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة . الأمر (ذلك
ومن يعظم شعائر الله) أى دين الله ومنه فرائض الحج ومواضع نسكه والهدايا وتعظيم هذه اختيارها غاية الثمن

حسانا سمانا (فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب . ولا ريب أن القلب منشأ كل بخور وكل تقوى (لكم فيها منافع) من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة (الى أجل مسمى) أى الى أن تنصر (ثم محلها) أى وقت وجوب نحرها منتهية (الى البيت العتيق) والمراد انها تنصرف الى الحرم والحرم فى حكم البيت إذ الحرم حريم البيت . تقول بلغت بلد العدو وأنت إنما اتصل مسيرك بحدوده . وأولى من هذا أن تجعل الشعائر عامة كما تقدم وتعظيمها اتمامها . والمنافع التى للناس فيها تكون بالبشارة الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى السكبة بالاحلال بطواف الزيارة (ولكل أمة) ولكل أهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا كما جعلنا لكم هذا المنسك لأننا هكذا نجتمع قلوب الناس باجتماعهم فى مكان العبادة (ليذكروا اسم الله) وحده ويجعلوا نسيكتهم لوجهه إذ لا غرض من المنسك إلا تذكر العبود (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) عند ذبحها (فإلهكم إله واحد فله أسلموا) أخلصوا التقرب (وبشر المحبين) المتواضعين المخلصين (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هيبة منه لا شراق نور جلالة عليها (والصابرين على ما أصابهم) من البلاء والمرض والمصائب التى لا يقدر على إزالتها (والمقيمي الصلاة) فى أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة وسميت بذلك لضخامتها (جعلناها لكم من شعائر الله) من اعلام دينه (لكم فيها خير) منافع دينية ودنيوية (فادكروا اسم الله عابها صواف) قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن . وكيفية الذكر أن تقولوا عند ذبحها ﴿ الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك واليك ﴾ (فاذا وجبت جنوبها) سقطت على الأرض أى ماتت (فكلوا منها) أمر اباحة (وأطعموا الفقاع) الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسألة (والعتر) والمعتز بالسؤال * وقرئ - والمعتري - (كذلك) مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها وهى منقادة (لعلكم تشكرون) انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص (لن ينال الله) لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول (لحومها) المتصدق بها (ولادماؤها) المهرقة بالنحر من حيث انها دماء ولحوم (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن ترفع اليه الأعمال الصالحة والاخلاص وهو ما يريد به وجه الله ثم كررها ثانيا تذكيرا للنعمة فقال (كذلك سخرها لكم تشكروا الله) لتعرفوا عظمتها باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره (على ما هداكم) أى أرشدكم الى معالم دينه ومناسك حجه فتقولوا الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا (وبشر المحسنين) المخلصين فيما يأتونه ويذكرونه . انتهى التفسير اللفظى . وهنا ﴿ خمس لطائف ﴾

(١) فى قوله تعالى - والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد -

(٢) فى قوله تعالى - فكلوا منها -

(٣) فى قوله تعالى - لكم فيها منافع الى أجل مسمى -

(٤) فى قوله تعالى - ولكل أمة جعلنا منسكا -

(٥) فى قوله تعالى - لن ينال الله لحومها ولادماؤها -

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - والمسجد الحرام الذى جعلناه - الخ ﴾

اعلم أن هذا المقام وهو مقام الحج قد استوفيت فى سورة (البقرة) فارجع اليه إن شئت ولنخص الكلام الآن بما فى هذه الآية واعلم أن الله عز وجل لم يخلق الخلق سدى ولم يخلقهم فى أرضه سهيلا بل أحاطهم بضروب الخواص التى تحفظهم وهى المعقبات التى تمنع عنهم الأذى كما تقدم فى قوله تعالى - له معقبات من بين يديه ومن خلفه - وأن الله يعامل الناس معاملة الرحمة واللطف والعطف ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك جهلا تاما لما انهم مشغولون بأمور المعاش والأخلاق القاطعة للبر عن التذكر والتفكير . واقد تقدم لك فى هذه السورة انه جعل الهواء صلة بين النبات والحيوان بحيث يكون موصلا لمادة الفحم من نفس الحيوان

الى النبات وبه ينمو النبات ويتخلص الاكسوجين فيذهب الى الحيوان . أما الكربون الذى بقى فى النبات فانه يدوم فيه حتى يأكله الانسان . والمقصود من هذه الجلة أن الناس والحيوان والنبات على الأرض أشبه بأعضاء جسم واحد فالنبات يغتذى بكربون خرج من الانسان والانسان يغتذى بنفس النبات وفيه الكربون ثم هذا الكربون يذهب الى النبات ثانيا وهكذا . وانما ذكرت لك هذا اتكالا على فهمك ماتقدم قريبا فى هذه السورة وليكون مقدمة الى ما سيأتى فى هذه الآية . فانظر كيف كان كل من الحيوان والنبات يرسل الى الآخر منافع ولا يعلم كل منهما بذلك بل هم جميعا غافلون فالنبات والحيوان والانسان كل هؤلاء غافلون إلا بعض ذوى العقول الكبيرة . فانظر كيف أحاط الله الانسان بصنوف النعم ودفع عنه النقم وهو لا يشعر . ومن دفعه النقم عنه أن خلق فى الأرض جبالا لتفصل بين الأمم ليصفو فيها الهواء لئلا يكون التعفن فيفسد الجو لتلاصق العمران ولئلا يتعدى المرض والعدوى والوباء بلدة الى أخرى وأيضا ليحصن بها من هربوا من الظلم والجور فى المدن الظالمة فيهربوا الى جوار ربهم فى أعلى الجبال ويعيشوا مع الوحوش التى فرت من ظلم الانسان . فالجبال إذن أمان للناس من هذا القليل . هذا هو الأمان الطبيعى والديانات نزلت مصداقا لما فى الطبيعة واقارارا لما هو نافع وتحريما لما هو ضار . فمن أبدع المنافع وأجل المفاهيم الدينية أن جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس وجعل الحرم للناس سواء العاكف فيه والباد وجعله حرما آمنا لا يصاد صيده ولا يقتل فيه أحد ومن دخله فهو آمن . اليه يهرب كل مظالم ويابجا كل مضطهد فقام فى الدين مقام الجبال الشاهقات يكون حصنا يأوى اليه الخائفون وهذا مقامه رفيع وفضله عظيم ففيه يعبد الله وتشرق النفوس وتبتهل الى ربها . وهاك آراء العلماء فى الآية

(١) يستوى فى البيت العاكف فيه والبادى فى تعظيم حرمة وقضاء النسك فيه وفضل الصلاة فيه وهو قول مجاهد والحسن

(٢) أو المراد من المسجد احرام جميع الحرم والتسوية فيه أن المقيم والبادى سواء فى النزول فيه لیس أحدهما أحق بالتميز من الآخر غير أنه لا يزعم أحد أحدا إذا كان قد سبق الى منزل وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبیر وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء فى البيوت والمنازل * ويقال ان الحاج كانوا اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة أحق بمنزله منهم وأمر عمر أن لاتغلق أبوابهم فى الموسم . وعلى هذا لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها والأرض إذن لاتملك ولوما صكت لم يستوفى فيها العاكف والبادى . فلما استويا كان حكمهما حكم المساجد وهو قول أبى حنيفة . وعلى القول الأول يجوز بيع دور مكة وإجارتها وهو قول طاووس وعمر بن دينار وهو مذهب الشافعى وقد قال الله - الذين أخرجوا من ديارهم - ففسبها اليهم واشترى عمر ابن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف درهم

فانظر كيف حرم ابراهيم الحرم ودام تحريره فى الاسلام ليكون ذلك آمنا للناس وموطنا للعبادة وموضعا لاجتماع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وقد امتن الله بذلك فقال فى آية أخرى - ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأن الله بكل شئ عليم -

يقول الله انى جعلت البيت الحرام قياما للناس الخ لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض أى لتنظروا أولا فى حكمة كون الحرم قياما للناس ثم تفكروا فى بقیة حكمه فى السموات والأرض التى هى من قبيل العناية والحفظ من الآفات الطارئة عليكم من السماء والأرض فأنا أحفظكم منها ولن تقدروا على معرفتها إلا بالدراسة والعلوم ولن يقدر الناس أن يدركوا شأنا من عنايتنا بهم إلا بدراستها فاذا أمنتهم فى الكعبة بطريق الدين . فباحسرة على العباد لجهلهم . فكيف من مصيبة عنهم رفعناها . وكف من نازلة دفعناها . وكف من قاصمة كسرناها . وكف من داهية أزالتها . فنحن نكفونكم بالليل والنهار وأنتم لاتشعرون . فأنا حرمت

الحرم ليفكر العقلاء فيه ويقولوا ان ربنا حرّمه لأمن فيه وهل له أفعال غير هذه وأذن يدرسون نظام هذا الوجود ويقولون نعم تحيط بالإنسان الرزايا من كل ناحية ولكن هناك عطف ولطف بمنع المصائب عنه ومنه المسألة المتقدمة في الكربون المتواصل بين الحيوان كنه والنبات . هذا هو معنى قوله تعالى في سورة (المائدة) - جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام - الى قوله - ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شئ عليم - . فهذه المسألة التي يظنها الناس سهلة وهي تحريم الحرم فتح باب لدراسة نظام الله في حفظنا في السموات والأرض

واقدر ألهم الله أهل أوروبا أن يجعلوا (سويسرا) ملجأً للناس يفرّون من الظلم أو المجرمين السياسيين وقد اصطالحوا على ذلك . فتعجب كيف ألهم الله الناس أن يعملوا عملاً قد أنزله الله على إبراهيم بطريق الوحي . فهنا ملجأً سياسياً اختاره الناس وهناك ملجأً دينياً اختاره الله . ذلك ليعلم الناس أن ربنا هو الذي يلاحظ عباده ويرجعهم في هذه الدنيا . فإما لم تكف الجبال للغارين من الظلم ألهم قوماً أن يلجؤا الى مكان يصطلحون عليه ليأمنوا فيه . فالجبال مأمن طبيعي إلهي وسويسرا ملجأً سياسياً والحرم ملجأً إلهي ديني والله يقدر الليل والنهار

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - فكلوا منها - الخ واللطيفة الثالثة في قوله تعالى - لكم

فيها منافع الى أجل مسمى - ﴾

أما اللطيفة الثانية فقد اتضحت في تفسير الكلمات فلانعيد ما ذكرناه وانما نبين أن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً فأمر الله بمخالفتهم . وأما اللطيفة الثالثة فاعلم أن المنافع المذكورة في الآية كثرتها ونسائها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها . فهذه المنافع قد اختلف فيها العلماء (١) اذا جعلها الإنسان هدياً وسماها لذلك لم يكن له بعد ذلك شئ من منافعها عند مجاهد وقادة والضحاك ورواية عن ابن عباس ومنافعها له قبل ذلك التعيين

(٢) للهدى تلك المنافع بعد التعيين للهدى فتركها ويشرب لبنها عند الحاجة الى أجل مسمى أى الى أن تنحر عند عطاء

(٣) يجوز ركوبها والحل عليها من غير ضررها عند مالك والشافعي وأحمد واسحق ويجوز كذلك أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن رى ولدها

(٤) لا يركبها إلا أن يضطر اليه وهذا لأصحاب الرأي

(٥) والشعائر غير ذلك من المناسك منافعها بالتجارة والأسواق الى أجل مسمى أى الى الخروج من مكة وبالأجر والثواب الأخرى في أعمال مناسك الحج الى انتهاء أيام الحج

﴿ مسامرة في قوله تعالى - فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر

كذلك سيخرناها لكم لعلكم تشكرون - ﴾

حدثني رجلان قد حججا في هذا العام (سنة ١٣٤٦ هجرية) أحدهما ممن يجوبون الأقطار ويتبوؤن الأمصار ويعاشرون الكبراء والأمراء وأهل الحل والعقد . والثاني من العامة وأهل الصناعة فاتحدت آراؤهما على ما يأتي

﴿ إن الحاج اذا حلوا (منى) ونصبوا خيامهم بعد لافضة من عرفات يتقربون الى الله عز وجل بالهدايا والضحايا من الابل والغنم ويتركون أكثر تلك الهدايا على الجبال المحيطة بهم صباحاً فلا تجي الضحوة الكبرى إلا وقد انتشرت الروائح المنتنة الحية فلكت الهواء ودخلت الانوف واحتات كل رئة من رئات الحاج الذين هاجروا الى ربهم . وهذا التغير السريع وفساده بسبب الحرارة الشديدة من الشمس والآن هذا الزمان يكون

الحج فيه صيفا والصيف قوى الحرارة لاسباب في الأقطار الحجازية المحرقة بالحرارة الكاوية القاتلة فلاجب اذا امتلأ الجوف بالعفونة في بضع ساعات فلا ترى القوم إلا أناسا مالت رؤسهم وتقلصت شفاههم وحانت منبتهم وأودعوا -فرا- . ولا سبب لهذا إلا فساد الجوف بما خالطه من تلك الروائح الكريهة القاتلة من الهدايا والضحايا في العيد وفي أيام التشريق . فلما سمعت ذلك منهما في حديث طويل . قلت لهما . أليس هناك فقراء يتناولون هذه اللحوم . قالوا . كلا . ثم كلا . قلت ان هذا أمر منكرو . كيف يغفل المسلمون عن هذه الامور المحزنة ثم سألتهمكم عدد الذين يموتون . فقالوا ما من عشرة أو ثمانية إلا مات منهم واحد أو اثنان . فقلت كم عدد الحجاج في هذه السنة . فقالوا يقرءون من ثمانية ألف . فقلت وبكم تبلغ الهدايا التي يتقرءون بها . فقالوا تقدر بمبلغ (٥٠٠) ألف جنيه أو أقل قليلا . فقلت يا عجب . ان صح هذا تسكون هنا (مصيبتان) بل مصيبتان وهما هلاك أنفسنا وهلاك أموالنا . أما لأموال فهي تلك الضحايا التي جعلها الله لأهل مكة وسكان حرمه الشريف حلالا يأكلون منها كما قال تعالى على لسان ابراهيم - فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون -

انهم إنك قد استجبت دعوة ابراهيم عليه السلام . وهاهي ذه القلوب تهوى اليهم . وهاهي ذه الثمرات قد رزقوها ولكنهم لم يتعاطوها . فيا عجباً لأمتنا الاسلامية . يقول الله تعالى - لعلهم يشكرون - فهل شكر أهل الحرم على هدايا تقدم لتعطي الجوف عفونة ورائحة خبيثة . هذا ما كان من أمر الهدى . أما الأنفس وهلاكها فان هذه الضحايا والهدايا بدل أن كانت نعمة لبقاء النفوس وحياة المسلمين من أجل الحرم أصبحت وبالا وهلاكاً للحجاج القادمين من الأقطار . فكأن هذه النعم انقلبت نقما على أولئك الحجاج بهلاكهم وعلى نفس أهل الحرم لأن الناس اذا عرفوا أن الوباء يحل بساحتهم في منى بسبب الضحايا وشاع ذلك وذاع بنفر العقلاء وأهل العلم عن الحج ولا يحج بعد ذلك إلا الجُهلاء ، فاذا فرضنا أن (٣٠٠) ألف حاج يموت منهم في (منى) عشرة آلاف أو عشرون ألف فهذا عدد لا يستهان به . وهذه مصيبة كبرى لا يحتملها دين الاسلام فما كدت أنطق بهذا حتى ابتدرني أحد أهل العلم وكان حاضرا في المجلس فقال ماهذه الضجة وما هذه المخاوف ومن أين أتيت بهذه الأقوال ومن قال لك ان رائحة الذبائح والهدايا والضحايا تورث الموت والطاعون . قلت أسمعك كلام المؤرخين والأطباء فتبسم قليلا وقال قل . فقلت . قال العلامة ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان ﴿ فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات ﴾ مانصه

﴿ وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرنا أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر المهرج والقتل أو وقوع الوباء . وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفونات والرطوبات الفاسدة واذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيوانى وملا به دائما فيفسد الفساد الى مزاجه فان كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة وان كان الله ماد دون القوى والكثير يثر العفن ويتضاعف فتكثر الحيات في الأمزجة وتمرض الأبدان وتهلك . وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره آخر الدولة ﴾ انتهى المقصود منه

هذا كلام (ابن خلدون) وهو من أجل علماء الاسلام المطلعين على العمران بل يقل نظيره في الأمم المتأخرة الاسلامية . وقد جاء في كتاب ﴿ كنوز الصحة ﴾ المؤلف حديثا أيام عصر محمد على باشا الكبير بمصر مانصه (في صفحة ١٧١ عند الكلام على الطاعون)

﴿ إن مرض الوباء يكون في الغالب قاتلا ومن أصيب به يموت سريعا بعد ٢٤ ساعة أو ٤٨ ساعة وذكّر العلاج ولا يحل لذكره هنا . ثم قال أغلب الأطباء يقولون بعدوى هذا الداء وانه ينتقل من شخص لآخر باللامسة لاسيما أطباء أوروبا فلذا اخترعوا (الكرونتينا) وهي كلمة معناها (أربعون) أعني ان الأشخاص

المظنون فيهم ذلك يمشون مدة أربعين يوما في محلي واحد لا يخلطهم أحد معرّضين للهواء ﴿ انتهى
فلما سمع جليسا العالم ذلك ضحك واستغرق في الضحك وصار يضرب كفا على كف وقال - قل أبا لله
وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن - . أمهذا نجيبنا . أنقول في دين الله وتستدل عليه بكلام مؤرخ تارة
وطبيب تارة أخرى . مالنا ولا بن خلدون . ومالنا ولا كتب (كنوز الصحة) . أنت تقول ان ترك الضحايا على
الجبال أورت الموت لبعض الحجاج فطلبت منك أن تبرهن على أن هذا الترك . نكر فلم تشف غليلا . ترك
الناس هداياهم التي أمرهم الله بها على الجبال بنى والشرع لم يحرم ذلك . هذه سنة متبعة لا يسأل الله أحدا
عن ذلك . ذبحنا الضحايا وتركناها أما تعفن الجوف وما أدراك ما تعفن الجوف فهذا أمر لا يدخل له في الدين فن
مات من الحجاج مات بأجله وسواء أكان سببه ما زعمت من الروائح الكريهة أو غيره فهذا شيء والهدايا والضحايا
شيء آخر . المسلم لا يلزمه أكثر من ذلك ولم نسمع من عمامنا مثل ما نقوله وقد قال الله تعالى - ما جعل
عليكم في الدين من حرج - . ذبحنا الهدايا وتركناها ونحن لسنا مسؤولين عن شيء غير هذا . أما قولك في
الهواء الطائون والسكرتينا فهو بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . فدعنا من هذه الأراجيف واتق
الله ولا تصنع وقتك فيما لا يفيد . فلما أنتم صاحبى مقالته صدق عليه الحجاجان اللذان ألقيا إلى هذا الحديث
وأقمتا على كلامه وقالا بلسان واحد إن بعض المنتورين هناك سألوا بعض العلماء فقالوا لهم هذا أمر الشرع
فلم نفهم أما الآن فقد عرفنا الحقيقة . فتح الله عليك أيها الشيخ فأنت بشارتنا وشرحت صدورنا وقد
كان الشيخ طنطاوى يكاد يضلنا عما وجدنا عليه علماءنا والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن
هدانا الله . فلما أنتموا مقالتهم قلت لهم جميعا هذا بيت بديع على غير أساس فلا سمعكم ما يهدم من أساسه
ولتعلمن نبأه الآن . فقالوا ليس في الامكان أبدع مما كان والا فانت يبرهان . فقلت قد ذكرت في (سورة
الكهف) في التفسير ما قاله ابن القيم وهذا نصه تحت عنوان ﴿ تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف ﴾
قال هذا فصل عظيم النفع جدا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب الحرج والمشقة وتكليف
ملا سبيل اليه وما يعلم أن الشريعة الباهرة لا تأتي به فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم والمصالح وهي
عدل كلها ورحمة كلها وحكمة كلها وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة
إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل . وقد ذكر لذلك أمثال
منها أنه شرع لهذه الأمة وجوب انكار المنكر وتغييره ولكن إذا كان انكار المنكر يستدعي منكرا أشد
منه فإنه لا يسوغ الانكار في هذه الحالة الخ . انتهى المقصود من كلام ابن القيم الذي نقلته في سورة الكهف
وهو صريح في أن المفسدة تجنب في الاسلام . فبالله أي مفسدة أكثر من ضياع ٥٠٠ ألف جنه بلا فائدة
لأهل الحرم وهلاك آلاف من حجاج بيت الله الحرام . فقالوا بلسان واحد أيها الأستاذ إذن أنت تريد أن
تهدم نفس الاسلام فان الهدايا التي ورد بها صريح القرآن تريد أنت تحريمها . إن تلك الضحايا والهدايا منها
الواجب ومنها المنسوب فأنت بهذا التقرير قد جعلت الواجب أو المنسوب حراما . فقلت حاشا لله فان هذا كفر
وإني أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين وانما الذي أبتغيه أن نسير على سنن القرآن والقرآن لم ينزل لما يضرنا
بل نزل لما ينفعنا . وهذه الهدايا إذا صح ما قلتموه لي انقلب خيرها شرا وهذا لا يرضاه جاهل فضلا عن عالم
وهذا قول امام من أئمة المسلمين عرف حقيقة الاسلام وفهم قوله تعالى - اعلمكم تنفكرون في الدنيا والآخرة -
فأنه أمرنا بالتفكير في الدنيا قبل الآخرة . فابن القيم رحمه الله تفكر وصرح بالحقيقة ومن لم يحكم أمر الدنيا
فليس له في الآخرة من نصيب . إن الهدايا في (متى) مصلحة ولكن ترتبت عليها مضرة ضياع الأنفس
والأموال وهي انما كانت لبقاء الأنفس لا هلاكها . فليجدة المسلمون للتخلص من هذا المرض والجهل
العظيم والعار على أمة الاسلام . اللهم ان هذه غفلة وعلى المسلمين أن يتخلصوا منها . فقالوا فهل أنت عندك

مخرج لذلك . فقلت أنا لا أقول شيأ فربما يوافق مذهبا ويخالف مذهب ولكني أتوك الأمر لمجلس يجتمع فيقرر ذلك من علماء الأمة فيكون اجماعيا . فقالوا ان ما ذكرته عن ابن القيم حسن وأقرب إلينا من كلام المؤرخين والأطباء ولكنه قول عام ونحن الآن في أمر ديني عظيم فنحن نرفض الاكتفاء به فان كان عندك علم فائتنا به والا فأرحنا من مقالك الذي أطلت به في هذا المقام . فقلت أليس دين الاسلام يجري على مقتضى سنن الله عز وجل والعقل . فقالوا يظهر أنك ليس عندك فوق ما تقدم لأن هذا القول داخل في قول ابن القيم فدعنا منه واثنا ببرهان والا فسلام عليك . فقلت ها كم ماورد في السنة جاء في الربع الرابع من (الاحياء) في باب التوكل (صفحة ٢٦٠) مانصه

﴿ فان قيل ان من شرط التوكل أن يترك الانسان الحجة والفصد عند تبذير الدم فانه يجب أيضا أن يكون من شرط التوكل قياسا على ذلك أن من تلذغه عقرب أوحية لا يصبها عن نفسه إذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأى فرق بينهما قال قائل وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لايزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجنة وهذا لا قائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وأجرى بها سننه . ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر أن به موتا عظيما ووباء ذريعا فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لاندخل على الوباء فنلقى بأبدينا الى التهلكة وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونتوكل ولا نفر من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت فكون كمن قال الله فيهم - ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم - فوجعوا الى عمر فسأله فقال ترجع ولا تدخل على الوباء فقال له المخالفون في رأيه أنفر من قدر الله تعالى فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله . ثم ضرب لهم مثلا فقال أرايتم لو كان لأحدكم غنم فهبط واديا له شعبتان إحداها مخضبة والأخرى مجذبة أليس ان رعى المخضبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجذبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف يسأله عن رأيه وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا أمير المؤمنين شئ سمعته من رسول الله ﷺ فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله يقول « اذا سمعتم بالوباء بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » ففرح عمر رضي الله عنه بذلك وجد الله اذ وافق رأيه ورجع من الجابية بالناس . فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات ان كان أمثال هذا من شروط التوكل اه

ثم ان صاحب الاحياء بعد ذلك أخذ يبين الحكمة في نهى الناس عن الخروج من أرض الوباء فعلمها بأنهم لو خرجوا من أرض الوباء وتركوا المرض به لم يجد هؤلاء المساكين من يعول أحياءهم أو يدفن موتاهم وضرر الباقين بالمرض بخروج الأصحاء محقق وضرر الأصحاء غير محقق بالبقاء . فاذن في الخروج الاحتراس من ضرر مظهر والوقوع في ضرر محقق هذا ملخصه . انتهى ما قصدته من الاحياء ولكني أقول إن هذا السر أظهره الله في عصرنا الحاضر فقد أجمع أطباء الأمم أن انتقال الموبوتين من الأماكن التي بها الوباء ينشر جراثيم المرض في العالم وهذا قام عليه البرهان وصار محققا من غير شك . إذن سر النبوة ظهر الآن وأن الدخول بأرض الوباء قاتل لنفس الداخلين والخروج منها قاتل للناس في الأقطار الأخرى . وهذا السر من الأسرار التي أتى بها الاسلام وظهرت حديثا . فقالوا لقد شفيت صدورنا وشرحت قلوبنا وأتت بصائرنا بحسن بيانك وانا لمسرورون ولكن القول يحتاج الى مزيد بيان وإيضاح . الله ذكر هذه الهدايا في نفس القرآن وأنت أثبت بكلام عمر في أمر الوباء وانه يفتر من قدر الله الى قدر الله . أنريد بذلك أن يفر الحاج من (مضى) أى أنهم لا يحبون . إن المسألة مشكلة تحتاج الى بيان . ماذا تريد بقولك هذا . أنريد ان الناس لا يذبكون

في (منى) لأجل هذه المفسدة . قلت لقد قلت لكم سابقا ان هذا لا يقول به مسلم جاهل أو عالم . فقالوا ماذا تريد إذن . فقلت أنا أترك المسألة لأهل الحل والعقد من علماء الاسلام فهذا شأنهم . فقال أحدهم لماذا لا يتعد المسلمون على حل هذه المشكلة فينتفع أهل مكة الفقراء بالهدى ويمنع الهلاك عن أرواح حجاج بيت الله . فقلت ان الله علم هذه الخيرة قبل أن يخلق مكة والحرم وحل هذه المشكلة حلا اجاليا . فقالوا كلهم بلسان واحد فتح الله عليك فأسمعنا كلام ربنا . فقلت قال الله تعالى في (سورة الحج) - وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات (وهي أيام النحر) على ما رزقهم من بهيمة الأنعام * فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير - ثم قال أيضا - ولكل أمة جعلنا منسكا ليدكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام - أي عند ذبحها وقال بعد ذلك - والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها - أي سقطت على الأرض - فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - أي الراضى والسائل - كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون - ثم قال بعد ذلك - كذلك سخرناها لكم لتكبروا الله على ما هداكم - أي الى تسخيرها والتقرب بها

(١) فههنا ذكر انهم يذكرون اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها - على ما رزقهم من بهيمة الأنعام - فعبارة الله بأنه راقنا وماذبح وترك على الجبل ليس رزقا لنا بل هو رزق الحيوانات التي لا ترى وتخرج في الهواء وتدخل أجسام الأحياء فيموت الحجاج

(٢) ثم قال - فكلوا منها - أي من لحوم الهدايا والأضحية اذا كانت للتطوع وهكذا من الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد على خلاف في ذلك لانطيل به (٣) ثم قال - وأطعموا البائس الفقير - والأمر هنا للوجوب . أوجب الله علينا أن نطعم البائس الفقير أما ذبح الهدى على الجبل وتركه ليقول المسلمين فهو مضاد لكتاب الله تعالى والله هو الذي قال ذلك

(٤) وقوله تعالى - ليدكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام - فالتعبير برزقهم يدل على أنه يراد أن تكون تلك الذبائح رزقا لنا لا رزقا للحيوانات الذرية التي تقتل المسلمين بالوباء

(٥) وقوله تعالى - فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - تأكيد لما تقدم في هذا المقام

(٦) وقوله - كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون - أي تشكرون انعامنا عليكم كما قاله المفسرون وأي انعام في ترك الذبائح في الجوق لتكون هلاكا للحجاج ووباء يقتلهم . فهذه ليست نعمنا لنا نشكر عليها بل هي نعم توجب الرضا والصبر وفرق بين الشكر والصبر فالشكر على نعمة والصبر على نقمة فلو جعل الله هذه الانعام نقمة لنا بحيث تكون سبب في الوباء لقال غير هذا فكأن يقول سخرناها هلاك بعضكم وابتليناكم بها لعلكم تصبرون فسنكفر عنكم سيئاتكم

فما سمعوا ذلك قالوا والله ان العيون مقفلة والجهل عم أكثر الناس ويظهر أن العقلاء في الأمم الاسلامية لا يريدون أن يتفكروا في هذا والله ان هذا هو الحق المبين والله لتنتشر هذه الفكرة بين المسلمين فليس بعد هذا بيان . فهل عندك بعد هذا بيان . فقلت . وليس وراء الله للمرء مطلب . هذا كلام الله وهذا كلام رسول الله وهذا كلام العلماء . فإذا يقول المسلمون بعد هذا . فقالوا نظن ان الوهابية يعارضونك . فقلت أشهد الله أن هذا الكلام اذا وقع في أيديهم وبلغتهم ماقلته الآن وكانت الحال هناك كما وصفت فانهم لا يخالفونه انهم ينصرون السنة ومتى وجدوا حقا اتبعوه . فقالوا وكيف تحل المشكلة . ليس في منى أحد يأخذ تلك الذبائح . فقلت كم لهذه المسألة من حلول فإذا اتفق علماء الاسلام على أن تجعل تلك الذبائح في (منى) في يد قوم عقلاء من أمم الاسلام وتصنع بصناعة لحفظ تلك الأجسام من التعفن ثم توزع على المحتاجين فيأكلونها

فان هذا حل سهل إن أقره العلماء ووافق مذاهبهم فاني واثق أن علماء كل مذهب لا يتحولون عنه فليحلوا هذه المشكلة بحل يوافق الجميع . وأما ماقلته فأنما هو ضرب مثل لاثني لا أريد أن أدخل في التفصيل كما تقدم وإنما أختتم قولي بأن أذكركم وأذكر المسلمين جميعا بقول الله تعالى - جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد - فالكعبة والبيت الحرام قيام للناس بالأمان من القتل مكانا وزمانا وما يهدي الى الحرم يكون قياما للناس من حيث الثواب للهدى باطعام الفقراء وهذا في (سورة المائدة) فمن نصب مائدة آمن أضيافه زمانا ومكانا وقدم لهم الطعام . ويقول في سورة (النساء) - ولا تؤثروا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما - أي لا تعطى نحو الأطفال مثلا المال لئلا يضيعونه في غير موضعه والمال عليه مدار حياتنا فكيف نساهم لمن لا يحفظه . فللمال قيام لنا أمرنا بالمحافظة عليه من سفهائنا والهدى والقلائد قيام لنا فإذا نحن حافظنا على المال فلاندعه في أيدي السفهاء لأنه قيام لنا فمن باب أولى نحافظ على ما هو قيام لنا من الأنعام فلاندعه يطيح منا فوق رؤس الجبال ويهدينا طاعونا وموتا زؤاما أي لا نجعل ما هو قيام لنا هلاكا لأجسامنا . وإذا لم ندع أحد القيامين للسفهاء فهل ندع القيام الآخر هلكتنا بدل أن يكون حياة لنا . هذا خارج عن العقل وعن الدين فالدين يرفضه والعقل يبذره ألافية كره علماء الاسلام فوالله ان الله يحاسب كل من اطلع على هذا ولم يفكر فيه - إن الله عزيز ذو انتقام -

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - ولكل أمة جعلنا منسكا - متعبدا ﴾

اعلم انه ما من أمة خلت إلا ولها أما كن للعبادة وذلك ليجمع الناس على رأى واحد ومكان واحد لتتحد القلوب وتجتمع المختلفات وتتفق المشارب . إن من اطلع على هذا التفسير وأمعن فيه النظر واطلع على ما اقتطفنا فيه من ثمرات العلوم وجمال الثمرات وبهجة الحكمة يوقن أن العالم الذي نحن فيه خلق للتضامن والاتحاد . وإذا تبين لك في هذه السورة كيف كان تعاون مملكة النبات ومملكة الحيوان على الحياة وهما لا يعلمان وكيف كان الهواء جاريا بينهما ناقلا مادة الفحيم من نفس الحيوان معطيها الى النبات وهو يعتدى بها معدا نفسه لتغذية الحيوان ثم بدور الدور . ثم اذا نظرت في سورة (الحجر) وفي سور غيرها ترى هناك كيف كان النحل والحشرات الأخرى رسلا بين الأزهار ملقحة الاناث من الذكران شاربة العسل . وترى في سورة (الرعد) كيف كانت كل ورقة فيها قوة تمنع الصواعق ولولا الورق والشجر لأهلك الصواعق كثيرا من الحيوان . وترى في سورة (البقرة) وغيرها كيف كان السحاب في بعد مخصوص فلا هو بالقرب جدا ولا هو بالبعيد جدا . والا بلل الثياب في الأول وعطل الحركات ولغابا الناس المطر في الحال الثانية من غير انذار فإذا رأى الناس السحاب حسبوا له ألف حساب وكانوا منه على حذر خيفة ألا يبتق ولا يذر . وإذا نظرت في سورة (الرعد) أيضا عند قوله تعالى - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله - تعلم أن كل ما حولنا من غاز وسائل وجامد يؤدي إلينا منافع على شرائط مخصوصة ولولاها لكان كل نافع ضرا علينا . اذا عرفت هذا أيقنت أن الاتحاد سار في هذا الكون وأن كل جزء مرتبط ببقية الأجزاء بطريق مخصوص

إذا كان هذا في العالم كله فانظر في نوع الانسان الذي نحن بصدده فقد جعل الله له في كل أمة مكانا يتعبدون فيه ومنسكا يجمعهم ليكون الاجتماع رابطة بينهم ارتباطا عقليا روحيا لا ارتباطا طبيعيا كارتباط الانسان بالحيوان والنحل بالزهر والذكور بالاناث والمطر والسحاب والبرق بالخلاوقات الحية . ان ذلك رابط طبيعي ولكن الله عز وجل يريد ترقية الانسان ترقية روحية فحثه على العبادة ليتصل بربه وحشه على الاجتماع ليرتبط بأبناء جنسه ارتباطا قلبيا روحيا حتى اذا عرفهم في الدنيا كانوا معه بعد الموت في صفاء وهناء . فهنا مدرستنا وهناك محل عملنا والنهايات على مقتضى البدايات والأعمى هنا أعمى هناك والمهتدى هنا مهتد هناك والله لم يجعل الرزق بسعينا ولا الحرج والعمره والجهاد بجحنا إلا لإثارة الحية والنخوة وإظهار الثمرات العقلية

لتكون لنا هناك نورا مينا قال تعالى - نورهم يسرى بين أيديهم وبأيمانهم - والدين الواحد يجمع الأمم المختلفة في الأخلاق والأعمال والعادات فكأن الأرواح المختلفة ككرة كوكبية ذات عناصر مختلفة وصور متقنة صنعها الخالق لمنافع هناك ستعرفها ومن يمت برها

﴿ اللطيفة الخامسة في قوله تعالى - لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم - ﴾
هذه الآية وآيات أخرى في هذا القسم أبانت مقاصد الحج فليست ظواهر الأعمال مقصودة لذاتها . إن ظواهر العبادات والمناسك والطواف والسعى ورمى الجرات والوقوف بعرفات والجرد من المحيط وغير ذلك كلها يراد بها مايقوله الحاج ﴿ ليكن اللهم ليك لاشرىك لك ليك ﴾

يراد بهذا كله خلوص القلوب من علائقها بهذه المادة الأرضية وحينئذ إلى العالم الأعلى على شريطة أن يكون الناس إخوانا لأن الهناء هناك على مقدار التعاطب والارتباط وشعور الإنسان بالاخوة العامة والصدقة التامة بين الاخوان . واعلم أن الله قد جعل بين الناس روابط طبيعية كاللغة والجنس والوطن والملك الجامع لأمم مختلفة وذلك كله جعله بالصفة التي خلقها وأهداها للناس والدين جاء لأعم من ذلك . جاء ليجمعهم كلهم على رأى واحد وهو التعاون بالمودة للخلاص من هذه الأرض وبهذا العلائق الدنيوية . إن المدار على ما ذكرناه فلا صلاة بنافعة إن لم يكن الله في ذكر العبد كأنه يخاطبه ويكلمه ويشافعه في الصلاة . إن الحج لاثمرة له ما لم يكن نتيجة اطراح هذه الحياة . إن الزكاة إن الصياد إن الصدقات كل ذلك لتخلص من ربة هذه الحياة . فالجوع وبذل الصدقات للتبرى من العادات والصلاة للعروج إلى عالم الجلال وخطاب الله المطلع المشرق نوره في القلوب . انتهت اللطيفة الخامسة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بَغْيٍ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبَسِيعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ * وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبُيْرٌ مُّعْتَظَّةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ

* وَكَانَ مِنْ قَرِيْبَةٍ أُمْلِيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
 إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ *
 وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
 رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى الْتَقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ
 يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
 مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 * وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ
 عَقِيمٌ * الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ يَنْتَهُمُ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ *
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُمْ
 مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ * ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ
 عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ غَفُورٌ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ
 فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ
 وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً
 إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ *
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَمِنْكُمْ السَّمَاءُ أَنْ
 تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا لِيُذْنِقَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَهُوَ رَحِيمٌ * وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
 ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ * لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَارِعُ عَنْكَ
 فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ * وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
 تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
 يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهُ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَتَّبِعُكَ فِي وَجْهِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَاذِبُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْبَشُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَُمُ النَّارُ وَعَذَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَمْسُ الْمَصِيرُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضُمُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) أى يدافع غائلة المشركين عن المؤمنين . ومن هذا القليل - إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا - وإنما يدافع عنهم لأنه يحب من يؤدّون الأمانات والشاكرين للنعماء ويغض غيرهم (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) أى خوان لأمانة الله كفور لنعمة وبهذه الآية فلتستمسك أيها الذكي . ولتعلم أنك إذا نشرت ما نكتب في هذا التفسير من الحقائق العلمية وأدعتها في الأمة الإسلامية بالطريق الذى سلكناه والمنهج الذى أثبتناه والسبيل الذى اتبعناه فاعلم أنك منصور والله يدافع عنك لأن الأمة اليوم فى حاجة إلى التطور فى أعمالها والترقى فى أخلاقها والمخرج من سقطاتها . وإذا فت بماشرت إليك فإن الله معك . ولتعلم أن أمثالك فى الأفطار الإسلامية يسلكون هذه السبيل ويجتدون مجد الإسلام وينشرون نحو ما أقول فى هذا التفسير فتى بوعده الله كما وتقت به وفى لولا إيقانى بأن هذا اليوم له ما بعده وأن الأمة اليوم غيرها بالأمس وأن المسلمين سينقلون إلى أطوار أخرى وأحوال أعلى ومقام أسمى ماسطرت حرفاء . ولتعلم أن هذه السبيل وحدها هى المسرعة إلى ذلك الرقى فإن ديننا فيه عناصر الرقى وقد تركت جواهرها فهأنت ذا بشر الناس وعلمهم وقم فيهم خطيباً والله معك وقرأ - إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ - (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أى بسبب كونهم مظلومين . وذلك أن مشركى مكة كانوا يؤذون أصحاب النبي ﷺ أذى شديداً جداً حتى طفق الكيل وكانوا يأتون رسول الله ﷺ مابين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم صبروا فإنى لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فأمر الله هذه الآية وهى أول آية نزلت بالإذن بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية (وإن الله على نصرهم لقدير) وهذا وعد لهم بالنصر كما وعدهم بدفع أذى الكفار عنهم . فانظر كيف وعد الله مريدى الإصلاح بدفع الأذى عنهم

ووعدهم أيضا بالنصر عند الحرب . فاعلم انك أيها الذي منصور في حربك العلمي وجهادك الاسلامي كما نصر رسول الله ﷺ في جهاده هو وأصحابه الخري

ولقد رأيت كيف نصر الله الأنبياء في سورة (الأنبياء) السابقة ثم أتبعها بهذه السورة لتبين السبيل فيقول الله هأنذا نصرت الأنبياء وأنت يا محمد تكون مثلهم فلا نصرتك على الكفار كما نصرتك على الأنبياء إن الله جع الحج والجهاد والبعث في سورة واحدة لأنها من قبيل واحد . فالحج للخروج من المألوفات والولوج برب البريات والجهاد لخلاص النفس من أسر العادات والانطلاق الى عالم الشهادات أو الرجوع بالحرية والاستقلال والبعث مكمل لها لأنه انطلاق من علما الأرضي الى العالم السماوي . فالجهاد والحج بعث مصغر يتلوها البعث الكبير ولذلك قدّم أكبرها وأحقها به

(نصر الله الأنبياء المذكورين في السور السابقة ونصر سيدنا محمدا ﷺ وأصحابه)

واعلم أن الجهاد في هذه العصور هو الجهاد العلمي فانه لا حرب ولا ضرب ولا سيف ولا مدفع إلا بالعلم والعلم يفعل اليوم ما لا تفعله أعظم المدمرات فهو ينه الشعوب ويغرس في القلوب حب الكرامة والبحث والاتحاد والجهاد . فاذا نشرت ما يكتب في أمثال هذا التفسير فأنت قائم بالجهاد بل هو الجهاد في مستقبل الزمان . إن العقائد في مستقبل الزمان هي المنجاة الوحيد للأمة فانشروا ما كتبناه وما يكتبه سوانا . فسترى أثر العمل ظاهرة في الاسلام ولقد وعد الله بالنصر

(برهان ديني)

واعلم انك كما قال الامام الغزالي رحمه الله « اذا أردت أن تصدق ديننا فاعمل بما فيه فان كانت النتيجة كما جاء فيه فذلك دليل على صدقه » وأنا أقول بين الناس ماني هذا وماني أمثاله مما يحب الناس في العلوم وانظر ماذا يفعل الله وهو القاتل - إن تنصروا الله ينصركم - والقاتل (وان الله على نصرهم لقدير) إن الذي يهزمك من هذه الآيات أن تتخذها نبراسا لك وإياك أن تتوهم أن هذا خاص بنبينا ﷺ وأصحابه انه لنا الآن وهويتنا علينا فنحن المبشرون (بفتح الشين) به فاذا متنا بشر به من يفسدنا ووعدوا بخراته . فجاهد ثم جاهد ثم جاهد واتى موقن برقي الاسلام في القريب العاجل ثم أبدل من الذين قرله (الذين أخرجوا من ديارهم) بمكة (بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) كقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتاب

أي ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم ومحل - أن يقولوا - جر بدلا من - حق - (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بالجهاد واقامة الحدود (لهدمت صوامع) هي معابد الرهبان المتخذة في الصحراء (وبيع) هي معابد النصارى في البلاد (وصلوات) هي كنائس اليهود وهي بالعبرانية صلواتا (ومساجد) هي مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعني في المساجد أي قالوا أن الله يدفع بعض الناس ببعض لهدمت في شريعة كل نبي معابد أمته كالصلوات لليهود الخ (ولينصرن الله من ينصره) من ينصر دينه وقدمت ذلك فعلا فقد سلط الله المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم . أقول وسيدور الزمان دورته على نحو غير الذي مضى فينصر الله دين الاسلام ويكون ماني هذا التفسير وأمثاله مما ألقاه الله على أفئدة المصلحين من أجل الأسباب التي بها ينبغ في أمة الاسلام رجال في العلوم الطبيعية والفلكية والاقتصادية بها تفتح المدارك وتقوم الدول وتنظم الشؤون ويكون العالم السياسي السلم داهية في السياسة وقد كان بالليل منهجدا ذا كرا لربه مصلبا مستغفرا . هذا الذي سيكون في المستقبل القريب . وستشيع في أمتنا العلوم التي امتازت بها أوروبا علينا وسيصير الفحم والكهرباء والطيارات وأمثالها من أقل الأشياء علما عند المسلمين وتصبح كلمة اسلام وكلمة شرق أرقى من كلمة غرب وكلمة أوروبا ويبين ويرجع المجد كما كان أولا وقد

وعدنا الله بالنصر وقد وعدت أنا بذلك من أيام الشباب بأني سأقضي هذا التفسير وليس المقام مقام شرح كيف كان هذا الوعد فذلك ليس بمحله ولكن الذي يدهشني جد الدهش أني أبشربه تبشيرا في الصغر ثم اني أعيش الى هذه السن وأجد الخاصة والعامة من الأمة الاسلامية تؤذ أن أتم هذا التفسير هذا مصداق لهذه الآية ولينصرن الله هذا الدين بل هذا الأسلوب من الدين وهو اجتماع العلم والدين الذي قد أنزل القرآن لأجله وقد خفي في القدر وبرز اليوم ظاهرا جليا واضحا يتلأأ في سماء الجبال وبهاء الكمال في بحبوحة المجد العلمي والشرف الانساني . سينصر الله هذا الأسلوب من الدين . سينصرك الله أيها الذكي فقم في المسلمين بشرهم بمستقبلهم أثر العزمات والقوى الكامنة . إن في الشرق لقوى كنت وعقولا نامت فأيقظها بقلمك وجاهدها بلسانك فالإسماع أذن الله أن تكون واعية والقلوب أذن الله أن تكون عاقلة ولينصرك الله وهو خير الناصرين كما نصر المسلمين في القرون الأولى (إن الله لقوى) على نصرهم (عزيز) لا يمانعه شيء . ثم بين السبب الذي من أجله ضمن النصر لهم بأنهم مصلحون وبأنهم هم في أنفسهم صالحون وهذه الطائفة جديرة بالمساعدة الإلهية فقال مبدلا من الموصول وهو لفظ من (الذين أن مكناهم في الأرض) كملت نفوسهم بأقامة الصلوات ومناجاة الله في أكثر الأوقات وهذه المناجاة توصل لهم روحانية خاصة بها يهتدون في دياجير الحياة وهذا لا يعرف إلا بالتجربة وهو قوله (أقاموا الصلاة) ولا معنى للصلاة ولا فضل فيها إلا باستحضار المعبود والتوجه اليه فيها على قدر الطائفة بحيث يجعل العبد نفسه كأنه انسلخ من البشرية وانطلق الى حال الملكية . فهذه الصلاة هي المعبر عنها بأنها أقيمت من قومت العود اذا عدلته ولا معنى لاعتماد الصلاة إلا باتمام أركانها ولا معنى لأركانها إلا استحضار المعبود وحضور القلب عند نطق اللسان . هذه هي الصلاة التي جعلها الله من صفات من ينصرهم ويكونون خلفاء في الأرض وهو حين مناجاته يلهيهم الخيرات فيما بين الصلاة والصلاة وقوله (وآتوا الزكاة) ليكونوا عوناً لأهمهم ولا يتقيدوا بالقيود الثقيلة المالية التي تقعد النفس عن أشرف الأمور (وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فهم بعد أن كملت نفوسهم بالأمور العلية والروحية الدال عليها مناجاة الله في الصلوات وبذلوا الأموال ليخلصوا الأنفس من شحها والعقول من عقلاها ولينعموا على من حولهم أخذوا يكملون غيرهم كما كانوا هم فيفيضون على الناس من علومهم كأنهم يفيض بالماء وكالشمس تشرق على الآفاق ويمنعون المفاسد الناشبة في الأمم لتزول من طريق كمالهم . هذه هي الصفات التي جعلها الله لمن تولى نصرهم وهذا هو الذي تم فعلا زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم فقد قبلوا الأرض قلبا وزينوا وجهها بالعلم والعمل أيام الأمويين والعباسيين فتم العلم ونعم العلماء ونعم الدين ونحن ان شاء الله سنخلفهم وستخلفهم أنت أيها الذكي فاذا كانوا قد زينوا آسيا وافريقيا وبعض أوروبا بالعلوم ثم خدوا وركدت ريجهم وأخذت أوروبا علومهم وطردتهم من بلادهم فان الدور سيلور وسنأخذ دورنا في الإصلاح وستقيم الصلاة كما أقاموها ونؤتي الزكاة كما أدوها ونملا الأرض عدلا كما ملؤها ولا تتشكل على أحد فان الهداية ستم ربيع الاسلام ويكون الناس اخوانا وياك أن تقول ان زمانه بعيد بل هذا هو زمانه والعلم هو المرشد الأمين ولا بد أن يكون العلم هو أول السعادة وهو آخرها . فلتكن الهداية حالة في سائر القلوب وليعلم العلم الربيع وليلهج بحمال هذا الوجود الأطفال والنساء والصبيان والشيوخ الركع وليقم بالأمر القائمون - ولتعلن نبأه بعد حين - (ولله عاقبة الامور) فهي الى حكمته راجعة . ولما كان هذا القول ربما استبعدته العقول ونفرت منه النفوس أيام النبوة قبل حصول النصر وهكذا أيضا الآن عند كتابة هذا التفسير فيقول المسلم ويك من أين لنا النصر وأكثر بلاد الاسلام في يد الفرنجة وهم لنا غالبون . أقول على رسلك هكذا كانت بلاد العرب أيام نزول هذا القرآن فكانت بلاد العرب مسرحا للدولة الفارسية والدولة القياصرة وكان لهم فيها نفوذ وأي نفوذ فلم يمنع ذلك من تحقيق هذا الوعد بعد نزول هذه الآيات . أقول لما كان الأمر كذلك وهذا يدعو قوما للتكذيب وآخرين للشك أردف الله بقوله

(وان يكذبوك فقد كذبت قباهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأملت للكافرين) أى أمهاتهم حتى مضى زمن آجالهم المقدرة (ثم أخذتهم فكيف كان نكير) أى فكيف كان انكارى عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكاً والعمارة خراباً . هذا ما قاله الله ونزل في زمن لم يكن للمسلمين فيه نصر وقد ضرب لهم أمثال الأمم السالفة المذكورة في سور تقدمت . فهؤلاء الأنبياء مضت قصصهم فذكرهم لأن قصصهم معلوم للمسلمين فلم يبق إلا الاعتبار بهم . أما نحن في هذا التفسير فانا نقول اذا نصر الله المسلمين بالصفات الأربع المذكورة فانه الآن أسرع اليانا نصراً لأن العبرة عندنا بنفس المسلمين لأنه وعدهم ثم نصرهم كما قرأت الآن . فالمثال عندنا محسوس . فهم اعتبروا بعاد وثمود وأن أتباع الأنبياء نصرنا وان غيرهم خذلوا وكانت أقرب أمة اليهم أمة اليهود فلذلك كثر ذكرها في القرآن . أما نحن فأقرب الأمم اليانا أمة الاسلام أسلافنا وأسلافنا تواتت عليهم النعم أولاً والنقم آخرها فهم في القرون الأولى كانوا يقولون فلما انقضى أجل النصر انقلبوا جاهلين فحق عليهم القول في الهند في الشام في مصر في شمال أفريقيا وها نحن الآن نعيد الكرة ونقول ان شاهدنا من نفس أممتنا فليكن الله أسرع نصراً لنا لأننا لسنا مكذبين ولكننا غافلون نائمون . فليقاظ الأمم أسهل من إحيائها وإيقاظ أهل الكهف أسهل من إحياء الأموات . إن الله ضرب المثل لآبائنا بالأمم وضرب المثل لنا بآبائنا الأولين فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجوعون . ثم أخذ يفصل ما أجله من حال هذه الأمم . بينا مناظرها بعد هلاكها ليعتبر المسلمون وليزيلوا الظلم من الأمم شرقاً وغرباً فقال (فكأن من قرية أهلكناها) بأهلك أهلها (وهي ظالمة) أى أهلها (فهى خاوية على عروشها) ساقطة حيطانها على سقوفها بأن سقطت السقوف وخرت من فوقها الحيطان أو خاوية خالية مطلة على عروشها التي سقطت بينها والحيطان مائلة مشرقة عليها (وبئر معطلة) أى وكم من بئر معطلة متروكة مخلاة عن أهلها كانت عامرة في البوادي فهى اليوم متروكة لا يستقي منها هلاكهم (وقصر مشيد) أى مرفوع أو مجصص أخيلناه عن ساكنيه . ومن الآبار المذكورة والقصور بئر في سفح جبل بحضرموت وقصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتله أهلكتهم الله تعالى وعظلهما وذلك أن أربعة آلاف نفر من آمن بصالح لما نجوا من العذاب أتوا حضرموت ومعهم صالح فبات في حضرموت فبنوا مدينة حاضروا وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلاً منهم فأقاموا دعراً وناسلاً حتى كثروا وعبدوا الأصنام وكفروا فأرسل لهم حنظلة المذكور وكان جالاً فقتلوه في السوق فكان ما تقدم * ويقال ان حضرموت سميت بذلك لموت صالح فيها لما استقر بها وكأين منصوب بمقتريه سره المذكور . ولما كانت أحوال الأمم مكشوفة في خرابها مسطرة في قصورها المخربة وآبارها المعطلة وقرائها المهتمة والعقول لاتفهمها والناس لانذكراها أردفه موبخاً الأمم مقرعاً لهم فقال (أفلم يسيرا في الأرض) ليرى مصارع الجاهلين ومصير الظالمين (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) ما حلت بتلك الأمم إذ نسبت عقولها فأهملتها وعاشت في دعة في قصورها غفرت عايتها وأن سنة الوجود أن لا يقوم إلا بالعلم والعمل فأما الظلم فان مرتعه وخيم (أو آذان يسمعون بها) ما يتلى عليهم من الوحي الذي يحضهم على التشمير لدراسة حال الدول ونظام الأمم دارسها وقائمها غائبها وحاضرها حيها وميتها ليقتبسوا من الأحياء ويعتبروا بالأموات . فالوحي هذا دأبه وهذه وجهته فهلا سمعوه بأذانهم فقاموا بالأعمال حق القيام ولما كان الناس جميعاً بأبصار وآذان قال الله ليس كل مبصر مبصراً ولا كل حامل سيف بشجاع ولا كل راكب جواد بفارس أردفه بقوله (فانها لانعمى الأبصار وانكمن تعمى القلوب التي في الصدور) عن الاعتبار فالقلب قد يعقل وان عميت الأبصار ويعمى وان سامت الأبصار . وذكر الصدر للتأكيد ونبي التجوز وللتذكير بأن العمى الحقيقي ليس هو المتعارف (ويستجلبونك بالعذاب) المتوعدة به استهزاء وقد شاهدوا الأمم الهالكة ولكنهم عمى عن الاعتبار بها (ولن يخلف الله وعده) فهو على صراط مستقيم ونظام ثابت فكما فعل فيمن

قبلكم يفعل فيكم (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) لأن السنن واحدة فسيكون ما سيجعلكم مضاهيا لما حل بمن كان قبلكم . واذا قتم قد طال العهد ولم يحل العذاب فأين العذاب فإن الله حلیم وألف سنة عنده كيوم عندكم بل ليس عند ربك صباح ولا مساء بل الصباح والمساء تحت أمره وعلى ذلك ينقد وعده بعد أمد طويل عندكم قريب عنده كما قال - إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا - لأن كل ما هو آت قريب وذلك اشارة لعذاب الآخرة فإذا تأخر عشرين ألف سنة مثلا فهي كعشرين يوما عندكم وهذا شئ قليل ولا يكون ذلك اخلافا للوعد . هكذا خراب الأمم فإن الأمة العربية حل بها الانحلال بعد أزمان النبوة بنحو ستمائة سنة فهو كتنصف يوم ونصف اليوم شئ قليل جدا . فأنه تعالى يقول سنن لا بد من اتمامها ولا بد من اهلاك الظالمين ولو بعد حين إنما وأفرادا في الدنيا والآخرة أو أعدت لهم في الآخرة فقط مع الأكداد في الدنيا وهم لا يشعرون ثم أتيت ما ذكره من عدم اخلاف الوعد وان طال الأمد فأبان انه كم من أمم أهلت فطال عليها الأمد وهذا قوله (وكان من قرية) وكمن من أهل قرية (أمليت لها) أمهاتهم كما أمهلتكم (وهي ظلمة) مثلكم (ثم أخذتها) بالعذاب (والى النصير) والى حكمى يرجع الجميع

﴿ لطيفة لتبيان ما تقدم ﴾

هل تحب أن تسمع أيها الذكي نفس هذا في أمنا الإسلامية . انظر كيف قام أسلافنا بالعلم والحكمة واشتغل الخلفاء وأهل النظر من علماء المسلمين في الشرق والغرب بالعلم وقد نقلوا العلم عن الأمم ومنهم اليونان وهناك ازهرت في الشرق علوم هي الفلسفة العربية وهكذا امتدت الحكمة والعلم الى أوروبا في دولة اسلامية هي الدولة العربية الأندلسية التي جعت الحجازيين والعراقيين واليمنيين والمصريين وأما أخرى واستمرت على ذلك أمدًا طويلا ونبع من بينهم ابن رشد الفيلسوف المشهور فأهله المسلمون وأذله وطرده الى مراكش وشتوا شمل تلاميذه وأكثرهم من اليهود وقد كانت للرجل في العالم صولة فاقرا كتبه أيها الذكي وانظر كيف يقول ان علم التوحيد اليوم بين المسلمين نظريات وقواعد أصعب جانا من معرفة الله وانما معرفة الله بما نشاهد من الطبيعة . وسرد على ذلك أدلة ومنها ما سيأتي في سورة (النبأ) فذكر كيف جعل الله الأرض مهادا والجبال أوتادا . وبالجملة دعا في مؤلفه الصغير الى ما ندعو اليه الآن هو وأمثاله في ذلك الوقت كأن الله يريد أن يجري على سننه أي انه يعز قوما بعد ذلم ويذل قوما بعد عزهم على مقتضى سنة الوجود فلم يرض المسلمون هذا العالم ونفوه وشتوا تلاميذه فذهبوا الى أوروبا وتركوا التكلم بالعربية ونقلوا علم ابن رشد الى العبرية ومن هؤلاء انتقل العلم الى أوروبا فإن مؤلفات ابن رشد التي هي شروح على كتب (أرسطو) ترجمت الى اللغة اللاتينية ودرست بالجامعات الأوروبية وظلت الفلسفة العربية قائمة مقام كتب (أرسطاطاليس) في البيات الفلسفية الى آخر القرون الوسطى بل عاشت الى النصف الأول من القرن السابع عشر . قال (فولتير) ان اللاهوت المسيحي قد اتخذ (أرسطاطاليس) أستاذه الوحيد أما في الجامعات فإن العلوم حين بدأت تدب فيها الحياة في آخر القرن السادس عشر لم يزد أهل العلم على أن رجعوا الى مبادئ (أرسطو) واتخذوها قاعدة لأعمالهم ثم زادوا عليها الى أن وصلت الى الحال الحالية الآن وما زالت تدرس بالجامعات الأوروبية والأمريكية الى اليوم باللغات المختلفة

هذا مجمل العلم في العالم الانساني وأنت ترى من هذا أن ابن رشد في الأمة الإسلامية كان السبب في انتشار علم الفلسفة الى نصف القرن السابع عشر أي منذ قرنين ونصف تقريبا من تأليف هذا التفسير . فانظر بارعاك الله . انظر وتجب من أمة طال الأمد عليها فقصت قلوبها فطردت علماءها وعصت كبارها . طلب القرآن البعث في كل شئ ، في البئر المعطلة وفي القصر المشيد . طلب السفر في الأرض للنظر والاعتبار . وقد قال علماءنا ان السفر ﴿ سفران ﴾ سفر جسمي يتبعه سفر قلبي فبعد أن يطوف الانسان الأرض ويشاهد ما فيها

من عامر وخواب يرجع فيفكر ويجعل لذلك فكرة عامية ينفع بها الناس هذا هو القصد . فالسفر الجسمي أشاره بقوله - أفلم يسيروا - والسفر العقلي أشاره بقوله - فتكون لهم قلوب يعقلون بها - ولكن المسلمين إذ ذاك كانت قد خضت شوكتهم وآت جهالتهم فاستمروا مرعى الجهالات وبغضوا العلماء

﴿ نظر المسلمين في المستقبل ﴾

نظر المسلمين في المستقبل القريب سيكون في ﴿ أمرين ﴾ في أمر الأمم المعاصرة لنا والأمم الغانية الهالكة فاذا رأوا أمة العرب في الأيام الأولى قد أهلكتها التتار من ناحية المشرق لما استمروا مرعى الجهالة وأم أوروبا من جهة الغرب فانهم ينظرون الى قصر الحمراء وقصور الخلفاء في الأندلس وآثارهم المشهورة وأعمالهم العظيمة وينظرون الى آثار الفراعنة في مصر وآثار الدولة العباسية في العراق والأموية في الشام ليرجعوا الى المجد الذي فقدوه وليدرسوا العلم الذي هجروه . هذا من جهة . ومن ﴿ جهة أخرى ﴾ يدرسون أم أوروبا وأم أمريكا وأم اليابان ويكتنون من هذا كله دروسا نافعة ويكونون لهم دروس من ذلك في نظام مدنتهم وحياتهم ويعتبرون بما ولده الجهل من هلاك أهل استراليا وأهل أمريكا الأصليين وقصورهم المشيدة المهتمة وآبارهم المعطلة . ولقد وجدوا في أمريكا اهراما كاهرام مصر . ولقد قرأت في الجرائد العربية منذ ١٥ سنة أنهم كشفوا هناك مدينة قديمة تحت الردم وتلك المدينة مسورة بسور من حجر شكله على شكل ثمان عظيم

هذا هو النظر اللائق بالمسلمين الذي يدعو اليه القرآن . فليقرأ المسلمون آيات الله في الشرق والغرب وانما القرآن مرآة تريك أعمال الأمم . فاذا قال الله سيروا في الأرض فانظروا فهذا هو المقصود من السفر ومن النظر ثم قوله - وهي ظالمة - اشارة الى ظم الجهل وظلم الأحكام والاعارة على الناس وغير ذلك فليس الظلم خاصا بالمعاصي بل ان تعطيل الأرض والعودة عما فيها من الثمرات وعمما في باطنها من المعادن وأمثال ذلك أيضا من الظلم . واذا كان في الأرض منافع وليس لنا فيها فائدة فلماذا نمن بهم أمرها باستخراجها لمنفعة الناس ونشاركهم في الثمرات

﴿ علوم الحكمة أيضا في الأمم ﴾

وقد أصاب اليونان قبل العرب ما أصاب العرب في العلم فأول مانع ناعق الخراب بديارهم كان بالتبرم من فلسفة (أرسطو) فأعقب ذلك قانون صدر بنى الفلاسفة جميعا سنة ٣١٦ ق م ثم عفت آثار الفلسفة من اليونان كلها ففقدوا استقلالهم باستيلاء الرومان عليهم فهذا مماثل ما حل بأمة العرب بعد ذلك بنحو ١٥٠٠ سنة فان الفلسفة والعلم والحكمة طردت من بلادهم وأصبحت ديارهم مأوى للأجانب يقيمون فيها وهم ظالمون ولا قاعدة لاستقلال البلاد سوى علوم وحكمة ونظر وهل هذا سوى قوله تعالى - أفلم يسيروا في الأرض - الخ وهل التعقل شئ سوى علوم الحكمة والفلسفة . إن هذا الدين دين الفلسفة والحكمة . ولما جهل بعض الناس العلوم الحكيمية أبعدوها عن القرآن حتى القول على أكثرهم لأنهم لا يعلمون . وقد تقدم ملخص رقي العلم والمخطاطة في الاسلام عند قوله تعالى - تجعلونه قراطيس - الخ في سورة الأنعام . ثم الكلام على الماطية التي أردناها فلنشرع في تفسير بقية القسم (قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) أى أوضح لكم ما أنذركم به (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) في الجنة (والذين سعوا في آياتنا معاجزين) مسابقين مشاقين للساعين في نشرها والمعاجزة مغالبة تقول عاجزه فأعجزه وعجزه اذا سبقه فسبقه في التعجيز لأن كلا منهما يطلب اعجاز الآخر عن اللحق به (أولئك أصحاب الحجيم) النار الموقدة . ولما كان أولئك الساعون في المعاجزة يكذبون بالدين إما عنادا واما جهلا لشبهات طرأت عليهم وأمور في الدين جعلتهم يشكون فيه فأخذوا يبنون على ذلك الشك أقوالهم ومساعدتهم للحط من قيمة الدين أفاد سبحانه أن ذلك هو دين الدنيا وما ينزل فيها من العلوم والديانات فقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) فالرسول من جاء بشرع جديد

والنبي يع ذلك ويع من جاء لتقرير شرع سابق كأنبيا بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ومثلهم علماء الاسلام فهم كهؤلاء الأنبياء فكل عالم مفكر في الاسلام فهو كنبى لهذه الأمة * ولقد قيل ان النبي ﷺ قال « ان الأنبياء ١٣٤ ألفا وأن الرسل ٣١٣ » وقوله (إلا إذا تمنى) أى قرأ كما قال حسان ابن ثابت في عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر

وقوله (ألقى الشيطان في أمنيه) أى ألقى الشيطان على سامعيه ومتبعي دينه الشبهات في معاني قراءته فيقول قوم انه سحر وقوم انه كهانة وهكذا . ويقول آخرون بعد عهد النبوة إن هذا الدين لا يصلح للعلوم وإنما هو للعبادات وقارئ العلوم رجل طبيعي وهكذا . أو يقول قوم ان محمدا ﷺ يعلمه بعض الناس وذلك قول الذين كانوا في زمانه ﷺ (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) بأن يقيض للأمة من يزيل الخرافات أو الأحاديث المكذوبة ومن ذلك أن هذه الآية نفسها قد جاء فيها أحاديث لم ترد في كتاب من الكتب الصحيحة كالموطأ لمالك وصحیح البخارى ومسلم وجامع الترمذى والسنن لأبي داود والنسائي فهذه الكتب الستة لم يرد فيها هذا الحديث الآتى الذى شغل المفسرين وجعل هذه الآية معنى غير ما كتبناه فان كتاب (تيسير الوصول لجامع الأصول) الذى جمع ما في هذه الكتب الستة لم يذكر هذا الحديث في تفسير هذه السورة . فإذا هو حديث ليس مما يستحق أن يذكر فضلا عن أن يرد عليه أو يجاب عنه وهو أن الشيطان وسوس الى النبي ﷺ عندما قرأ قوله تعالى - ومناة الثالثة الأخرى - فجري على لسانه أن قال (تلك الغرائب العلى وان شفاعتهن لترجى) ثم نبه جبريل بعد ذلك فاغتم فعزاء الله بهذه الآية وهذا كذب صراح . وفي هذه الكلمة لفظ الغرائب عبارة عن الأصنام شهت ببعض طيور الماء (ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) ثم قال الله تعالى مينا سبب تمكين الشيطان من إلقاء الشبهات (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) شك (والقاسية قلوبهم) المشركين (وان الظالمين) أى الفريقين (انى شقاق بعيد) عن الحق (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به) بالقرآن (فتخبت له قلوبهم) بالانقياد والخشية (وان الله لهادى الذين آمنوا) فيما أشكل عليهم (الى صراط مستقيم) وهو النظر الصحيح الموصل الى الحق (ولا يزال الذين كفروا في مرة منه) أى فى شك مما ألقى الشيطان فى قلوبهم عند قراءة القرآن عليهم (حتى تأتيتهم الساعة) القيامة أو أشرطها أو الموت لأنه القيامة الصغرى أو الساعة الصغرى (بغثة) جفأة (أو يأتيتهم عذاب يوم عقيم) يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر وهو يوم عقيم لا خير فيه ولا ربح (الملك يومئذ لله) أى يوم القيامة (يحكم بينهم) بالمجازاة للكافرين والمؤمنين (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين * والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا) فى الجهاد (أو ماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا) الجنة ونعيمها (وان الله لهوخبير الرازقين) فانه يرزق بغير حساب (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) وهو الجنة (وان الله لعليم بأحوالهم) (حليم) لا يجعل بالعقوبة

(فصل فى تفصيل الكلام على قوله تعالى - إلا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيه -)

اعلم أن الله عز وجل جعل نظامه فى الدين كنظامه البديع فى الطبيعة . تأمل فيما فعله الله فى الحقول وانظر . أأنت ترى انه خلق القمح والذرة والقطن وسائر النباتات التى يحتاج اليها الناس ومع ذلك تراه خلق بجانبها نباتات أخرى تخلق فى الأرض معها وتقتات من الأرض فتزى الحشائش مخضرة مع الذرة ومع القطن ومع سائر البقول والأشجار وترى أن الفلاح لا ينام ولا يسكن حتى يزيل تلك الحشائش فيتوفر الغذاء لنفس الشجر ولنفس النبات . هذا هو الأمر الذى حصل فى نفس القرآن . ترى أن الله أنزل القرآن فيقرؤه الرسول وترى أن العرب قالوا ساحر كاهن وهكذا فاستبان الحق وجاءت غزوة بدر ونصر الله المسلمين معسدا فامثال

الآيات التي يقول فيها انه منصور . هكذا في زماننا ترى أمم أوردت بأرسل جيوشا من القسيسين يفحصون المدارس في الشرق وقد طردوهم من بلادهم لاضرارهم بسياساتهم فيقولون للمسلمين ان دينكم مملوء ومحشوق بالخرافات والأكاذيب فيشككون المسلمين في الدين . وترى المسلمين أنفسهم دخل عليهم الغش والخداع من جهلة الوعاظ وصغار العلماء ان هذا الدين لا يعيش مع العلوم فجعلوه دين خول . وكما نسخ الله وسأوس الشيطان أيام النبوة هاهوذا ينسخها اليوم بالعلم والعمل . أما العلم فانظر فيما يكتبه المسلمون اليوم في أقطار الأرض وانظر في هذا التفسير أليس تجد أن هذا الدين هو دين المدنية العالية . أفليس هذا ناسخا لما ألقاه الشيطان في القلوب . وأما العمل فتعجب كيف ألهم أمة الترك أيام هذا التفسير أن تطرد القسيسين من بلادها مع أنها أعلنت أن صبغة حكومتها ليست دينية بل هي صبغة دنيوية . أليس هذا ناسخا لما ألقاه الشيطان على السنة القسيسين من أن هذا الدين دين تأخر ثم هم يملنون دياناتهم في بلاد الاسلام . وأولست ترى أن هذا معجزة ومصدق لهذا الوند . أفلم تر أن الله نسخ ما ألقى الشيطان . نعم ان الله نسخه وسينسخه أكثر . فلنقم أيها الذكي بنشر أمثال هذه المسائل بين الأمة المسكينة . هذا والله من معجزات القرآن . هاهوذا نسخ ما ألقى الشيطان في العقول لما تنهقرت الأمم الاسلامية وأصبح كل من ارتقى منصبا في أمم الشرق من المسلمين انما يكون من المتعلمين في مدارس المسيحيين الذين جعلهم الله فتنة واختبارا للعقول الأمة - ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة -

إن حقائق الوسأوس الشيطانية حول المعاني القرآنية في العقول الاسلامية أخذت تحصدتها مناجل البراهين في أمثال هذا التفسير ويزياها من أرض الاسلام أمثال الترك والأفغان - إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب -

(جوهره في ايضاح تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول - الخ)

وذلك فيما أورده السيد أحمد بن المبارك مؤلف كتاب (البريز) ذلك العالم المحقق المطلع على كتب الدين وعلى كتب الحكمة المعروفة في بلاد الاسلام منذ قرنين من الزمان إذ سأل الشيخ عبدالعزیز الدباغ ذلك الرجل الأمي الذي كان يسمع (بضم الياء) ذلك العالم من العلم ما يحمله جميع علماء الاسلام قاطبة فقد سأله ابن المبارك المذكور عن مسألة الغرائيق وقال له هل الصواب مع عياض ومن تبعه في نهيا أومع الحافظ ابن حجر فانه أثبتها وقال بعد أن ذكر أسانيده عن سعيد بن جبیر قال قرأ رسول الله ﷺ - أفرايت اناذت والعزى * ومناة الثالثة الأخرى - فألقى الشيطان على لسانه (تلك الغرائيق العلى وان شعاعتهن لترنجي) فقال المشركون ماذا كرأهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا . قال ثم ذكر تخريج البزار في القصة وكلامه عليها وما يتبع ذلك واعترض على أبي بكر بن العربي الذي رد هذه الرواية وعلى عياض كذلك إذ جعل روايات الحديث مضطربة ضعيفة . ثم قال أحمد بن المبارك المذكور للشيخ الدباغ بعد ذلك فها هو الصحيح عنكم في هذا وما الذي تأخذ عنكم فقال رضى الله عنه الصواب في القصة مع ابن العربي وعياض ومن وافقهما لامع ابن حجر وما وقع للنبي ﷺ شئ من مسألة الغرائيق وانى لأعجب أحيانا من كلام بعض العلماء كهذا الكلام الصادر من ابن حجر ومن وافقه فانه لو وقع شئ من ذلك للنبي ﷺ لارتفعت الثقة بالشرعية وبطل حكم العصمة وصار الرسول كغيره من آحاد الناس حيث كان للشيطان سلاطة عليه وعلى كلامه حتى يزيد فيه ما لا يريد الرسول ﷺ ولا يحبه ولا يرضاه فأى ثقة تبقى في الرسالة مع هذا الأمر العظيم ولا يبقى في الجواب أن الله ينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم آياته لاحتمال أن يكون هذا الكلام من الشيطان أيضا لأنه كما جاز أن يتسلط على الوحي في مسألة الغرائيق بالزيادة كذلك يجوز أن يتسلط على الوحي بزيادة هذه الآية برمتها فيه وحينئذ يتطرق الشك الى جميع آيات القرآن والواجب على المؤمن الاعراض عن مثل هذه الأحاديث الموجهة لمثل هذا الريب

في الدين وأن يضر بها بوجهها عرض الحائط وأن يعتقدوا في الرسول ﷺ ما يجب له من كمال العصمة وارتفاع درجته ﷺ الى غاية ليس فوقها غاية ثم على ما ذكره في تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي - الآية يقتضي أن يكون للشيطان تسلط على وحى كل رسول مرسل وكل نبي مني زيادة على تسليطه على القرآن العزيز لقوله تعالى - من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى أتى الشيطان في أميته - فاقضت الآية على تفسيرهم أن هذه عادة الشيطان مع أنبياء الله وصفوته من خلقه ولا ريب في بطلان ذلك

هذا ما قاله الشيخ عبد العزيز الدباغ . ثم قال الشيخ أحمد بن المبارك بعد ذلك : ما أدق نظر الشيخ (بريد الشيخ عبد العزيز) مع كونه أمياً . ثم أورد كلام البيضاوي الذي يفيد ما يقرب من المعنى المتقدم ثم قال ابن المبارك أيضا : ان العصمة من العقائد هي التي يطلب فيها اليقين . وقد عدا الأصوليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الخبر الذي يجب القطع بكذبه . ورد على ابن حجر الذي يدعى صحة الحديث بأن ذلك في الامور العملية التي يكفي فيها الظن من الحلال والحرام . أما الامور العلمية الاعتقادية فلا يفيد خبر الواحد في ثبوتها فكيف يفيد في نفيها وهدمها . ثم قال ابن المبارك المذكور : ثم قلت للشيخ رحمه الله ما الصحيح عندكم في تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى أتى الشيطان في أميته - وماهون نور الآية الذي تشير اليه فقال رضى الله عنه نورها الذي تشير اليه هو أن الله تعالى ما أرسل من رسول ولا بعث نبيا من الأنبياء الى أمة من الأمم إلا وذلك الرسول يتمنى الايمان لأمة ويحبهم لهم ويرغب فيه ويحرص عليه غاية الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة ومن جلتهم في ذلك نبينا محمد ﷺ الذي قال له الرب سبحانه وتعالى - فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا - وقال تعالى أيضا - وما أكره الناس ولو حرصت بمؤمنين - وقال - أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين - الى غير ذلك من الآيات المتضمنة لهذا المعنى ثم الأمة تختلف كما قال الله تعالى - ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر - فأما من كفر فقد أتى اليه الشيطان الوسواس القاذحة له في الرسالة الموجبة لكفره وكذا المؤمن أيضا لا يخلو من وسوايس لأنها لازمة للايمان بالغيب في الغالب وان كانت تختلف في الناس بالقلة والكثرة وبحسب المتعلقات . اذا تقرر هذا فعنى تمنى انه يتمنى الايمان لأمة ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح . فهذه أمنية كل رسول وكل نبي وإلقاء الشيطان فيها يكون بما يليق به في قلوب أمة الدعوة من الوسوايس الموجبة لكفر بعضهم ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ويبقى ذلك الله عز وجل في قلوب المنافقين والكافرين ليفتقنوا به نفرج من هذا أن الوسوايس تأتي أولا في قلوب الفريقين معا غير انها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين .

و بعد ما ذكر هذا الشيخ ابن المبارك عن الشيخ الدباغ قال ان هذا التفسير من أبدع ما يسمع وأخذ يورد الطرق التي فسرت بها فوجدها كلها ضعيفة أو مخالفة للعقيدة . ولما كتبت هذا واطلع عليه أحد الاخوان الفضلاء قال إن هذا الشيخ قد نقلت أنت عنه في (سورة الكهف) عجائب عن العلم لم نسمعها من أكثر العلماء إذ قال هناك : ان المسلم يعبد الله لذاته بدون نظر الى جزاء في الدنيا ولا في الآخرة وهذا مقام عال جدا . فهل تسمعون شيئا من تفسيره لبعض الأحاديث حتى نرى وجهته . فقلت نحن الآن في تفسير القرآن . فقال هذه مسألة عجيبية رجل أمي يفسر القرآن ويعترض على رجال الحديث ولا تمجبه آراء ابن حجر ويصوب كلام عياض ثم بعد البحث يرى الشيخ ابن المبارك العالم العظيم أن هذا حق من حيث الحديث ومن حيث علم مصطلح الحديث ومن حيث علم الاصول ومن حيث المنطق . فرجل مثل هذا نريد أن نشم رائحة تفسيره لأي حديث من الأحاديث أو بعض آيات أخرى . فقلت له . لقد سأله الشيخ ابن المبارك عن قوله ﷺ : ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف . فأجابه الشيخ الدباغ بجواب استغرق ما كتبه منه . ٤ صفحة في

النسخة المطبوعة وجمع فيها ما بين القراءات المشهورة وما بين الأخلاق النفسية . وهنا زاد عجي حين قرأت هذه المعاني التي ذكرها الشيخ الدباغ فانها ترجع الى علم النفس وتنتهي الى اسعادها اسعاداً تاماً بحيث يصبح الانسان وهو في هذه الدنيا كأنه في أعلى عليين في الجنة . فهذه المعاني التي ذكرها ذلك الشيخ الأبي لو اتصف بها انسان أصبح كأنه روح طاهرة سعيدة في الدنيا قبل الآخرة . فقال صاحبي فأرجو ذكر بعض هذه المعاني التي ذكرها . فقلت ذكر في معنى نزول القرآن على سبعة أحرف ﴿ سبعة أصناف ﴾ من العلم وهي

(١) الآيات الأمرة بالصبر والدالة على الحق والزهد في الدنيا

(٢) الآيات الدالة على الدار الآخرة

(٣) النور الذي وضعه الله في بني آدم وأفسرهم به على الكلام وخص النبي ﷺ بخصائص فيه

(٤) الآيات المتعلقة بصفات الله تعالى

(٥) الآيات الدالة على أحوال الخلق الماضين وهي القصص

(٦) الآيات التي فيها الكلام على الكفار

(٧) الآيات التي ذكر الله فيها نعمه الفائضة على خلقه

وسمى هذه السبعة هكذا بالترتيب (حرف النبوة . وحرف الرسالة . وحرف الآدمية . وحرف الروح .

وحرف العلم . وحرف القبض . وحرف البسط)

فقال صاحبي هذه أشياء لافائدة منها فأين العجائب التي فيها وأين البواطن . الرجل قسم القرآن أقساماً وجعل لكل قسم اسماً صفات الله وأخبار الماضين وهكذا . أعطى كل واحد منها اسماً وكفى فأين الأسرار وما هذه الأشياء مكررة لما عرفه الناس في القرآن فما هذا الذي تذكر أنه يأتي بغرائب . فقلت أنا ذكرت لك أنه أتى بالمعنى في ٤ صفحة فهل هذه الكلمات هي كل ما قاله . فقال ما الذي أدهشك من كلامه . فقلت الذي أدهشني من كلامه أنه دخل من هذه الاصول السبعة الى غوامض النفس الانسانية . فقال أريد أن تذكر نبذة منها . فقلت قد قسم كل واحد من هذه السبعة الى سبعة أخرى جعلها (٤٩) * مثلاً تجده في البسط الذي جعله دالاً على ذكر نعم الله على عباده فيما تقدم قد قسمه الى ﴿ سبعة أقسام ﴾ فالأول منها الفرح الكامل وهو نور في الباطن ينبئ عن صاحبه الحقد والحسد والكبر والبخل والعداوة مع الناس لأن هذه الأوصاف ونحوها منافية للفرح وإذا وجد نور الايمان مع هذا الفرح في الذات نزل عليه نزول مجاسة وموافقة وتمكن من الذات على ما ينبغي وكان بمثابة المطر النازل على الأرض الطيبة فتتولد من ذلك أخلاق طيبة ﴿ والثاني ﴾ منها يكون الخير في الذات دون الشر وهو نور يوجب لصاحبه أن يكون الخير سجيّة له وطبيعة فترى صاحبه يحب الخير ويحب أهله ولا يجول فكره إلا في الامور الموصلة اليه ومن فعل معه خيراً لا ينسأ أبداً وأما من فعل معه سوءاً ووصله بأذية فان مضى وقته ينسأ ولا يبقى في فكره حتى انك اذا اختبرته بعد ذلك وجدت قلبه فارغاً من ذلك وهو مطمئن مستبشر بمثابة من لم يقع له شيء يؤذيه فهذا من كمال البسط ﴿ الثالث ﴾ منها فتح الحواس الظاهرة وهو عبارة عن لذّة تحصل في الحواس الظاهرة وذلك بفتح العروق التي فيها فتكثف تلك العروق بما أدركته الحواس وبهذه اللذة يكمل البسط . ففي البصر لذّة بها يحصل الميل الى الصور الحسنة وفي السمع لذّة بها يحصل الخضوع عند سماع الأصوات الحسنة والنعيمات الشجية وهكذا بقية الحواس . ففي كل حاسة لذّة زائدة عن مطلق الادراك والفرق بين فتح الحواس الظاهرة الذي هو من أجزاء البسط وبين كمال الحواس الذي هو من أجزاء الآدمية التي هي أحد الأحرف السبعة المتقدمة أن فتح الحواس يزيد على كمالها بفتح العروق السابقة فان فتح العروق زائد على الادراك الذي في كمال الحواس وبذلك الفتح الحاصل في العروق والتكثيف الجاذب لصاحبه يقع الانقطاع الى المدرك فترى صاحبه ينقطع مع كل نظرة الى كل ما يراه

وقد تحصل له غيبة خفيفة مع ذلك الانقطاع بخلاف مطلق الادراك فانه لا يحصل معه هذا الانقطاع . وكمن شخص يرى أمورا حسنة ولا يتأثر بها . وكمن آخر يسمع أصواتا حسنة ولا تقع منه على بال . وبهذا الفتح والتكليف يحصل كمال البسط . انتهى ما أردت منه

فقال صاحبي ولماذا اقتصرت في الاختيار على هذه المسائل الثلاث دون باقيها البالغة (٤٩) مسألة مكتوبة في (٤٠) صفحة وهل من هذا دهشك . فقلت نعم . قال ولماذا . قلت لأنها تناسب آية - وما أرسلنا من قبلك من رسول - إلخ وتناسب هذا التفسير عموما . قال فأوضح لي ما قلت . فقلت إن هذا التفسير قد شرح الله صدرى فيه الى جلال هذا العالم ونظامه وبهائه وحسنه ولولا انشراح صدرى ما أمكننى أن أكتب مما كتبت حرفا واحدا . ألا ترى أن عجائب هذه الدنيا وبدائعها ومحاسن النجوم والشمس والقمر والنهر والجبل والشجر والزهر مبذولة كلها لكل انسان وحيوان ولكن ادراك بنى آدم أكثرهم لهذا الجلال وادراك الحيوان ليس يعطيهم لذّة بل أكثر الناس وجيع الحيوان يدركون هذا الجلال ولكنهم لا يحسون بالجلال فيما يشاهدون والمختص بادراك هذا الجلال طوائف اختصهم الله بذلك فطروا على هذا الذوق والاحساس بالجلال . وبهذا الاحساس بالجلال يثبت الايمان الناشئ من الاطلاع على العجائب في العالم وهوؤلاء هم الذين نسخ الله ما أتى الشيطان في قلوبهم كما تقدم في قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول - إلخ . أليس هذا هو الأمر الثالث في مقام البسط الذى هو من الأحرف السبعة التى أنزل لها القرآن . إن هذا المعنى الدقيق والفكرة التى لا تخطر ببال أكثر الناس قد أوضحه هذا الأمل لنا ايضا شئى الصدور وهو عجيب جدا . هو أمر حاضر عند النفوس ولكنها لاتعبر عنه فعبر عنه هذا الأمل الذى فتح الله عليه وهذا الجلال وادراكه هو الذى قاله علماء التربية . إن علامة النبوغ انما هو الإعجاب فاذا رأينا صبيا مغرما بالمشاهد العجيبة فهذا الغرام دليل على رقيه وقبوله للعلم وعلى قدر جمود العقل عن ادراك الجلال وذوقه يكون ضعف ذلك المدرك . أفلا تعجب أن يكون تعبير هذا الصالح أعجب ما يصفه الواصفون في هذا المقام ثم ان كل ما جاء في هذا التفسير وغيره من جلال هذه الدنيا مهما أطر بنا حين قراءته ومهما أدهشنا جلاله . أفليس مقصود ذلك كله اسعاد النفس وحليتها بالعالم والحكمة أولا والعمل بما يمكن العمل فيه ثانيا . قال بلى . قلت فاذا كانت النفس مشغولة بالحسد بحيث يحل في القلب الحزن لما يرى من نعمة أسبغها الله على أحد أقاربه أو أصحابه مثلا أو كانت مفتاة حاقدة على من أساء اليها . أفليس ذلك الحقد وذلك الحسد يتغصن على النفس حياتها ويحجبها عنها عن الاقتداء بما انطوت عليه جوانحها من الصور العلمية الجميلة التى أدركت جلالها وأحست بهائنها وكيف ينسخ الله ما يلقى الشيطان من قلب معمور بالذات والعداوات والوساوس . إن النور والظلام لا يجتمعان وأى سعادة أعظم من سعادة امرئ أصبحت نفسه مشرقة بهجة بهية في نفسها ثم ازينت بالصور العلمية - نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء - فأنا أيها الأخ اخترت هذه المسائل الثلاث لهذه الحكيم . ثم قلت . إذن هذا الصالح الأمل يريد بأحرف القرآن في النهاية أن تكون الروح خالصة من الشوائب بحيث تكون قريبة من ربها والقرب كل القرب انما يكون بأمثال هذه الصفات . فالتوراة والانجيل والابور والفرقان ولا كتب الحكمة اليونانية والرومانية والاسلامية والاوربية إلا طرق لاسعاد النفس وأجل سعادة لها أن تكون هذه بعض صفاتها وأن الذى نكتبه في هذا التفسير مما يفتح أبواب السعادة لها وسيأتى بعدنا أباس يشرحون هذه المعاني إذ تكون الأمة قد استعدت لها والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فقال صاحبي . أما ما ذكرته فحسن جدا لأنك ربطت الكلام الذى استطردت به في حديث نزول القرآن على سبعة أحرف بالمعاني التى في آية الغرانيق حتى لا يتوهم القارئ انه ابتعد عن الموضوع ولكن أين التريا وأين ترى فأين سبعة الأحرف التى جعلها معاني وأذواقا وأخلاقا شريفة وسبعة الأحرف المنطقية . ان هذا

الكلام بعيد عن ظاهر الحديث . فقلت إن هذا قاله نفس الشيخ ابن المبارك للشيخ عبد العزيز إذ قال له ما نصه
 ﴿ إن المراد بالأحرف السبعة ما يرجع الى كيفية النطق بألفاظ القرآن كقول عمر رضي الله عنه « سمعت
 هشام بن حكيم يقرأ القرآن على حروف لم يقرئها رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ مصوباً لكل من حروف
 عمر وحروف هشام إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فافروا ما يسر من هذه الأحرف التي ذكرتكم أو صاف
 باطنية وأنوار ربانية في ذاته ﷺ لا يمكن أن يختلف عمر وهشام فيها حتى يجهلها رسول الله ﷺ بأن القرآن
 أنزل عليهم ما » فقال رضي الله عنه اختلاف اللفظيات التي في أحاديث الباب فرع عن اختلاف الأنوار الباطنية
 فتسكين الحروف ورفعها ينشأ عن القبض والنصب ينشأ عن حروف الرسالة والخفض ينشأ عن حروف الآدمية
 ولكل آية فتح خاص وذوق معلوم . فلما سمعت هذا الكلام المذكور بادرت فقرأت عليه الفاتحة وصدر من
 سورة البقرة فسمعت منه في بيان ذلك التفريع ما يبهري ثم أعدت القراءة وقرأت بسبع روايات قراءة نفع
 وابن كثير وأبي عمرو بن العلاء البصري وأبي عامر وعاصم وحزة والكسائي فسمعت في ذلك العجب العجيب
 ورأيت القراءات السبع تختلف باختلاف الأنوار الباطنية فظهر لي والحمد لله وله المنة ما كنت أطلبه منذ نيف
 وعشرين سنة في معنى الحديث وقد ضل به قبلي الحافظ ابن الجوزي نيفاً وثلاثين سنة فظهر له وجه في معنى الحديث
 ثم ذكر أنه وقف عليه لغيره ولكنه قاصر على التلفظ واختلافها فذلك الوجه وغيره مما قيل في الحديث
 (إنما تعلقوا فيه بظلال الشجرة الخ) وقال الشيخ ابن المبارك قبل ذلك ﴿ إن جلال الدين السيوطي نوع الأقوال
 فيه إلى أربعين قولاً ومع وقوفي على كل ذلك لم يحصل عندي ظن بمراده ﷺ بل بقيت على الشك حتى
 عرفت الحقيقة من شيخنا ذلك الأمامي ﴿ انتهى ملخصاً

فلما سمع صاحبي ذلك قال إذن الشيخ الدباغ ربط ظواهر الألفاظ ببواطن الأنوار واختلاف العلماء رجع
 إلى الألفاظ مع الجهل بتلك الأنوار . قلت نعم . قال عجباً . كيف يكون في العالم عقول ونفوس مشرقة إلى
 هذا الحد . أليست هذه النفوس أرقى من نفوسنا نحن . فقلت نعم إن هذه النفوس التي تنصف بالصفات التي
 ذكرها الشيخ الدباغ عجيبة فهي صفاة لا كدر معه وعلم لا جهل معه ونور لا ظلمة معه . وإذا كانت نفس
 الشيخ الدباغ على هذا الخط فهي من عالم أسامي من مستوانا الذي نعيش فيه . وأعجب لما ذكره هو وقلته
 في سورة (الكهف) من وصفه لطبقات الصوفية في الأمم الإسلامية وشرحه مسألة ذكر الأسماء والأوراد وأن
 أكثر هؤلاء لا ينالون من الفتوح قليلاً ولا كثيراً وشرح طرق الصوفية في أدوارها الثلاثة وكيف يقول هناك
 ﴿ إن أكثرهم طلاب دنيا لا طلاب آخرة ﴾ . فقال وما الحكمة في ظهور أمثال هؤلاء في أمة الاسلام . قلت
 يظهر لي أن هؤلاء يخلقون في الأرض لأمور منها

(١) أن الانسان إذا فتح الله عليه بشئ فألف في العلوم يعلم أن علمه بالنسبة لغيره كالعدم وأن هذه
 الظواهر ليست شيئاً بالنسبة للحقائق

(٢) ومنها أن المسلمين اليوم أصبحوا أجهل الأمم بسبب الشيوخ الجهلاء الذين يوهمونهم أنهم عندهم
 علوم مكتومة عندهم فيقال لهم أيها الشيوخ الجهلاء انظروا لهذا الشيخ هل أفضم علوماً على تلاميذكم كعلوم
 هذا الشيخ الأمامي مع أنكم تجهلون ظواهر القرآن والعلوم . إذن هذه الدعاوى كاذبة . واقد أحسن مصطفى
 كمال باشا في إخراجه أولئك الشيوخ من زواياهم وجعلهم مع الناس يعملون كما يعملون لأنهم لم يفيدوا الأمة شيئاً
 (٣) أن يحيد العلماء في العلم لأنه لا ساحل له وإذا جهل علماء الاسلام ظواهر العلوم فكيف يصلون
 لبواطنها نعلمهم أن يقرأوا سائر العلوم والله هو الذي يصطفي للحقائق من يشاء

(٤) أن هذا الشيخ قد اطاع على بعض العلوم قبل ظهورها كما سيأتي في سورة (النور) فسأنتقل عنه
 هناك أنه رأى جبلاً الثلج في الجؤ مريداً بذلك تفسير قوله تعالى - ويُنزل من السماء من جبال فيها من برد -

فقال اننى شاهدت جبال الثلج فى الجوف والبرد يصنع من ذلك الثلج بفعل الله تعالى وهذا حقا قد كشف بالطيارات فى عصرنا الحاضر وستره مرسومها فهذا عجب بل معجزة للقرآن فكيف ينزل القرآن بذلك ولم يكن معلوما ثم كيف يأتى رجل أحمى فيخبر به قبل حصوله والمسلمون وأهل أوروبا جميعا كانوا يجهلون ذلك ثم يظهر فى هذه الأيام فقط وقد رسم فعلا . أفليس هذا عجبا وهذا فى زماننا ليس بدعا فإذا اطلعت على كتابى المسمى (الأرواح) رأيت عجبا فان الصبي الجاهل وقت التنويم ينطق بما يجهله أكبر فيلسوف فى أرضنا . وهذه (لورا) بنت الحاكم الأمريكى نطقت بعشر لغات لم تكن لتعرفها من قبل . ولقد تقدم بعض هذه المسائل فى هذا التفسير كالذى جاء فى سورة البقرة عند مسألة السحر وبابل وهاروت وماروت وفى مواضع أخرى فيها وفى غيرها

(٥) ان ذلك يوجب على المسلمين أن يكونوا أعلم الأمم بهذه العلوم الجوفية والسموية والأرضية

(٦) ان هذه تحمل لنا مشاكل كثيرة فان العقلاء فى هذه الأرض يدهشون إذ يرون كواكب مشرقة وأنوارا متلألئة وحسابا منظمًا وسحابا مطرا وأنهارا وجبالا وحيوانا وجمادا ونباتا . فهل كل ذلك لأجل خدمة هذا الانسان فى الشرق والغرب ونفوسهم على ماهى عليه من الضعف والجهل والخذل والخسد . ووجه الحل أن يقال ان هناك أرواحا عالية أرقى من هذه وأن هذه الأرواح الأرضية الانسانية اليوم لا تزال فى حال الطفولة ولاضرب فى ذلك فالرجل العاقل والحكيم الفيلسوف يربون الصبيان الذين لا يدركون إلا قليلا . إذن نفوسنا فى هذه الأرض اليوم تربي بالنعم والنقم والبأساء والضراء وهى تتخبط حتى تموت وترقى فى عوالم حتى تصير فى عالم أعلى وهى فيه متحدة مع اختلافها أشبه باتحاد أضواء الشمس السبعة مع اختلافها فان الزرقة تتخالف الحمرة وهى معها متحدة اتحادا تاما وهذه الألوان اجتمعت واتحدت لرقى العوالم الأرضية . فإذن تزول الحيرة من نفوسنا أو تقل فى هذا النوع الانسانى المصنوع أبدع صنع ثم هو فى الرذائل مدفون . فانتا تقول اذا كنا نحن الآن على هذه الحال فلا عجب فعن ربينا الله و يعطينا من العلم والأخلاق على مقدار طاقتنا وبه نفهم قوله تعالى - لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين - فالأرواح فى أحسن تقويم على حسب جبراتها كما ظهر من أحوال وأقوال (الشيخ الدباغ) فهو يصف لنا صفاء النفوس وجاهلها وبهاها واهلها من الأرواح العالية التى أنزلها الله من عالم الأرواح لتعطينا حكمة وعلمًا وليست من درجتنا ولا من جبلتنا التى قد غمست فى حجارة هذه الأرض . ومن عجب أنه فى تفسير هذا الحديث وهو حديث ﴿ أنزل القرآن على سبعة أحرف ﴾ أتى بزيادة الرذائل والفضائل التى أدرجها (الغزالي) فى الجزء الثالث والرابع من (الاحياء) وسمهاها (المهلكات والمنجيات) فهذه كلها تضمنها الحديث عند هذا الشيخ العظيم انتهى لم يتعلم . ومن عجب انه لم يسأله ابن المبارك العلامة المتقدم ذكره عن الحديث المذكور أجابه بقوله اصبر الليلة حتى أسأل النبي ﷺ ثم أخبره فى اليوم الثانى بما سمعت بعضه هنا . إذن هذه روح كبيرة أشرقت فى أرضنا لتدلنا على نقصنا أولا ولترينا أن هذا القرآن ليس القصد منه هذه الظواهر وحدها فالألفاظ والمعانى المتعارفة مقدمات لامور وراءها وهذه العلوم وهذه المعارف وراءها علوم ومعارف - فليترقوا فى الأسباب - وهذا يفسر لنا ما جاء فى (علم الأرواح) حديثا . ان بعض الأرواح لما سئلت لماذا نرى السكاملين عندنا تكذب عليهم الأرواح أجابت لا كامل فى أرضكم فالأولى أن تقولوا صالحين ولو كنتم كاملين ما حشرتم فى هذه الأرض . إذن نحن هنا فى الأرض ناقصون ونحن ربينا الله الآن ولم يصل أكثرنا للكمال ولا قارب به وإذا كان هناك بعض السكاملين أمثال الدباغ المذكور فانتا لا تعرفهم ولا تخاطبهم لعدم الملامة بيننا وبينهم . وغاية الأمر أن أهل الأرض الآن يتشبهون بالأرواح الكامنة فى أمور . منها أن رئيس الولايات المتحدة قد أعلن فى هذه السنة أى سنة ١٩٣٨ السلام العام بين الأمم وقد وافقته كتابة أكثر الدول على ذلك كما ستراه موضعا فى سورة (المؤمنون) عند قوله تعالى - وان هذه أمتكم أمة واحدة - ومعلوم أن هذا كله اتحاد لفظى الآن فهم جميعا متحدون لفظا ولكنهم يصنعون

السلح ليلاً ونهاراً . إذن ليسوا كألوان الشمس السبعة بل هم كالذئاب العاويات وقد لبسوا ثوب الملائكة وعسى أن تكون هذه الظواهر مقدمات لحقائق في مستقبل الزمان . ومنها أن عمال كل حكومة يعملون لمصلحة واحدة وهم متعدون ولكن هذا اتحاد صناعي وإنما هذا كله يفهمنا أن هذه النفوس تشغل ظواهر ما خلقت له وإن لم تصل اليه فعلا كما ترى الصبيان يركبون أعواداً كأنهم ركاب خيل إذ يفعلون ما يقولون وهم لا يعلمون فأهل الأرض الآن يفعلون في سياستهم ما ظواهره تنبئ عن الحقائق وأن هذه النفوس الانسانية لن تنال سعادتها إلا بعد قطع عقبات في عوالم أخرى بعد الموت وترك قيودا وقيودا من الأخلاق الشائنة والأكاذيب والنفاق ومادامت لم تصل لهذه الدرجات فهي في سجين الجهالة معذبة مضطربة في جهنم البرزخ ويظهر لي أن قراء هذا التفسير من الأمم الاسلامية سيكونون على رأي واحد وعلى مشرب واحد في انشراق والغرب . ذلك لأن الدين الاسلامي فيه لبس متشعب بل هودين واحد ورأي واحد وفكرة واحدة ففيه ظهر أن هذه العلوم التي تدرسها الأمم كلها هي أصول دين الاسلام . فأمم الاسلام بعدنا هم الذين سيقروا كل علم وكل فن . إذن سيتحدون مشارب وآراء ولا يختلفون ولا يكونون كالذين تقدمونا من أمم الاسلام المتأخرين في الزمان الذين ظنوا أن الاختلاف في فروض الوضوء أو في مدة الحيض أو في ركعات الوتر أمر عظيم فقراء هذا التفسير يعلمون حق العلم أن اختلاف الأئمة في الفروع لا يوجب التفرق . فإذن هؤلاء القارئون لهذا التفسير وأمثاله في عصرنا سيكونون هم الذين عليهم نظام جمهور المسلمين يقودونهم الى اصلاحهم وسعادتهم واتحادهم الكهم ودولهم ونظامها والله خير حافظا وهو الهادي الى سواء الصراط

هذا ما عني لي في تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى أتى الشيطان في أمنيه - وما نبع ذلك من تفسير حديث ﴿ أنزل القرآن على سبعة أحرف ﴾ وما شأ كل ذلك والحمد لله رب العالمين فقال صاحبي . اذا كان الله قد خلق أناسا بيننا قد امتازوا امتيازاً عظيماً بحيث أصبحت معارفنا بالنسبة لمعارفهم شيئاً قليلاً . فاذا صح هذا كان ذلك موجبا ﴿ لأمرين ﴾ أولاً ﴿ سخرنا على جهلنا بالنسبة لهم ﴾ ثانياً ﴿ أن النفس تشرب الى هذه المرتبة وتبقى طول حياتها مؤملة أن تنالها . ولا يخلص الانسان من هذين الأمرين إلا اذا كان غيره مطلع على مثل هذا أو مطلع عليه ونبذه وكذبته وأراح نفسه وليس كل امرئ قرأ هذا يستطيع التكذيب فإن الآراء التي تقال في تفسير آية أو حديث مثل ما تقدم هنا لا تدع عقلا يشك في تفوق قائلها . فقلت اعلم أن المراتب التي نحن عليها والسير الذي نسيره في حياتنا هو الذي سنه الله عز وجل وهو الأقرب لسعادة نفوسنا ورفقها في الدنيا والآخرة وهذا هو القانون العدل والصدق والنور الالهي . فأما ما يكون بالمصادفات والامور النادرة فهو الذي لا يلائم حالنا ولا يصلح لنا نظامنا الذي في هذه الدنيا . ألا ترى رعاك الله أن الجنين لا يتكون إلا تدريجاً ولم تجر عادة الله أن يجعل النطفة رجلاً سوياً في يوم أو بعض يوم ولو أن الله أتى علينا العلوم دفعة واحدة وازدجت في أفئدتنا وشاهدنا في هذه الدنيا ملاعين رأيت ولأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فإن ذلك لا تحتمله عقولنا ونحن في هذه الأجسام الأرضية . فاذا حجبنا الله الآن فليس هذا لاذلالنا . كلا والله بل هو لسعادتنا لأننا لو تحمنا ذلك لأعطاء لنا كما أتاح للجنين أن يقتحم المشيمة والرحم ويشق له طريقاً ويخرج من سجن الرحم الى هذه الدنيا الواسعة وينظر كواكبها وشموسها وأقمارها . فاذا كان مدبر هذا العالم لم يحجب الجنين عن مشاهدة عوالم لا حصر لعددها بعد أن استكمل مدة النمو في الرحم وهو لا يشاهد هناك شيئاً إلا أنه مسجون في الظلمة . هكذا لا يحجب صانع هذا العالم ومدبره أرواحنا في هذه الأجسام الأرضية عن الاطلاع على ما وراء الحجب لأنه لو أطلعنا عليها قبل أولها لكان ذلك وبالاً علينا وذهاباً لعقولنا واهلاكاً لنفوسنا . هنالك قال صاحبي هذا القول مقبول والبرهان حق وصدق ولكن لو أردت ما وراء من كلام هؤلاء المفتوح عليهم لترى ماذا يقولون فانهم إن أيدوا رأيك وطابق مقالم برهانك هنالك تطمئن

النفوس وتهدأ القلوب وتشرح الصدور ويقول كل امرئ منا (رضيت رضيت) واذن يكون قارئ هذا التفسير وأمثاله مشرح الصدر لا يحزن على ما حرم من مراتب عالية علمية ولا يندم على ما ذهب منه من تلك الثمرات العلمية . فقلت نعم هم الذين قرروا هذه الحقائق بأوضح مما ذكرت وأبين مما شرحت . قال إني لفي شوق لسماعه . فقلت لقد نقل الشيخ أحمد بن المبارك المذكور عن شيخه الدباغ أنه ذكر ما يشاهده المفتوح عليهم من السموات والأرضين وأفعال العباد في خلواتهم ويشاهدون نار البرزخ وهي الممتدة بين السماء والأرض وهي التي تذهب إليها الأرواح بعد خروجها من الأشباح على درجاتها وهناك الأرواح الناقصة فيها وهي هناك في منازل ضيقة كالآبار والكهوف والأعشاش وأهلها في صعود ونزول دائماً لا يكلمك الواحد منهم كلمة واحدة حتى تهوى به هوىته وقال إن هذه النار غير نار جهنم بل هي نار هذه العوالم . وهنا ذكر أن هذا المفتوح عليه يشاهد الأفلاك والنجوم وهكذا ثم قال ويجب عليه أن لا يستعظم شيئاً من هذه الأمور وأن يستصغر كل ما يرى والا وقف به الحال وصار أمره إلى الانتكاس لأن الذات في زمن الفتح شفافة تشف كل ما تستحسسه وهذه الأشياء المشاهدة كلها ظلام فإذا ركن إلى شيء منها وقف في الظلام وانقطع عن الله عز وجل ولذلك كان غير المفتوح عليه في ساحة الأمن وكان المفتوح عليه في غاية الخطر إلا من عصمه الله . وإذا كانت الذات قبل الفتح مشغولة عن الله عز وجل بنحو اللوز والزيب والحصى فضلاً عن الدرهم والدينار والنساء والأولاد فكيف لا يفتن بعد الفتح بمشاهدة العالم العلوي والسفلي ومساعدة الشياطين له على ما يريد ولا عصمة إلا بالله . قال ومن وقف مع شيء من هذه الأمور السابقة كانت الشياطين معه يدا بيد وصار من جلة السحرة والكهان . ثم ذكر المقام الثاني وهو الكشف التوراتي فذكر أنه مقام مشاهدة الأنبياء والملائكة على حقيقتهم ومع ذلك يحتاج أيضاً إلى عناية وضبط نفس انتهى

﴿ رأى الشيخ الخواص والشيخ الشعرائي في هذا المقام ﴾

ولقد قال مثل ما تقدم الشيخ الخواص لتلميذه الشعرائي إذ قال له ﴿ أكل الأولياء من دخل الدنيا وعمل فيها بالأعمال الصالحة ولم يشعر بكمال نفسه ولا شعر به أحد من الخلق حتى يخرج من الدنيا وأجره وأفرم ينقص منه ذرة قال فقلت له وهل ينقص الولي بمعرفة الناس بكماله فقال نعم أما سمعت قوله ﷺ (خص بالبلية من عرفه الناس) فلا يزال الود يقوم له في قلوب المعتقدين إلى أن يستوفي جزاء أعماله الصالحة كلها لأن الود والمحبة ما قاما في باطن الخلق إلا من ظهور كماله لهم فأحسن أحوال من ظهر كماله للخلق أن يخرج من الدنيا مفلساً بالأعمال الصالحة سواء بسواء قال فقلت له فهل يدخل الفتوح الإلهي استدراج ومكر فقال نعم يدخله المكر والاستدراج ولذلك ذكر الله الفتح في القرآن على نوعين (بركات وعذاب) حتى لا يفرح العاقل بالفتح قال تعالى - ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض - وقال تعالى في حق قوم آخرين - فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد - وتأمل قول قوم عاد - هذا عارض ممطرنا - لما حجبتهم العادة قبل لهم - بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم - تدمر كل شيء بأمر ربها - قلت له فما علامة فتح الخبر وفتح الشر فقال كل فتح أعطاك أدباً وترقياً وذل نفس فليس هو بمكر بل عناية من الله لك وكل فتح أعطاك أحوالاً وكشفاً وإقبالاً من الخلق فأحذر منه فإنه نتيجة عجبت في غير موطنها فتقاد إلى الآخرة صفر اليدين مع إساءتك في الأدب إذ طلبت ذلك فإن كل من طلب تعجيل نتائج أعماله وأحواله في هذه الدار فقد عامل الموطن بما لا يقتضيه حقيقة قال فقلت له فإذا حفظ الله العبد واستقام في عباديته وعجل له الحق نتيجة ما أكرمه فهل من الأدب قبولها أو ردّها فقال الأدب قبولها إن كانت مطهرة من شوائب الحظوظ النفسانية . ثم ذكر أن الكمال أن يقابل الإنسان جميع العوالم بما يناسبها ويعطى كل ذي حق حقه ويأخذ الأشياء بالحق ويردّها بالحق انتهى

و بعد أن سمع صاحبي هذا قلت له . أفلمست ترى أن كلام هذين الصالحين هو عين ما قلته لك وأن استجبال الاطلاع على العوالم في الحياة الدنيا يشابه من كل وجه استجبال الأمم اسقاط جنينها قبل موعد مولده . فانظر لهذا التحذير والتخويف وأن المطلع على هذه العوالم معرض للخطر العظيم . ولتعلم اني أنا كنت أحب أن أقف على هذه الحقيقة من كلامهم فاستقرت نفسي الآن وانشرح صدري ورضيت رضاء تاما بما نحن عليه الآن من هذه الحال فلنسر في التفسير ولنشرح صدر من يقرؤه فلا يحزن على أنه لم يطلع على عوالم جيلة فان هذه قد عدوها شهوة نفسية توجب الانقطاع عن الله وجعلنا نحن أشبه بالسقط اذا سقط من الرحم قبل تمام المدة . ثم قلت له واني أيها الأخ لم أكن لأجاريك فيما سألتني عنه في هذا المقام مع خروجه عن موضوع تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى - الخ إلا لما أترقبه من توالي الحسرات والوساوس في قلوب الذين يقرؤون التفسير إذ يقولون لماذا يفتح الله على أمثال الديباغ ويتركنا وهذا الحزن يضرب بالقارى ضررا بليغا ويعطل رقى الأمم الاسلامية كما انه فعل ذلك مع آبائنا وقرؤنا في كتب المتقدمين أمثال ما ذكرناه هنا فتقطعت نفوسهم حسرات وأضاعوا الزمان في التلهف على درجة الكشف وهم في بحر لحي . أما الآن فقد حصص الحق واستبان السبيل واستوفينا هذا المقام عقلا ونقلا بحيث لا يبقى في نفس الأذكىاء من قراء هذا التفسير وأمثاله حسرة أولوعة بل يقرؤون ويعلمون الأمة ويسبرون في رقبها محبين للعالم ولله مرقين للشعوب الاسلامية خصوصا والانسانية عموما مريدون بذلك وجه الله

فيا أيها الأذكىاء اعملوا في هذه الدنيا كما تعمل الكواكب والشموس والأقمار تسير مطيعه لربها لا تبغى جزاء ولا شكورا . واياكم وأن تطلبوا حظوظ نفوسكم بل كونوا عبادا لله محاضين . هذا ما أرجوه لنفسي وسيكون هذا رجاء من يقرؤون هذا التفسير

هذا ولتكن أيها الذكي مفكرا في أهل زمانك فان الأمم الاسلامية اليوم على ما كانت عليه منذ قرون فانك ترى في كل قرية شيوخا لهم مريدون والنادر فيهم من فتح عليه وهم جميعا يتغنون بهذا القول يوهمون الناس انهم وارثون هؤلاء الأعلام فيجب تحذير الناس منهم فأكثرهم خطر على الأمة الاسلامية إذ يقولون لهم ان علم الغيب هو العلم الحق والناس محجوبون ويغضونهم في العلوم المشهورة وهذا ضلال فلقد تحقق أن تلك العلوم لا تحصل إلا للنادر منهم وهي في غير أوانها وأن أكثر من فتح عليهم يصحون سحرة وكهان . وبناء عليه اذا وجد المسلمون منهم من يخبر بالغيب فهذا ليس ولاية بل قد أصبح هذا الرجل كاهنا أو ساحرا فأما الولي الاسلامي فهو غير هذا ولذلك يجب تطهير البلاد الاسلامية ممن يدعون الاخبار بالغيب ولوصدقوا أو ممن تظهر على أيديهم الخوارق ليظهروها للناس فان هؤلاء غالبا ضارون بالأمم الاسلامية ولذلك أحسن مصطفى كمال باشا في طردهم من البلاد . فما أكثر هؤلاء إلا قوم عاطلون يأكلون من أموال الأمة ولا يعملون لها شيئا . هذا ولما أتممت هذا واطلع عليه صاحبي قال والله لقد أخرجتني من مأزق صعب . ذلك اني كنت أقرأ اسمين من أسماء الله تعالى قد حسبتهما بالجل لطابقا اسمي في حساب الجمل فكنت أقرؤهما كل صباح وكل مساء بمقدار عددهما طائفا أن الله سيفتح علي بهذه القراءة ويريني الجباب في الدنيا ولكن تبين لي الآن انني مخدوع لأن هذا الذكر ليس لوجه الله وأيضا لو فرض انني فتحت علي وشاهدت مافي قلوب الناس لم يكن لذلك فائدة واني أنلهي بما أشاهده من أحوال الناس وبما في قلوبهم وأعتقد اني وصلت الى الله ولم أصل في الحقيقة إلا الى شهوتي والى موافقة الشيطان فان نتيجة ذلك على فرض حصوله أن يعتقد الناس في يتقلبوا يدي ويأتوني بالخيرات من عرق جيئهم . وأي شيطان أصل من شيطاني حينئذ وهناك لا يكون للناس مني فائدة إلا اني أؤمهمهم بأني وقفت على علوم تقطع دونها الاعناق فيقفون متحسرين ويحقرن علوم المسلمين من تفسير القرآن وعجائب المخلوقات التي ستظهر فيهم وتنشر بعد ظهور أمثال هذا التفسير ويبقى

المسلمون في درجة الذل والاحتطاط وأوروبا تسبقهم هي وأمريكا والصين واليابان ويحيطوا ببلادهم من كل جانب وذلك كله بسرّ وصى وإطلاعى على المغيبات التي لا تفيد المسلمين إلا أن يعظموني . أنا أقول هذا وأنا موثق أن الشيوخ في بلاد الاسلام هذا شأنهم قد أضلوا المسلمين وأبعدهم عن العلوم فساءت الحال واعتسوا في شيوخيهم انهم أعظم العظماء حتى اني سمعت عن بعض المسلمين في بلاد الغرب انه قال هل سيدنا محمد ﷺ أعظم شرفا من شيخنا فلان وأنا لا أحب أن أذكر اسمه هنا لأن تلاميذه يعلّون الأقطار وإنما قال ذلك لأنهم يسمعون انه يطير في الجوّ ويحيي الموتى ويعمل أعمالا لم تسمع لشي من الأنبياء . هذا قولي وأستغفر الله لي وللمسلمين والمسلمات . ثم قلت ان ما شرحتة الآن هو الذي كان يجيش بنفسى لاسيما اني لما قرأت كتاب (راجا يوقا) المترجم من الهندية حديثا الى الانجليزية وجدت هذا الكتاب يجعل السعادة خاصة بمن يصلون الى ما وراء الحس ويكشف لهم عن عوالم الغيب مع انهم وثنيون ولهم ذكر خاص وريضة خاصة بأن يحبسوا النفس داخل الرئة أو خارج الفم وإنما يفعلون ذلك كله لأجل الكشف والظاهر أن هذا نقل كله الى متصوفة المسلمين المتأخرين ونوعوا فيه بدليل أن النقشبندية عندهم هذا النفس عينه ويمزجونه بذكر الله أما أولئك فيمزجونه بلفظ (اوم) وهي حروف ثلاثة تدل على الآلهة الثلاثة عندهم التي هي ثلاثة وهم واحد فهو كدين النصارى سواء بسواء . ولما قرأت هذا المذهب عجبت كل العجب كيف يقول هؤلاء انهم قد كشفت لهم العلوم وكيف يتبعهم قوم عندنا من المسلمين وهذه حال محيرة جدا ولعل الله أعلم الشيخ الدباغ والشيخ الخواص الذين عرفا هذه الحقائق ودونوها حتى نستأنس بها الآن في هذا التفسير فتكون أشبه بنبراس لمن بعدنا إذ يعلمون أن هذا الكشف هو الكشف الظاهري وأنه نوع من السحر أو الكهانة . ولقد كنت أحيى في أمرى وأقول اذا كان آرباب الكشف قد ملؤا بلاد الاسلام فلماذا ترى هذه البلاد متأخرة كما ان الهند كذلك وهل هذا الكشف قد سلخ المكشوف عليهم من الانسانية حتى تركوا اخوانهم في المذلة ولا يساعدونهم فأما الآن فقد عرفنا أن ذلك ليس مقصود الانسانية وأن هذه شهوات نفسية واننا نستعبد بالله منها وانها كمال والولد والذكر والصيت قد تغرّ الانسان وقد يضل بها أقوام وقد يصيرون مشعوذين مشعذين . فهذه الحال لا تدل على رقى نفس فهي كالرجل الموثوم (يفتح الواو) تنويم مغناطيسيا فليس حضور الروح به دالا على سمو المنزلة بالأخلاق العالية والمنزلة الشريفة في العلم والحكمة والفضيلة ومنفعة العموم . وأنا أرجو أن يكون قراء هذا التفسير هم الذين يبحثون في نفوس المسلمين الحية ويفهمونهم بما يفتح الله به عليهم . وانى أحد الله عز وجل إذ علما ما لم نكن نعلم وفهمنا هذه المسألة التي لم أكن آمل أن أقف على حقيقتها فاني كنت أقول أنا لا أقدر أن أحكم هذا الحكم إلا اذا كنت مطالعا على ما وراء الحجب أما الآن فقد علمت أنا وعلم كل من قرأ هذا التفسير حقيقة الحال من غير أن تقع في خطر كشف الحجاب الذي كنا نظن انه لا بد منه لمعرفة هذه الحقيقة واذن نقول ما قاله بعض كرام الصحابة (لو كشف عني الحجاب ما ارددت يقينا) انتهى

المهم ان المسلمين الذين أحاطت بهم الدول من كل جانب وقفوا حيارى بين مدارسوه في كتب السادة الصوفية وبين ما يشاهدونه حولهم من أعمال الأمم النافعة لهم وبغيرهم فهم أصبحوا عالة على الأمم ولا يبدون حرا كما وسكت علماءهم لأن نفس العلماء متحبرون . فسيرى المسلمون الكهرباء والمغناطيس والبخار وغيرها قد انتفع الناس جميعا بها وهم لم ينفعوا الأمم اليوم بشئ مطلقا فهم يقرؤن كتاب (الفتوحات المكية) لابن العربي وفي (الإحياء) للإمام الغزالي عن الفتح الرباني . وفي رسالة أيها الولد للغزالي أن هناك فتحا ربانيا به يرى الانسان ما وراء الحجب والمسلمون بين ذلك متحبرون هل ينقطعون عن العالم للذكر حتى يصلوا لهذا المقام أو يغمضوا الأعين عن كتب أسلافهم مرة واحدة كما فعل مصطفى كمال في أمة الترك أم ماذا يصنعون والله لقد حرم المسلمون من أمثال (توماس الفاديسن) الذي بلغ سن الثمانين في (١١ فبراير سنة ١٩٢٧)

والذى اخترع المصباح الكهربائى والآلة الحاكبة (الفونوغراف) وآلة الصور المتحركة (السينما) وغيرها حرم المسلمون من رجال العمل . وقد كان آباؤهم هداة العالم قاطبة . فلولاهم لم يكن أولئك المخترعون والمستنبطون كما تقدم فى سورة (التوبة) وغيرها . إذن فليكن ما كتبناه فى هذا التفسير وما كتبه العقلاء فى أئمة الاسلام نبزاسا . فليعلم المسلمون فى أقطار الأرض علما ليس بالظن أن محاولة كشف الحجاب قد خاف منها رجال الصوفية وجعلوها أشد ابعادا عن الله من المال والولد والله يقول - واتبعوا من لم يزدكم ماله وولده إلا خسارا - فالحسار هناك يكون أكثر كما تقدم . فليقم المسلم الآن بخدمة المجموع الانسانى كله ان أمكن والا فأى مجموع بقدر عليه وأذن يكون خليفة لله خالق الشمس والأفكار الطائعات لرب العالمين والحمد لله رب العالمين ﴿ النبات والديانات ﴾

ان الله أنزلنا فى هذه الأرض لاسعادنا وليس لاسعادنا أن يعطينا العلم أو الرزق ونحن ساكنون ساكنون ان الرزق اذا أعطى بلا اجتهاد والمال اذا أعطى بلا عمل وكذا العلم اذا أتى بلا كد ذهن والدين اذا نزل الى الأرض ولم يكن هناك فيه شبه تعترض العقول وتقف الشبهات المذكورة فى طريق فهم الديانات أصبحت الأجسام معطلة والعقول كاسدة فان الرزق لو عم الناس أجعهم بلاتعب لأصبحوا نباتا فان النبات يحيا ويعيش على العناصر المحيطة به والناس هم الذين يأتون له بالسجاد . لذلك جعل الله رزق الناس موقوفا على عملهم لتقوم بذلك أجسامهم وتجري دماؤهم وتصلح أحوالهم وتقوى عضلاتهم وأكثر الناس جهال لا يفهمون أن العمل الشاق لا بد منه لصلاح أجسامهم . لذلك حرم عليهم الكسل وألزمهم العمل لتحصيل القوت كى تقوى أجسامهم وتصلح حالهم وسلط الحشائش على زرعهم وتلك الحشائش تضعفه وتقال ثماره . فعلى ذلك كرما منه ليكثر مادة الحيوان من تلك الحشائش والحيوان لا قدرة له على الزرع ويحوج الانسان لازالته فتزيد قوته الجسمية وادراكه العقلى فى استنباط الحيل لزيادة ذلك

﴿ حياة الحيوان والديانات ﴾

هكذا ترى الحشرات والهوام والحيوانات الصغيرة المسماة بالمكروبات قد ساطها الله على الحيوانات النافعة فى ديارنا من الطيور التى تربي ومن حيوانات الحرث والسقى كل ذلك لينتلينا بالعمل لاصلاح حيواننا . وحيوانات الله التى أنزلها لاهلاك زرعنا وقتل حيواننا وكذا نباتاته التى ساطها على زرعنا وملأ به أرضنا جعلها معا يلائم السهل والجبل وملأ بهما الجو وأحاطنا بها من كل جانب وساطها علينا ولم يؤثر الجو فيها كما يؤثر فىنا وفى أنعامنا فجعلها أقدر على الزمهرير فى الشتاء والحرور فى الصيف ونحن وحيواننا ونباتنا ضاعف أمام كل شئ . هذا من الله لينتلينا مريدا بذلك تقوية أجسامنا بالعمل وعقولنا بالحيل . ولولا هذا لكنا مترفين منعمين منغمسين فى الملاهى فيكون الفناء العاجل . هكذا الديانات لو أن الدين نزل الى الأرض ولم يكن شبهات ولا خيالات كالدين الاسلامى وقبل الانسان القضايا ولم يبحث فيها ولم يكن بحث ولا تنقيب . لو كان كذلك لما انت العقول ولضاعت الأمم وأصبحت الأمة كلها من العامة الجهلاء فان الناس ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ عاتمة مقلدون . وحكماء محققون . وأوساط متشككون . فالعامة تابعون العلماء والحكماء وقفوا على الحقائق . أما الشاكرون فأنما هم الشبان الذين ارتقت عقولهم عن طبقة العوام ولم يصلوا الى طبقة الخواص فهؤلاء هم الذين يبتلون بالبحث حتى يصلوا فن وصل الى مرتبة الحكماء وعرف الحقائق فهم الذين قال الله فيهم - وليعلم الذين أتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم - وهو البرهان بعلم الحكمة كما تقدم . وأما القاسية قلوبهم فهم الذين حين شكوا تركوا النظر وحرقوا كل شئ وناموا فآلهم ليس عليهم ملام انما اللوم على الذين امتازوا عن العامة فعرفوا أن هناك شبهات لا بد من تمحيصها فأعرضوا عنها وما هذه الشبه إلا باب الحكمة والعلم فإذا تركوها بقيت فى عقولهم وترا كمت عليهم

واعلم أن هذا المقال الذي ذكرته قد رمى طيرين بحجر واحد فإن الشبه القائمة في الديانات على نفس الأنبياء وما نزلوا به تقوم على نظام الكون وجناله فكيف يكون الكون جبيلا منظما وخالقه هكذا يفعل إذ يوقع الناس في مشاكل في حقولهم وزروعهم ودياناتهم وأعمالهم . فالجواب قد عرفته في (الأمرين * الدين ونظام الطبيعة) فالشيطان يوسوس لبشك الانسان في النبوة قائلا ان القرآن ليس منزلا لما فيه من كذا وكذا ويوسوس قائلا ان هذا العالم ليس منظما فاذن ليس له خالق فيجاب بما أجبنا به مؤقنا وأن هذا باب من أبواب الحكمة فاجتهد أن يفتح عليك وسنرى من آيات الله العجب فتوجه الى الله وهو يملك - واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم -

(فصل في أن العقاب يجب أن يكون على قدر الذنب وتمثيل ذلك بإبلاخ كل من الليل والنهار في الآخر)
قال تعالى (ذلك) أي الأمر ذلك وقد استأنف سبحانه بعده فقال (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) ولم يزد في الاختصاص (ثم بغي عليه) بالمعاودة الى العقوبة . يقول الله ان من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك خلق على الله أن ينصره سواء أكان ذلك من الأمم أم من الأفراد (لينصره الله إن الله لعفو) يحو آثار الذنوب (غفور) يستأنف أنواع العيوب . وانما ذكر هذين الوصفين لأن من بغي عليه قد كان الأولى له أن يصبر ولا يعاقب الباغى لما جاء في القرآن من طاب العفو وكقوله تعالى - ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور - وقوله - وان تعفوا أقرب للتقوى - وقوله - فن عفا وأصلح فأجره على الله - فللنعم قد ترك الأفضل والله قد تكفل بنصره اذا بغي عليه مرة ثانية أيضا اذا عاقب بمثل ما عوقب به فهو عفو له غفور لتركه الأفضل وهو العفو عن الباغى منها على أن العفو خير وأبقى (ذلك) النصر (بأن الله يوجع الليل في النهار ويوجع النهار في الليل) أي ذلك النصر للظالم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن عجائب قدرته انه يدخل ساعات الليل في النهار فيأخذ الليل في القصر والنهار في الطول وذلك في فصل الشتاء والربيع ويدخل ساعات النهار في الليل فيجعلها في الليل ويأخذ النهار في النقص والليل في الزيادة وذلك في فصل الصيف والخريف ولا يأخذ أحدهما من الآخر إلا على مقدار ما أخذ الآخر منه وذلك في بلاد مصر لا بعدد أربع ساعات فأقصر نهار عندنا عشر ساعات وأطولها ١٤ وهكذا العكس فلا يأخذ النهار من الليل ولا يأخذ الليل من النهار إلا بحساب واحد فلذلك جمعت الانتقام من الباغى على مقدار جرمه لا يزيد ولا ينقص كما جمعت كل ليل لا يأخذ من كل نهار إلا ما أخذه الآخر منه

(١) فاذا كان ذلك في مصر أربع ساعات أي ان كلا منهما ينقص في النهاية ويزيد في النهاية عن الآخر أربع ساعات

- (٢) ففي أطراف الهند والصين يكون ساعتين
- (٣) وفي بلاد الهند وبعض البلاد الفارسية أربع ساعات كالقاهرة
- (٤) وفي البحر الاسود وقرب القسطنطينية ست ساعات
- (٥) وفيما يقرب من باريس وبرلين ونحو ذلك ثمان ساعات
- (٦) وفيما يقرب من بحر الشمال وما والاها (١٠) ساعات
- (٧) وفيما وراء ذلك ١٢ ساعة و ١٤ و ١٦ و ١٨ ساعة شمالي بحر الباطيق وفيما بينه وبين رأس الشمال تصل زيادة كل منهما عن الآخر في النهاية الى (٢٠) و (٢٢) و (٢٤) ساعة ثم تكون الزيادة بالأشهر ويكون أطول نهار يصل الى ستة أشهر وأطول ليل يكون ستة أشهر وهنا يتساوى الليل والنهار كما تساوى في خط الاستواء . ففي خط الاستواء كل منهما (١٢) ساعة دائما وفي القطبين كل منهما ستة أشهر دائما فيما بعد جزائر (جزولنده)

هذا معنى الآية . يقول الله ان الليل لا يأخذ من النهار ولا النهار يأخذ من الليل إلا على مقدار ما أخذ الآخر منه فانظروا حسابي في ذلك وافعلوا مثل ما فعلت ولا تنتقموا إلا على قدر الذنب لأن هذا هو العدل وأنا العدل وإنني أسست السموات على العدل وما سكتي قلم على العدل . هذا هو العدل وهو المساواة والانصاف في كل شيء . فإياكم أن تنتقموا فوق ما رسمته لكم لأنكم قد خالفتم القوائد التي رسمتها . وإياكم والحق على من عاقبتموه ودوام الغضب بل ارجعوا بعد ذلك للمساواة والاختلاف عدلي ونظامي فليكن كل شيء في أعمالكم وأخلاقكم بيزان وعدل . انني قد جعلت المساواة في كل شيء نموذجاً للعدل عندكم ورسمت لكم الخطة فتبعوها وأنا القائل . والسماء رفعها ووضع الميزان . فهذا هو الميزان . أن لا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان . فكما وزنت الزيادة والنقص في الليل والنهار بحسابي فزنوا أعمالكم في الانتقام كما وزنت أنا وإنني لن يراني إلا الذين يسيرون على صراطى وهذا صراطى فإياكم أن تحيدوا عنه . فأنا نصرت الذي بنى عليه كرة أخرى اذا كان عتابه الأول بمثل ما عوقب به لأنه فعل ما فعلته في الليل والنهار من الحكمة والمساواة (وأن الله سميع) يسمع قول المعاقب والمعاقب (بصير) يرى أفعالهما فلا يهمل مثقال ذرة (ذلك) الوصف بكمال القدرة والعلم (بأن الله هو الحق) الثابت في نفسه الذي هو مبدأ لكل موجود فاذا اختلف الليل والنهار وتناقص المتعديان من الناس فهو مصدر هذه الخلائق المتدخلة وهي تزيد وتنقص وهوانت لادارة شؤونها فالتحركات لا بد لها من محرك فان لم يكن ثابتاً فلا بقاء لها (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) لأن الأصنام وكل ما يعتقده في الألوهية غير ثابت إذ هو متغير تنتابه الأعراض كسائر الخلق (وأن الله هو العلي) على الأشياء (الكبير) عن أن يكون له شريك

﴿ لطيفة في قوله تعالى - ذلك بأن الله يولي الليل في النهار - أيضا ﴾

لما كان القول المنتقم في شأن المحاربة وانتقال وأن ذلك لازم لبقاء المساجد والكنائس وما أشبهها وقد طال المقام في منازعات أهل الأرض ومازغهم أراد الله سبحانه أن يفرح العقول ويخرجها من انحصارها في الامور الجزئية الأرضية الى باحات الجلال وساحات الجلال ويقول ارفعوا رؤسكم الى أعلى . إن قتالكم مع الكفار ونصركم عليهم وعقابكم للباغين عليكم ونصرى لكم ليس هو المقصود من الدين ولا من الحياة . هب انكم نصرتم على الباغين وعلى الكافرين . فهل هذا هو المقصود من وجودكم . كلا . هذه أمور أخلاقية والأخلاق اعتدالها صراط مستقيم والصراط المستقيم لا يقصد لذاته بل هو موصل لغايه . الصراط في الآخرة فوق جهنم يتوصل به الى الجنة ولا يمكن ذلك لكم إلا بالاتباع الصراط السوي في الدنيا بالأخلاق الفاضلة كالغنى او كالاتقام على قدر البغى وهذا كله ليس مقصوداً لذاته بل المقصود أن نفوسكم بعد هذا تنفرغ الى ما هو أعلى فالأخلاق في الدنيا يبدؤها الفتح بالعلوم فيهم يكون صراط لآخرة فالجنة على مقتضى الأخلاق في الدنيا والعلوم فيها بل ان أولى الأبواب من الناس في الدنيا يرون أن العلم في الدنيا والاتباع به جنة حقيقية محبت لهم ويفرحون بانوارها اذا آمنوا ماوجب عليهم على قدر طاقتهم لعباد الله ويقولون إنا اذا متنا زدا علماً وبقرون - وقيل رب زدنى علماً - وبقرون - نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم - وذلك النور هو العلم الذي كسبه في الدنيا ويقولون معنى ماورد ﴿ وعليون لأولى الأبواب ﴾ أى ان أعلى لذة للنوع الانساني الوقوف على الحقائق . ويقولون إن لذة الطفل بالفرايب حوله وازدياد الفرح بكل جديد عند سائر الناس مبادئ يعرف منها أن فطرنا لا سعادة لها إلا بالعلم . فاذا ذكر الله الليل والنهار في معرض القتال والانتقام وأبان كيف يكون العدل مع ان الناس لا يشعرون عادة بالنسبة بينهما فما ذاك إلا لأن الأمر عظيم وأن الحياة ظلمات والحكمة والوقوف على الحقائق نور . فاذا حاربنا فلتكن النهاية نصب أعيننا وهي الاغتيال بالعلم . واذا غفونا فليكن كذلك ولكن وجهة الانسانية العلم . وقد أصبح هذا العصر عصر العلم فلا دنيا إلا بالعلم ولا مال إلا بالعلم ولا ناز إلا بالجهل

ولا فقر ولا ذل إلا بالجهل . هذا هو السبب في ذكر الليل والنهار في هذا المقام . أفليس ذلك بمجيب فذلك
فلنفرحوا هو خير مما تجتمعون ويمثل هذا فتعرف بلاغة القرآن . هنا تتضاءل الفصاحة والبلاغة المجرّدة من
الحكمة والعرفان . هنا يذوب علم البلاغة المعروف . إن عالم البلاغة الذي لم يذق من علوم الحكمة حظا
ولا من علوم العجائب السماوية والأرضية كفلا خاق ليكون مقدمة لمن ينظر في العوالم فهو أشبه بصراط مستقيم
يتوصل عليه إلى جنة العرفان . فالبلاغة التي يدرسها الناس في المدارس أشبه إذن بعلم الأخلاق الذي لا علم
بالحقائق إلا بعد الاتصاف بضمونه . وإذا كان علم الأخلاق النفسي لا بد منه للوصول إلى الحقائق العلية في
السموات والأرض هكذا يكون علم الأدب اللفظي من البلاغة وما تحتاج إليه من العلوم كالنحو والصرف واللغة
والمعاني والبيان والبديع والاشتقاق والتاريخ وما أشبه ذلك فهي كطريق مستقيم يتوصل به المطلعون على عجائب
هذا العالم إلى فهم تلك الحقائق من القرآن . فإذا سمعت قول المبتدئين في العلم القائلين إن القرآن لا يعرف
إلا بالبلاغة العربية فاعلم أن تلك المعرفة هي الصراط الموصل لغيره وليست هي نفس علم القرآن والمقصود منه
كلا بل هي طريق يوصل لما هو المقصود وهو ادراك الحقائق مثل ما كتب لك الآن بعضها . فبلاغة القرآن
شيء ومعرفة معاني القرآن وعلومه شيء آخر فالمقدمات غير المقاصد والمقدمات بلام مقاصد شجر بلائمر وافظ بلامعنى
والقانع بها مغرور والله هو الولي الحميد اهـ

﴿ فصل في ذكر عجائب الأرض بعد عجائب السماوية ﴾

قال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) استفهام تقرير (فتصبح الأرض مخضرة) بالنبات (إن
الله لطيف) باستخراج النبات فيصل علمه واطفه إلى كل ما جل ودق (خبير) بكل تدبير ظاهر وباطن (له
مافي السموات ومافي الأرض) ملكا وخلقنا (وإن الله لهو الغني) في ذاته (الحميد) المستوجب الحمد بصفاته
وأفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم مافي الأرض) جعلها مذلة لكم معبدة لمنافعكم (والفلك تجري في البحر
بأمره) الجلة حال (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه) لإبمشيته - يوم تبدل الأرض غير الأرض
والسموات - فترجع الأرض والسموات رتقا كما كانتا رتقا وقد تقدم إيضاحه في ﴿ سورة الأنبياء ﴾ إذ تصير
كرة الشمس وجميع السيارات حولها في حال كالحال الأولى مشقة مفرقة ثم تصير كرة نارية وهكذا (إن الله
بالناس لرؤف رحيم) إذ جعل هذه العوالم بنظامها الحالي ولم يرجعها إلى الحال الأولى فيبقى ما عاينها وتكون
هي كرة نارية غازية (وهو الذي أحياكم) بعد أن كنتم جادا مما سبب لكم من بقاء العالم على هذه الحال ولم
يبعثكم فتصطلك الأرض بالسموات (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) بالبعث (إن الإنسان
لكفور) لجود نعم الله لأنه محفوظ محوط بأنواع النعم وهو لا يشكر عليها

﴿ لطيفة في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - ﴾

نرجع إلى مسألة الحرب كرة أخرى ولننظر كيف ذكر الله أنزال الماء من السماء في حيز الكلام على الانتقام
بعد أن ذكر أولا إبلاج الليل في النهار . يقول الله إن الانتقام من الباغي يكون بالعدل كما عدلت وأنا خلقتكم
للعلم فلتكونوا علماء . فهكذا هنا يقول أفلم تنظروا إلى الأرض كيف أنزلنا عليها الماء من السماء فاخضر
النبات . اعلم أن الأمم إن لم تهذبها الحوادث ولم تؤدبها الكوارث ولم توقظها النوازل ولم تعلمها التجارب
بقيت بلهاء نائمة نائمة . فالأمم كالأفراد لا يقومون من غفلاتهم ولا يستيقظون من نومتهم إلا بموقظات الأيام
ومزعجات الليالي . ولعمرك لم يبعث الحرب الكبرى في أمم الغرب والشرق (سنة ١٩١٤) إلا تلك الكتب
التي أبرزها علماء الألمان قائلين ﴿ الأمة بلا حرب ميتة ﴾ فإذا رأينا أمة قد غفلت أبنؤها وجهل شبانها وتنعما
وانغمسوا في اللذات فلينزل عليها مطر الحرب وليسبب لها امطار القنابل ونيران الصواعق المرسلات من
الطائرات ولنزعجها الجيوش الجرارة والحفافل السكرارة في حنادس الظلم وفي حجارة القبط . هنالك نبت يسها

ويخضر شجرها وتزهر حدائقها بأفانين الحكمة وأزاهير العلم . هنالك يستيقظ الشبان من سباتهم . هنالك الأفراح والمسرات . هنالك تتهيج البلاد . إن البلباء والمنايا رافعات الأعلام في الأمم مثيرات كوامن الأخلاق والمواهب والسجيا . لن تظهر كوامن الأخلاق وعجائب الغرائز وصنوف الفضائل إلا بانزال ماء المحن عليها فهنالك تهتز النفوس وتنبث من كل زوج بهيج من المكارم والسجيا والفضائل والمزايا . هذا ملخص مقالته علماء الألمان حتى أناروا نائرة الحرب الكبرى . وقد قال ذلك من قبلهم (سقراط) في كتابه إلى الاسكندر وقد تقدم في هذا التفسير وهو أن الأمم لا تطيق النعيم والراحة والدعة فان ذلك يمت العزائم ويحمد لهم وانما يرفعها إلى الملا اءمة الأعمال وانارة العزائم . أقول فمال الرصاص المنهاتل ولا القذائف من القنابل إلا كالطلل والوابل أصاب أرض النفوس فأنبث ربحان الهمم وأشجار الحكم فأزهرت وأثمرت وأغنت الواردين والصادرين ولقد جاء في علم الأرواح أنهم سئلوا عن الحروب فأجابت إحداها قائلة : إن الحوادث العظمى في الأرض والحرب الطامة تكون لغرض أحداث تبدل عام في نظام أرضكم وتكون فيها أرواح قد حلت الأجسام الأرضية غير صالحة للارتقاء فيصل بها الفناء وتسكن أخرى أعلى منها أرضكم بحيث يخلق الله في بطون الأممات أرواحا أرقى عزيمة من أرواح الموجودين فتعمل على الذاهبين ولذلك يكون الاختراع والتقدم دائما بعد النوازل العظيمة كالحروب الطامة والزلازل والوباء . انتهى

فانظر قول علماء الألمان وقول (سقراط) وقول الأرواح . أليس هذا عين ما في القرآن . أليس ذكر اخضرار الأرض بعد انزال الماء عليها هو عين ارتقاء النوع الانساني بعد الحروب والرصاص والوباء والزلازل والاهلاك العام في بقعة أوجهات متعددة . لعرك إن هذا من أسرار القرآن . إن من يسمع القرآن وهو لم يدرس الحكمة واكتفى باللغة العربية وتوايعها وبلاغتها يظن أن ذلك تكرار وتكرار فأنه ذكر في أول السورة انه ينزل الماء على الأرض فتتهز وتنبث من كل زوج بهيج يستدل به على البعث . وهنا ليس لذلك ولاغيره بل ليدلنا على ما ذكرناه وأن الأمم يتجدد شبابها بالحروب ويقاس عليها النوازل الكبرى كالزلازل والوباء العام . ان من يسمع القرآن وهو لم يدرس العلوم لأشبه بمن يسمع لغة أجنبية وهو لا يفهمها فانه يظن أن كلماتها عبارة عن نعمة واحدة ليست مفصلة ولا مختلفة كمن يرى الشبح من بعيد فانه لا يعرف أعضائه ولا ماهو . هكذا نحن نرى الكواكب وهي لبعدها عنا لا نرى فيها إلا قطعا لماعة كالماس ولا نرى ما فوق ذلك هكذا كل علم وكل فن نجعله ومن ذلك القرآن . فذكر اخضرار النبات مرة بعد أخرى وذكر ايلاج الليل في النهار وايلاج النهار في الليل في مواضع مختلفة يجعل أكثر الناس لا يعلمون ما المقصد من هذا التكرار والعلم هو الذي يجلي الحقائق . إن القرآن لا يعرف إلا بقراءة علوم طبيعية ورياضية وفلكية وسياسية واجتماعية وروحية والله الهادي إلى سواء الصراط اه

﴿ بهجة العلم في قوله تعالى أيضا - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير - ﴾
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على نعمة العلم والحكمة . اللهم إنا نحمدك على ما علمت وعلى ما نشرت من الحكمة في الشرق والغرب وعلى ما ألهمتنى فألفت كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ في نحو سنة ١٩١٠ أي قبل كتابة هذه الأسطر بنحو ١٨ سنة وأحدك على أنك شرحت صدرى لهذا التفسير وأني ذكرت فيه كثيرا من الحقائق العلمية والسياسية وقلت إن الشرق والغرب يجب أن يكون عقلاؤهما وعلمائهما متحدثين لارتقاء نوع الانسان وانهم الآن لجهلهم قد تركوا مواهب العقول مبعثرة هنا وهناك ومنافع الأرض والهواء والأضواء متروكة منبوذة وهم هائمون في ضلالهم جادون في غوايانهم وحروبهم يأخذون زيدا من المال جهالة وبذالة وقد ترك أضعافه وأضعاف أضعافه في خبايا الأرض وخفيات الطبيعة ونسي السواك وعظماء الأمم في كل أمة من الأمم أرضا منبوذة لا تزرع ومنافع مهجورة لا تعرف ذلك للجهل العام في هذا العالم . فالأرض الصالحة لا تزرع

في الأمم المنبوذة المهجورة تنادي بلسان فصيح قارئة قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - . اناء ينزل من السماء ويملأ الأنهار والأنهار تجري على اليابسة وتموت الناس غافلون عن اعظام نظمها . هـ - انهار النيل ببلادنا يجري الى البحر الأبيض المتوسط ويقولون إن البلاد بها نحو مليون وسبع مائة ألف فدان تصلح للزراع ويريدون أن يدبروا الماء الواجب لها حتى تخرج للناس رزقا . هذا مثل واحد من أمثال كثيرة . فالتاس لشربهم في الشرق والغرب يتركون أمثال هذا أضعافا مضاعفة في كل أمة وتمتد أعينهم الى مافي أيدي اخوانهم جهالة قديمة العهد توارثتها الأمم كبرا عن كابر لأن العقول لم تكن مهياة لأن تعقل - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - فليس الرزق خاصا بانتهاب مافي أيدي الناس قاصرا عليه بل هنا رزق أوسع وهو أن الأرض تخضر بانزال الماء عليها . إن الأمم لم تكن عندها مواصلات كما في عصرنا ولم تكن العقول وصلت الى هذا النمو وعلى قدر اختلاط الأمم واتصالها يكون التفاهم والتعقل وسيعرف الناس قيمة الأرض وزرعها ومنفعتيها ومنافع الاشتراك العام في الثمرات ان الأرض لله والناس كلهم أمة واحدة كما سيأتي في سورة (المؤمنون) وكل أمة قسرت في تعليم أبنائها أوفى نظام أرضها أوفى استخراج منافعها العامة فالأمم كلها يجب عليها أن تشاركها في استخراج تلك المنافع طوعا أو كرها وتلتزمها بذلك وتأمرها بتعليم جميع من فيها . إن في كل أرض من المنافع ما ليس في غيرها وفيها من الخواص ما ينفع المجموع في السكرة كلها وتقويت خواص أرض في أمة من أمم الأرض أو خواص عقل من عقول أبنائها حرمان لأهل الأرض كلهم من تلك الخواص في الحالين . فلكل الأمم الحق في مطالبة كل أمة بابرار ما لديها من المواهب العقلية والخواص الأرضية وغير الأرضية . هذا هو الذي كتبت معناه في كتاب (أين الانسان) وعرفه أهل أوروبا وكتبوا فيه . وأنا أزيد عليه الآن ما لم أكن أعلمه إذ ذاك من العلم - وفوق كل ذي علم عليم -

هل كان يخطر لأهل العلم أن النبات كالانسان سواء بسواء . هل كان يخيل لنا ونحن ندرس في الفلسفة القديمة ونقرأ فيها أن النبات يحس بالضوء وبالجهات بدليل أنه يميل الى جهة النور اذا نفذ من نافذة وينحرف عن الظلعة وأنه يسير على حبل نصب له بين حائطين ولا يميل عنه وأنه يميل الى الرطوبة ويتجافى عن اليبوسة بعروقه الضاربة في الأرض . وبالجملة له احساس بما يلائمه احساسا مهما . أقول هل كان يخطر لنا ونحن نقرأ تلك الفلسفة ثم نكتبها في هذا التفسير في (سورة الرعد) ونحن نوازن هناك بين القديم والحديث . إذ رسمنا هناك بالتصوير الشمسي أنواعا من النبات الذي يصطاد الحشرات ويضمها وقد رسم بعضه وهو قابض على الحشرة ليدخلها وقد زود وقوى بالعسل والشكل الجليل وبالدهاليز المسواة المنمقة المساء التي تغري الدباب بالولوج حتى اذا دخل المكان فرحا بعسله وجاله ونموته انقضت النبات عليه فافترسه افتراس الآساد للغزلان والتمور للبقر الوحشي . أقول هل كان يخطر لنا إذ ذاك أن عالما نباتيا يظهر في الهند في أيامنا هذه ويقابل الوزير المصري أثناء طبع هذه السورة تقريبا في أوروبا ويدعوه الوزير المصري الى مصر ويحضر اليها ويلقى محاضرة في دار (الجمعية الجغرافية) يوم الاثنين ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٨

ان هذا العالم المسمى (جاجاديس بوز) الهندي قد برع في هذا العلم حتى اخترع ما لم يخترعه أحد في أوروبا ولا في اليابان ولا في أمريكا إذ وصل علمه الى أن النبات كالانسان سواء بسواء فهو يحس وهو يتحرك وله دورة عصارية (أي بعصرة النبات) كالليرة الدموية للانسان وله احساس بألياف جعلته يحس أسرع من احساس الانسان وهو يمرض ويتأثر بالسم ويشفي من المرض بعقاقير طبية . وبالجملة أصبح النبات كالانسان سواء بسواء في كل أحواله وكأنه نطق بقوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتا - فاعجب كيف جعل الله الانسان نباتا وهذا العالم (جاجاديس بوز) يقول كذلك بل انك ستري في نص خطبته وتجد به أن الشرارة الكهر بانية

أثرت في النبات قبل أن تؤثر في الإنسان كما استراه قريبا . أفلا ترى أن هذه نعمة أنعم الله بها علينا إذ أرسل هذا العالم الخطيب الى مصر أثناء طبع هذه السورة لتجعلها درسا وشرحا لما في هذا التفسير من العلم ومن نظام الأمم العام . ومن عجب أن القرآن أكثر من التمثيل بالنبات في أطوار كثيرة فإن زهد في الدنيا قال - إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الخ وإن استدلل على البعث قال - وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت - وهكذا والعامة يقولون ﴿ إن الإنسان نبات مقلوب أغصانه يده ورجلاه ورأسه هي جذر النبات ﴾

إذا عرفت هذا فلا ذكر لك خطبة هذا العالم الذي قام دليلا على ما قبله في كتاب ﴿ أين الإنسان ﴾ من أن عالم الشرق ينفع الغرب وبالعكس وأن جهل الأمم يمنع العلم عن بعض أمم الشرق الضعاف للأمم كلها ومنها تلك الأمم المستعمرة لغيرها لأن ثمرات العقول في الأمم المغلوبة قد ضاعت على الناس جميعا وعلى هذه الأمة القاهرة . ذلك العالم الذي أدخلته النمسا في المجمع العلمي لديها وزاره ملك (بلجيكا) في معهده العلمي (بكالستا) . ذلك العالم الذي أدهش نوع الإنسان باختراعه فقد كان الناس قد اخترعوا (الميكروسكوب) الذي يحسم الأشياء أنى مرة ولكنه هو اخترع (كروسيكوغراف) يكبر الأجسام خمسين مليون مرة وهذا أمر عظيم وبهذا أظهر لنا سر النبات الذي يحس أكثر من الإنسان . وقبل أن أنقل اليك الخطبة بهذا فيرها أضرب لك مثلا في إحساس الإنسان وحركته لأن إحساس الإنسان وإن كنا نعرف ظواهره فيه خفايا وغرائب تحتاج الى ضرب الأمثال

﴿ طرق البريد وطرق المواصلات في يد الإنسان ﴾

سترى في سورة (المؤمنون) في نفس هذا الجلد عند ذكر الإنسان ونموه أنى سأشرح لك نظام اليد الانسانية مقتصر عليها لتكون نموذجا لمعرفة غرائب جسم الإنسان . فسترى هناك أن اليد الواحدة من يدي الإنسان قد وجدوا لها (١٢) طبقة . ولما كان هذا الشرح ستراه هناك عدلت هنا الى ضرب مثل ليكون تنويعا في الشرح مع سهولة في التعبير لمناسبة ما هنا حتى نقيس عليه عجائب النبات حتى اذا قرأت خطبة العالم الهندي فهمت معنى ألياف الحس وقوة الحركة في النبات فلا مثل لك اليد بمدينة عظيمة وهذه المدينة عليها سور من الخارج يحفظها ومتى دخلنا من باب السور وجدنا (ادارة البريد البرق) أى التلغراف الذى لاسلك له ووراءها (ادارة الطرق والمواصلات) ووراء هذين (أنابيب المياه) لسقى أهل المدينة

هذا كله حاصل في يد الإنسان من جهة ظاهرها وحاصل نظيره فيها من جهة باطنها وتفصيله كما ستراه هناك موضعا بعضه بالتصوير الشمسى . إن ظهر يد الإنسان عليها جلد فهو أشبه بسور المدينة وتحت الجلد مباشرة أعصاب الحس - أى التى توصل ما يقع على الجلد من إحساس بمكروه ومحبوب الى المخ ولولا هذه الأعصاب المواصلات لم يحس الإنسان بحرق يده أو بقطعها فيضرب أو يحرق وهو لا يحس - بألم . فهذا الاحساس مركزه في الدماغ وفى داخل الفقار أى فى الجهاز العصبي . فهذه الأعصاب عليها مدار الحياة إذ لو لم تكن تلك الناس والحيوان عن آخرهم وهم لا يشعرون . ثم وراء هذه الطبقة طبقة أخرى يشرحها علماء الطب بأيديهم مستقلة فيها أعصاب الحركة . ومعنى هذا أن أعصاب الحس - حينما توصل الخبر بالضرر أو النافع وبالألم أو السار من الجلد الى المخ تأمر القوة الحاكمة فى المخ بأسرع من لمح البصر أعصاب الحركة أى التى فى الطبقة التى تحت هذه الأعصاب التى سميناهنا (ادارة المواصلات) كالطرق الحديدية والطيارات وأنواع السيارات . فهذه الأعصاب أى أعصاب الحركة تقبض اليد مثلا أو تبسطها أو نحو ذلك من الأعمال المختلفة . فإن كانت تلك الأعصاب من جهة ظاهر اليد بسطت وبالعكس فإن أمرت القوة العاقلة فى المخ أعصاب الحركة بقبض اليد مثلا هيأت أعصاب الحركة التى فى جهة باطن اليد فقبضت اليد وإن أمرتها بالبسط هيأت أعصاب الحركة التى فى جهة ظاهر اليد

فبسطت اليد . فلبسط أعصاب وللقبض أعصاب والمخ هو الأمر لكل حال بما يتناسبها
إذا فهمنا هذا في أمر اليد فهمنا ما معنى الاحساس في الحيوان وما معنى الحركة . وإذا عرفنا أن وراء
أعصاب الحس في اليد وأعصاب الحركة الأوردة والشرابين التي تغذي الجسم بالدم فهمنا معنى قول هذا العالم الهندي
أن في النبات عصارة تفعل فعل الصورة الدموية في الانسان

فلخص ما أتى في أمر اليد أن هناك سورا يحيط باليد ووراء السور طرق البريد بجميع أنواعه ووراء
البريد طرق الحركة والأعمال بجميع أنواعها ووراء هذه الطبقة الأنهار والترع والخلجان وهذا الترتيب عجيب
فإن وضع الطرق البريدية والبرق (التلغراف الذي له أسلاك أولاسلاك له) وراء الجلد الذي سمينا سور المدينة لأجل
أن تصل الأخبار حالا إلى المخ ولولم يكن هذا الوضع على هذا النظام لاختل أمر الحياة لأن الجاد إذن لا يحس بما
ينتابه من قطع أو حرق فيهلك الانسان لعدم الاحساس لأن الاحساس قد وضع بعيدا عن هذه الطبقة وهذا
سرت عجيب وحكمة منظمة غريبة . ومعالم أن ما بعد العلم إلا العمل والعلم مقدم على العمل والعلم هنا يكون
بأعصاب الحس فوجب أن تكون أعصاب الحركة نالية لها ليكون العمل . لذلك كانت أعصاب الحركة
تحت أعصاب الحس كما نرى سلوك التلغراف في بلادنا المسرية فوق الأعمدة المنصوبة . ونرى القصب المنصوبة
أسفل منها على الجسور وعليها القطارات تمر . ولا جرم أن هذه تقابل أعصاب الحركة في اليد ثم اننا نشاهد
على جوانب الجسور التي عليها قضبان السكة الحديدية ترعا جانبية تسقى الحقول . فهنا أسلاك التلغراف تحتها
قطار السير في الأرض وتحتها الأنهار لسقى الأرض وهذا كذلك سواء بسواء فأعصاب الحس في مقابلة أسلاك
التلغراف وأعصاب الحركة تحتها في مقابلة قطار السكة الحديدية والشرابين تحت ذلك في مقابلة الترعة التي بجانب
الجسر الذي عليه تجري القطارات . بقل الله الذي شرح لنا ما في أجسامنا باظهار نظيره في الخارج وأصبنا
نرى الأعمال في المدن تضارع أعماله هوى أجسامنا وأجسام حيواننا وأجسام نباتنا . اللهم إني أحمدك حمدا
كثيرا على نعمة العلم وعلى نعمة الايضاح ونعمة الفهم إذ فسرت لنا بهذه الأعمال قوله تعالى - وفي الأرض آيات
للوقين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون -

يقدم الله الآيات التي في الأرض على الآيات التي في الجسم . لماذا . لأننا لانفهم الآيات والمجانب التي في
نفوسنا إلا بعد أن ندرس المجانب التي في الأرض كما رأيت الآن إذ صارت طرق سكة الحديد والترع بجوانبها
والتلغراف من فوقها هي عينها نفس ما في أيدينا وما في أجسامنا وما في حيواننا وما في نباتنا من الترتيب والنظام
البديع . هذا ما أردت أن أقدمه لفهم محاضرة الأستاذ (جاجاديس بوز) الهندي فهناك نصها

قام السر (جاجاديس) فسهق له الحاضرون وبدأ بالكلام على الرابطة بين الشرق وبعضه وقال إن
العلم لا وطن له ولادخل للدين في البحث العلمي . وقد قولت هذه الكلمات بالارتياح والاستحسان . وعمل
السر (جاجاديس) تجربة دلت بها على أن النبات يحس أكثر من الانسان فقد أوصل شرارة كهربائية إلى
بعض الأشخاص ثم أوصلها للنبات ولم تحدث الشرارة تأثيرا في الشخص ولكنها على العكس أحدثت اهتزازا
في النبات ثم سلط بعد ذلك شرارة قوية على النبات فأما نتته ثم امتحن النبات على أثر الحادث بجهاز يميز الحياة
من عدمها فثبت أن النبات قد مات . وأجرى تجربة أخرى فوضع مقدارا كبيرا من السم على النبات فحدثت
به اهتزازات تدل على الفناء . ثم أخذ المحاضر مقدارا من مستخرج نباتي خاص وألقاه على النبات فعادت
إليه الحياة . وكانت كل هذه الأعمال موضع الاهتمام من الحاضرين واستخدم القانوس السحري أثناء إلقاءه
المحاضرة وقد ظن يلقبها ساعة ونصف ساعة وهذا تعريها

ليس في تاريخ الجنس البشري حوادث ذات مغزى مثل قيام المدينيتين العظيمتين على ضفاف نهري
النيل والكنج . وقد كان هناك اتصال فكري منذ (٢٢) قرنا مضت بين البلدين العظيمين (مصر والهند)

عند ما أرسل ملكنا العظيم (اسوكا) رساله الى هذا القطر وأوصاهم أن يقدّموا معارفهم وأن يعتمدوا بالشعب ويرتبطوا به برابطة الاخاء . فلما جاءتني الدعوة التي وجهتموها اليّ أحيت في نفسي ذكري الماضي . ولقد لقيت من الوزراء دعوة الشرق الحارّة ورأيت من الشعب ما جعلني أشعر بأنني واحد منكم فقبلت ما اقترحهتموه عليّ وعوّان أنخذ بعض الطلبة منكم تلاميذا لي لأطعمهم على الطريق الحديثة التي تميّط اللثام عن السرّ العظيم الذي تكنه الحياة . ومع ان العلم ليس متاعا خاصا بالشرق أو بالغرب وهو عام يشمل جميع الأمم والشعوب فان الشرق يصلح لتقديم مساعدات كبيرة لترقية العلم بفضل عقائده ومواهبه الموروثة التي تلقاها من جيل الى جيل . أما النصوص الشرقية المنقّدة التي تستطيع أن تستخلص من مجموعة الحقائق المتناقضة في الظاهر نظاما جديدا في الوسع ضبطها وكبح جماحها بقوة التركيز والمادة التي جربنا عليها في حصر الفكر . وهذا الضابط هو الذي يمنحنا القوة التي تساعدنا على استقصاء الحقيقة بصير لاحت له . ولما كان السالم أجمع يعتمد بعضه على بعض فقد زاد تراث الجنس البشري ونما بفضل التجري الفكري المستمر الذي يفيض علينا جيلا بعد جيل . ولا ريب أن الاعتراف بهذا الاعتماد المتبادل هو الذي ربط الشعوب البشرية العظيمة وقيدها معا ضمن استمرار المدنية ودوامها

﴿ حياة النبات والحيوان ﴾

إن الرأي المتفق عليه اجالا هو أن حركة الحياة الميكانيكية تختلف في الحيوان عنها في النبات اختلافا كبيرا . فالحيوان يحسّ ويتأثر بهزّة كهربائية سريعة . أما النبات فيعدّ اجالا بأنه لا يحسّ بضربات متوالية وللحيوان أنسجة نابضة لدورة الدم المغذى بخلاف النبات فان الزغوم انه لا يشتمل على أنسجة نابضة وأعضاء الحواس في الحيوان تلنقط رسائل الحوادث الخارجية وتنقل اختلاجاتها بواسطة الأعصاب فتحدث حركات عكسية أما النبات فالزغوم أنه خلو من مثل هذه الأنسجة الناقلة . وعلى هذا فالظنون أن هناك مجريين للحياة يجران جنباً الى جنب دون أن تكون لأحدهما علاقة بالأخر ولكن هذا الرأي خطأ في خطأ وكان من جراء النظريات الفاسدة وما أحدثته من أثر أن عرقل تقدّم العلوم والمعارف . والعقبة الحقيقية التي عرقلت سير البحث في حياة النبات هي الحقيقة الواقعة وهي أن تفاعل الحياة يقع داخل الشجر المظلم الذي لا يستطيع عبورنا اختراقه والوصول اليه فكان لابد لنا والحالة هذه من اختراع آلات غاية في الدقة والحساسية تستطيع الوصول الى أصغر وحدة من وحدات الحياة لتدوين نبضها وهزّاتها . وقد كان اختراع (الميكروسكوب) الذي يحسّم الأشياء أني مرة عهدا جديدا في تقدّم علم الحياة . أما جهازى المعروف باسم (كركسيوغراف) الذي يكبر الأحجام تكبيرا هائلا يبلغ خمسين مليون مرة فقد أخذ الآن يميّط اللثام عن غرائب عالم جديد قبدأ النبات نفسه يكشف عن أسرار حياته الخفية . وقد صنع هذا الجهاز هنود ميكانيكيون تدربوا في معهدى . ومعلوم أن التقدّم الاقتصادى في أية بلاد يتوقف على التقدّم فى الاكتشاف والاختراع . ومن هذه الوجهة يستطيع العقل الشرقى اظهار ما فيه من قوى كامنة . وقد كانت النتائج الجديدة التي حصلنا عليها في معهدى فيما يتعلق بتأثير العقاقير الطبية فى الحيوان والنباتات ذات شأن عظيم فى ترقية الطب . وقد كان لمراقبات النموّ التي سجلها جهازى المجهر الفائق فضل فى جعل تفاعيل النموّ من المراتب وتسنى بواسطة تحديد ناموس النموّ ومعرفة هذا الناموس من الامور الجوهرية للتقدّم فى الزراعة العملية التي يتوقف عليها اعداد المواد الغذائية للعالم

﴿ النبات أشدّ إحساسا من الناس ﴾

ما كان للناس يظنون أن النباتات العادية حساسة أما الآن فقد عرف ذلك بالاختبار العجيب بواسطة الجهاز الذى يسجل أدنى حركات التقلص

﴿ نزع الموت في النبات ﴾

وضعت نباتة في الكرسي الكهر بائى بعد بلها قليلا لتسهيل سير الكهر باء فيها وقد ظلت النباتة هادئة هنيئة كما تبين ذلك من ثبات خط الضوء المنعكس من الجهاز الجسم ثم أدير مفتاح كهر بائى فسمع دوى كالرعد في الجهاز فأحدث ذلك تقلصا من النباتة واندفع خط الضوء بعنف الى اليسار ولكن النباتة لم تكن قد ماتت بعد ثم سمعت دمدمة التيار الكهر بائى المهلك أعقبه تقلص آخر شديد وانحرف خط الضوء مباشرة نحو اشارة الموت الذى لارجوع بعده الى الحياة وقد سلط تيار آخر على النباتة ذاتها فلم تتأثر بل سكنت سكون الموت

﴿ دورة العصاره ﴾

إن الدورة الدموية في الحيوان يسببها دفعات الأنسجة النابضة التي تتخذ في الحيوانات الدنيا شكل أنبوبة مستطيلة وهذه الدفعات تسير الى اتجاه خاص بواسطة حركة دودية في النبات أيضا وبها تقوم الدورة العصارية في النبات . وأعجب من ذلك ما للعقاقير من التأثير نفسه في ضربات النبض في الحيوان والنبات سواء . وقد بلغت دهشة الحاضرين أشدها عندما عرض (السرجاجاديس بوز) أمامهم تأثير السم وترياقه في ضربات بعض النبات فان استعمال السم جعل النبض يضعف شيئا فشيئا على حين كان ضغط العصاره الذى هو بمثابة ضغط الدم في الحيوان ينخفض باطراد حتى كاد يتلاشى وكانت النباتة في هذه الملاحظة تحتلج بحيث لومات قليلا شطر الموت لوقف دولاب حياتها ثم استعملت كمية من خلاصة نبات هندي فشاهد الحاضرون إذ ذاك النضال بين الحياة والموت الى أن تغلب فعل الترياق في النهاية فاستطاعت النباتة الإفلات من مخالب الموت وعلى هذا المنوال اكتشف تأثير عدد كبير من النباتات الهندية وخاصياتها الطبية التي لم تكن معروفة قبلا وفائدة بعض هذه النباتات هي أعظم جدا من أية عقاقير أخرى معروفة في عالم الطب وقد وقع فعلا أن استعملت خلاصة إحدى هذه النباتات في ضفدع سكن قلبه كلية فعادت اليه الحياة . ولاريد أن هذا البحث سيؤدى الى وضع (فرماكونيا) جديدة تضاف اليها من العقاقير لتخفيف آلام الانسانية وأوصيها

﴿ تدرج الحياة من النبات الى الحيوان ﴾

يمكننا أن نتبع مدارج سلم الحياة الطويل ونرى أن النبات هو أقرب اليها كثيرا مما كنا نظن ونذكر أنه ليس نموا نباتيا غسب بل ان أليافه الدقيقة كلها إحساس وقد تبين لنا أن النبات يتأثر بالصدمات الخارجية بحركة تقلص تبدو منه وأن جسم النباتة يرتبط بعضه الى بعض بخيوط موصلة حتى ان الهياج الذى يحدث في أى جزء منه يسرى فيه كله . وقد تسنى لنا أن نسجل ضربات نبض حياة النبات ونجد انها تقوى وتضعف بحسب درجة قوة الحياة فيه وانها تسكن عند موت النباتة ونرى من هذه الحال وغيرها من الأحوال الكثيرة أن تفاصيل الحياة في النبات والانسان متشابهة وانه بالاختبارات التي يمكن أن نجريها في النبات يتسنى لنا أن نخفف آلام الناس وأوجاعهم ﴿ انتهت الخطبة

هذه هي الخطبة التي خطبها ذلك الضيف الهندي النابغة في علم الحيوان وبه صح ما ظننا قلته في هذا التفسير كما سيأتى في سورة (المؤمنون) عند قوله تعالى - وأن هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاقون - وأن الناس جميعا يساعد بعضهم بعضا في العلم وأن الانسانية اليوم لا تزال طفلة جاهلة في العلماء في الأمم إلا كالملائكة وما الدؤاس في الأمم إلا كالملائكة ظاهرا وكذئاب ووحوش باطنا فهم ذئاب يلبسون لباس الملائكة هذا هو العالم الأرضي الآن وربما يأتى زمان يصبح الناس في هذه الأرض كلهم متساوين فهم إذن يسعدون سعادة لم يحلم بها نوع الانسان . ولكن إياك أن تقاض أن أهل الأرض مهمما نالوا من الاتحاد والعلوم يصلون الى منتهى السعادة في هذه الأرض بل ينالون سعادة نسبية . ألا ترى أن أهل الأرض اليوم محبوسون فيها لا يستطيعون الصعود لعالم الأفلاك وهم في هذه الأرض ولا يقدرون على الصعود في جوارضها إلا بطيارة

لها شرائط مخصوصة فإذا اختل شرط منها أحرقت النار وأحرقت من فيها كما قال تعالى - يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان * فبأي آلاء ربكما تكذبان - وإنما لم يكن لهم سلطان على ذلك لأن الأرض اليوم تجذبنا إليها بشيء يقال له الجاذبية وما هذه الجاذبية إلا نوع من المقامع المذكورة في أول السورة لأن أرضنا من عالم المادة الغليظة فلها بجهم نوع شبه فعندنا مقامع يقعدنا في الأرض ويبعدنا عن الجؤ ومقمامع يؤلمنا بالجوع وآخر يؤلمنا بالعطش ثم الشبق ثم بالغضب ثم بالطمع ثم بالحسد الخ فعندنا الآن مقامع تعذب بالعشرات كلها تؤذيها وتقهرنا على الأعمال للضر والنفع والجلب والدفع فهي كالمقامع الحديدية في جهنم . فهنا نحن أولاء نحس - بدافع يدفعنا عن الارتفاع في الجؤ نسميه الجاذبية والهواء الجؤى يضغط على أجسامنا بعشرات القناطر لحفظها كما تقدم في (سورة النحل) عند قوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل - الخ

نحن هنا أجسامنا غليظة لا تقدر أن نطالع الأفلاك ولأن نسيخ في المشتري أو المريخ فضلا عن الشمس والجوزاء وما أشبه ذلك . أهل الأرض جميعا محبوسون فيها قد منعوا من أقطار السموات العلى لغلظ أجسامهم لأن أرواحهم لا تزال طفلة فإذا ارتفعت وخفت ساحوا في أقطارها وعرفوا أخبارها . إن الله حبسنا هنا وجعل حبسنا مرقيا للمحبوسين بدليل أنه جعل محل الحبس دار أعمال فأتى لهم بجميع ما يحتاجون إليه في أعمالهم من أعمال الكسوة والغذاء والزينة . فها هو ذا زرع الأرض وشق أنهارها وزانها بكل جلال وكال وقال لهم هذه أرضي فهي وإن كانت سجننا لم أجعلها محل عقاب بل دار تعليم فمن لم يتعلم أولم يتهذب فأنا له بالمرصاد وعلى ذلك تكون هذه الدنيا مهما ارتقى أصحابها لا يبلغون الكمال المطلق لأن الكمال المطلق في عوالم الجنات والحمد لله رب العالمين

(فصل في ذكر أن كل أمة لها شريعة ونحو ذلك)

قال تعالى (لكل أمة جعلنا منسكا) أي لكل أهل دين جعلنا شريعة تعبدوا بها (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينزعك في الأمر) في أمر الدين (وادع إلى ربك) إلى توحيد (إنك لفي هدى مستقيم) طريق إلى الحق سوى (وان جادلوك) وقد ظهر الحق ولزمت الحق (فقل الله أعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة (الله يحكم بينكم يوم القيامة) يفصل بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة بالثواب والعقاب كما يفصل بينهم في الدنيا بالحجج والآيات (فما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض) فلا يخفى عليه شيء (إن ذلك في كتاب) هو اللوح المحفوظ (إن ذلك) أي أن الاحاطة وإثباته في اللوح المحفوظ (على الله يسير) لأن علمه مقتضى ذاته (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) حجة على جواز عبادته (وماليس لهم به علم) حصل لهم بالاستدلال (وما للظالمين) الذين ارتكبوا هذا الظلم (من نصير) يدفع العذاب عنهم (وإذا تلى عليهم آياتنا) من القرآن (بينات) لأن القرآن يبين ما يحتاج إليه في الدين وفيه دلائل العقائد الحق (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الإنكار لغيظهم ولما جدوا عليه من المذاهب الباطلة (يكادون يسطون) يبطشون (بالبدين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطونكم عليهم هو (النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) النار

(لطيفة في قوله تعالى - لكل أمة جعلنا منسكا -)

لما جاء قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - وبين به كيف تجدد الأمم بأهوال الحروب ويصلح الناس وتنشأ شعوب أرقى مما قبلها كما ينشأ في الأرض بسبب ما هطل من المطر فيها نبات على آثار النبتات الهشيم الذي كان فوق الأرض أعقبه بنبات بعض ذلك كأنه مثال له فقال هانحن أولاء أرسلنا أنبياء وخلقنا أمما وقد طال الأمد عليها فقست القلوب فأردنا أن نجدد ملكنا ونحيي مدارس من

دروس الاصلاح الأخلاقى والعلمى فأرسلناك وأمرناك أن تمرّق الأغشية التى غشت على العيون والأباطيل التى ربطت على القلوب والحبب التى نصبت بين الخلق وبين الحق تارة بالقول وتلاوة القرآن وتارة بالحرب وسجال الطعان حتى نخرج أمة للناس وشرية جديدة تجدد ما اندرس ونحي ما مات من فضائلنا فى خلقنا واصلاحنا لشؤونهم فجعلنا لك شريعة غير شرائعهم حديثة النشأة أوجبها الجهاد العلمى والحربى كما ينبت نبات جديد أثر المطر فتحضر الأرض لما لنا من اللطف فى الجليل والصغير . فكما وصلنا الى دقائق النبات وجليل الشجر مواهب ومحاسن وجليناهما للناظرين هكذا أبدعنا شريعتك وجعلناها قائمة مقام الشرائع الدارسة والديانات المائنة لنحي الآمال ونجدد الأمم كما نجدد النبات بعد النبات والشجر بعد الشجر فكيف يجادلونك فى أمر نحن قدرناه أو ينازعونك فيما اخترناه . إنا نحن قدرنا أن نجعل هذا العالم فى ارتقاء كما نجدد ما اندرس ونحي الموات فهكذا نحي الأمم . ان الأمم من الأرض فلهم شأنها فانا نحن المنزلون مطرا والموحون علما نحن المزجون السحب المرسلون الرسل والزارعون النبات والمجددون الأمم بشرائعها إذ لا نبات لأمة إلا بشريعتها ولا شريعة باقية ولا كتاب إلا مع رسول فكيف يجادلونك وقد ظهر الحق وأصبح البرهان واضحا على مقتضى سنن الكون المشاهد لهم وهم لا يفقهون فأجبهم ان جادلوك بأن الله بأعمالهم عليهم وهل يخلف وعده ويخرم سننه ويقف حركة الأمم الأرضية المستقبلية لأناس لا يعقلون . ان الحق غالب والباطل زاهق فلتقلب فى الدنيا وليحكم من عليكم بالعقاب فى الآخرة فان الله يعلم ما تفعلون وكيف لا يكون ذلك وهو يعلم ما فى السموات والأرض قد كتبه فى اللوح المحفوظ

﴿ بدائع القرآن ﴾

من تأمل فى هذه الآيات عجب من أساليب الكتاب العزيز فبينما نحن فى حرب وجدال مع أعداء الدين اذا نحن بين الكواكب المشرقات وبدائع السموات وأضوائها المشرقات والأنوار والظلمات ثم انتقلنا الى الرياض النضرات والمزارع الخضر والازهار الجليات والأثمار النضرات ثم انتقلنا الى فلك فى البحر جاريات ونظرة سامية الى السموات وابتهاج بحفظها وهى سائر

فهذا معرض تجلت فيه صور جميع ﴿ المواليد الثلاث ﴾ الانسان والنبات والحيوان فالحيوان مما سخر لنا فى الأرض . وفى هذه السورة ذكرت المواليد مرتين مرة فى أولها ومرة فى آخرها حثا على النظر فى الموجودات وتنبيهها أن الحرب والقتال مهد لدرس العلوم فطرد العدو من البلاد وحفظ الثغور واقامة الحدود سبيل لاقامة الامن وحفظ البلاد من الاضطراب . هنالك يتفرغ العقلاء للنظر فى هذه المبدعات والتحقى بهذه المكرمات . وانى أجد الله عز وجل إذ جعل أول حياتى فى الحقول فدرسناها درسا سطحيا قبل أن أعرف تفسير القرآن وعجبت من بديع الاتقان وصنع الرحمن ولما اطلعت على العلوم الحديثة ودرست الفلسفة القديمة رأيت أن القرآن يحوّل الحكمة ودراستها والحقول وفهمها والجنات وعلمها والأشجار وأنوارها والأزهار ولقاحها والثمار ومنافعها والعيون وجريانها فلتكن الحقول درس المسلمين ولتكن السموات لمنازل المعلمين ودرس المفكرين والشموس والكواكب محور تعليم المعلمين - لمن هذا فليعمل العاملون - وفى ذلك فليتنافس المتنافسون -

﴿ بهجة العلم ومسامرة فى قوله تعالى - لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر

وادع الى ربك إنك لعلى هدى مستقيم - ﴾

إن الله عز وجل جعل المناسك مختلفات ولكنها تصبح كأنها عادات عند الأمم ودين الاسلام هو الهادى الى خير المناسك . إن من ينظر ديانات الأمم وعاداتها يجد اختلافا كاختلاف الألوان واللغات والأطعمة وهكذا . تذكر ما تقدم فى أول سورة (طه) إذ ذكرت لك هناك قوما من السودان عند ساحل الذهب بأفريقيا فى

مملكة (اشانتي) وكيف كان دينهم وعاداتهم من أشق العادات والديانات وترقب ما يأتي في أول (سورة الفرقان) عند قوله تعالى - ليكون للعالمين نذيرا - إذ ترى هناك قوما على نهر (نيجر) قد أسلموا وتبدلت عاداتهم بالنظافة والصلاة والعسل بعد كل الرم والظلم وقبيح العادات . فالتة يقول أيها الناس أنتم مختلفون في أحوالكم وهذا الدين هو الهدى فاتبعوه . فهل لك أن أحادثك بمساجد المستر (ممسون) العالم الأمريكي الرحلة الشير ذكره حين رجوعه من رحلة في أواسط إفريقيا حيث قضى خمسة أعوام مقبلا بين القبائل هناك . وقد نشر بعض الأخبار عما شاهدته في هذه الأقاليم وإلى القارىء نهرب أحداها وهي خاصة بالمرأة

(الزواج)

قال « مررت بقبائل عديدة من العبيد منهم رحلة يقتلون من جهة إلى أخرى كما يفعل العربان في البادية ومنهم مقيم في قرى صغيرة ينون بيوتها من القش والطين . والمرأة عند جميعهم تقوم بأعمال شاقة قلما يقدم عليها رجل حتى انى مررت بقبيلة لا عمل للرجل فيها إلا إعداد الطعام والقيام بالأعمال البسيطة فالمرأة هي التي تخرج إلى الصيد والقنص فتعود بالطيور والحيوانات إلى زوجها وتلقها بين يديه ليعدها للأكل كل بينا تستمر هي في العناية والتعب . أما إذا هوجت القبيلة واعتدى عليها عدو ما فإن الرجال تنهب حينذاك مع النساء للدفاع عن الجنس المشترك فيتناول كل واحد قوسه ونباله . على أن النساء يتولين بأنفسهن القيادة . ورأيت قبيلة أخرى تعيش فيها المرأة بعكس ما ذكرت فهي لا تعد انسانا في نظر الرجال بل حبيباتا داجنا ترسله الأرواح العالية كما يسمون آلهتهم لخدمة الرجال فإذا ما وضعت المرأة طفلا يدخل الزائد عليها ويسأل من يحيط بها من النساء (ذكر أم أنثى) فإذا أجابوه (ذكر) هلال ورقص وتقدم من زوجته ووضع على عنقها قبلة والقبلة في عرفهم أن بعض بأسنانه عنق زوجته ثم يأخذها بيده ويوقفها ويخرج بها إلى الهواء الطلق حيث ينادى جيرانه من أبناء القبيلة ويطلبهم على الخبر السار مفخرا بزوجه . أما إذا أجابوه (أنثى) فإنه يغطي وجهه بيديه ويلعن امرأته وساعة زواجه بها ويخرج غاضبا ولا يعود إلى مواجهتها إلا بعد أن يكبر الطفل ويستطيع السبر على قدميه . هذه هي العادة المريعة عندهم . ومن أفضح ما رأيت أن الأخ يتزوج بأخته وأن الرجل الواحد كثيرا ما يتعاقد مع رجل آخر على أن يزوجه ببنته جيدهم أيا كان عددهن . أما الزواج فيتم عند تلك القبيلة بالطريقة الآتية « يوجد على مقربة منهم في إحدى الغابات الكثيفة حيوان صغير تادر الوجود جدا يسمى (غوى) وهو من نوع من الغزلان لا يزيد حجم جسمه على جسم الخروف الصغير فيجيب على الرجل الذي يرغب الزواج من إحدى الفتيات أن يقدم لها هدية غزالا من تلك الغزلان فيخرج الرجل بعد الاتفاق مع والد الفتاة ولا يعود إلى القبيلة إلا حاملا الحيوان المطلوب . أما إذا لم يوفق إلى صيده وحمله إلى عروسه فإنه لا يعود إلى القبيلة بل يرحل عن تلك البقعة ويبحث عن مكان آخر يعيش فيه . وإذا ساعده الحظ وعاد بفرسته فإنه يقدمها إلى الفتاة التي تصبح بعد ذلك ملكا له يفعل بها ما يشاء ويملك عليها حتى الموت والحياة . ومررت بقبيلة أخرى من عادة النساء فيها أن ينزعن عنهن الشعر سواء كان من الرأس أو من الجسم فإذا نظرت إلى امرأة منهن لا تجد على جسمها كله من رأسها إلى قدمها شعرة واحدة . أما الرجل فإنه يترك شعره ينمو وكثيرا ما يلجأ إلى دهن جسمه بمركب نباتي يستعمله القوم لانماء الشعر فترى الرجل وهو أشبه بالقروذ كثير الشعر كشيء والمرأة هناك تحتاز عن أخوانها بكبرشفتها وضخامتها فالمرأة الجيلة هي التي تكون شفتها أضخم من شفتي غيرها من نساء القبيلة فتراها والحالة هذه تستعمل طرقا غريبة واستنبط الحيل لتضخم شفتيها كما يستعمل الرجل طرقا أخرى لانماء شعره . ومن أغرب ما رأيت قبيلة لا يطلب فيها رجل امرأة للزواج بل المرأة هي التي تختار زوجها وتطلبه من أمه فإذا رضيت الأم تم العقد بين الفريقين ولا رأى للرجل في ذلك . وإذا كان لا يرضى بالمرأة التي طلبته لزوجها فإن الزواج يعقد بالرغم منه وليس عليه إلا الطاعة العمياء . ورأيت

أيضا قبيلة من العار فيها أن تكون المرأة نحيلة الجسم كما أنه من العار فيها أن يكون الرجل ضخيم الجسم بل يجب أن تكون المرأة ضخمة والرجل نحيلاً . والمرأة النحيلة الجسم لا يجد من يرضى بها زوجة كما أن الرجل الضخم لا يجد من يرضى به زوجاً والله في خلقه شؤون .

هذه بعض ما يختلف الناس فيه من العادات والأديان والله يقول - فلا تنازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلی هدى مستقيم - اهـ

﴿ كيف كان مبدأ اشتغالي بالعلم ﴾

لقد ساقني لذكر هذا الموضوع تكرار الآيات القرآنية للعلوم الفلكية والطبيعية فاسترت أن أذكر لك أيها الذكي ما شاقني إلى هذا وما أثر في النفس في أول حياتي لترى كيف أنعم الله عليك وساق لك العلم سهلاً شهيلاً حلواً جنيماً فأقول أيضاً لما رمزت إليه آنفاً ما يأتني

لقد كتبت هذا الموضوع في أول كتاب ﴿ التاج المرصع ﴾ الذي نشر منذ (٢٠) سنة فلا ذكر هنا ما أذكره في النفس من تلك الأحوال فأقول

كنت في أول أمرى مجاوراً بالجامع الأزهر ثم قامت الحوادث العرابية ودخل الانجليز بلادنا فاقطعت ثلاث سنين عن العلم وكنت في أثناء ذلك أزاوُل الأعمال الزراعية بيدي مع من يزرعون وقد اعترائني مرض طويل في المعدة لازمني وقد كان والدي في مرض أيضاً وفوق ذلك كله كنت أفكر في هذه الدنيا وأقول ياليت شعري ألهما خالق . وهل الأنبياء كلوه اني لا أصدق إلا إذا عرفت أنا بنفسى ولا أنسكل على أحد . ان هذه الطرق الحديدية تجري عليها القطارات وليست من صنع المسلمين . فياليت شعري ماذا يقول الفرنجة الذين صنعوه . هل لهذا العالم إله أنا لا أصدق إلا إذا عرفت عقلى . ان هذا العالم ليس فيه شئ من النظام . انه مبعضر . انه مختل معتل . اننى أرى هذه البقرات وهؤلاء الرجال والنساء وهذه الحبات من الذرة توضع في الأرض وهذا الماء الجارى فيها وهذه المحارث التى تشق الأرض كل ذلك غير متناسب ولا منتظم فالمرأة واقفة والرجل كذلك والمحراث ممتد مستطيل من الأرض إلى أعلى كأنه زاوية والثوران رؤسها إلى الامام والرجال والنساء رؤسهم إلى أعلى والماء يجرى على الأرض لا يرفع رأسه مثلهم . فهذه الدنيا مضطربة مرتبكة مختلة لا أرى فيها نظاماً ولا احكاماً وإذا فقد النظام والاحكام فلا إله خالق ان هى إلا أحوال متغيرة وأمور متبدلة ولدها الاتفاق وأظهرتها المصادفات . فلما أحسست بهذه الخواطر رجعت إلى نفسى وقلت ان العلماء في الدين يقولون اننا ننظر للعالم العلوى والسفلى فهأنذا نظرت فلم أجِد إلا خللاً ولم أزد إلا شكاً فلم يبق عندى أمل إلا فى أمر واحد وهو أن أوجه قلبى الى من صنعنى فان كان موجوداً أجابنى وهذا هو الأمر الذى أجعله نصب عيني حينئذ شمريت عن ساعد الجد وأخذت أصوم بعض الأيام وأصلى بعض الليالى فكنت أجِد في ذلك لذّة وسروراً وتوجهت اليه سائلاً بقلب محترق . ولكم قلت يا خالق هذه الدنيا . أنا لم أخلق نفسى بل وجدت انى هكذا وانى أوجه قلبى الى ذلك الموجود الذى خلقنى وإذا كان خالقاً لى فهو عظيم وكبير ورحيم وأن لى جسماً وروحاً فلتتوجه الروح اليه ولتسأله أن أقف على الحقيقة . يا الله أنت خلقتنى فعلمنى . أواه . ومن لى بأن أقف على هذا الوجود وسرّه فأكتب ما أقف عليه لمن بعدنا حتى اذا وجد في الدنيا من احترق فؤاده لمعرفة هذه الدنيا رأى أمامه ما جربت من الأعمال وما قاسيت من الأحوال فيهنئدى ولا يجد هذا العناء . وصرت أطلب ذلك فى الحقول وعلى شطوط الأنهار . ولكم دعوت فى الخلوات وناجيت فى الصلوات فى المنزل وعلى شطوط الأنهار . وتارة أحضر تفسير القرآن للجلالين وأقرأ تفسير الألفاظ الذى كتب هناك فأقول يارب هذه الظواهر لم أقف على سرّها أما اللفظ ففهمته فأين عجائب الدنيا . وبينما أنا كذلك إذ وقع فى يدي كتاب جاء فيه حديث ﴿ لقد أرسلت على الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتدبرها ويل له ويل له ثم قرأ ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ - إن فى خلقى

السماوات والأرض - الخ) فقلت هذا حسن أمن هذا الباب كان دخول الأنبياء فصرت أقف على شواطئ
 الأنهار وفي الحقول وأنظر إلى السحاب وأفكر فيه وهذا ابتداء الحجب . وتارة كنت أجلس على شاطئ نهر
 يسمى (أبا الأخضر) ومعى كتاب (الجلالين) وكتاب ابن عقيل في النحو وأعالج في هذا وفي هذا وأقول
 يا سبحان الله ان القوم حولي في الحقول لا يسمعون لابن عقيل ولا غيره فكيف أقرأ هذه الأشياء ولا شأن لها
 في بلاد الفلاحين ولكن كان الوجدان يسوقني والفكر يشوقني . وتارة أبحث على حشرات بين الأعشاب
 عسى أن أجد فيها ما يشم منه رائحة النظام والاحكام . وأذكر اني مرة عثرت على حشرة صغيرة مستطيلة
 الشكل قد خبطت عليها خطوط بيض ناصعات وأخرى جرقانيات وقد كان منظر الخطوط جيلا بهيا وقد رسمت
 الخطوط بهيئة نظامية وان لم أكن أعرف إذ ذاك شيئا من الهندسة فقلت إن صانع هذا الكون قد جعل في
 هذه الحشرات نظاما فلا أبحث عن النظام وعن الاحكام فعسى أن أوفق وتذكرت ما كنت أسمع من الأشياخ
 أن العلم كله أصله فارسي لأن الأزهر إذ ذاك لم يكن كهنته اليوم وما كنت لأظن أن أحدا في الدنيا يعرف
 شيئا من هذه الكائنات وأن الذين عرفوها قد ماتوا أيام تدهور المسلمون مع ان المدارس في مصر كانت زاخرة
 بتلك العلوم وأورو بامشجونة بها ولكن التلميذ يتبع ما يلقى اليه اتباع الولد لأمه والمسيحي للقسيس والمسلم للشيخ
 والولاء لأبيه والناس جميعا محبوسون فيما يعلمون يحملون ما وراءه بل ينكرونه ثم أخذت أطلع تفسير القرآن
 كل يوم ربعا وكان الجزء يتم في ثمانية أيام وكنت أحفظ التفسير عن ظهر قلب حفظا عقليا ظنا مني أن فهمه
 حرام كما كان يقال إلا بتوقيف من الشيخ ثم أخذت أدرس ذلك أشهرا قليلة وأنا أدعو الله فاستجاب الدعاء
 ووصلت إلى الأزهر ثانيا وزال خطر الاقطاع منه وأتممت العلوم التي كانت فيه على وجه التقريب ثم دخلت إلى
 مدرسة (دارالعلوم) وكانت زاخرة بكل ما أريده ووجدت فيها كل ما كنت أصبو اليه وأنا في الحقول وكنت
 أتجيب أن يكون هذا في بلادنا وأنا عنه محجوب فوجدت أن النفوس الانسانية قد بحثت وفكرت . ولقد كنت
 أعتقد أن الدروس التي أقرؤها عبادات وانها خير العبادات حتى فن الرسم فكنت أرسم في الدرس وأنا معتقد
 أنه عبادة لأنه مشجد للذهن مقول العلم معلم للنظام الذي كنت أبحث عنه في الحقل فلا أجد . كل ذلك بعد
 ما درست القرآن في الأزهر الشريف على جلة الشيوخ الكبار ثم صرت مدرسا في المدارس المصرية الابتدائية
 والجهزية والعالية وكذا (الجامعة المصرية) أيضا في قليل من الزمن . وفي أثناء ذلك كنت اختلس من الوقت
 ما أقدر عليه وأؤلف كتباً فبلغت الرسائل والكتب ما يقرب من أربعين ونشرت بين المسلمين وذلك لأني
 بعهدى الذي عاهدت الله عليه ولم يكن في شيء من ذلك مني تكلف بل كان الوجدان هو الذي يسوقني وهناك
 تجلت في النفس أحوال تدعو إلى النشر بين المسلمين لأجل ذكرها الآن . وهأنا إذا أكتب في هذا التفسير
 ما يفتح به على . أقول وإني الآن أجد الله عز وجل إذ وصلت في التفسير إلى هذه الدورة وما كان ذلك من
 الميسور ولا بعضه ولكن الله هو الذي أعانني وهو الذي سهل ذلك لي وإن أقصى ما أردته في هذه الحياة أن أتم
 هذا التفسير وأن ينشر وعند ذلك أعتقد اني أديت ما أعتقد انه واجب على ديننا ووجدانا وهناك هناك أشعر
 باتمام المطلوب وأن ولوى بنشر هذه الآراء كولو عي بمعرفتها فأنا اليوم كنفسى من قبل يوم أن كنت صغيرا
 هنالك الاهتمام بالتعليم وهنا الاهتمام بالنشر وهما في النفس سواء بل اني أجد في القلب شديدا الاهتمام بثنائهما أكثر
 منه بأولهما . وهأهوذا أمانة في يديك أيها النكي وستقرأ فيما كتبه الكاتبون من الأمة الاسلامية في الشرق
 والغرب فاجعل نصب عينيك هداية المسلمين . ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

(أمة الاسلام والعلوم)

هذا هو الدين الاسلامي وهأهوذا القرآن يذكر المواليد الثلاثة في سورة (الحجر) وما بعدها إلى هذه السورة
 نحو ست مرات منها مرتان في النحل وما بعدها إلى هنا وهذه أورو با المسيحية فاني لما قرأت اللغة الانجليزية

واطلعت فيها وفيما ترجم من لغات أخرى ألفت العلوم هناك زاخرة وألفت صلاتهم ليس فيها شيء إلا ما يقرب من قولهم «ربنا آتنا خبرنا يوم ما يوم الحج» ووجدت أمة الاسلام هذا شأنها ودينها غنى بالمباحث في العالم كله وهي غافلة نائمة . ومن عجب أن المسلم لم يدعه الى العلوم كلها القرآن فحسب بل نرى انه في صلاته يقرأ كل صباح ومساء - الحمد لله رب العالمين - والحمد هنا على التربية العامة للعالم كله ويكون الحمد على مقدار ما عرف الانسان من النعم ولا معرفة للنعم إلا بالعلم . وترى المسلم في ركوعه يقول مخاضا لربه ﴿ خضع لك سمعي وبصري ونخعي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين ﴾ فكيف يقرأ السمع والبصر والمخ والعظم والعصب وهو يجهلها وربا مات المسلم وهو لا يدري ما عصبه ولا ما هي وظيفته . والأقرب من ذلك قول المسلم في السجود ﴿ سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره - تبارك الله أحسن الخالقين - ﴾ فكيف يعرف انه أحسن الخالقين وهو يجهل تشريح العين وطبقاتها السبع ورطوباتها الثلاث ويجهل طبيلات الأذن وما فيها من العجائب . أما العامة فهم مشغولون فكيف ينال الخاصة . وكيف ينال الأذكى . وكيف تكون صلاة المسلم حائنة له على علم التشريح وعلى علم وظائف الأعضاء وعلى علم الحس والمحسوس وهو لا يحس بهذا كله . أنا لا أقول ان الجبل بهذا يخرج عن الدين . كلا . فان رحمة الله واسعة وليست تسع المسلم وحده بل تسع جميع الناس والحيوان وكل مخلوق ولكن المقام مقام ارتقاء العقول والشعوب بقدر الامكان . يقول المسلم عند الرفع من السجود ﴿ سمع الله لمن حده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ﴾ وهذا هو كل العلوم فالعالم كله ليس شيئا سوى هذه الأربعة فهذا حيث على تعليم هذه الدنيا إن الدين الاسلامي دين حكمة وشريعة . دين يأمر بجميع العلوم . وهذا اذا أدت ماعلى من النصح وترك الأمر لمن بعدنا وسنفرق الدنيا وسيقوم بهذا رجال ذوو عقول كبيرة ونفوذ وشوكة بين المسلمين وسيقبلون نظام الدنيا ويمثلونها حكما وعدلا - ولتعلن نبأ بعدحين -

﴿ فصل في ضرب المثل بالذباب والأصنام ﴾

قال تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل) بين لكم حال مستغربة أوقصة رائقة (فاستمعوا له) لبيانته وأتم متفكرون فيه (إن الذين تدعون من دون الله) من الأصنام (لن يخلقوا ذبابا) لا يتقنون على خلقه مع صغره وضعفه (ولو اجتمعوا له) أي خلقت وإذا كانت هذه الأصنام تهجز مع اجتماعها عن خلق أضعف المخلوقات فكيف تعبد وهل يعبد إلا الخالق (وإن يسلبهم الذباب شيئا) من الطيب الذي كان العرب يضعونه على الأصنام أو الطعام الذي يضعونه بين يدي الأصنام فيقع الذباب عليه فيأكل منه ويسلبه (لا يستنقذوه منه) لا يستنقذوا ما يختطفه من طيبها ومن الطعام الذي بين أيديها فهي لم تهجز عن خلق الذباب فحسب بل الذباب سطا عليها فسلب ما جمعت به فججزت عن دفع أضعف مخلوق (ضعف الطالب والمطلوب) الذباب والأصنام فالذباب طالب لما سلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم للاستلاب منه وهو عاجز (ما قدروا الله حق قدره) إذ أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب الذي هو أضعف الخلق ونظير هذا قول الشاعر

فلو أني بليت بهاشمي * خولته بنوع عبد المدان

لهان على ما ألقى ولكن * تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ثم قال تعالى (إن الله لقوي) على خلق كل ممكن (عزيز) لا يغلبه شيء أما الأصنام فانها لا تقدر على خلق أضعف الأشياء وهي من الذلة بحيث يغلبها أضعف المخلوقات فلا قوة لها إن الله قوي عزيز فلم يكن للمخلوق أن يكلمه وكيف يتسنى للمخلوق التكلم مع الخالق عظيم القوة رفيع الجانب إلا اذا تحلى بالفضائل وتناهى في الكمالات فهناك يستعد للأخذ عنه والتلقى منه كالملائكة والأنبياء فالأولون رسل للآخرين لأن العلم لله وهو منزله عن المادة وهو يلقيه الى الملائكة والملائكة يوصلونه الى الناس باذن الله تعالى . فهذا تقرير لقدرة الله

وعظمته وأن الكفار ماقدروه حق قدره لذلك قال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) ليدعوا سائر الناس الى الحق والاستقامة والارتقاء وهؤلاء يقتدى بهم الناس ليخرجوا من الجهالة الى أعلى الدرجات في العلم لاهذه الأصنام التي زعمتم انها شافعة لهم عند الله . فالأصنام حجورية والملائكة أجسام نورانية أقرب الى الله من أكثر البشر وهم يعلمون الأنبياء الذين هم صفوة الخلق وبهذه الوسيلة ينشر الدين وهناك تكون الشفاعة بعد انتهاء خطة العلم فأين الثريا وأين الثرى وأين الأجسام الكشيفة من الأرواح الشريفة (إن الله سميع بصير) يدرك سائر الأشياء (يعلم ما بين أيديهم) ماقدّموا (وما خلفهم) وما خلفوا وما عملوا وما هم عاملون (والى الله ترجع الأمور) في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أى صلوا (واعبدوا ربكم) وحدوه وأخلصوا له (وافعلوا الخير) صلوا الأرحام ونحلوا بكمال الأخلاق (لعلكم تفلحون) لكي تهتدوا وتفوزوا بالجنة (وجاهدوا في الله) أى من أجله أعداء دينه ممن يسطون على المؤمنين من الأمم ومن الشهوات الكامنة في النفوس والجهالة التي تحصر الدين فيما لا يؤدي الى سعادة المؤمنين (حق جهاده) أى استفراغ الطاقة فيه * قال ابن عباس (لا تخافوا في الله نومة لأنم فهو حق الجهاد) وقال أكثر المفسرين أن يكون بنية صادقة خالصة وليكون كلمة الله هي العليا واستندلوا بحديث الصحيحين (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) ولما كان جهاد النفس أحد الجهادين بل هو الجهاد الأكبر لأنه لا جهاد لعدو ممن لم يتصف بصفة الشجاعة والشهامة وهذه لا تكون إلا بأخلاق راقية ولذلك قال رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك (رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر) ثم قال تعالى (هو اجتباكم) اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته ولنسرتة (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أى ضيق ففتح باب التوبة لمن أذنب برد المظالم للظالمين والاستغفار ورخص في المضائق لهم وشرع الكفارات والديات في حقوق العباد إن الله وسع دينكم توسعة (ملة أبيكم إبراهيم) وإنما كان أبانا لأنه أبو نبينا ﷺ والنبي أب لأمته لأنه أحياهم حياة روحية (هو سماكم المسلمين من قبل) من قبل القرآن في أيامه (وفي هذا) القرآن لأنه جاء فيه قول إبراهيم - ومن ذريتنا أمة مسلمة لك - فهذه التسمية التي ذكرها من قبل جاءت في نفس القرآن بسبب تسميته قديما وقوله تعالى (ليكون الرسول شهيدا عليكم) بأنه قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) متعلق بقوله - وجاهدوا في الله - الخ وما بينهما اعتراض . وقد تقدم في سورة البقرة أن ذلك يلزم المسلمين أن يكونوا أمة أرقى الأمم أخلاقا ومعارف وعالوما وحكمة وعدلا ونظاما حتى يكونوا شهداء على الناس والشاهد عالم بما عند المشهود عليه مطلع على أحواله حتى يفصح عن شهادته ويقدمها . وهذه الأمة الاسلامية قد أخذت دورا مهما من تلك الشهادة وسيرجع لها دورها أوفرها كان ويقوم فيها حكماء وعلماء يدرسون الأمم ويعرفون دخالها ويكونون مصلحين لما اعوج من أخلاقها سواء دخت تلك الأمم الاسلام أم لا وشهادتهم عند الله يوم القيامة يسبقها العلم في الدنيا بالمشهود عليه والعلم لا بد أن يكون عن حقيقة فتحن شهداء على الأمم والنبي شهيد علينا . ليكون شهيدا على الأمم طبعا والله شهيد على النبي وعلينا وعلى الأمم . فأنه شهيد والنبي شهيد ونحن شهداء . فانظر الى هذه الصفة العجيبة . وصف الله في القرآن انه شهيد فأنه شهيد على ما يفعل جميع الناس مطلع عليهم والنبي ﷺ شهيد على أفعالنا ونحن على أفعال الأمم . هذا هو الذي ينتج من جهاد المسلمين فهم يجاهدون جهادا علميا وجهادا عمليا وجهادا خلقيا ليكونوا متخلقين بأخلاق الله أى مرشدين للأمم نافعين للعباد ليرشدوهم اذا رأوا منهم تقصيرا كالأنبياء للأمم وكما يفعل الله مع الأنبياء . ولقد كان المسلمون فيما مضى سبب انتشار العلوم العقلية في الأمم وهم السبب في إسقاط هيبة وسلطان رؤساء الدين على الأمم حتى أدلوههم فلهذا نشطت المدنية فهذا مما جاء من لوازم الشهادة لأن الشهادة عن علم . ولما علم المسلمون سابقا أحوال الأمم في دينها أخذوا يذكرّون لهم بطلان تقاليدهم فزال كثير منها . وعسى أن يكون في الأمة بعد حين أمة أعلى من معاصريها

فيكون درسهم لأحوال تلك الأمم وتقديم لعقائدها ونظاماتها ومعاملاتها مع بعضها بمثابة تحمل الشهادة الذي يسبق أفعالها عادة . وبهذا يتم في تلك الأمم شرف المقاصد وجلال الأعمال . ثم قال تعالى (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لما خصكم به من أنواع الفضل والشرف فمن حق من أشرف على قوم أن يكون خيرهم وأنتم جعلكم الله أشرف الأمم فليس من اللائق أن تكون أوروبا المسيحية هي المشرقة على العالم الانساني . كلا بل يجب أن تكون الأمم الاسلامية في الأرض هي التي تشرف على العالم الانساني بالحكمة والعلم والاخلاق والعناية بالأمم وتكميلها وارشادها واسعادها والوصاية عليها فان الرسول شفيق بأمرته التي هو شهيد عليها فلتكن أمته التي هي شهيدة على الناس ذات علم وشفقة على العالم الانساني تعلمه وتحبب الأمم المظلومة سواء أكانت على دينها أم على غير دينها لأن رسولنا شهيد علينا وهو بنا شفيق رحيم فلتكن نحن شهداء على الناس ونحن لهم مصلحون معلمون مرقون مهذبون أكثر مما فعل آباؤنا الأولون . ولما كان ذلك قد يكون فيه ريب فيقال كيف نكون شهداء على الناس وقد مر على المسلمين زمان ضعفت فيه شوكتهم ذكر ما يزيل ذلك الشك فقال (واعتصموا بالله) وتقوا به في مجامع أموركم (هو مولاكم) ناصركم (فضع المولى وأنم النصير) فلامثل له في الولاية والنصر بل لأمولى ولاناصر سواه . وفي ذكر ابراهيم في هذا المقام وانه سمانا المسلمين وانا نكون شهداء على الناس تذكير بما جاء في سورة البقرة إذ جاء فيها - لتكونوا شهداء على الناس - وإذا قرأت ما كتبناه هناك علمت كيف كان عليه السلام مشغوقا بالعلوم الفلسفية والطبيعية . ففي ذكر ابراهيم هنا اشعار بذلك فهو سمانا مسلمين وهو نفسه كان مغرما بالعلوم الطبيعية والفلكية فاذا سرنا على منواله سعدت بنا الأمم وكنا شهداء عليها (انظره في سورة البقرة)

(لطيفة في قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - الخ)

ربما يظن المسلمون أن هذا المثل للكفار وحدهم وأن الله يقول لهم أنتم عبادتم الأصنام والأصنام في غاية الضعف وأحقر مخلوقاتي كالذباب سلب منها طبيعتها وطعامها والصنم لا يقدر على دفعها عنه وعلى ذلك أنتم تعبدون أضعف شيء فليس بقادر على أن يخلق أضعف مخلوق بل أضعف خلقي يسلبه وهو لا حراك له بل لا يحس ولا يعقل . يقرأ المسلم هذه الآية ويظن أنه خرج منها لاله ولا عليه . كلا . إن المسلم واقع في شرك هذه الآية مخاطب بها كما خطب الكافر بالله . يقول الله هذا الذباب أضعف مخلوقاتي وقد اختطف من الأصنام طبيعتها وماكلها وهي ضعيفة والعاقل يفكر فيجد هذا المثل فتح باب علم الحيوان . فتح باب الحكمة . ألم تركبوا كان الذباب مسلطا علينا كما هو مسلط على الأصنام . أليس الذباب يسلبنا بعض ما نملك كما يفعل بالأصنام ألسنا نحن ضعافا أمام هذا الذباب . أليس هذا الذباب إذا أحسن فينا بقدر في أعيننا أوراى رطوبة في منازلنا أو طعاما بين أيدينا انقض على أعيننا فوضع فيها بيضه فأفرخ البيض دودا والدود يعمر العيون أو يضعفها أليس الذباب ينقض على طعامنا فيضع فيه بيضه فيكون أذى للآكلين وفيه مادة سمية من ذلك الذباب لأن الله خلقه من المواد القذرة التي تراكم في المدن ليصلح الهواء . أليس ذلك داعيا لدراسة علم الذباب وعلم الحشرات وعلم الحيوان لنعرف ما فيه من المضار والمنافع لنحترس من الضر ونأخذ النافع . إن الله لم يذكر هذا المثل اعتباطا بل ضربه لتعليم المسلمين . إن القرآن يقرأ لنا الآن ونحن نسمعه فلسنا مشركين بالله كلا . والسكان جاهلون بنعمته والجاهل بالشئ محروم منه مبعد عنه وأوروبا سبقتنا بهذه العلوم فسلط الله علينا فلندرس تلك العلوم

(درس من كتاب انجليزى مترجم عن الفرنسية على الذباب)

هذا هو الدرس الذي يلقيه المعلمون في العالم الغربي على تلاميذهم وبعض المسلمين لاهون ساهون يأمرون لاهون أن ديننا يأمرنا بدراسة هذه المواليد من كتاب (العلوم الطبيعية) تأليف (بول بيرت)

المطبوع سنة ١٨٩٠ م . يشرح الأستاذ معلما لتلاميذه صفحة (٩) من الكتاب وما بعدها . خاطب الأستاذ تلميذا قاتلا له . أى فرق بين الذبابة والحصان . فأجابه الحصان كبير والذبابة صغيرة . فقال الأستاذ حسن . ولكن ليس المدار على الحجم صغرا وكبرا فقد نرى الحصان صغيرا والذبابة كبيرا عند الاستعانة بالمنظير المكبرة وتسلطها على الذباب فيرى انه أكبر من الحصان وأمثاله . فأجاب تلميذ آخر . كلا . إن الذبابة لها جناحان والحصان لا جناح له . فقال الأستاذ لوقطع الجناحان والذبابة حية أفليس الحصان إذن كالذبابة . فما الفرق . فقال تلميذ آخر . كلا . بل الذباب لا شعر له والحصان له شعر . فقال الأستاذ أوافق أنت بما تقول . امسك بالذبابة وانظر اليها بهذه الزجاجة . انظر الشعر عليها فلها شعركما للحصان . فقال آخر إن الذبابة لها ستة أرجل والحصان له أربعة أرجل . فقال الأستاذ هذه ملاحظة مهمة ولكن أليس يجوز أن تكون الذبابة قد فقدت رجلين كما فقدت الجناحين . فأى فرق إذن بينها وبين الحصان . حيث جاء دور الأستاذ فقال اضغطوا على الذبابة فاضغطوا عليها فلم يبق إلا الجلد والأرجل والجناحان . قال لهم . فأما الحصان فانه لو وقع البيت عليه فتهشم فانا نجد أن الحصان فيه مواد باقية صلبة فأما الذبابة فلم نجد من هذه شيئا فيها وهذه المواد الصلبة هي العظام إذن يكون الحصان وأمثاله حيوانات ذات عظام ولها هيكل عظمي يحفظ البدن ولها مادة ملونة وهو الدم ذلك لأن الذبابة لم نجد فيها تلك المادة الملونة فتكون النتيجة هكذا إما أن تكون الحيوانات فقيرة لها هيكل عظمي وأما أن لا تكون كذلك . فذات العظام يلاحظ أن لها دما والتي لا عظام لها لا دم لها . ومن هذا الدرس السهل قسم جميع الحيوانات أى من تشرح الذبابة وتشرح الحصان . واستمرت الأستاذ يلقي الدروس حتى شرح الحيوانات كلها . ولأنه لك الكتاب كله في موجز من اللفظ ترى عجائب القرآن - ماذا أراد الله بهذا مثلا يصل به كثيرا - من الجاهلين الذين لا استعداد عندهم - ويهتدى به كثيرا - من العلماء المفكرين

(أقسام الحيوان أربعة)

(القسم الأول . الحيوانات الفقرية) وهي التي ذكرناها الآن وهذه تشمل

(١) الانسان (٢) وذوات الأربع (٣) والطيور (٤) والزواحف (٥) والسماك

فهذه الخمس هي أقسام الحيوان الذي اشتمل على هيكل عظمي وفقرات ودم . فالانسان والبهائم من الخيل والبغال والخيول والأنعام من الإبل والبقر والغنم والسباع كالذئب والكلب والطيور الجارحة وغير الجارحة والزواحف كالحيات والعقارب والسماك في البحر وهو معروف . كل هذه لها عظام ودم ولكل نوع من هذه أصناف كثيرة (القسم الثاني . الحيوانات الخلقية) أى التي تركب جسمها من حلقات مجتمعات منضمة يكون منها جسم هذا الحيوان وهذا القسم أنواع وهي

(١) الحشرات (٢) والعناكب (٣) وذوات الأرجل الكثيرة (٤) والحيوانات القشرية (٥) والبود أما الحشرات فهي ما كان لها ستة أرجل ولها إما جناحان كالذباب الذي هو أصل الدرس وأما أربعة أجنحة كأني دقيق الذي يعيش في بلادنا المصرية ويكون منه البود الذي يفسد شجر القطن وهذا سلبنا قطننا فلذلك يدرسه الناس الآن في مصر بعض الدراسة . وهناك حشرات أخرى لها أربعة أجنحة تسمى باللسان الافرنجى (دراكوفلاي) . وأما العناكب جمع عنكبوت فهي ما لها ثمانية أرجل ضعف ما للذوات الأربع وأما ذوات الأرجل الكثيرة فهي ما قد تصل أرجلها الى عشرين زوجا من كل ناحية عشرون رجلا ويقال لها في بلادنا المصرية (أم أربعة وأربعين) . وأما الحيوانات القشرية فهي تشمل قراض الخشب وحيوانا يسمى (كرايفش) باللسان الافرنجى وهو مركب من حلقات مدبجة قوية . وأما البود فهو يشتمل دود الأرض والعلق وهذاان رؤسهما متصلتان بجسمهما وليس لهما أرجل وليس جلد هما صلبا قشريا كجلد (كرايفش) (القسم الثالث) من الحيوانات الهلامية التي جسمها أشبه بالفلودج الذي هو نوع من الأطعمة ومن هذا حيوان

يسمى (القوقعة) وهذا الحيوان جسمه يكون من هذا الهلام . وقد أعطى وقاية من المحار تقيه العاديات والمهلكات وهي معدة كمنزل تسكن فيه . ومنه حيوان يسمى باللسان الافرنجى (مبوزل) وجسمه محفوظ بين صدفتين من المحار . فهذا القسم وهو الثالث من أقسام الحيوان لاعظم له فليس من ذوات الفقرات ولا حلقات له فليس من ذوات الحلقات فهو إذن حيوان هلامي (القسم الرابع . الحيوانات الشعاعية) وهذه منها ماهو على شواطئ البحار المسمى (سمك النجم) ومنها ماهو في البحار يعيش كهيئة مستعمرات مكونة من تلك الحيوانات الصغيرة ومن اجتماعها تتكون أجسام صخرية وقد تتكون منها جزائر . فترى هذين النوعين يختصان (بأمرين * الأول) أن لهما فمًا مركزيًا يشاهد في الوسط (الثاني) أن الحيوانات حول ذلك الفم ترجع الى حلقات ضوئية تحيط بذلك الفم أو المدخل . ثم ان مشاهدة صورتها تدخل في النفس عجبًا فان (سمك النجم) تراه على هيئة بهجة ذات خمسة فروع تحيط بمركزها وتلك الفروع كأنها أصابع الانسان وذلك الوسط كالسقف وكل أصبع من هذه الأصابع محلى بأهداب تغطيه وفي أصول تلك الأهداب تشاهد نقاطا مضئة كأنها مصابيح لامعة على طول تلك الأصابع وهذه صورته (شكل ٥)



وهناك أيضا الحيوان المسمى باللسان الافرنجى (بوليبا) فانك ترى الفم المتقدم أو المدخل ليس متسعًا كما في سمك النجم بل تراه نقطة صغيرة تحيط بها حيوانات لاحصر لها مجتمعة بهيئة ثمان ورقات جيلات ذات شعاع جيل وهذه صورته (شكل ٦) (شكل ٥ - صورة السمك النجمي)



(شكل ٦ - بوليبا)

أما الحيوانات التي تتكون كهيئة مستعمرات وتكون في وسط البعاف فهي حيوانات جسمها مكون من كتلة هلامية ليس لها أعضاء متميزة وتفرز رواسب حجرية تأخذ شكل نباتات ولذا تسمى (الحيوانات النباتية) وتسكن قاع البحار وأشكالها مختلفة وبعضها يستعمل في الصنائع وذلك كالمرجان والاسفنج فالمرجان حيوان معروف يستعمل حليا وتفرزه حيوانات اخطبوطية لتسكن فيه وهو يشبه شجرة عديمة الأوراق وهو كثير الوجود في البحر الأبيض والأحمر مثبتا على الصخور وتكون الحيوانات على المرجان كأزهار وهذا هو الذي حل العلماء قديما أن يعتبروه نباتا زمنا طويلا وهذه صورته (شكل ٧)



(شكل ٧ - رسم المرجان)

هذه أقسام الحيوانات التي خلقها الله وبثها في الأرض وجعلها درساً لنا . وقد نقلت لك عن الفيلسوف (اسبنسر) أنها تبلغ نحو مليونين أعني ألف وهذا العدد هو المقسم على هذه الأنواع فنه ذوات الهيكل العظمي وهي الحيوانات الفقرية ولها دم وهي الانسان وذوات الأربع والطيور والزواحف والأسماك . ومنه ذوات الحلقات وهي الحشرات والعناكب وذوات الأرجل الكثيرة والحيوانات القشرية والدود ومنه الحيوان الهلامي كالقواقع التي على شواطئ البحار . ومنه الحيوان الشعاعي الذي ترى أطرافه لامعة حتى سمي (سمك النجم) . فهذا مجمل هذه المخلوقات . انظر كيف ذكر الله هذا المثل ونادى الناس جميعاً والمسلمون من الناس طبعاً فذبح من الناس واذن هذا النداء لنا . يقول الله - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - يا عجباً هل الله يقول استمعوا له إلا اذا كان المثل عجيباً وفيه علم كثير . قال الله في هذا المثل - فاستمعوا له - وقال في القرآن - واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا - فكأن الله أمرنا باستماع القرآن كله وأمرنا باستماع هذا المثل على الخصوص ثم أورد هذا المثل . نحن نسمع القرآن لنقرأ فيه علماً . ونحن أولاء قد سمعناه وسمع آباؤنا فسكونوا بممالك عظيمة وهي الدولة العباسية والأموية وغيرهما قديماً وهكذا الدولة الأفغانية والفارسية حديثاً وعسى أن يلحق بهما بقية الاسلام . ومن استماع القرآن كان علم الفقه الذي نشعبت مذاهبه فإذا استمعنا لهذا المثل فماذا نصنع به . ندرس الحشرات ودرس الحشرات يستلزم دراسة الحيوان كله ودراسة الحيوان فيها سر الربوبية وعجائنها وحكمها والمواهب التي أسديت إليها وبها ارتقاء العقول وبها ارتقاء الدولة كل ذلك من دراسة الذباب . الذباب الذي ألف كتاب الحيوان كله على التمثيل به والله مثل به ليقول انظروا خلقي . فكأنه لما ذكر المواليد مراراً وكررها في هذه السورة مرتين أتى هنا للحيوان بمثال وهو الذباب النشط ذو الأرجل الستة والجناحين

(جوهره في قوله تعالى - وان يسلبهم الذباب شيئاً - أيضا)

كيف يسلب الذباب منا ومن الأصنام طعامنا كالعسل وغيره وهو صغير . وكيف ترى عيناه تلك الدقائق فقطفها لأن الخطف لا يكون إلا بعد العلم وعلمها بنظرها فهل تقدر على ذلك النظر . ثم ان الذبابة شديدة الحرص فن أين أقبلنا عليها لنذبحها عنا طارت حالا فكيف كان ذلك مع ان الانسان منا لا يرى إلا ما أمامه وستأتي الاجابة على هذا السؤال قريباً هنا . وذكر الذبابة هنا وهي من نوع الحشرات مقدمة لذكر أمثالها كالنمل الذي سيأتي ذكره قريباً والعنكبوت الذي سيذكر بعده فالنحل والذباب والنمل المذكورة في القرآن من الحشرات وقد عرفتها والعنكبوت نوع آخر ليس من الحشرات بل هو مستقل ولذلك ذكر بعد ذكرها مستقلاً . أما بقية الحيوان فأكثرها مذكور في القرآن اجالا ومالم يذكر فهو في قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - ثم أمرنا باقتفاء آثار العلماء لنعلم الأشياء فقال - وقل رب زدني علماً - وقال - وفوق كل ذي علم عليم -

(روضات الجنات ومناهج الحكمة في قوله تعالى أيضا - وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه

منه ضعف الطالب والمطلوب ما قسروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز)

اللهم أنت الممدود على نعمة العلم والحكمة التي عشقناها وتمتعنا بها في هذه الأرض إذ هي رياض غناء لأولى الألباب . أينما أدركنا العين ووجهنا وجوهنا نرى إحكاماً وهندسة وبهجة وجلالاً . اللهم استأقول هذا تقليداً ولا تزوقاً . ولكني أقول الآن والفؤاد مغمم بالبهجة والحكمة . يرى أكثر الناس الجبال في الورد والزهر والثر وأنواع الحقائق الغناء ولا يتعدى نظرهم الجبال الظاهري وهانحن أولاء نراه في كل مكان - فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم - نراه في المواضع التي يألف الانسان أن ينظر إليها وفي الذباب والحشرات الطائرات . تلك الحشرات التي خلقها لتطير الأرض من الرطوبات وأنواع العفونات حتى لا يعم

الطاعون والوباء والأمراض القتالة نخلت تلك الحشرات وجعلتها ملقطة للجو مبعدة للمرض إذ تستحيل تلك المواد العفنة الى أجسامها الحية فينقلب الضرر نفعاً والموت حياة ولكن جاء في الحديث ﴿ كل أم يتبعها ولدها ﴾ فهذه العفونات والرطوبات مع انها استحوالت الى أجسام تلك الحشرات حفظت ما كانت عليه من الاضرار إذ لا معطل في الوجود فتحول ضررها العام ووبؤها في تلك الحشرات الى ما فطرت عليه تلك الحشرات من أنها تنقل المرض من زيد الى عمرو فتعمى الأبصار وتورث الوباء والطاعون وأنواع الأمراض المختلفة الأخرى . ذلك شأن الحشرات كالذباب المذكور في الآية فهي نعمة تدفع الأذى ولكنها تكون رسلاً بين المريض والصحيح وسفراء بين الأحياء فتنتقل الأمراض وتعطي العدوى وتعمها . هذه وظيفة الحشرات . فإذا كانت هي مخلوقة من القاذورات متغذية بها عما كفة عليها فهي صالحة لحفظ خواصها وهي الإهلاك والابادة والشئ من معدنه لا يستغرب وهي من عناصر اختصت بالهلاك واحداث المرض فهي تكون قيمة على ما خلقت منه قائمة بشأنه مساعدة لإبادة الأحياء فوق هذه الأرض وتشارك الحيات ونحوها الحشرات في انها مخلوقة من القاذورات والرطوبات فهي تكون سامة اذا كانت أمكنتها قشرة ضارة وتكون غير سامة اذا كانت أمكنتها التي تعيش فيها غير قشرة ولا رطوبة فيها وهذا عجب فانها ان تغذت بأصول نظيفة زال منها السم وان تغذت بأغذية قشرة منتنة تضر بالصحة كان في جسمها السم وأضررت بالناس . إذن ليست كل حية سامة . فالسم نتيجة الأغذية إذن الأغذية هي التي تنتج النتائج التي تضر والتي تنفع فلما كان الذباب كاه ضاراً كان سببه أن غذاه كاه من العفونات والرطوبات كالحيات السامة لا غير

﴿ بيان أوصاف الذباب والحشرات وكيف كثرت وكيف سلط الله عليها مهلكاتها ﴾

الحشرات كلها لها ستة أرجل وأجنحة وأنبو بتان ممتدتان عند رأسها بها تتفاهم مع غيرها ولكل من هذه الحشرات رأس وبطن وصندوق وهي تبيض كما يبيض الطير ولكن الفرق بينهما أمور منها (١) أن الطير تحضن بيضها وتعتني بأطفالها . أما هذه الحشرات ومنها الذباب الذي نحن بصدد الكلام عليه منه ما يعتني ببيضه كالطيور وذلك كالنحل والنمل ومنها ما لا يعتني ببيضه بل يتركه ولا يعرف أين تفقس ذريته كالذباب والجلود . فهذان النوعان وأمثالهما يتركان بيضهما ولا يلزمان بحفظه بل تقوم بحفظه العناية الإلهية في البر والبحر

(٢) ومن الفرق بين الطيور والحشرات أن الطيور يخرج جنينها من البيضة مباشرة تام الخلقة والأعضاء مثل ما ترى في الدجاج والحمام والعصافير فهذه تخرج ذريتها من البيضة تامة كما كانت آباؤها . أما الحشرات كالزنابير والذباب والنحل والنمل فهي على غير هذا النمط . ذلك انها تخرج من البيض أشبه بدود صغير جداً وهذا الدود ينسج من جلده مرات متعددة ويكون ذا أطوار في خلقه ويأكل أكلًا بشراهة وينتهي ذلك بأن ينسج على نفسه نسجاً حريراً قليلاً كما كثر الحشرات أو كثيراً كدود القز وتنام تلك الدودة مدة ثم تخترق تلك الكرة التي نسجت على نفسها وتخرج حشرة تامة كأمها . هذه هي الحشرات وهذه درجاتها في خلق ذريتها

﴿ ادخار الحشرات وعدم ادخارها ﴾

وهناك تخرج الذرية في الجو ومنها ذرية الذباب فتأكل من هذه المائدة التي نصبها الله لها وهي المواد الرطبة كما قدمنا والعفونات في كل مكان . فالرزق لها موفر والغذاء حاضر لا يكلفها نصيباً ولا مشقة . وليس للذباب عناية بخزن أرزاقها ولا تحمّل مؤنة لها ولا تفعل ما يفعله النحل والنمل فهذان فطرهما الله على حب الادخار كالأنسان . ذلك أن الذبابة والجرادة والناموسة وأمثالها لا تعيش للعالم المقبل فلم يضع الله في فطرتها الادخار . أما النحل والنمل والناموس فانها لا تعيش للعالم المقبل فانها ان سلمت من المهلكات لها الآكلات

لأجسامها لم تسلم من برد الشتاء المهلك لأجسامها المريح لأهل الأرض من إيذائها وحملها الأمراض وتوزيعها على الناس ومساعدتها على إهلاك الأحياء على هذه الأرض . ثم إن الذباب والجراد والناموس وأمثالها قد امتلأت الأرض بأرزاقها فلا حاجة للاذخار . فهذان سببان من أسباب عدم ادخار الذباب وأمثاله للقوت تباركت يا الله . إنك لم تعط إلا بقدر . أعطيت النمل غريزة الادخار ولم تعطها الذباب . فلا عطاء بحكمة والمنع بحكمة ولعلك ملأت بهذه الحشرات البر والبحر والسهل والجبل - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

﴿ العنكبوت والطيور والنبات الحيوانى ﴾

تباركت يا الله . أكثرت من الذباب وأمثاله من الحشرات وجعلته ملطفا للرطوبات مقللا لها ثم إنك لم تذر يفسد فى الأرض بما بقى فى طبعه مما استمد من غذائه بل خلقت الطيور وأنواع العنكبوت والنبات الحيوانى وأمرتهن أن يتغذين من هذه الحشرات الطائرات تخفيفا للرض وتقليلاً للألم . عجبا يا الله خلقت العنكبوت كما سيأتى شرحه قريباً عند قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - فى (سورة الفرقان) وأمرتها أن تنصب خيامها وتنسج نسيجها وقت لها أيتها العنكبوت اصطادى من الذباب ما تشائين وكلية فى بيوتك إنك ذات صناعة والذباب لاصناعة له ولا حيلة فكليه هنيئا مريئا . ولقد خلقت أيضا النبات الحيوانى المتقدم شرحه ورسم صورته المتعددة العجيبة فى (سورة الرعد) عند قوله تعالى - يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل - فهناك أنواع من النبات مرسومة مشروحة مبين فى شرحها أنها لا تخلق إلا فى المستنقعات والبرك والأماكن القذرة وقد جعلت مهياة لصيد الذباب . ذلك الذباب الطائر القوى الذى أعطى الله كل واحد منه أربعة آلاف عين صغيرة كل عين منها مستقلة بحيث لو نظرها الإنسان بالنظر العظم لراها كهيئة عيون الغربال كثيرة تبلغ هذه الآلاف فالعين الواحدة مقسمة عيوناً على هذا النمط . فهذه الحشرة مع قوتها وعيونها وأجنحتها يصطادها العنكبوت التى لا أجنحة لها والنبات الصياد الذى لا حول له ولا قوة وإنما أمده الله بالعسل فى داخله وفتح فيه نوافذ أشبه بالمقاصير والقصور وجعلها مسواة مهندمة مصقولة تنزلق الأرجل إذا لامستها وفيها من الداخل مواد سامة حتى إذا جاءت الذبابة وقد رأت ظواهر النبات جميلة الأشكال حسنة بهية ذات رائحة جميلة تقدمت إليها ودخلت فى دهاليزها لتشرب عسلها الذى رأت منه بعضه على أبواب تلك الحجرات فلا تمنى بعض خطوات حتى تنزلق أرجلها وتغمس فى سائل يفرج جسمها فيقتصها النبات ويهضمها ويضمها بالمادة الهاضمة التى وجدوها فيه تشبه المادة الهاضمة فى معدة الإنسان

فيا عجباً . نبات ثابت فى مكانه يصطاد ذباباً سمياً بصيراً طائراً فى الجو وعنكبوت لا جناح له جعل طعامه من الذباب الطائر رجة بالبلاد والعباد . هذه قصة الذباب المذكور فى الآية إذ يقول الله تعالى - إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب - أما الطالب فهو الذباب وأما ضعفه فهو مع ما أعطى من الأعين ومن القوة والأجنحة ووفرة الرزق فى الدنيا ورغد العيش قد التقطه الطير وأكاه العنكبوت التى يبيتها أو هن البيوت . فالعنكبوت ذات الثمانية الأرجل أكلت الذباب ذا الستة الأرجل والأجنحة فهو أخف حركة من العنكبوت . ومع ذلك صار طعاماً لها وهكذا النبات الحيوانى الذى جعله الله خاصاً بأكل الحشرات لتنظيف الأرض من الذباب وأمثاله ، الذباب ضعيف لأن الذى يبيت أو هن البيوت اصطاده والنبات الذى لا قوة له اصطاده وأنى ضعف بعد ذلك . فهذا الذباب مع هذا الضعف كله غلب الأصنام فأكل ما عليها من الطيب وذلك بحجة بصره ونفوذه . فانه يقول من ذا يقدر أن يخلق هذا الذباب الضعيف ومن ذا الذى يقدر أن يحكم النظام فيجعل تلك الحشرات مخلوقة بقدر بحيث تكون لغاية وهى تقليل الرطوبات ثم هو يصير طعاماً لغيره ويكون بيضه بقدر وقد أعطى

غريزة هو وأمثاله كالناموس والجراد انه لا يضع البيض إلا في مكان يصلح لأن تعيش فيه ذريته متى فقس
فهو وإن لم يربّ الذرية قد حرص عليها قبل وجودها فوضع البيض في الأماكن التي منها تعتدى بعد فقسها
فن هذا الذي يقدر أن يعلم هذا كله ويخلق هذه الخلائق ويعطيها آلاف العيون التي لا تدركها الأبصار وهي
تدرك مادق من المواد الصغار . فهل تخلقها هذه الأصنام التي لا سمع لها ولا بصر ولا أجنحة ولا حياة
هذه يا الله عجائب الذباب الذي خلقته ونشرته في الأرض - ليهلك من هلك - بالأمراض منه - عن بينة
ويحيا - بالعلم والعرف والدرس - من حي عن بينة - فالأول بتقصيره والثاني بتشميره وجده والله هو السميع العليم
خلقت يا الله هذا الذباب منذ خلقت الدنيا وأعطيته هذه القوة وزوّقه بالأجنحة والأعين ولكن أكثر
أهل الأرض ما كانوا يعلمون وإنما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن العلوم والحكمة غافلون . لذلك
أرسلت لهم أنبياء فعملوهم وقالوا لهم إلهكم إله واحد فانظروا في عجائب الخلق في البر والبحر فسمع ذلك أقوام
وضلّ آخرون وبتوا في الزمان ضلّا أكثرهم . فإذا يفعل الحكمة ورجال الدين . نصبوا لهم الأصنام والمعابد
وشرحوا لهم أوصاف تلك المعبودات وأعظموها لأنها أقرب لعقولهم وأدنى من متناولهم ولم يقدر أكثر الناس
على فهم هذه العجائب التي ذكرناها في خلق الله فترى الأصنام شاخصة في كل مكان في مصر في العراق في الهند
في الصين . وسرى وصف آلهة الصين في أول سورة (الفرقان) وانهم وضعوها فوق الجبال الشاهقة المرتفعة
فوق سطح البحر (٥٠٠٠) قدم والدرجات التي توصل إليها عددها (٧٠٠٠) قدم والذهب إليها يحجها
يوجد نصبا ونعبا فيحمله قوم إلى المعبد فوق الجبل . ذلك فعل الناس من قديم الزمان . إن كهانهم لما رأوا
قصور عقولهم مثالوا لهم القدرة الإلهية والدوام والثبات والحكمة والرفعة والعلو بأصنام هائلة صخرية ثابتة
مصنوعة صنعا متقنا مرتفعة فوق الجبال يراها الابن كما يراها الأب جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن فيتحدث
بها الأب ويطبق أحاديثه للأبن لأنها ثابتة موطدة فوق أجبل كما أن الله العلي ثابت لا يموت رفيع على عظيم حكيم
فهذه الأصنام وضعها الناس قديما لتكون مثالا لجلال الله وعظمته أو مثالا للنجوم الزاهرات كزحل
والمشتري التي كانوا يعتبرونها آلهة عند كثير من الأمم وهي الكواكب السيارة التي تدبرها الملائكة والملائكة
عباد الله المكرمون . هذه عبادة المتقدمين . هذه يا الله عبادة الأمم القديمة وديننا لم يقل إن قوما يعبدون
الأصنام ولم يرسل لهم نبي قبل الاسلام يدخون النار . كلا . بل هم يحاسبون على حسب اعتقادهم - وما
كنا معذّبين حتى نبعث رسولا -

هذه هي الأصنام وهذا سبب عبادتها وهذا هو الذباب وهذا المتقدم عند الكلام عليه سبب ضعفه ومع
ضعفه غلب الأصنام وسرق ما عليها . إذن لتكن الأمم الحاضرة أطول باعا وأرقى همة من الأمم السابقة .
سبحانك اللهم فلتكن عبادة الأمم الحاضرة في الشرق والغرب لخالق الذباب المبدع العجيب الصنع الحكيم
الفعل . فلئن عجز السابقون عن فهم هذا الوجود وجهلوا بدائع الاتقان في أصغر المخلوقات كالذباب لن يقصر
باع الأمم الحاضرة عن معرفة عجائب الحكمة فليترقوا في العلم وليدخلوا حظائر الحكمة وليدرسوا كل شئ ومنه
الحشرات والذباب الذي غلب الأصنام . إن الأمم في مستقبل الزمان حين يطلع فجر الحكمة وليشرق شمس
العلم في الأرض لن يقدر أن يعبدوا الأصنام بل هم يدرسون ماهو أعجب من الأصنام وذلك هو هذه الدنيا
والمواليد الثلاثة التي رمز لها هنا بالذباب . إن هذه الحشرات وأمثالها لها شأن عظيم في العالم لذلك خصها
الله بالذكر ولم يقتصر على أنه قال - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وقوله - وفي الأرض آيات
للقومين - . كلا . بل قال - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها - رادا على المشركين
إذ لم يحجبهم ذكر الذباب وذكر العنكبوت في القرآن . إن الله مهد بالاسلام للأمم دراسة العلوم وأشار إلى
أن العقول اليوم ستفقه هذا الوجود وتنبذل معرفة الصانع في الحيوان والحشرات بالأصنام والشيوخ والمقابر

ومن يعش بربه والسلام

﴿ اعترض على المؤلف في مسألة أعين الذبابة التي تعد بالآلاف وذكر ما دار بينه وبين مدرسي المعارف ﴾
ههنا لما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه بعض الفضلاء قال لقد ظهر هنا عجائب الذباب والعنكبوت وأن
الثاني يصطاد الأول الذي هو ضعيف وأن الطيور والعنكبوت تطارد الذباب وأن الأضعف طعمة للأقوى وأن
العيش الرغد للذباب ليس دالا على رفعة القدر بل عيشة النصب عند العنكبوت أكبته شرقا وجاها .
وههنا سؤالان أبديهما ﴿ أولهما ﴾ اذا كانت العنكبوت نافعة بأكل الحشرات وكذلك الطيور إذن يجب المحافظة
عليهما في الحقول والحدائق . فقلت نعم قال العلماء في عصرنا الحاضر « يجب على صاحب البستان وعلى الفلاح
أن يحافظا على العنكبوت لأنها تأكل آلافا من الحشرات فهي نعمة على الفلاح . وعلى الطير كذلك » ولقد
تقدم هذا الثاني في (سورة يوسف) وهناك صور الطيور الممنوع صيدها بمصر وهناك في (سورة طه) طيور أخرى
وجدها نافعة للزرع وجب حفظها . فقال هذا عجب أن تكون العنكبوت مما تجب المحافظة عليها كأن الله
سبها في القرآن مشيرا للمحافظة عليها . فقلت ان هذه الحقائق غير منتشرة اليوم في بلاد الشرق انتشارا تاما
فقال كيف لا تكون منتشرة وهذه المعارف تدرس لصغار الطلبة . فقلت له ولكنها تدرس بغير تشويق وانما
يقرأ الأساتذة الدروس في أمثال هذا في التعليم الابتدائي والثانوي لمجرد المطالعة اللفظية والاعراب وتحليل الجمل
وصرفها ويصدون التلاميذ عن معانيها لعلمهم انهم لا يمتحنون فيها . وبما كان يؤلمني أني وجدت رؤساء
المدارس بمصر أيام اشتغالي بالتعليم فيها لا يأبهون لمثل هذه الأمور وقد كنت يوما في بهو مدرسة (دار العلوم)
وأنا واقف أمام دوحه صغيرة فيها نسيج عنكبوت وذلك النسيج واضح فجاء حين ذلك ناظر المدرسة فرأى مني
التفاتا الى ذلك النسيج وهو بيت العنكبوت . فقال وماذا أعجبك منه . قلت ان شكله محفوظ على حاله والأولى
بقاؤه لينظر اليه التلاميذ فيعرفوا شكله للدراسة وتوجيه النظر . فقال هذا أمر لا قيمة له ولولائه بعيد عن الأنظار
لازلت وما فائدة هذا وأنى علم فيه أو حكمه . هذا أمر لا قيمة له فحجبت كل الإعجب وعرفت ما اشتهر عن أهل أوروبا
اسم اذا احتلوا أمة من أمم الشرق شرعوا يمتنون النفوس المتعلمة فيلقون العلم اليهم قسورا ولا يحسبونهم فيه
خيفة أن تذهب النفوس الى الحكمة فيقلون من أيديهم

اللهم إني أحبك انك ألهمتنى أن أؤلف هذا التفسير حتى يكون نموذجا تقرؤه الأمم الاسلامية التي حكم
عليها بالاستعلاء فلا تحرم مما يحبها في العلم على الوجه الصحيح فيكون ذلك سبيلا لرقيهم واستقلالهم وقرؤه
الذين هم مستقلون في بلادهم فيزيدهم شوقا الى العلم والحكمة ويجددونه موافقا لما يدرسون من علوم هذه
الدنيا التي هي علوم القرآن الذي هو كلام الله والعلم فعله والفعل والقول متلازمان . فقال صاحبي هذا هو
السؤال الأول قد استوفيناه ﴿ السؤال الثاني ﴾ إنك قلت إن الذبابة لها أربعة آلاف عين فهل هذا القول
تقبله العقول أنهم لا ومن ذا الذي يظن أن للذبابة ثلاثة عيون فضلا عن ١٠ فضلا عن الألف بل الآلاف إن
هذا خارج عن العقول والمنطق فأى منطق هذا وأى عقل يقبله والله إن كتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ وكتب
الخرافات لم تجرؤ أن تقول مثل هذا القول بل كتب الخرافات لأصحابها عذريتها فان الناس لعلمهم أن صاحبها
وضعها على سبيل الرواية لا يزددون كلامه أما هنا فان جملة مثل هذه يسمعون القارئ لهذا التفسير فينصرف
قلبه ويقول يظهر ان هذا المؤلف ينقل الكلام بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير فما هو إلا أن يقرأ كتابا فريحا
مثلا فيعتقد أنه كتنزيل من حكيم جيد والافرج فيهم المخرفون كغيرهم . فاذا قلت لنا إن الذبابة لها أربعة
آلاف عين فعناء اتنا قوم لاعقول لنا . فقلت آم كلامك . قال نعم . فقلت أذكرك بما مضى في هذا
التفسير وأن قطرة الماء فيها مئات الآلاف من الحشرات وكل حشرة لها عيان وسمع فكيف وسعت هذا
كاه . وأذكرك أيضا بأن قطرة الماء تحتوي على ذرات بحيث تعدد (٥) وعلى يمينه (١٨) صفرا .

وأذكرك بأن كل جسم من الأجسام فيه مسام وهذه المسام بينها فتحات عظيمة جداً بالنسبة للذرات المتلاصقة فهل تستبعد أن يكون للذباب أربعة آلاف عين وماذا تقول إذا أخبرتك أن هناك حشرة تعيش على العليق كبيرة الحجم تكون عينها مشتملة على عيون صغيرة تبلغ (٢٧) ألف عين . فقال هذا كله زيادة في الاستغراب وأن ما ذكرته لا يفيد إلا امكان الحصول وفرق بين الممكن حصوله وبين الموجود الحاصل فعلا . فقلت هل لك أن أقص عليك قصا يناسب حديثي معك الآن ومنه يتضح المقام و يصير الغائب عنا الآن كالعيان . فقال حبا وكرامة . فقلت

﴿ محاورات بين المؤلف وبين بعض المدرسين بوزارة المعارف أيام الامتحان ﴾

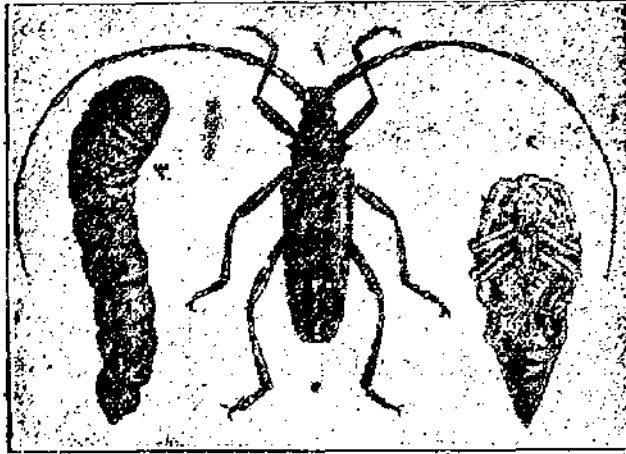
لقد كنت يوما جالسا مع بعض الرفاق بعد العصر أيام الامتحان بقصر درب الجاميز وذلك كان في امتحان آخر السنة لاعطاء التلاميذ الشهادة الابتدائية والثانوية كالعتاد كل سنة فقال لي قائل منهم وذلك في سنة ١٩١٥ تقريبا . انظر الى هذا الفصن وأوراقه البديعة المنمقة الحسنة الشكل . إن بعض الاخوان يقول ان نظامه أجل من نظام النمل الفارسي لحسن الانتقان . (أقول ولقد كنت قبل ذلك ألقت كتابا وكتبت في بعضها أن عين النملة مركبة من مائتي عين لأنني كنت رأيتها في كتاب صغير من الكتب الانجليزية التي يدرسها التلاميذ في المدارس الثانوية . ولقد كان هو وبعض الاخوان اطلعوا عليه فأرسلوا هذا ليحادثني هذا الحديث حتى أذكر ذلك فيكون سببا في الأخذ والرد والقدح فيما أقول كما هي العادة في كل الأمم في أمثال هذا الشأن) فلما قال ذلك أجبته . كلا يا صاح . فقال وما البرهان . فقلت (أولا) ان الحيوان أرقى من النبات (ثانيا) ان عين النملة مركبة من مائتي عين . فقال أيها الاخوان من منكم يعرف أن عين النملة مركبة من مائتي عين . فقالوا جميعا . كلا لا نعرف ذلك . فقلت أنا قرأتها في كتاب انجليزي . فقال يا فلان يا فلان هل قرأتها وأنت في انكلترا . قال . كلا . ثم كلا وهذا غير معقول وصارت هذه حديث القوم في ناديتهم وسموهم وطاروا بها فرحا يتغنون بها ويفخرون و يفرحون إذ أظهروا خطأ في بعض هذه الكتب . فقلت لهم يقول الله تعالى - فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر - فتوجهت الى أكبر مدرّس في (مدرسة الزراعة) بخوان فأحضر عين النملة ووضعها تحت المنظار ورأيت بعيني رأسى تلك العين عبارة عن أعين أشبه بأعين الغربال أقل عدد لها مئتا عين ثم قرأ أمامي ما كتبه علماء النسا والألسان في القرن العشرين وانهم حللوا كل عين تحليلا تاما وشرحوها فوجدوها عيوناً مستقلة تامة الاستقلال . إذن تكون النملة لها (٤٠٠) عين على الأقل . فلما تم ذلك ألفته في رسالة اسمها ﴿ رسالة عين النملة ﴾ وستقرأها في (سورة النمل) مع قصتها المذكورة بهيئة أدبية وترى هناك شرحا لها وافيا ونشرت هذه الرسالة في الجرائد وقرئت أمام محفل المدرسين فسكنوا للحقيقة أجمعين . وأذكر أن أرفعهم مقاما وعاما وقد تعلم في ألمانيا قد كان خاطبني قبل ذلك منكرا هذا الرأي فقلت له هو في الكتب الألمانية والنسائية والانجليزية فقال كذب الاوروييون فقلت لهم معي الى (حلوان) فان مدرّس العلم مستعدا لمقابلتنا هناك وهو بريك عين النملة فهناك سكنا واعتذروا بعد ذلك ألقت الرسالة وقرأها واحد منهم عليهم أجمعين كما تقدم

فقال صاحبي هذا عجب ولكنني أريد أن أعرف في أي كتاب رأيت أن عين الذبابة مركبة من أربعة آلاف عين . فقلت هي تقرأ الآن في مدارس الشرق والغرب لاجدال فيها وهي الآن تدرس في مدارسنا في الكتب المنشورة بين أيدي تلاميذ المدارس باللغة الانجليزية في ﴿ كتاب الانشاء ﴾ . فقال يا محبا كل العجب وكيف يعرفها التلاميذ ويجهلها المدرسون . فقلت إن المدرسين صرفت أبصارهم عن أمثال هذا فهي في الكتاب أمامهم ولكنهم يحقرون النظر اليها والتفكير فيها . ألم تر أن المسلمين يقرؤون صباح مساء - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وهكذا حتى ان شيوخ الصوفية قد أمروا تلاميذهم بقراءة آيات دالة على

أمثال هذا النظر مثل قوله تعالى - قل اللهم مالك الملك - الخ ونحو - شهد الله أنه لا إله إلا هو - ومثل قوله - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار - الخ . هم يأمرون تلاميذهم بذلك ومع ذلك لا هم ولا تلاميذهم يتفكرون في خلق السموات والأرض . فقراءة الكتاب وحفظه غير حب العلم وعشقه . ألم تر إلى ما تقدم في قول الشيخ الديلمى (ليس المدار على أن ترى الجلال وإنما المدار على أن قوتك الإدراكية تذوق الجلال) فالنظر للجمال شئ وذوق الجلال شئ آخر فكثير من أمم الشرق اليوم حجبوا عن إدراك الجلال أى ذوقه وذلك لأسباب طارئة وعوارض حاجبة قال تعالى - وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا - فهذا حجاب مستور مسدول على هذه العقول وهى متى أزيلت حجبها المسدولة عليها أدركت الجلال وارتقت إلى حال الكمال . فقال إذن كأنك تقول إن هذه الآية وهى قوله تعالى - إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والطلوب - تدخل فيها هذه المعانى كلها وأن الله أنزلها ليوقظ الأمم لقراءة الذباب والحشرات وكل حيوان ونبات . فقلت نعم أنا أقول ذلك والله عز وجل لما أنزل الآية أراد هذه المعانى وأراد معانى لم تصل نحن إليها الآن وهذا فتح باب لرقى الأمم التى نقرأ هذا الكتاب المقدس لأنهم متى علموا أن عناية الله بذكر هذه الحشرة موجهة لهم هم أخذوا يتنافسون ويبحثون فى العلوم والحكمة ويستلذون بقراءتها ويفرحون بدراستها وأن الأمم التى حولنا فى الشرق والغرب جميعاً يقولون (إن الرجل لا يكون رجلاً نافعا لأمتة فاضلا إلا إذا درس هذه العوالم وأشرب قلبه حب حكمتها وأدرك بدائعها . فهناك يسمو بفكره إلى النظام العام فى العالم ويرقى أمتة لأن عقله قد أشرب النظام والجمال فصارت الجبال من طبعه بما اكتسبه من النظر فى العجائب هناك يشرق من قلبه ولسانه ويده نور العرفان والعدل وأسعاد أمتة) والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم فقال صاحبي ومما مناسبة قوله تعالى - ما قدروا الله حق قدره - فى مسألة الذباب والأصنام . فقلت هذا ظاهر واضح لأن قدر الله إنما يعرف بصنعه لا بصنع البشر أصناماً وليس الذباب أعجب شئ فى صنعه وإذا كان الأدنى من صنعه فيه عجائب كثيرة فكيف بالأعلى . فاذن الناس لا يعرفون قدر الله ولا عظمتة ماداموا يحولون صنعه وإبداع نظامه . انتهى

(الدود والجنادب والذباب والحشرات والأصنام)

لقد اعتاد الناس فى القرى ببلادنا المصرية أن يضعوا على اللبن ملحاً ويسمونه (مش) ويتقونه فى القدور أسابيع وقد سدوها سداً محكما وقد وضعوا مع هذا المش جبناً فاذا فتحوها وجدوا هناك ذباباً كبيراً فى جوف القدور ودوداً فى نفس المش فلا يفكرون فى ذلك الدود ولا فى الذباب من أين جاء وإذا سألتهم من أين جاء الدود قالوا لك بلسان واحد (دود المش منه فيه) وهذا مثل جرى على ألسنتهم وهو خرافة لاحقيقة لها وهكذا يجد الناس اللحم المتفن فيه دود فيظنون أنه كلش أيضاً ودوده منه وهكذا واعلم أن الله عز وجل أكثر من هذا الذباب وجعله كأنه سياط يضرب به أهل الأرض ليستيقظوا من الجهالة لاسيما المسلمين . إن هذا الدود هو الذى فقس من البيض الذى وضعه الذباب فى المش المذكور وفى اللحم وفى كل منتن من الطعام ثم يصير هذا الدود جنسداً أو (شرنقة) ثم تصير ذبابة تامة (انظر صورتها فى الصفحة التالية . شكل ٨)



(شكل ٨)

(١) الفراشة الناقمة (٢) والشرنقة التي تراها كأنها محنطة ملفوفة في كفنها (٣) الدودة تتغذى وتتمو
لعل المصريين القدماء اقتبسوا تخنيط الجثث من هذه الحشرات
إن الله عز وجل أرسل هذه الحشرات بين أيدينا ومن خلفنا تنفص علينا العيش وتذيقنا الأمراض والوبيلة
لندرس هذه الدنيا كأنه يقول لنا أيها الناس هذه الحشرات خلقتها في الرمم والهمتها أن تضع بيضها في طعامكم
وشرابكم تشاهدونها كل حين فتعلمون أن القاذورات التي تعافونها وتأبون النظر إليها قد خلقت منها حشرات
طائفات عليكم تعطيك الدروس وهي ذات ألوان زاهية باهرة ما بين أزرق زاهر وأبيض يقق وأخضر ناضر
وأصفر فاقع وأحمر قان وذهي اللون وعقيقه وبنفسجيه . أفلا يهز عقولكم أيها الناس هذا الجمال . أنا
اشتقته من الرمم البالية والقاذورات المنبوذة الكريهة الرائحة والطعم واللون وهذه الحشرات عوالم أعداد
أنواعها أكثر من مجموع أنواع الحيوان وأنتم لم تعرفوا منها الآن إلا نحو (٢٠٠.٠٠٠) وربما تكشفون
في المستقبل ألف نوع وكلها تنقلب في الأدوار الثلاثة السابقة . فبينما ترونها دودة لدنة الملمس تنسل بين
التراب والأعشاب إذا هي جندب صلب القشريث وثبا فإذا هي فراشة ذات أجنحة ذات لون بهيج والود قد
يأكل التراب ويهضمه ولكن الجندب والحشرات لا تهضم إلا الأعشاب . ومثل الذباب في نشأته بين القاذورات
الجعلان والعناكب والخنافس والنحل وقد قترروا أنواع الخنافس وحدها (٨٠٠.٠٠٠) نوع . ولما كان أمر
هذه المخلوقات عجيبا بديها رأى قدماء المصريين تدب الجعلان (جمع جعل) لهذا ولما لها من منزليات أخرى
كأن تضع بيضها في كرة وتدحرجها مرات حتى تكمل العمل فيها ومنها يخرج صغارها وقد جعلوها رمزا
للخصب ورسموها في كتاباتهم على (البابروس) ونقشوها على الهياكل وصنعوا لها التماثيل وكانوا يصلون
لها . إذن كان المصريون أولًا يجهلون دلالة على جمال الحكيم المبدع وقدرته ثم تناسوا ذلك وعبدوها هي
إذن هناك مناسبة بين ذكر الذباب الذي يمش في الرمم البالية وبين الجعل الذي هذا وصفه فكلاهما دلالة
على مبدع هذا الوجود حتى عبده قوم . ولا جرم أن الحشرات ومنها الذباب المذكور في الآية أبدع من الأصنام
وأرقى منها وكلاهما بالضعف موصوف ولكن أحدهما أضعف من الآخر فكيف عبدوا أضعف الضعفين .
إذن هؤلاء الذين يعبدون الأصنام أكثر سخافة ممن عبدوا الجعلان وهؤلاء وهؤلاء في الجهالات سيان .
فلتقرأ الأم جميعها نظام الخليفة وبدائع الخلق ليعرفوا الصانع بصنعه والحكيم بفعله . وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون . ولقد اطلعت على جملة في عجائب الحشرات فرأيتها توضح مانحن بصددده أيضا من كتاب
(علم الدين) فأحببت ذكرها لجمالها وحسن نسقها وهما هي ذه

﴿ إن الحيوان يخلق أولاً في صورة ثم يتغير وينقلب الى صورة ثانية ثم الى ثالثة وليس التغير خاصاً بالصورة بل يعتري الطباع والأحوال أيضاً حتى لا يبقى فيه شيء من أحواله وطباعه الأولى فتراه يكون في أول مرة كدودة قدرة قبيحة للنظر راسية في قاع البحر مستورة بما في قراره من الوحل والطين فإذا انقضى الوقت المعين لهذه الحالة وأراد الانخراط في سلك الحيوانات الهوائية علا على سطح الماء وتعلق بغصن من نباته فعند ذلك يتخلى عن ثوب الديدان ويتحلى بكسوة ظريفة الشكل وصورة بهية المنظر كثيرة الألوان ذات أجنحة كاللؤلؤ والمرجان فيطير بها في الهواء الى حيث يشاء . فانظر كيف خرجت هذه الدودة المائية عن ذاتها الأولية الى صفة الحيوانات الهوائية . وبتغير صورتها كما ذكر تغير جميع طباعها وأحوال معيشتها واحتياجاتها وسائر حالاتها وبعد أن كان غذاؤها مما في قاع البحر من الحشيش ترعاه دائماً ولائماً ولا تستغنى عنه صارت لانهواء ولا تقربه كما انها بعد أن قضت مدة حياتها الأولية تحت الماء في الطين صارت لا تحب إلا فضاء الجو ونسيم الهواء ترح فيه وتعيش به ولا تألف المكث تحت الماء بل لا تطيقه ولا تقدر عليه حتى لو كلفت أن تقيم تحته لحظة هلكت في الحال فلامناسبة بين حالتها الثانية وحالتها الأولية وكذلك أمثالها من الحيوانات التي تتغير طباعها وأشكالها فان الحيوان ذا الأجنحة الزمرذية الذي تسميه العوام (بالجمران) وكان المصريون يعظمونه أصله من دودة تدب في بطن الأرض لانسبة بينه وبينها بوجه من الوجوه وكان الأقدمون يجهلون ذلك الى زمن (أرسطو) وهو أول من فتح باب البحث في هذه المسألة إلا انه تكلم فيها بالظن والحدس واستمر الأمر على ذلك الى هذه القرون الأخيرة فنظر فيها كثير من الحكماء ومشاهير الطبيعيين فظهر أن الحيوان من هذا القبيل حين تخلفه يكون مجرداً عن الأجنحة في هيئة دودة صغيرة ثم يأخذ في التكبر وازدياد الحجم يأكل بعض الحشيش وغيره من المواد الأرضية حتى اذا بلغ درجة معلومة من العمر لبس غير ثوبه وعدم الحركة بالكافية وصار في مقره كأنه قد مات ودفن في قبره فيبقى كذلك مدة تنعدم فيها جميع الأحوال الدودية بتدبير إلهي لاعلم لأحد به ثم يظهر بعد ذلك في صورة أخرى ذات جناحين كالحيوان المعروف عند العامة (بفرع لوز) وقد شوهد أن الدودة في حال انقطاع حركتها ولبثها بمقرها تكون كقطعة عجينة ملتفة في مادة زرقاء تكون لها كالكفن لرم الموتي التي ترى في قبور الأقدمين من المصريين فإذا جاء الوقت المعين خرقت هذا الكفن وخرجت منه وصارت في الصورة الجديدة . ومن الغريب أن هذا الحيوان يخرج من بيته الضيق الذي صار قبره من غير أن يحصل لأعضائه الدقيقة أدنى خلل وكثيراً ما يكون هذا القبر مركباً من ثلاث طبقات (الاولى) مركبة من مواد موضوعة بحيث ينزل المطر من فوقها (والثانية) من مواد ألطف من الأولى شديدة الامتزاج ببعضها وهي لوقاية الجسم من العواض الجوية (والثالثة) هي الثوب أو الكفن الذي تقدم ذكره ومن نظري الحيوان المعروف بأبي دقيق وتبع أحواله وأشكاله وجده يتغير ثلاث مرات ينقلب فيها الى ثلاث حالات ليس بين واحدة منها وبين الأخرى مشابهة البتة حتى يظن انه يموت ويحيا ثلاث مرات مع انه في الواقع ونفس الأمر ليس كذلك وإنما يعتريه سكون تام يتعطل فيه عن الحركة الظاهرة مدة من الزمن تشغل فيها القوة الحيوانية بواسطة آلاتها الخفية بالانتقال من الصورة الحالية الى الصورة الجديدة فاللدودة من أصل خلقها مشتملة على جميع ما يلزم للصور التي تنحول لها وتنقلب اليها فكأنما هي في ثلاثة أبواب مختلفة الهيئات بعضها فوق بعض فتشق الواحد منها وتخرج منه فتظهر بهيئة ماتحة فتبقى فيه ماشاء الله ثم تخرج منه وهكذا حتى تظهر في الهيئة الأخيرة فتبقى عليها الى أن تموت بها وبعض الحشرات لا يظهر عليه عند تغير صورته ما قدسنا ذكره من السكون وترك الحركة ولا يعتريه كل هذه التغيرات والتبدلات وإنما ينتقل من صورة الى غيرها بتمدد أعضائه وكبرها مع التقدم في السن وبعضها ينتقل الى عدة صور يدخل فيها على التوالي من غير أن تظهر عليه حالة السكون المذكورة وإنما تعلم صورته الدودية بعدم وجود الأجنحة وذلك كالحيوان المعروف بالبق .

ومن الديدان المائية ما يبقى سنين عديدة على حالة واحدة ويتغذى بما في مستقر المياه من القاذورات ورم الأسماك فإذا تحول إلى الصورة الأخيرة وظهر في تلك الهيئة اللطيفة لا يعيش إلا زمنا قليلا لا يزيد عن نصف ساعة ثم يموت بعد أن نبض الأنثى منه بيضا . فمن تأمل في هذه الحيوانات وهي في مستقرها أو رآها وهي مستورة بكفها في قبرها ونظرت تعدد أشكالها وألوانها وصورها واختلافها في كبرها وصغرها وأنتم النظر فيما تظهر به وتنجلي فيه من المنظر البهيج والكسوة الفاخرة المطرزة بما يفوق وصف الواصف ويستوقف النظر الناظر ويزدري برونق الدرر والجواهر من النقوش الغريبة بالألوان المحيية أذعن بالربوبية الخالقها ومبدعها القادر العظيم المدبر الحكيم وخضع لجلال عزه وعظمته ونبرا من علمه وحوله وقوته فمعلومات الإنسان ولو امتد به الزمان بالنسبة لمعلومات الله سبحانه إلا كذبة المعلوم إلى الموجود . فكيف يطلع على كنه هذه الأسرار أو يستخرج جوهر هاتيك البحار إلا أن أمده الله بأعانه وشمله بحسن عنايته . انتهى ما نقلته من كتاب (علم الدين)

(محاضرة على هذه السورة في قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - الخ)
في هذا اليوم وهو الثالث من جادى الثانية سنة ١٣٤٣ هجرية أى بعد اتمام السورة بيوم واحد قابلنى أحد علماء الأزهر فسمع بعض هذه الأقوال في قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - فقال اننى أريد مناسبة بين المثل وبين ما ذكرته من العلم وكألك جعلت ذكر الذبابة موضوعا وكتبت عليه والا فالآية ليس فيها إلا شئ واحد وهو احتقار الأصنام التى كان أحقر المخلوقات يسلمها . وكانت تلك المحاضرة بجوار الجامع الأزهر بحضور الطلبة الجاوبين . فقلت له إن فيما كتبت ما يقع بأن ذلك مناسب للآية وإن أردت إلا الزيادة عليه فهناك ما به يتضح المقام

(١) قد قدمت هنا أن الله قال - فاستمعوا له - فاستمعنا وقلنا لا بد أن تكون هناك أمور وراء المثل المشهور وهذا كاف في البحث في الذبابة وما تبعها

(٢) اتنا إذا سمعنا المثل فليبحث في جميع أطرافه وهى هنا الأصنام والذباب . وصفت الأصنام بالقوة والذباب بالضعف فلما بحثنا عن الذباب الذى وصفه الله بقوله - وإن يسلمهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه - دعانا ذلك إلى البحث في تشريح الذباب وقوته وعيونه التى سيأتى ذكرها في (سورة النمل) وفي مهارتها في ذلك ثم في مضارها للإنسانية ومنافعها وإيس ذلك بدعا فلما نقول إن عادة العرب أن يستسلوا في موضوع كهذا . ألم ترى إلى امرئ القيس في معالته كيف وصف القفر الذى قطعه بأن فيه ذبابة وذكر في الذبابة بيتين ونصف بيت فقال إنه يعوى وأنه لما عوى قال له امرؤ القيس أنا وأنت شأنا قليل الغنى وكل منا إذا نال شيئا أفاقته ثم ذكر الحصان ووصفه بصفات بلغت نحو ١٧ بيتا . وترى طرفه بن العبد وصف ناقته في ٢٩ بيتا في معلقته وماهى الناقة . يقول انى أمضى الهم عند احتضاره بركوبها ثم استمر يصفها . وترى لبيد بن ربيعة العامري في معلقته يصف الناقة التى يركبها بنحو ١٤ بيتا . ثم يوازن ما بينها وبين البقرة الوحشية بنحو ١٧ بيتا فهذه كلها (٣١) بيتا كلها مذكورة لأجل الناقة . وعمرو بن كلثوم يصف محبوبته في نحو عشرة أبيات وهكذا مما لا حصر له . فإذا كنا نرى العربى القح صاحب اللسان الفصيح يذكر الذبابة في عرض الكلام فيصفه ويذكر الناقة وهى ليست محبوبته ولا مقصوده فيصفها وصفا عجيبا وأكثره خيالى مبالغ فيه ويصف البقرة الوحشية التى جعل ناقته أفضل منها جريا وأكثرا في شرحها . لماذا . لأن لها علاقة بذقنه من حيث إن الناقة أفضل منها ومتى كان المفضل عليه أشرف كان المفضل أكرم شرفا وهكذا . فإذا كنا نجد اللسان على هذا النوال وقد صفوا ما جاء في عرض الكلام وأطنبوا وصفا ليس له فائدة إلا تلمية العقول وحسن القول وإذاعة الفصاحة وأن يقل إن الشاعر بارع وبراعته في اختراع المعانى الدالة على اطلاعه على أمور كثيرة

أفلا يسوغ لنا أن نصف الذبابة التي ذكرها الله وصفاً لا مبالغته فيه وهو حقائق صادقة وليس المقام مقام بلاغة
 نحسب بل المقام مقام أم ترتقي وتعيش وتأخذ حظها من الوجود . فإذا كان أهل اللسان وهم أجدادنا هكذا
 يفعلون لجرد التسلية ووصف الشاعر بالبلاغة وتحدث الناس في مجالسهم ليكون تسلية لهم ومضية لوقتهم فوائده
 لنحن أحق بأن نعطر المجالس بعبير الرحمة الإلهية التي تفيض على من يقرأ هذا الكتاب وينظر في آثار رحمة
 الله وليس يكون ذلك تسلية لجالسهم نحسب . كلا . بل هو انعاش لمدنيتهم وترقية لأنفسهم وإخراجهم من الدن
 الى العز . علم الله قبل نزول القرآن أن أمم العرب من شأنهم في قولهم هذا فأنزل القرآن وضرب الأمثال
 وقال - ثم إن علينا بيانه - فلعمرك أن هذا من بيان القرآن فلنصف الذبابة كما وصف امرؤ القيس ومن على
 شاكلته دوابهم لأدنى مناسبة . ثم قلت بعد ذلك ﴿ على أنه لو لم يكن ذلك فرضاً فليكن من الفكرة العامة في
 القرآن وهو التفكير في كل شيء كما قدمنا في هذا التفسير فالذبابة لم تخرج عن كونها مما أمر الله بالنظر فيه . أليست
 مما في الأرض . لهذا ننظر ونفكر

﴿ نمط آخر في المحاضرة ﴾

ثم قلت وإذا كنا نرى الذبابة تستلينا ماعليتنا وما بين أيدينا ونجعل الطعام الذي أمامنا قدراً وتضع بيوضها
 في عيون أبنائنا وفي لبننا الذي نضعه في الجرار وهذا اللبن إذا غطيناه مدة أشهر ورفعنا الغطاء عنه لنا كله
 كما هي عادة بعض الفلاحين في مصرنا ويسمونه (مش) فانا إذ ذاك نجد ذباباً كبيراً يعيش في جوف هذه الجرة
 وهو لم يسمع عن الدنيا ولا نظرها وما هذا الذباب إلا الذي أفرخ في هذا اللبن وأصله كان دوداً والدود كان
 أصله بيضا والبيض كان من الذباب والذباب كان ينزل على اللبن لتفريط الناس في متاعهم وانما أنزل على اللبن
 أو على أعين أولادنا لأن الله هو الذي علمه . علمه انه لا يضع البيض إلا في مكان صالح والمكان الصالح هو
 الذي فيه غذاء له فتخرج أولاده في اطمئنان وسلام في بيوتنا ومنازلنا أكثر من اطمئناننا نحن على أبنائنا
 فانا لاندري ماذا تعمل الفرجة فيهم غدا ولا ندري ماذا يراد بهم ولم نعمل معاملته الذبابة ولم نحافظ عليهم

هذه هي القراءة التي يقرؤها المسلم في الذباب ويقرأ المسلم أيضاً فوق ذلك فيقول إن (أباديق) المتقدم
 ذكره والمحل والنحل والزناير لها صفات ولها منافع ولها أحوال وهكذا بقية الحيوانات وكذلك الحيوانات
 الدقيقة المسماة (بالمكروب) التي تسطو علينا تقتلنا وتمرض أبنائنا بالحصى والجدرى وهي التي لم يعرفها
 الناس إلا في هذا الزمان . فكل هذه حكمها حكم الذباب لها منافع ولها مضار . فيالله وبالله وبالمعجب .
 يارسول الله انظر أمتك . انظر أمتك يارسول الله بعد ألف وثلثمائة سنة من الذي ينظر في شؤونهم . تنظر في
 شؤونهم أهل أوروبا فهم والله الذين يدرسون (علم المكروبات) وعلوم الأمراض ويقولون الطاعون له دواء
 كذا ويحللون تلك الأمراض . ولقد جاء رجل ألماني الى مصر قبل الحرب وهو الذي نشر هذه العلوم فيها
 انتشاراً مضيئاً عليه لسيطرة الأجانب على البلاد . فهل يجوز في شرعة الانصاف أن يجهل المسلمون هذه
 المضار . أليس الذباب وغيره من الذباب يبعث بحياتنا ويقتل المكروب أي الحيوانات الدقيقة التي لا ترى إلا
 بالمكروسكوب آلاف وآلاف من أبنائنا ونحن لا نعرف بل لانصدق أن العلم ينفع وأوروبا تفوقنا وبالله ما الفرق
 بين الأصنام وبين الأمم النائمة التي سلطت عليها الهوام والحيوانات الدنيئة . لم يسلط علينا الذباب فقط بل سلط
 ما هو أنقص من الذباب ونحن لاندري أن الله خلق شيئاً من ذلك . لا لا بل سلط علينا الحيوان ونوع الانسان
 فنحن تحت تأثير الحيوانات ولاندري أنها تؤذيها بل لاندري أنها خلقت . ولاندري أن الجدرى والحصباء
 والطاعون والحصى كل ذلك بجنود يرسلها الله من الحيوانات التي عرفها الناس والمسلمون نائمون . حيوانات
 حية تعيش وتلد وتموت وبالله تسليتها الطبيب كما سلبت الأصنام ولكنها تسليتنا أبنائنا وزرعنا ولما ضعفتنا
 وجهلنا سلط الله علينا أوروبا لتقوم بأمرنا وتأخذ الثمن أن تستعبدنا . فهذا هو ما فهمته في قوله تعالى - إن

الذين تدعون من دون الله - وحاشا لله أن أقول أن معنى الآية هذا - ولكن أقول إن هذه المعاني رمزية ولا غشاضة في ذلك . فالكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه قلعة في الآية على حاله - ولكن يجاء بالمعنى الآخر تبعاً ويكون هو المقصود والحمد لله الذي جعل في الأئمة علم البيان ليرجع إليه من لم يكفه ما نقول

فإذا بقي المسلمون مستسلمين لليأس وقعدوا عن العلم والعمل فهم (والعباد بالله) باقون على التقليد وتكون آراؤهم العتيقة المحصورة كأنها معبودة لهم لعدم انخراطهم فيها . ولعمري ماذا أت الأصنام إلا لأنها قيد للأفكار ولقد تقدم حديث (أن عبادة غير الله عبادة للأهواء) فتكون النتيجة أن من اتبع هواه فكأنه عابد له . فعبادة الأصنام ترجع لعبادة الهوى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه -

فإن الذين هم المسلمون هم الذين قيدوا الدين وهم إذا سمعوا قوله تعالى - ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين - قالوا هذا حق وإذا قيل لهم انظروا في بقية المنافع فإن الله سخر لكم ما في الأرض جميعاً ولما علم أن علمنا قليل قال - وبخلق ما لا تعلمون - يريد بذلك أن نعلم ما تجهل ويدل عليه - وقل رب زدني علماً - إذا قيل لهم ذلك يقولون لا لا هذا حرام هذا خارج عن الدين لا يبحث القرآن عنه وأشياخنا وكتبنا لم تقل ذلك . فلنقل لهؤلاء . أيها الناس إن الأمم إذا طال عليها الأمد قست قلوبها والأمة الإسلامية المسكنة حصل لها اليوم ما حصل للأمم السالفة . إن القسيسين في أوروبا كانوا يتحكمون تحكما أدى إلى التهلكة والقرآن ضربهم ضربة دؤخت رؤساء الدين وشنت شمل تلك العقائد والتحكم في الأعراض والأشخاص والملوك كما تقدم في قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وأمتنا المسكنة محبة لدينها ولكن طرأ عليها ملوك وأمم أذلها من بينها ومن خارجها وذلك في نحو سبعمائة سنة وهما هي ذه تريد أن ترجع مجددها ورجوع مجددها بالاسلام أسرع من رجوع مجد أوروبا بالذي ظهر في نحو ثلثمائة سنة ونحن لا يعوزنا هذا الزمن كما موسيكون رقي المسلمين في نفس هذا القرن لأنهم أقرب إلى الرقي . فقال أحد الحاضرين أوضح ما ذكرته من علم الحيوان في أواخر السورة بمناسبة الباب . فقالت اني قد ظهر لي العجب في هذه الآيات بعد تمام تفسير الآية . فقالوا وما هو العجب . قالت رأيتم قوله تعالى - اقرأ باسم ربك الذي خلق - خلق الإنسان من علق - قالوا هذه أول آية نزلت . قالت انظروا وتعجبوا . أستم تعلمون فيما ذكرته أن العلق إحدى الحيوانات التي تقدم شرحها . قالوا بلى . قلت أولستم تعلمون أن الله يقول - وجعلنا من الماء كل شيء حي - قالوا بلى . قلت أولستم تعلمون أن العلم الحديث جاء فيه أن جميع حيوانات البر على ما يظنون كانت في البحر ثم انتقلت إلى البر وأن كانوا لا يحسنون أن يعلموا كيفية ذلك . قالوا بلى قد فهمناها الآن . قالت نعم إن الضفادع تخلق في الماء وتعيش فيه في صغرها فإذا كبرت خلق الله لها رئة وجعلها من ذوات الدم البارد وأخرجها إلى البر وتنزل الماء في بعض الأوقات إذا أحسنت بأدنى ضرر وربما اختفت فيه نحو ساعة لا يغبر ولا تتحمل أكثر من ذلك وقد تكون فيه أمدا طويلا إذا صارت خامدة في زمن الشتاء شبه الميتة فإذا جاء الربيع حييت . قالوا وما قصد بهذا . قلت أقصد أن حيوان البر على ما يقوله الطبيعيون كان في البحر فيكون قوله تعالى - وجعلنا من الماء كل شيء حي - أي أنه كله كان من الماء وهو أشبهه بالضفادع والضفادع تكون لنا مثلا ضربه الله لنا ليعرفنا أنها كلها كانت في الماء ولكن هناك نوايس لانعلمها قد عملها لتلك الدواب فأخرجها إلى البر كما أخرج الضفدعة . قالوا حسن هذا ولكن ماذا تريد بهذا القول الآن . قلت أريد أن أقول إن العلق من الحيوانات الأرضية الطينية وقد خلق الله الإنسان من علق فهو في أول نشأته يشابه نشأة الحيوانات في البحر في قديم الزمان لأن جميع الأرحام مائية كأنها حفظت أصل الخلق وأنه كان من ماء . قالوا ثم ماذا بعد ذلك . قلت قال العلامة (قون باير) حفظت جنينين صغيرين في الكحول ونسبت أن أكتب اسم كل واحد منهما عليه واليوم يتسدر علي أن أعرف من أي صنف

هما من القواضم أم الطيور أم ذوات الثدي نعم ان أطرافهما لم تكن تكونت وهب انها كانت فوجودها في أول تكونها لا يفيد شيئاً لأن أطراف القواضم وذوات الثدي وأجنحة الطيور وأرجلها متشابهة حينئذ ولا تختلف إلا بعد ذلك كما يرى في مقابلة صور جنين الانسان والكاب والدجاجة والسلحفاة . ويقول علماء العصر الحاضر ﴿ ان كل جنين صادر أولاً من بيضة أو بزرّة لا يختلف بناؤها الجوهرى ولا يختلف بعضها عن بعض إلا في الحجم والشكل وهذه الخلية تنمو بالانقسام وأجنة الحيوان التي تنشأ من هذه البيضة تكون متشابهة في الأطوار الأولى يصعب تمييز أجنة ذوات الثدي من أجنة الطيور وسائر أجنة الحيوان الفقريّة ﴾ ويقولون أيضاً ﴿ ان أصل الماهية العضوية في نشو الانسان (علقة نووية) مستديرة الشكل يبلغ قطرها ١ من ١٢٥ من القيراط فاذا ألقيت عليها نظرة بعين مجرّدة رأيتها نقطة صغيرة جداً وانما تكون الخلية الأولى في حال تناج البيضة أو في حال اختلاطها بمخى الذكورة الخ ﴾

فانظر رعاك الله الى قول علماء العصر الحاضر ان الانسان في أصله علقه صغيرة وهذه العلقه تطوّرت أطواراً شتى فانتقلت من حال العلق الى حال ذوات الفقار متقللاً في أحواله من حال الى حال أرقى حتى يصل الى حال الانسانية . وقد تقدّم في سورة (آل عمران) أن الفيلسوف (هيكل) الألماني حاول جمع جميع الصور الحيوانية المتتابعة من أدناها الى أعلاها كما قدّمناها لك فوجد أكثرها في صور الجنين ولم يجد باقيها وادّعى انه وجدها كلها فأسقطه القوم . والمقام الآن هو أن الجنين يتطوّر في بطن أمه من أدنى حيوان كالعلق متقللاً في صور حيوانات أعلى من العلق الى أن يصل الى الانسان وان كان هذا لم يتم كشفه وهذا هو قوله تعالى - خلق الانسان من علق - فما ذكره الله منذ ألف وثلثمائة سنة ذكر اليوم بنصه وفصه وقد علمت أن العلق يكون مبدءاً لذوات الحلقات وتلك هي الحشرات وذوات الأرجل الكثيرة والعنكبوت . وهذا الخلق وارتقاء الصورة عن أصلها العلق الى الصورة الانسانية هو الذي سباه الله كرمًا إذ قال - يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك * فسوّاك فعدلك في أى صورة ماشاء ركبك -

عجبا للقرآن . يقول ان ربك أيها الانسان كريم . لماذا . لأنه - خلقك فسوّاك فعدلك في أى صورة ماشاء ركبك - . فالتسوية وتنظيم الهيكل الجسمي كرم من الله فالله كريم . لماذا . لأنه سوّى صورنا لما خلقها في الرحم وجعلها متناسبة وقاسها بمقياس عجيب كما تقدم في هذا التفسير فهذا هو الكرم . ثم رجع الى سورة (العلق) فقرأ يقول فيها بعد أن ذكر خلق الانسان من علق - إقرأ وربك الأكرم - عجب . هو هناك كريم . كريم لأنه خلق الانسان من علق فسوّاه فعدله في أى صورة ماشاء ركب . ولكنه هو الأكرم . لماذا . لأنه - علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم - فأنه كريم لأنه خلق الصورة الانسانية وخلصنا من الحيوانية التي مررت عليها العلقه التي لاتصل الى الانسانية إلا بعد مرورها على صور شتى من الحيوانات وهو الأكرم لأنه يعلمنا ويفتح المدارس ويفهمنا نظام الكون ويرفعنا الى أفق الملائكة . فهذا معنى قوله تعالى - الأكرم - فهو كريم لآخراجنّا من الصورة الحيوانية وهو الأكرم لآخراجنّا الى الصورة الملكية بالعلوم والكتب ﴿ ملخص المحاضرة ﴾

(١) سؤال من أحد علماء الأزهر « مامناسبة علم الحيوان لمسألة الذباب »

(٢) الاجابة « ان المناسبة تقدّمت في السورة وافية »

(٣) وايضا ان ذكر المثل يستلزم البحث في صفات المثل به فلنبحث في صفات الذبابة ومنها أعضاؤها

وقواها وعيونها

(٤) ونذكر ما يناسبها من الحيوان كما فعل شعراء الجاهلية في معلقاتهم

(٥) بل نحن أولى لأنهم كانوا يصفون لمجرّد الخيال واللهو بالقول والتفاخر به ولا ينفعهم في سعادتهم

(٦) وأيضاً الذبابة تسلبنا هي وحيوانات أخرى ما عندنا من الصحة وتورثنا أمراضاً كالجدري والحصبة وذلك بالمكروب . فهل نكون معها كالأصنام ونحن عقلاء

(٧) إن ذلك يقصد بطريق الكناية والكناية من علم البيان وهو يدرس في جميع المدارس في مصر وغيرها

(٨) والمسلمون إذا امتنعوا عن البحث في هذا فقد قيدوا الدين

(٩) والتقييد بالتقليد أشبه بعبادة الهوى وحاشا لله أن أقول أنا كفار ولكن أقول أننا نتبع الأهواء وكفى بهذا ضللاً فإنا عبدنا أهواءنا وذلك فيه على الأقل كفر بالنعمة

(١٠) وكفر بالنعمة قبيح جداً من المسلم

(١١) إن في مسألة تشریح الذبابة واستخراج أنواع الحيوان منها سرا وذلك السر أن علماء الطبيعة يقولون إن الإنسان خلق من علقه وتلك العلقه التي افلقوا بها وكشفوها تساوى $\frac{1}{2}$ من القيراط وليس من المعقول أن أحداً من البشر شاهد هذه العلقه وكونه عدلها وواها في أى صورة هو انتقالها الى الانسانية في الرحم

(١٢) إن التعبير بالكرم في جانب تسوية الجسم . وبالأكرام في جانب الانعام بالتعليم بالقلم باب واسع لارتقاء الأمة المحمدية وغيرها . يقول الله خلقتكم في صور مختلفة مرتقية في الرحم فلا رفعكم في صور روحية مختلفة في حال الحياة الدنيا بالعلم والمعرفة تخرجوا من هذه الأرض كاملين وهذا أشرف

ولما أتممت هذا أقول سأل أحد طلبة بلاد الجاوه قائلاً « فهل ترى أن العلم في الاسلام اليوم لا يكفي وهل علم الفقه لا يكفي المسلمين وعلم التوحيد » . قلت اعلم أن علم الفقه قد نفع الاسلام وحفظه للآن ولولا البيوع والميراث والهبة والدعوى وما أشبهها وكذا الصلاة والزكاة الخ لم يكن للمسلمين جامعة ولكن هذه محافظة على الموجود . فقال مامعنى هذا . قلت بسمع الفقيه قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - الخ فيؤلف فيه علم الميراث وقد أحسنوا صنعا . ويسمع آية الدين فيؤلف فيه ويستوفيه . ويسمع - وأحل الله البيع - الخ فيؤلف في الربا والبيع . ويسمع - الطلاق مرتان - فيؤلف . ويسمع قوله تعالى - حافظوا على الصلوات - الخ فيؤلف . حسن كل هذا ولكن هذا محافظة على الموجود . ومعنى هذا أن المال الذي تصادف أن الناس جمعوه تكون عليه التضايا ومنه قسم التركات ومنه الصدقات ومنه بناء المساجد ومنه الدفاع عن البلاد الخ . ولكن إذا قيل لبعض العلماء (لاكلهم لأن علماء الاسلام اليوم غيرهم بالأمس بل لم يبق من تلك الطبقة إلا القليل) إقرأ - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً - أوقيل له - وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون - وإذا قيل له - وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون - الخ وإذا قيل له - وجعل لكم سراييل تقيكم الحرّ وسراييل تقيكم بأسمكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون - وإذا قيل له - وعلمناه صنعة لبوس لكم لنحفظنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون - أى إن الله علم داود عليه السلام صنعة الدروع وهو يأمرنا بالشكر عليها لأنها تحفظنا من الحرب وهذا يلزمنا أن نبحث في كل ما يحفظنا من بأسنا . إذا سمع هذا قال هذه أمور ليست في علم الفقه ولا تدخل في أحكامه وهذه ليس فيها شئ فهمي تقرأ للتعبّد وبها نعرف الله ومعرفته الله حاصلة عندنا . ونسى هؤلاء أن هذه الآيات تحتاج الى علوم تشرحها ويعمل بها . وبالبحث في العالم المشاهد تزيد ثروة المسلمين وبزيادة الثروة تكون التركات والصدقات والزكاة وما أشبه ذلك . فالذي يحكم في الشئ وهو قليل هو الذي يحكم فيه وهو كثير والحكم على الشئ فرع عن وجوده . فالتعلمون في الاسلام أيام سقوط الدول الاسلامية أذهم الملوك حتى لم يبقوا علوماً خاصة واكتفوا بالفقه والتوحيد وتركوا الأئمة حبيلها على غارها حفظوا مائة وخمسين آية لأجل الأحكام ونسوا بقية القرآن الذي به العبرة لازدياد الثروة وارتقاء الشعوب وحفظ الأمم الاسلامية . فليكن بعض علماء

الدين علماء نبات وبعضهم علماء حيوان وبعضهم أطباء وبعضهم علماء السياسة وبعضهم علماء اقتصاد مع إلمام كل واحد بالعلوم التي في الدنيا الآن ومنها علوم الدين . ولجعل العلماء الأبحاث العميقة في هذه المقاصد لافي المقدمات كالعلوم العربية فانه من العار أن يضع التلميذ زهرة حياته في مباحث وفي علل لا تنفع ويترك المسلمين أذلاء بين الأمم . هذا هو الذي سيخافه الله في الأمم الإسلامية في المستقبل والله هو الولي الحميد وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فقال أحد التلاميذ اني أريد أن أعرف ايضاح عبادة الهوى بطريق مختصر فاني لم أفهمها . فقلت الأصنام عبدت بالهوى والنبي ﷺ قال لما قيل له حين قرأ - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله - يارسول الله ما كنا نعبدهم انهم كانوا يشرعون لكم فتبعون شرعهم فجعل اتباعهم عبادة لهم وهذا بطريق المجاز فالعبود على كل حال الهوى . والمسلم اذا اتبع هواه وقد دله هذا الهوى على ترك ما في البحار من الأولئ والمرجان وما على سطحها من السفن العظيمة وما على ظهر الأرض من المواليد الثلاثة وما في باطنها من المعادن وقد أحاطت به نذر الأمراض بصغار الحيوان فكان الطاعون والتيفوس والتيفود الخ . وفوق ذلك الأمم القوية تفكك بالمسلم وهواه يقول له لا يهم ذلك أفليس المسلم إذ ذاك كأنه عبد الهوى . فالهوى كالصنم والذباب وغيره الباب من العاقل وغيره العاقل للمؤذيات له كالذباب في مسألة الأصنام وما عنده من الأغذية والأموال كالطعام والطيب عند الأصنام . فهذا المثل منطبق تمام الانطباق . فالهوى في أنفسنا لا يدفع مائطاً علينا من المصائب . فكل ما يؤذينا فهو ذبابنا . وكل ما يقعد بنا عن المنافع فهو معبودنا والهوى مطلع على ما نزل بنا وهو لا يبدى حراً كالأصنام فصار معبودنا العملي (لأننا مؤمنون بالله ورسوله وندخل الجنة اذا كنا صالحين) وهو الهوى . يرى الحرب في ديارنا فيوحى إلينا أن نؤكوا . ويرى خسارتنا فيقول لا يهم ذلك فلا يستحق الهوى الاتباع بل العبادة تكون لله وهو الذي يلهي العقول فتدفع الأذى عن الناس بالعلم . فكما أمر الكفار ببذ الأصنام أمرنا ببذ الهوى والتقاليد الأعمى وكما أن الأصنام لا تقدر على دفع الأذى فهكذا آراؤنا التقليدية لا تدفع عنا الأذى . وكما أن الكفار يجب أن يؤمنوا بالله ورسوله هكذا نحن يجب أن نوجه عقولنا للفهم من القرآن والقرآن يقول الله فيه - قل أعوذ برب الفلق - الخ فنستعبد بالله من شر خلقه واذا استعذنا به واتجهنا الى فهم القرآن بعقولنا علمنا العلوم ومنى علمنا عملنا فأزال الله عنا شراً وباد شر الحيوان وشر أنفسنا كما بيناه

فهذا انطبق المثل تمام الانطباق من حيث جوهر المعنى وهذا هو المعنى المهم الذي نزل له هذا المثل وهو وأمثاله السبب في قوله تعالى - فاستمعوا له - فالهوى عندنا يقول يا مسلمون لا يهمكم شيء وعلماء الفرنجة يقولون - منا كل شيء . ألم ترالى العالم الفرنسي (بول برت) المذكور سابقاً في كتابه المسمى (العلوم الطبيعية) الذي ترجمته زوجته الى اللغة الانجليزية حيث قال في أوله (انك أيها القارئ سيترك هذا التاريخ الطبيعى وستعلم بأى طريق تفيدنا تلك الحيوانات وبأى طريق تضرنا وتحدث فينا خطراً وليس الأمر قاصراً على المضار والمنافع بل انك تعلم أننا نحن باعتبارات كثيرة نشبه الحيوانات لاسيما اذا لاحظنا تركيبنا الداخلى فأننا نعلم أن لنا قلباً له ضربات في صدورنا وورثتين بهما تنفّس وهدة وحواس كالأعين التي بها نبصر والأذان التي بها نسمع . واذا صادف انك نظرت الى مشرحة الجزر أورأت مصادفة أرنبا مذبوحاً مثلاً فانك ترى أن الثور والخروف والخنزير والأرنب في نظامها وترتيبها الداخلى بينها وبين الانسان مشابهة قليلة وكثيرة . وعلى ذلك اذا نحن درسنا الحيوان بتتابع ونظام فادرسنا إلا أنفسنا وكلكم تعلمون كيف يكون ذلك لذيذا وساراً انتهى

هذا كلام العالم (بول برت) فقال بعض التلاميذ هذا كلام افرنجي وزوجته المترجمة للكتاب بالانجليزية قلت نعم . قال فبني يكون المسلمون على هذا النمط . قلت فليشر في الاسلام أمثال ما يكتب في هذا التفسير

وغيره بطرق مناسبة . فقال آخر . هذا القول هو عين قوله تعالى - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وكأن قوله تعالى - والأنعام خلقها لكم فيها ذمم ومنافع - الخ إذا درسناه فقد درسنا أنفسنا . فقلت نعم . فدراسة هذه العلوم لدفع المضار وجلب المنافع ولدراسة علم التشريح لأجسامنا . هذا ملخص ماضى حتى ان دراسة الذبابة المتقدمة دراسة لأنفسنا . وأما بصفتي مسلما أقول وهناك أمر رابع وهو حب الله والارتقاء والوصول اليه بالطريق العلمى وعلم التوحيد فيكون لنا أربع منافع بل خمس والخامس أن تترقى العقول الاسلامية كما تترقى عقول البشر بهذه العلوم ولذلك لما دخل الفرنجة بلادنا المصرية منذ (٤٥) سنة منعوا هذه العلوم عن المصريين ليحصروها في الجهالة وقد كانت قبل ذلك في مدارسنا حين كنا مستقلين لأن علماءهم أفهموهم أن تعليم الأمم المحكومة يجعلها مدركة الحقائق فتطرد المستعمرين وهذا شأن الغاصب مع صاحب البلاد . والى أنصح المسلمين جميعا أن يعرفوا هذه العلوم ويقرؤوها لينفعوا أنفسهم ويطردوا عدوهم ويرضوا ربهم والحمد لله رب العالمين . انتهت المحاضرة وبها تم تفسير (سورة الحج)

﴿ تذكرة ﴾

قد اطلع بعض الفضلاء على جملة في هذه السورة تحت عنوان ﴿ مسامرة في قوله تعالى - فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها - الخ ﴾ فقال ان القول فيها قد طال جدا وكثر الأخذ والرد فاذا تقصد . فقلت إن القول هناك تام . قال ولكن في الاعتراض عليك أظهرت الجاسة وفي رد الاعتراض لم تظهر مثلها . قلت إن ملخصها أن بعض الحجاج أخبرني انهم في أيام (منى) يذبحون القربان ولا يعطونه للفقراء وبهذا يكون المرض فالمت . فقلت لهم ما ملخصه ان هذا حرام في ديننا بدليل ان الله يقول - فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - . إذن المقصود من القربان الاطعام لانه يرمى فوق الجبل ويعفن الجوّ . وبدليل قوله تعالى - كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون - وكيف يكون الشكر على ربح تؤذينا وسباها الله رزقا فهل الرزق هو الرم الملقاة وقال أيضا - وأطعموا البائس الفقير - فأمر سبحانه مرتين بالإطعام والأمر للوجوب . إذن تركه على الجبل بدون إطعام الفقير منه حرام بنص الآية . فقال الآن فهمت انتهى

﴿ وبهذا تم الكلام على سورة الحج ﴾

﴿ سورة المؤمنون مكية وهي مائة وثمانى عشرة آية ﴾

سندكر مناسبتها لما قبلها في لطائف (المقصد الثاني) منها وهي ﴿ ثلاثة مقاصد ﴾
 ﴿ المقصد الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - وعليها وعلى الفلك تحملون - وهو في خلق الانسان ونظام
 هيكله والنبات والحيوان
 ﴿ المقصد الثاني ﴾ من قوله تعالى - ولقد أرسلنا نوحا الى قومه - الى قوله - الى ربوة ذات قرار
 ومعين - وهو قصص بعض الأنبياء
 ﴿ المقصد الثالث ﴾ من قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى آخر السورة وهو خطاب
 عام للرسل ونتائج الرسالة وأدلة ونصائح مختلفة

(المقصد الأول)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ *
 وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ أَتْبَعْنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ
 لِأَمْوَئَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ *
 الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ
 جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ
 عِظَامًا فَكَسَّوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ
 إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ
 طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ * وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا
 عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ * فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ
 كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصَيْغِرٍ لِلْأَكْلِينَ *
 وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا
 تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلح المؤمنون) أى قد نجحوا وفازوا وسعدوا الموحدون المصدقون (الذين هم في صلاتهم خاشعون)

محبون متواضعون لا يلتفتون بيننا ولا شمالا ولا يرفعون أيديهم في الصلاة وهم يجمعون الهمة ويعرضون عما سوى الله بقلوبهم ويتدبرون فيما يجري على ألسنتهم من القراءة والذكر فهم على ذلك لا يفرقون أصابعهم ولا يعشون فيها . ومن لوازم جمع الهمة وتدبر القراءة أن لا يعرف من على عينه ولا من على شماله (والذين هم عن اللغو معرضون) عن الباطل والخلف وعن كل ما لا يعينهم وعن كل كلام سافط حقه أن يلغى كالسكذب والشتم والهزل منصرفون . ذلك لأن هؤلاء من الجدة ما يشغلهم فهم في صلاتهم معرضون عن كل شيء إلا عن الخلق وفي خارج الصلاة معرضون عن كل ما لا فائدة فيه متجهون للجنة والعمل الصالح فكأنهم أخذوا من جمع همهم في الصلاة درساً بعدها وتخلقوا بأخلاق الله في النفع العام والآداب العامة التي هي تخلق باسمه تعالى القنوس (والذين هم للزكاة فاعلون) مؤدون مداومون (والذين هم لقروضهم حافظون) الفرج اسم لسواة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام فهم لا يبدلون ما يملكون على كل مباشرة (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) أي إلا على ما أجاز لهم (فإنهم غير ملومين) عليه . وقال الفراء إلا من أزواجهم أي زوجاتهم أو سريراتهم فتكون على متعلقة بحافظين (فن ابتغى وراء ذلك) المستثنى (فأولئك هم العادون) الكاملون في العدوان (والذين هم لأماناتهم وعهدهم) لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق عليه (راعون) حافظون بحفظون ما اتهموا عليه ويقفون بالعقود التي عاقدوا الناس عليها . فالأمانات إما للحق كالعبادات وإما للخلق كالودائع (والذين هم على صلواتهم يحافظون) تفسيرها ظاهر (أولئك) أي أهل هذه الصفة (هم الوارثون) فهم يرثون الأرض في الدنيا ويرثون الجنة في الآخرة . أما أرثهم الأرض في الدنيا فلصلاحهم لما كما تقدم في (سورة الأنبياء) أن الله كتب في جنس الكتب السماوية بعد كتابة اللوح المحفوظ أن الأرض يرثها عباده الصالحون لها . فبالدنيا بقيامهم بما يوجب حفظها ونمو خيراتها والقيام بنظامها إلى آخر ما تقدم . ولا جرم أن هذه الصفات من رعاية الأمانة ومأمعها من أهم صفات الأمم التي يثبت سلطانها وتعمد مدنها . ولما كانت الآخرة نتيجة للعمل في الدنيا ذكرها هنا فقال (الذين يرثون الفردوس) أي البستان وهو هنا أعلى الجنة وهي مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنه تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش العظيم هكذا ورد في حديث الترمذي (هم فيها خالسون) لا يخرجون ولا يموتون . ولما كانت الصفات المتقدمة صفات خلقية بها يتعلل المرء فيصلح لما يليق إليه من الأعمال صغرت بها السورة التي عنوانها الفلاح . فالفلاح للمؤمنين متوقف على هذه الصفات وهذه الصفات جليلة القدر عظيمة الأثر . ألا ترى إلى ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل فأُنزل الله عليه يوماً فكث ساعة ثم سري عنه فقراً - قد أفلح المؤمنون - إلى عشر آيات من أولها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال « اللهم زدنا ولا تنقصنا . واكرمنا ولا تهنا . واعطنا ولا تحرمنا . وآثرنا ولا تؤثر علينا . اللهم أرضنا وارض عنا » . ولقد كان ذكر الآيات الآتية من العلوم النفسية والفكرية والمواليد والجمال السماوي من الزيادة التي طلبها النبي ﷺ فإن هذه العلوم الآتية من تلك الزيادة فكأنه يقول ﷺ أنزلت علينا علوم الأخلاق النفسية والمعاملات الإنسانية والعبادات الربانية فزدنا من العلوم التي تقف بها على مصنوعانك وبديع مخلوقاتك فإن النفوس المتحلية بالصفات الخفية مستعدة للاطلاع على جمال هذا العالم . ولا جرم أن هذه العلوم الآتية زائدة على المتقدمة في السورة من الصفات الإنسانية . ويؤيد هذا أن الله أمره ﷺ في سورة طه أن يقول - رب زدني علماً - فالزيادة هنا هي الزيادة في العلم أو تشمل الزيادة في العلم وهذا قوله (ولقد خلقنا الإنسان) آدم (من سلاله) خلاصة سلت من بين الكدر (من طين) فذلك الخلاصة المسالوة من طين هي الصفوة المجهولة آدم ولا علم للناس بما كان من التطور الذي حصل لتلك الخلاصة الطينية

وهل كان أول خلقه تحت خط الاستواء كما جاء في كتب قدمائنا أن أصل هذه الحيوانات الكبيرة قد خلقت عند خط الاستواء لأنه هو المكان المستعد للخلق للخصوبة والحرارة وقد خلقت أوائل الحيوانات هناك ومن ذلك الانسان وأن أصل الأدميين خلق هناك . ثم ان الحيوانات حفظت في أرحامها تلك الحرارة التي تولد أبواؤها فيها بقيت على ما هي عليه عند خط الاستواء بحيث تكون تلك الأرحام حافظة تلك الدرجة ليتولد فيها الذرية الى آخر الزمان . أم كان أصل التولد في البحر لكل حيوان ثم ارتقت تلك الحيوانات من بحرية الى برية ومنها الانسان فارتقى الى ما هو عليه . لا يعلم أحد ذلك وإنما الذي نعلمه أن الانسان يأكل الثمرات والحبوب واللحم فيصير ذلك دما ومنه تكون النطفة فيخلق منها الذرية الانسانية في الانسان والحيوانية في الحيوان فالعلم عندنا خلق نسل آدم كنسل الحيوان لا أصل آدم ولا أصل الحيوان وهذا هو قوله (ثم جعلناه) أي جعلنا نسله (نطفة) وهي المني (في قرار مكين) حريز وهو الرحم وإنما سمي مكينا لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة في درجة حرارة خاصة وربما كان ذلك الاستقرار في الآية مشيرا الى ما يقوله قدمائنا من الفلاسفة أن تلك الحرارة حفظت وبقيت منذ كان الأصل في خط الاستواء وسترى ما يشير لذلك قريبا من المنقول عن القروش اللوحية المترجة من الآثار الهندية (ثم خلقنا النطفة عنقة) أي صيرنا النطفة قطعة دم جامد (نخلقنا العلقة مضغة) أي جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة قدر ما يعضغ (نخلقنا المضغة عظاما) بأن ميزنا ما بينهما فما كان من العناصر الداخلة فيها موادا للعظم جعلناه عظاما وما كان موادا للحم جعلناه لحما فان المواد الغذائية شاملة لذلك كله وهي بعينها منبثة في الدم وهو قوله (فكسونا العظام لحما) وهناك ينمو الجنين نماء مطردا وهو قوله (ثم أنشأناه خلقا آخر) بأن نفخنا فيه الروح وجعلناه حيوانا بعد ما كان أشبه بالجداد ناطقا لا أبكم سميعا بصيرا وأودعنا فيه من الغرائب ظاهرا وباطنا ما لا يحصى وجميع أعضائه مقسمات تقسما حسنا مقبسة بشبه بحيث يكون طوله ثمانية أشبار بقياسه وإذا مد يديه الى أعلى كان عشرة أشبار بشبهه هو وإذا مد يديه الى الجهتين كان طولها كطوله على السواء . وقد تقدم في هذا التفسير عجائب خلقته في مواضع مختلفة وفيها يظهر لك أن الجليل وغير الجليل من النسبة القياسية الشبرية فالشبر كان الأساس الذي وضعه الله لقياس بدن الانسان . ولذلك لما كان قدماء المصريين يعلمون علوما يجهلها الناس الآن جعلوا أصل المقياس الشبر . ألا ترى أن الهرم الأكبر للجيزة طول كل ضلع من أضلاعه ألف شبر بشبر الانسان وهذا الهرم مقيس على حسب مدار الشمس السنوي وطوله ومنسوب اليه ومن هذا الهرم وحسابه يكون الأردب والوينة والكيل وكذلك الرطل والأوقية والدرهم وما أشبهها . كل ذلك مبني على الهرم ومقياسه وكذلك الفدان المقيس عندهم بمقياس غير « القصبة » الحالية وهو موضوع في الهرم الأكبر . وعسى أن يذكرني الله ذلك عند قوله تعالى - ووضع الميزان - ألا تظفوا في الميزان - كما ذكرني بذلك في (سورة يونس) ووضحته فإذا وفقني الله لذلك ووصلت الى (سورة الرحمن) شرحت هذا المقام ان شاء الله لتعجب من علوم الأمم وفقهها في نظام الدنيا وكيف جعلوا شبر الانسان أصل المقاييس وكيف نكيل وزن ونبيع ونشتري في أسواقنا ولا علم لنا أننا نقيس وزن ونكيل بما هو من نتائج أشبارنا التي قدرها الله لنا في الأرحام وجعلها في مضمون هذه الآية إذ أنشأنا الله خلقا آخر فيجعل أنطاع مستهلا ثم قاعدا ثم قائما ثم ماشيا ثم يظلم ويأكل ويشرب ويبلغ الحلم وينقلب في البلاد (فتبارك الله) استحق التعظيم والتناء في الأزل وفيها لا يزال (أحسن الخالقين) المصورين والمقدرين ويقال ان الناس يخلقون أي يقدرون الأشياء كما قيل

فلأنت تغرس ما خلقت وبعث القوم يخاق ثم لا يغري

أي أنت تقدر الامور وتقطعها وغيرك بقدر ولا يقطع (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) لصارتون الى الموت (ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) للحاسبة والمجازاة وليس خلقكم على هذا النظام وبعثكم بلا أسباب استوجبت فكما

خلقناكم من ماء مابين والأسباب والمسببات متلاحقة منتظمة بحساب ونظام لا بالصادفة والاتفاق هكذا كانت
 الأسباب السابقة على خنقكم فأول الأسباب عالم الملائكة والعقول التي تهيم على عالمكم وإلى هؤلاء عالم السموات
 ومنها الطرائق السبع التي هي أقرب اليكم من غيرها جمع طريقة وهي طرق الكواكب المعروفة عند البشر
 في هذه الأرض وهي سبعة وهناك طرائق أخرى عرفها الناس حديثا وتدمر الكلام على ذلك في سورة البقرة
 فال موضوع هناك مستوفى وكذا في سور أخرى . فهذه الطرق السبعة تسير فيها الكواكب بحساب منظم متقن
 لا خلل فيها وهذا قوله (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) وقوله (وما كنا عن الخلق) أى المخلوق وهي تلك
 الطرق وغيرها من جميع المخلوقات (غافلين) مهملين أمرها وكيف نهملها ولوانا أهملناها لحظة لا تخلت الموازنة
 بأن يسير كوكب في غير مداره أو يزل نجم عن سنان سيره فيختل النظام العالم وبسير الكواكب ومنها الشمس
 تنتقل الحرارة في الأفطار الأرضية وهذه الحرارة تكون أوفر في خط الاستواء وينشأ منها بخار يهوى إلى طبقات
 الجو فيبرد تارة في خط الاستواء فيهطل هناك وتارة في المنطقتين المعتدلتين . ويتوقع الرياح من موسمية
 وتجارية وتجارية ضدية ودورية تتنوع الأمطار وتهطل في أماكن مختلفة فالجو في أعلاه بارد وحرارة الشمس
 تؤثر في سطح الأرض فيرتفع البخار وتمتدج الرياح فإذا سارت من المنطقتين المعتدلتين إلى الدائرتين القطبيتين
 قابلت هناك جوا باردا فأمطرت . فالأقطار الباردة والجو الأعلى سيان في البرودة فهناك تكون الأمطار وتنزل
 على الأقطار . ومتى قابلت الريح الباردة جوا حارا وفيها بخار تفرق ذلك البخار فان الحرارة تفرق والبرودة
 تجمع وتضم . وقد تقدم تفصيل الكلام في التفسير . وهذا المطر ينزل على الجبال وعلى السهول فيخزن في
 الجبال ويصير فوقها ثلجا فإذا سلطت عليه حرارة الشمس ذاب الثلج من فوق الجبال قليلا قليلا فنزل على
 اليابسة ليمد الأنهار والأنهار تسير لتسقي المزارع وهكذا باطن الجبل يبرد الماء فيه فيكبر حجمه عند صبروته ثلجا
 فيكسر ما فوقه من الأشجار فتتفجر الينابيع فيجري الماء فيزيد الأنهار . فالجبال مخازن خزن الله فيها الماء
 لينزل في زمن لا ينزل فيه المطر وهذه المعاني هي التي في قوله تعالى (وأزلنا من السماء ماء بقدر) بتقدير يكثر
 نفعه ويقل ضرره كما رأيت من احكام الجبال واتقان عنصر الماء بحيث يكبر حجمه اذا برد . وجميع السوائل
 ليست على هذه الشاكلة وخص الماء بهذا الوصف ليكون كبر الحجم مفتاحا تفتح به خزائن الرحة وبدائع
 الحكمة ويكون درسا للمسلمين ونبراسا للشبان ليفتحوا به خزائن الحكمة كما تفتح به خزائن الماء المخزون في
 داخل الجبل المنصب من أعلاه في المغارات والكهوف والأماكن الواسعة في جوف الجبال (فأسكنناه في الأرض)
 أى جعلناه ثابتا فيها فنه ما في الجبال ومنه ما يكون في مجارى تجري من خط الاستواء مارة بباطن الأرض
 القريب والبعيد ويمر على معادن مختلفة فيتشكل بشكلها ويتصف بصفاتهما فنه النوشادري ومنه الكبير بنى
 ومنه الملحي وهكذا من أنواع المياه وهذه المياه هي القريبة من سطح الأرض وهناك مياه بعيدة الغور بعيدة
 العمق يقال لها المياه الارتوازية وهذه مياه في بلادنا المصرية صافية نقية جيلة خالصة لآثار شئ عليها صالحة
 للشرب تبعد عشرات الأمتار عن سطح الأرض بل هو نيل آخر غير النيل الذي على وجه الأرض يأتي من
 « جبال القمر » التي منها ينبع نيل مصر ويمر كما يمر نيلنا من هناك إلى البحر الأبيض المتوسط وهذا المهر
 لا يتوصل إليه إلا بمشقة لشدة بعده والماء الذي يخرج منه يكون مرتفعا جدا لأن منبعه من خط الاستواء
 في علو شاق . ومن عجب أن ذلك النيل الباطني صالح للشرب والنيل الظاهر صالح للزراعة ولا يصلح للشرب
 في أيام النيل إلا بعد غليه وتصفيته مما فيه من المواد الغريبة لأن هذا الماء فيه حيوانات ضارة فعليه يقاتلها
 فليكن صافيا من المواد وليكن مغليا . فهذه المياه كلها في ظاهر الأرض وباطنها من ماء المطر النازل من السماء
 الذي كان بخارا من البحر المالح وغيره ثم صار سحابا فأجرتة الرياح وكل ذلك بسبب الشمس التي تجري في
 طريقة من الطرائق المذكورة . فإذا كان هذا كله بتقديرنا فانا قادرين أن نغير الأسباب فنغير مجرى الشمس

عن الدار فيختل ذلك كله فلامطر ولأما (وانا على ذهاب به لقادرون) أى على إزالته بإفساده بأن يجعل الماء كله ملحاً بحيث نجعل الملح صاعداً من البحر مع البخار بطرق أخرى أو بأن نزيد الحرارة على أنهاركم فيصير الماء بخاراً أو نفتح في الأرض فتحات عظيمة فيغور ذلك الماء وغير ذلك . لم نفعل ذلك بل أبقيناه (فأنشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) تنفكرون بها (ومنها) ومن الجنات ثمارها وزرعها (تأكلون) ترتزقون وتحصون معاشكم (وشجرة) عطف على جنات (تخرج من طور سيناء) جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة وهو طور سينين . يقول الله وأنشأنا لكم به شجرة وهي الزيتون تخرج من طور سيناء وسيناء اسم للكان الذي فيه الجبل المذكور (تنبت بالدهن) أى ملتبسة بالدهن ومصطحبة به (وصبح للآكلين) معطوف على الدهن فهي تنبت بأشئ الجامع بين كونه دهناً بدهن به ويسرج منه وكونه إداماً يصنع به الخبز أى يغمس فيه للائتمام به . واعلم أن زيت الزيتون له مزايا فلا ذكر منه ما بهم فأقول

تعلم أيها الذكي أن الطاعون قد يحل بالبسلاد أثر الحوادث الحربية والوقائع العظيمة وغير ذلك . واقد كتب طبيب مصري في الجرائد المصرية يقول ان العلماء بحثوا في أهم الأدوية لتجنب الطاعون وما الطاعون إلا مرض والأمراض لها أدوية علمها من علمها وجهلها من جهلها . واقد عرف الناس اليوم أن المعامل التي فيها يعمل الزيت المستخرج من الزيتون لا يستضر العاملون فيها بالطاعون بل يمرض عليهم ولا يؤثر فيهم . هكذا الذين يعملون في الزيوت الأخرى ولكن أهمها زيت الزيتون . واقد شرح ذلك شرحاً وافياً على صفحات الجرائد فأردت ذكره هنا ليعلمه الناس ويدرسوه . واقد وصف ذلك الطبيب وغيره وصفاً مؤثقاً لمن لم يعتد شرب الزيت أو الائتمام به فخم على الطاعون أن يستكن في حجرة ويدلك له جسمه كله بصفات خاصة فيكون ذلك دواء له . ولكن الذي بهمنا أن الآكلين له المؤمنين به لا يغشاهم الطاعون وهذا من سر قوله تعالى - بوقد من شجرة مباركة زيتونة - فهذه الشجرة مباركة ومن بركتها النجاة من الطاعون لمن أكل زيتها بل كل من اعتادوا أكل أنواع الزيوت الأخرى يتجنبهم الطاعون ولكن زيت الزيتون أهم منها وهذا لم يعرفوه إلا بالتجربة والمصادفة . إن في ذكر الزيتون وحده واختصاصه بالذكر لمزايات ومنها ما ذكرناه . إن أنواع الفواكه إما سكرية وإما مائية وإما حمضية وإما عطرية وإما زيتية فالأولى كالتمر والعنب والثانية كالحيار والاقناء والثالثة كالليمون والرابعة كالنخاع والخامسة كالزيتون . فالفواكه يدخل فيها هذه الأقسام فلم يختص الزيتون وحده بالذكر . إن الزيتون يضيء ويؤندم به ويمنع الطاعون لمن أدام أكله ولما كان فيه منزلة الاشراف والإضاءة جاء ذكره بعد هذه السورة في النخيل بقوله - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - الخ فليس في التمر ولا في العنب ولا في بقية الفواكه المعروفة ما يستضاء به فأفردنا بالذكر وكأنه يقول لقارئ هذه السورة تأمل في شجرة الزيتون فقد أفردتها بالذكر وتنبه لها فإن أهم ما في حياتكم الدنيا أن تكون نفوسكم مشرقة ولا فائدة في تخلكم ولا عيبكم ولا بقية الفواكه ولا نجاسكم من الطاعون فكل هذا قليل في جانب اشراف قلوبكم وخلوصكم من هذه الأرض المملوءة من الظلمة والرجس والخبث فتنبه أيها القارئ! لكتابتي لهذه الشجرة فانها ستأتي في المثل الذي ضربناه في سورة النور بعد هذه وسميت السورة كلها بالاسم الذي جاء به من الضوء الذي بوقد من الشجرة المباركة التي ذكرناها هنا وحدها وأفردناها بالذكر وذكرناها في (سورة التين)

ولما كان الماء به يخرج الشجر والنبات وهما مقدمة خلق الحيوان كما هو مقرر في الحكمة وكان هذا كله مقدمة لخلق الانسان شرع يذكر خلق الحيوان كما تقدم في السور السابقة الحجر والنحل وطه والأنبياء والحج فقال (وان لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها) أى إن لكم في الأنعام آية تعتبرون بها وذلك أن

اللبن يكون خلاصته من الدم المستخلص من الغذاء كاللبن وأوراق الشجر والحب الذي يزدرده الحيوان فيهضم فيكون كيموسا ثم كيلوسا ثم ينقاب دما وما بقي بعد الخلاصة التي تكون دما يصير فرنا يخرج من منفذه ومازاد من الماء يفرز فيخرج من منفذه . فالقرث والدم كلاهما في جسم الحيوان . الأول في الأمعاء الغلاظ والدقاق والثاني في العروق بقسمها وهي الشرايين والأوردة . ومع ذلك لا يختلط القرث بمجاري اللبن ولا الدم ولولاء الله غير الوضع فلم يخلص لكم اللبن كما لو شاء غير وضع الكواكب والرياح فلم يكن الماء على الأوضاع المتقدمة فشربتوه ثم قال (ولكم فيها منافع كثيرة) في ظهورها وأصوافها وشعورها وغير ذلك مما يعرف بالبعث ومتى تركتم البعث فيها وفي غيرها من منافع خلقي حرمتكم منها وسلطت عليكم غيركم لأنني لأعطي النعمة إلا لمن يشكرها وأيضاً جميع العلوم فرض كفاية . فليقيم فيكم من يعرفون ويخصص لكل علم طائفة ثم قال (ومنها تأكلون) فتنتفعون بأعيانها (وعليها وعلى الفلك تحملون) أي وعلى الأنعام التي منها الإبل تحملون والابل سفائن البر * قال ذوالرمة * سفينة برّ تحت خدي زمامها * يقول الله - وعليها وعلى الفلك - أي سفن البحر تحملون فأنتم تحملون في البرّ وفي البحر . انتهى التفسير اللفظي للقصد الأول وفيه ثلاث لطائف ﴿

(١) في قوله تعالى - ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين -

(٢) في قوله تعالى - سبع طرائق -

(٣) في قوله تعالى - وان لكم في الأنعام لعبرة - الخ

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين - ﴾

قد قلت لك ان قدماءنا كعلماء كتاب ﴿ اخوان الصفا ﴾ كانوا يقولون إن أصل الحيوان تولد في خط الاستواء ومن عجب أن يكون لهذا القول شبه دليل وان كانت الحقيقة لاتزال خافية . فانظر كيف جاء في جرائدنا المصرية في يوم الاثنين ٩ مارس سنة ١٩٢٤ في أثناء تفسير هذه السورة مانعه

﴿ رأى جديد في مهد البشرية وحضارة ما قبل التاريخ ﴾

كتب (الكولونيل جيمس شيرشوار) الضابط بالجيش الانجليزي ومن المشتغلين بعلم الآثار يقول انه عثر في الهند على (١٢٥) لوحة عليها كتابات قديمة وأنه ترجم هذه الكتابات بمساعدة كثيرين من علماء البوذيين واستخلص مما حوته أن مهد البشرية لم يكن في (العراق) ولا في (الأناضول) بل في قارة كانت قائمة على خط الاستواء اسمها (مو) قارة في الاوقيانوس الباسفيكي قبل (١٥) ألف سنة وزاد على ذلك أن الكتابات التي عثر عليها تشير الى أن جنة عدن كانت في هذه القارة قبل ١٣ ألف سنة . وعما قاله (الكولونيل جيمس شيرشوار) في مقالاته الفصلية عن هذا الاكتشاف ان حضارة سلطنة (مو) كانت أعظم من جميع الحضارات التي عرفها البشر فيما بعد فقد كان لأجدادنا قبل (١٣) ألف سنة اختراعات ذهب سرّها مع الزمن وكانت جيوش سلطنة (مو) مجهزة بطائرات كبيرة تسع الواحدة منها (٢٠) جندياً وتسير بمحركات بسيطة مستخدمة لقوى الطبيعة التي يسعى العلم الآن الى الاستفادة منها في هذه الأيام . وقد جاء في الكتابة المكتشفة أخيراً أن قائداً اسمه (رمسدر) من قواد سلطنة (مو) طار من عاصمة سيلان الى الهند الشمالية دفعة واحدة وأن جنوده كانت مجهزة بأسلحة نارية وأن البارود كان معروفاً في ذلك الحين ولكن وقعت زلزلتان قبل (١٣) ألف سنة دمرتاً قارة (مو) فابتلعت مياه الاوقيانوس سكانها وقصورها ومدنها وآثارها . أما أسباب الزلزلة فقد وصفت في الكتابات القديمة التي كشفها (الكولونيل جيمس شيرشوار) كما يلي

كانت قارة (مو) تحتوي على تجاويف ملوثة غازاً وحدث أن ظهر بركان فيها فانفجرت النار في هذه التجاويف ونسف القارة إلا بعض أنحاء منها تعرف اليوم باسم (جزر هاواي) انتهى

واعلم أن هذا القول يشهد لما يقوله علماء الهند ونقله (أخوان الصفا) أن العالم يحصل له انقلاب في كل (٣٦) ألف سنة فيصير البرّ بحراً والبحر براً والحرب عامراً والعمر خراباً فإذا صحّ هذا النبأ يكون ما يقوله القوم له آثاراً لأنه منقول عن علماء البوذيين وهذه المدة تسمى مدة تقدم الاعتدالين وقد حسبها علماء العصر الحاضر فوجدوها ٢٥ ألف سنة والله أعلم بالحقيقة . والذي يهمنا في هذا المقام أنهم ذكروا أن هناك جنة عدن وأن القارة تحت خط الاستواء وجعلوها منشأ الجنس البشري وهذا القول بعينه هو المنقول في (أخوان الصفا) عن الهنود والله يعلم والناس يتعلمون

(هداية نجت من هذه الآيات)

أيها العلماء . أيها الأذكياء في الأمة الإسلامية . انظروا إلى هذه الآيات كيف ابتدأ الله بخلقنا من طين وأخذ يتدرّج في الخلق طبقاً عن طبق وحالاً بعد حال إلى أن انتهى إلى إنشائنا خلقاً آخر ثم أمّاناً ثم بعثنا أليّس هذا هو التاريخ الطبيعي للإنسان . طين ارتقى فصار حياً ثم ارتقى فصار روحاً تقابل ربه . يظن صغار العلماء وجيع الجهلاء أن هذه مسألة قاصرة على خلق الإنسان وعلى ظواهر القول . كلا . إن القرآن نزل هداية للناس . يقول الله تعالى - وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - ويقول - أدع إلى سبيل ربك - الخ ويقول - إن ربي على صراط مستقيم - ويقول - كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب - ويقول - وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون - فها هو ذا هنا سبحانه قد فصل لنا آيات الخلق الإنساني وأرانا سبيله وطريقته في نظام التعليم الإنساني وكيف نسير فيه . يقول الله على لسان رسوله ﷺ - هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن - فسبيل الله وسبيل النبي ﷺ هي أننا نقرأ تاريخ العلوم . فكما أنه مرّ على أدوار الإنسان من النطفة إلى العلقة إلى أن كبر ومات وقابل ربه . هكذا نفعل في جميع العلوم أي أنه يستحسن أن نسلك فيها هذا المسلك بعينه فإذا أردنا تلقين علم من العلوم كالنحو والصرف والبلاغة وعلم الهندسة والتاريخ والجغرافيا وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم النفس وعلم الفلك وعلم الموسيقى وهكذا وجب علينا أن نجتمع تاريخ هذا العلم من مبدئه إلى منتهاه فإذا درسنا علم الفقه فلنورد للطالب تاريخ الفقه مختصراً وكيف كان أصله من الأصول الأربع الكتاب والسنة والاجماع والقياس وتدرّج ونسير معه من عصر الصحابة إلى الأئمة المجتهدين إلى من بعدهم من العلماء إلى وقتنا الحاضر ونستخلص الزبدة ليكون القارئ على بصيرة . وهكذا إذا درسنا علم النبات نبعث في أصل تكوينه من الخلية الصغيرة وتكاثرها ثم أنواع النبات من أدناه إلى أعلاه . وهكذا ندرس تاريخ علمه من حيث المباحث النظرية من مبدأ التاريخ المعروف إلى الآن والاشارة إلى أهم الكتب وأهم العلماء الذين ألقوا فيه . هذه هي الطريقة والسبيل الوحيد الذي به يكون في الإسلام رجال مثقفون عقلاء علماء وحكماء

وممثل العلماء في ذلك إلا كمثل الفلاحين لا ينالون حظاً من حقولهم ولا يكسبون غلة من زروعهم إلا إذا حرثوا الأرض حرثاً جيداً وقلبوها قلباً تاماً فحتم وضعوا الحب ونزل عليه الماء نبت وزدهى وترعرع هكذا الطالب لا تبرخ شمس معارفه ولا تزهو إلا إذا بحثناه عن تاريخ العلوم وفقشناها وأثرنا ما كمن فيها فهناك يكون نبوغه وظهوره لأنه نبت في أرض العلم الصالحة للإنبات المتخالصة الأجزاء فيتوغل فيها بعقله ويدرسها ويمتد في أعماقها بعقله فيزكو فرعوه ويزهو زهره ويجود ثمرة فيكون خيراً لأئمة

هذه سبيل الله في التعليم وهذا هو الصراط المستقيم . وإذا كنا نرى الامام الشافعي مثلاً رضي الله عنه يوفق في مسألة الوضوء ويأمر أن يغسل الوجه أولاً كما ذكرها الله أولاً ويجعل اتباع ترتيبه واجباً فأغسل وجهي ثم يدي ثم أمسح رأسي ثم أغسل رجلي . لماذا هذا . لأن الله ذكرها هكذا مرتبة . إذا كان هذا رأى أكابر الأمة في مسألة الوضوء الذي لا يضر فيه أن تؤخر وجهها عن يده ولأن تقدم رجلاً على رأس فان

المقصود من النظافة حاصل على كل حال . فكيف تكون حالنا في العلوم التي هي واجبة وجوبا كفايا على القادرين من الأمة . أقول كيف تكون حالنا فيها . أفلا نهج النهج الذي سنه الله ونرجع دائما إلى تاريخ كل العلوم فندرسها لأبنائنا أولا حتى يكونوا قد اطاعوا على ملخص تاريخها ليكونوا أقرب إلى الحقائق وأكثرا استعدادا للاجتهاد

هذه هي الحياة الإسلامية وهذه سبيل ربك وهذا هو الصراط المستقيم صراط الله . يأمرنا الشافعي رحمه الله أن نبدأ بمبدأ الله به . أفلا يجب علينا أوعلى الأقل ينبغي لنا أن نهج ما نهجه الله في تعليمنا فنلخص تاريخ العلوم كما لخص الله تاريخ خلق الإنسان . ولقد قام بنوع من هذا العمل صاحب (كشف الظنون) التركي المتوفى في القرن الحادي عشر الهجري فانه ذكر تاريخ العلوم وذكر الكتب المؤلفة في كل علم . وهذه طريقة أوروبا في تعلم العلوم جميعها ولذلك نسميهم يقولون « التاريخ الطبيعى . التاريخ البشرى . التاريخ الأثرى . التاريخ الرياضى » وهكذا

بهذا فاقونا وازدروا بالشرقيين لجهلهم ونومهم العميق . أوروبا نهجت نهج القرآن واتبعت سبيله في التعليم ولكن لا تظن انى أقول انها اتبعته فعلا . كلا . لأنها تجهله وانما هي سارت على السبيل الذي في القرآن وان لم يعلموه فلما اطلعنا على طريقهم رأيناها هي التي يرشد لها القرآن . فعلى المسلمين أن يسلكوا نفس هذه السبيل

إنك أيها الذكى سواء أكنت من ذوى المال أو الجاه أو العلم مسؤول عما أكتبه الآن فككن خيرا هاد ومرشدا للعلماء وللطلبة وجاهد في ذلك حق الجهاد واحذر أن تضن بموهبتك فאלله سائلك كما انى مسؤول وقد قدمت لك ما أقدر عليه فلتقم بما وجب عليك شكرا لربك وتعلما لأمتك وازديادا لعقلك وعلاوا لشرفك وعظمة لقدرك فسعيك لرقى أمتك نافع لك في الدارين اه

(جوهره في قوله تعالى - ثقلنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحا ثم أنشأناه خلقا آخر

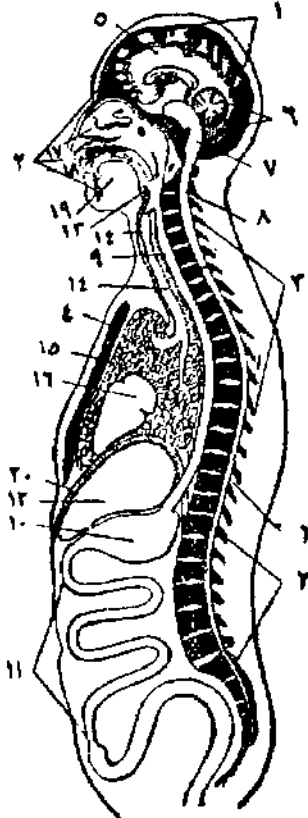
فتبارك الله أحسن الخالقين -)

اعلم أن الله عز وجل لم يكرر خلق الإنسان في مواضع من القرآن إلا لما فيه من العجائب والبدائع واتقان الصنع وابداع التركيب . ولقد تقدم في سورة (آل عمران) عند قوله تعالى - هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء - بدائع من تركيب جسم الإنسان وبيان طبقات العين والأذن ورسمهما وعجائب نظامهما وكيف كان فى الأذن تعاريج فى الداخل مشروحة هناك بعد رسمها وكيف كان هناك ما يسميه علماء الطب الحديث (عصى كورنى) جمع عصاة وهى عبارة عن شعرات دقيقة لا ترى بالعين وانما ترى بالآلات المصورات ووظيفتها على ما يظن اليوم انها تؤدى صور الأصوات المختلفة بحيث توصل كل واحدة منهن نوعا من الصوت الى القوة الحافظة فى الدماغ . فمنها ما توصل صوت الابرة مثلا عند وقوعها . ومنها ما توصل صوت قلة المدفع عند انطلاقها ومنها ما توصل الصوت الهادى . ومنها ما توصل الصوت المرتفع وهكذا مما لا يمكن إحصاؤه وتلك الشعرات قد خلقت فى مادة سائلة فى الأذن الداخلة وهذه وظيفتها فارجع الى ما هناك تجد شرحا وافيا . وهكذا ترى العين ووظائف طبقاتها طبقة طبقة وكيف كانت سبع طبقات وثلاث رطوبات وما وظيفة كل منها . وهناك أيضا تجد أجهزة الجسم الإنسانى مفصلة موضحة مبسطة أيما ابداع بحيث تجد بينها وبين ما فى المدن من الصناعات موافقة تامة . فكما ان فى المدن من يصنعون اللبن ويحرقونه فيصير أجرا هكذا جسم الإنسان فيه قوى أودع مبدع الكون الحكيم بها ما يصور من المادة الدموية عظاما صلبة . فهذه ذه العظام المتينة قام بها الجسم الإنسانى كما يقوم البيت بالأجزاء بنى به ولكن أجرا لبيت قد صنعناه بطرق معروفة مشاهدة فاننا خلطنا اللبن بالتراب ومنجناهما بالماء ووضعناهما فى قالب خاص ثم جففنا ذلك فى الشمس فصار لنا جمع لبنه ثم وضعنا

ذلك اللبن بعضه على بعض بهيئة حاصة وأوقدنا عليه النار أياما وليالي حتى احترق ثم بنينا به المنزل . أما العظام في جسم الانسان فانا ألقيناها صلبة بلا عمل منا ولانار أوقدناها بل الأمر فيها عجيب فانها صارت صلبة منظمة صرة واحدة فهي لبن فآجر مبنى منظم . ففي المنازل نرى الأعمال يتبع بعضها بعضا ونرى الصانع كذلك . اما هنا فانا لا نرى من يضرب اللبن ولا من يجعله آجرا ولا من يبنيه ولا من يهندس البناء . ومع انا لا نرى العمال التي فعلت ذلك نجد أن هذه الصناعات كلها تصنع في آن واحد فيكون البناء مصاحبا صنع آلاته بنظام تام واتقان في العمل . وأيضا كما اتنا نرى في المدن السكنايين والزباين نجد في الجسم الانساني أجهزة لاخراج ما في الجسم من بقايا الأطعمة التي اذا بقيت فيه أضرت به (مثال ذلك . الكليتان والحالبان والثانة ومجرى البول) فهذه وضعت لاخراج الفضلة المائية وهكذا وضعت الامعاء وما يليها لاخراج الفضلات الغليظة . وأيضا كما أن في المدن من ينسجون الحرير والرقيق من الثياب هكذا نجد في الجسم الانساني تلك الطبقات الرقيقة والأعمال الدقيقة في العين التي لو خلقت خشنة لأضرت بحاسة الابصار . وان أردت استيفاء هذا المقام فأقرأ هناك فانك تجد جدولا فيه صناعات المدن موازنة بالعجائب التي في جسم الانسان بهيئة منظمة وعدد تلك الموازنات ٣٣ نوعا وقد شرحت هناك نظام العقل الانساني بعد نظام الجسم ليكون العاقل على بصيرة من أمر جسمه وأمر عقله وان كان ذلك بطريق اجمالي

هذا ما ذكرته هناك فأقرأ إن شئت ثم اسمع ما أتود عليك الآن من عجائب صنع الله وبدائع حكمه في أجسامنا فوق ما نقتسم ولعمري الله اني حينما قرأت ما نسلمعه الآن خطرت لي (خاطران متباينان) : خاطر المظنة والمجد والشرف والعلو لأنني رأيت هذا الجسم الانساني متقنا اتقنا لاحد لجلاله ولانهاية لكماله كما استراه وهو مسكن أرواحنا . وقد اعتنى صانعه به عناية تفوق العناية بتركيب الماء والهواء والمعدن والنبات وكل حيوان فأجسامنا مبدعة إبداعا غريبا بديعا عجيبا . فمن هذا الوجه قلت في نفسي « نحن معاشر بني آدم فوق متناول الوصف وأرواحنا بهيئة جيلة بديعة ودليل على ذلك هذه المساكن التي أعدت لها قبل هبوطها الى عالمنا الأرضي إني قد خطر ل نفسي هذا الخاطر وصار ثابتا قويا وما أشبه هذه الروح الانسانية إلا بملك عظيم الشأن رفيع المنزلة أراد ان يزور قرية من القرى أو مدينة من المدن فأعدوا له منزلا شريفا ومقاما كريما على مقدار منزلته ولقد رأينا من طبع هذا النوع الانساني أن يعدل لقادمين من الأكرام ما يوافق منازلهم ويناسب مقاماتهم . فعلى هذا القياس اذا قرأت ما سأكتبه لك الآن مفصلا ورأيت أن روحك قد حلت في هذه المدينة البديعة المنظمة التي لا نظير لها في مدن الأرض وهي جسمك أيقنت لاحالة أن أرواحنا عالية الشأن وعلو شأنها على مقدار اتقان أجسامنا . هذا هو الخاطر الأول . أما (الخاطر الثاني) فهو يناقض الأول على خط مستقيم . ذلك اني قد خجلت واعتزاني الأسف والأسى . ذلك أن هذا النوع الانساني كله إلا قليلا يعيشون ويموتون وهم يجهلون هذا الهيكل كما يجهلون نظام أرواحهم وأنا واحد منهم ففهم نعيش ونموت ونحن نجهل بدائع التركيب في أجسامنا ولا جرم أن هذا مما ينجعل له الانسان فكيف تعيش روحى في هذا الجسم وتستهله وهو مركب تركيبا أبدع من كل تركيب في أرضنا وهي لا تفعل منه شيئا واذلعت شيئا كالذى ستقرؤه في نظام اليد الانسانية أيقنت أن ما جهلته هو كل شيء وأن ما علمته هو لا شيء . فالانسان كله غافل عن نفسه يعيش ويموت وهو ظالم كفار . ولعلك تقول ما الذى تريد ذكره الآن مما أثار فيك هذين الخاطرين من تشريح جسم الانسان أقول لك بعض ما جاء في كتاب (قانون الصحة المنزلى) تأليف الدكتور (جون سايكس) الذى عرّبه قلم صحة المعارف المصرية المطبوع سنة ١٩٢٤ م وهذا نصه

(الفصل الثانى في تركيب جسم الانسان . يجب معرفة تركيب الجسم بالاختصار ليسهل معرفة وظائفه)
يتركب الجسم الانساني من الرأس والعنق والجذع والأطراف . فالرأس فيه المخ وجزء من النخاع وعضو



(شكل ٩)

قطاع عمودي لجسم الانسان وفيه
مجاورة الأعضاء بعضها لبعض

الابصار والسمع والتكلم والذوق ومنافذ جهاز الهضم والتنفس (انظر شكل ٩)
والعنق فيه الخنجرة (وهي عضو الصوت) وفتحة القصبة الهوائية وهذه
عبارة عن أنبوبة توصل الهواء من البلعوم الى الرئتين وفتحة المريء وهو
عبارة عن أنبوبة خلف القصبة الهوائية توصل الغذاء من البلعوم الى المعدة
وفيه أيضا العروق التي يصعد فيها الدم الى الرأس وفيه الجزء العلوي من العمود
الفقرى المحتوي على جزء من النخاع

والجذع مركب من جزأين علوي وسفلي فالعلوي هو الصدر وهو نحيف
مخروطي الشكل محدود من الخلف بالعمود الفقري ومن الجانبين والأمام
بالأضلاع وعظام القص والصدر يحتوي في الجهة اليسرى المقدمة على القلب
والشريابين الكبيرتين وعلى الرئتين وينتهي الصدر من الأسفل بالحجاب الحاجز
الفاصل بين جزأي الجذع ويخترق هذا الحجاب شريان عظيم (الأورطي)
والمريء والوريد الأجوف السفلي والقناة الليفنفاوية والسفلى هو البطن المكون
من الأمام والجانبين من عضلات ومن الخلف منها ومن العمود الفقري
وينتهي من أعلى بالحجاب الحاجز ومن أسفل بعظام الحوض ويحتوي على
الأعضاء الآتية وهي (الكبد والمعدة والأمعاء الدقيقة والغليظة والبنكرياس
والطحال والكليتان والمثانة)

فالكبد يشغل الجهة اليمنى العليا من البطن تحت الحجاب الحاجز مباشرة .

والمعدة معظمها في الجهة اليسرى العليا . والأمعاء الدقيقة تملأ الفراغ أمام
المعدة وأسفلها وطولها نحو ستة أمتار . والغليظة تبتدى من أسفل الجانب

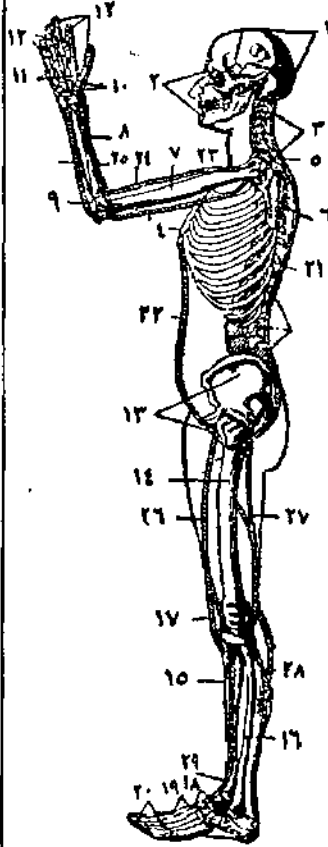
الأيمن للبطن ثم تصعد نحو الكبد ثم توجه الى الشمال مارة أسفل المعدة ثم الى الأسفل مخترقة الحوض وتنتهي
بالمستقيم وطولها نحو متر وثمانية سنتيمترات . والبنكرياس محله خلف المعدة . والطحال محله في الجانب
اليسر تحت الحجاب الحاجز . والكليتان مجاورتان للعمود الفقري واليمنى تحت الكبد واليسرى تحت الطحال .
والمثانة موجودة في أسفل البطن أمام المستقيم . والأطراف أربعة الذراعان والطرفان السفليان ولا حاجة لشرح
أجزائهما وأجهزة الجسم هي

- (١) جهاز الحركة ويدخل تحته العظام والمفاصل والعضلات الإرادية وأوتارها
- (٢) الجهاز الدوري وأعضاؤه ثلاثة (القلب والأوعية الكبيرة والأوعية الشعرية)
- (٣) الجهاز التنفسي وأعضاؤه أربعة (الخنجرة والقصبة والشعب والرئتان)
- (٤) الجهاز الهضمي وأعضاؤه تسعة (الفم والأسنان وغدد اللعاب والبلعوم والمريء والمعدة والبنكرياس
والكبد والأمعاء)

- (١) عظام الجمجمة (٢) عظام الوجه مع الأسنان (٣) العمود الفقري (فقرات العنق والظهر والبطن)
- (٤) القص (عظام الصدر) (٥) قطاع المخ (٦) قطاع المخيخ (٧) اتصال الدماغ بالجزء العلوي للنخاع
- الشوكي (٨) النخاع الشوكي (٩) المريء (١٠) المعدة (١١) الأمعاء (١٢) الكبد (١٣) لسان المزمار
- (١٤) القصبة الهوائية والخنجرة (١٥) الرئتين (١٦) القلب (١٧) الحفرة الأنفية (١٨) تجويف الفم
- (١٩) اللسان (٢٠) الحجاب الحاجز

- (٥) الجهاز الليفاني وأعضاؤه عروق الدم الأبيض والأوعية اللمفية والطحال وبعض الغدد
 (٦) الجهاز البولي وأعضاؤه الكلى والخالبان والمثانة ومجرى البول
 (٧) الجهاز الجلدي وأعضاؤه غدد العرق والغدد الدهنية والشعر والأظافر وطبقات الجلد
 (٨) الجهاز العصبي وأعضاؤه المخ والنخاع والأعصاب بأنواعها وأعصاب الحواس الخمس

﴿ جهاز الحركة ﴾



يتكون هذا الجهاز من الهيكل العظمي الذي تتصل عظامه بعضها ببعض بواسطة المفاصل ومن العضلات التي تحركها وتحرك العظام الأطراف السفلى تحمل الحوض الذي يتصل بها وتحمل العمود الفقري الذي يحمل من أعلاه الجمجمة ويتصل به في جزئه الخلفي اثنا عشر زوجاً من الأضلاع وبذلك يتكون الصدر المتصلة به الأطراف العليا (انظر شكل ١٠) ولما نقلت ما تقدم من الكتاب المذكور واطاع عليه أحد الفضلاء قال لي هذا كلام الأطباء وهو مقال مجمل والاجال غير التفصيل فاذكر لنا مثلاً بين تلك الأجهزة وعجائبها ثم بعد ذلك اذكر أبداع ما نراه في هذا المقام . فقلت سأجعل ذلك في ﴿ فصلين ﴾ الفصل الأول ﴿ في عجائب تلك الأجهزة بضرب مثل ﴾ الفصل الثاني ﴿ في أبداع ما رأيته في هذا المقام

﴿ الفصل الأول في ضرب مثل لعجائب هذه الحكم في جسم الانسان ﴾

تصور أيها الدكي انك في حديقة فيها من كل فاكهة زوجان ورأيت ضروب الثمار تحيط بك ونظرت عينك تلك الأنواع فاخترت منها فاكهة التفاح . فإذا حصل . اقتطعت منها تفاحة وقشرتها وأكلتها . فهذا هو المثل الذي أضر به لك . وبيانه انا نرى أن في بيوتنا أزراراً كهربائية وتلك الأزرار متصلة بسلك الكهربياء واصله الى داخل بيوتنا منتهية بأجراس فاذا ضغط الزائر على الزر

(شكل ١٠)

الكهربياء سمع أهل البيت صلصلة الجرس فأرسلوا خادماً يفتح الباب ويدخل الزائر في المنزل . هكذا يحصل في أجسامنا . ألا نرى أن أعيننا لما رأيت التفاح وصلت الصورة المرسومة على شبكية العين الى أعصاب الحس وعرفتها القوة الحاكمة في الدماغ فأوعزت الى أعصاب الحركة فحركت اليدين فاقتطعتنا هذه التفاحة فالزائر في مثال المنزل أشبه بنفس التفاحة هنا وارسل صورة التفاحة من شبكية العين الى القوة الحاكمة في الدماغ أشبه بمروارتيار الكهربياء عند الضغط على الزر الكهربياء ونفس العين أشبه بنفس الزر الكهربياء وأهل المنزل في الداخل أشبه بالقوة الحاكمة في الدماغ وارسل الخادم لفتح الباب أشبه بما تفعله القوة الحاكمة في الدماغ

- (١) عظام الجمجمة (٢) عظام الوجه (الفك السفلي والعلوي) (٣) الفقرات (٤) القص (٥) الفقرة الأولى الظهرية (٦) عظام اللوح (٧) عظام العنق (٨) عظام الزند (٩) عظام الكعبرة (١٠) عظام الرسغ (١١) عظام المشط (١٢) عظام الأصابع (١٣) الحرقفة (١٤) عظام الفخذ (١٥) و (١٦) عظام الساق (١٧) الرضفة (١٨) عظام القدم (١٩) عظام المشط (٢٠) سلاميات القدم (٢١) عضلات العمود الفقري (٢٢) العضلات المستقيمة للبطن (٢٣) العضلات المقدمية للعنق (٢٤) عضلات الفراع (٢٥) عضلات الساعد (٢٦) عضلات الفخذ المقدمية (٢٧) عضلات الفخذ الخلفية (٢٨) عضلات الساق الخلفية (٢٩) عضلات الساق المقدمية

من تحريك أعصاب الحركة فتتحرك اليد لأخذ التفاحة ووضع التفاحة في الفم وأكلها أشبه بدخول القادم منازلنا هذا أول عمل من أعمالنا في هذه التفاحة . ولقد تم هذا العمل بقوة الجهاز العصبي والجهاز المعدل للحركة أما الجهاز العصبي فإن الدين لما رأيت التفاحة وعرضتها على القوة الحاكمة لم تجد لها سبيلا إلا أعصاب الحس وأعصاب الحس متصلة من العين وبقية الخواص بالخناق والمخ . فلو لا هذا الجهاز وأعصابه ما أمكننا أن نعرف لون التفاحة وشكلها ووصفها ولا طعمها بل كنا لانفرق بين اللبن والآجر والتفاح والحجر . فالجهاز العصبي المذكور به أدركنا منزلة تلك التفاحة . اللهم إنك أدعشتنا بصنعك في أجسامنا وأخجلتنا بجعلنا العظيم حتى أن كثيرا من الأطباء يا الله لا يحبون من ذلك لعدم إحساسهم ببهجة الجمال وإن كانوا يبصرون نظامه

أما الجهاز المعدل للحركة وهو الذي تقدم أنه يدخل تحت العظام والمفاصل والعضلات الإرادية وأوتارها فإن عمله في التفاحة لا يكون إلا بعد تمام عمل الجهاز العصبي . ألا ترى رعاك الله أن صورة التفاحة لما وصلت إلى القوة الحاكمة في الدماغ أسرع تلك القوة إلى تحريك أعصاب الحركة المتصلة بالعضلات وأوتارها في اليد فاقطعتها . فأعصاب الحس وظيفتها علمية وأعصاب الحركة وظيفتها عملية . سبحانه اللهم قد جعلت عمل أعصاب الحس مقدما على عمل أعصاب الحركة كما جعلت قراءة العلم مقدمة على العمل . فلا عمل إلا بعد علم كما لا اقتطاف للتفاحة إلا بعد إحساس بها . ووظيفة هذا التفسير علمية كوظيفة أعصاب الحس وسيكون العمل بعد العلم كما كان اقتطاف التفاحة بعد العلم بمنفعتها . فتعجب من صنع الله وأعلم أن لهذا التفسير رجالا سيقومون برقي هذه الأمة فهم كأعصاب الحس ويتبعهم رجال العمل كأعصاب الحركة . فهذان جهازان من الأجهزة الثمانية المتقدمة قد استنبات أعمالهما في هذه التفاحة . هنالك يأتي عمل (الجهاز الثالث) وهو الجهاز الهضمي فالقلم يتأقماها والأسنان تمضغها وغدد اللعاب تفتتها وتهضمها والبلعوم يدرجها والمرى يزلقها والمعدة تطبخها والبنكرياس يزيد هضمها كما فعل اللعاب في الفم . والكبد والأمعاء يقسمان مواد هذه التفاحة فالكبد تأخذ الخلاصة الغذائية التي صارت دما والأمعاء تأخذ الفضلة التي لاتصالح للغذاء لتقذفها إلى الخارج بعد تمام دورتها . هنالك يأتي عمل (الجهاز الرابع) وهو الدورة الدموية وعمل (الجهاز الخامس) وهو الدورة التنفسية فنرى اقاب والأوعية الكبيرة والأوعية الشعرية التي تحمل الدم الوريدي وهو الأسود والدم الشرياني وهو الأحمر تقوم بإدارة الدم في الجسم . وما هذا الدم إلا خلاصة تلك التفاحة فتعطي تلك العروق الشريانية لكل عضو من أعضاء الجسم قسطه وحظه وما يناسبه من خلاصة تلك التفاحة . وأما الدورة التنفسية التي تقبل الهواء الجوى في الحنجرة وفي القصبة الهوائية وفي الشعب وفي الرئتين فإنها هي التي بها يظهر الدم الذي يديره الجهاز الدموي فإن الهواء حينما يصل إلى الرئتين يلتقطان منه الأكسجين وتعطيانه المواد المسماة للجسم المسودة للدم التي هي أشبه بالفحم المسماة (المادة الكربونية) فيأخذها الهواء ويحملها إلى الخارج بطريق الرئتين . فالجهاز التنفسي مساعد للجهاز الهضمي . أما الجهاز الاليفي فهو أشبه بتابع لجهاز الدورة الدموية وهو الجهاز السادس . فاذا رأينا لبن أنث الحيوان ولبن المرأة التي أكلت هذه التفاحة فإنا نقول إن هذا الجهاز الاليفي قد قلب الدم إلى مادة لبنية . وهكذا المواد التي في الطحال وبعض الغدد . فهذه كلها من العوامل التي تعمل في الدم وتصنع منه مواد تغير الدم لمنافع خاصة . وأما الجهاز البولي المتقدم فهو الذي يأخذ من الدم المادة المائية الضارة بجسم الحيوان ويقذفها إلى الخارج بطريق الحالبين والمثانة ومجرى البول وذلك فيه الماء الباقي من ماء التفاحة الذي لا يلائم تركيب الدم . وهنالك (الجهاز الثامن) وهو الجهاز الجلدي فإن ما فيه من الغدد الدهنية والشعر والأظافر وكذا الطبقات المختلفة يأخذ كل منها حظه من خلاصة التفاحة الجارية في العروق الشريانية . هذا هو المثل الذي طلبته أيها الذكر وجعلت له الفصل الأول من الفصلين اللذين أردت ذكرهما في هذا المقام

(الفصل الثاني في أبداع ما رأيته في هذا المقام)

اعلم أيها الذكي اني في هذه الأيام أي في شهر أغسطس سنة ١٩٢٨ قد أحاطت بي عوائق وموانع منزلية وخارجية فكادت تحول بيني وبين الأفكار الجلية البهجة التي أضعها في هذا التفسير . فلما رأيته قد أحاطت بي رفعت طرفي الى السماء ليلا ورأيت المجرة السماوية التي يقول علماء عصرنا في آخر كشف كشفوه إن عرضها عشرون مليون سنة نورية وطولها مائة مليون سنة نورية . فأخذت أسأل مبدع هذا النظام المدهش ذلك الذي جعل عيني وأنا في هذه الأرض الصغيرة ترى وتدرك ادراكا طعجا لاحدا لاداء تلك المجرة . يقول علماءنا ان هذه المجرة فيها مئات الملايين من النجوم وتلك النجوم أكثرها أكبر من شمسنا ولكل منها سيارات وأرضون وللسيارات أقمار . وإذا كان عرضها (٢٠) مليون سنة نورية فعناه أن اتساعها يخرج عن دائرة الفكر الانساني فبالك بالطول وبالعرض بالمجرات الأخرى . فكرت في هذا كله ليلا وشكوت الى الله ما أخافه من انقطاع الفكر الذي أنشره في هذا التفسير . فانظر ماذا جرى . اللهم إنك أنت اللطيف الرحيم الرؤف . فإذا حصل . فت صباحا يوم السبت أي يوم ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٨ متوجها الى عملي الديني وقابلت لأجل هذا العمل صديقا لي بضواحي القاهرة وكان ابنه قادما من أوروبا وهو يتعلم علم الطب ففرح إذ رأي فدار بيننا الحديث على الطب والتشريح فتذكرت في نفسي ما كان يخطر لي كثيرا في فترات من الزمان في أمر تركيب اليد ونظامها ومعانيها (انظر عمرة ١٠ و ١١ و ١٢ في شكل ١٠ المتقدم) وتذكرت انه يخيل للناس أن أمر اليد سهل وأن تحريكها بالحركات المختلفة ليس يعوزه أكثر من أن يكون هناك عظم وعلى العظم عصب ولحم وعروق وأوتار وهذه الأوتار تفعل كل ما يطلب منها . ومعنى هذا أن العضلات والأوتار الموضوعة في أيدينا تفعل القبض والبسط وجميع أنواع الحركات الكثيرة وهي هي بعينها في الجميع ولكن ظهر أن الأمر على خلاف ذلك وأن كل حركة مهما صغرت ودقت لها أعصاب غير أعصاب جميع الحركات . ومعلوم أن عظام اليد تبلغ (٢٧) عظما منها (٨) في الرسغ وهي صفان و (٥) في راحة اليد و (١٤) في الأصابع في كل أصبع ثلاث وفي الإبهام (عظمان * أحدهما أكبر (والثاني أصغر فتكون العظام (٢٧) وهنا يخيل لأكثر الناس أن الحركات بهذه العظام أمر لا يحتاج الى عناية أكثر من ارادة الانسان ولكن هذا خطأ فان هذه العظام مرتبطة بعضلات في الذراع وهذه العضلات متصلة بأعصاب توصلها الى المركز العصبي وهو المخ والعمود الفقري . فحتى أراد الانسان تحريك إبهامه أو أصبع من أصابعه أو جميعها أو اثنين أو أكثر مجتمعة أو منفردة قبضا أو بسطا أو مينا أو شملا أو أو وقف أصابعه بهيئة زاوية قائمة أو ضغط عليها الى الخلف أو أوقف يده فجعل إبهامه أعلى والخنصر أسفل أو بالعكس أو جعل يده أشبه بالملقعة أو المجرفة ليشرب الماء مثلا أو وضعا مضمنا جامعا الأصابع للتركيز بها أو وضعا ولها فراغ من الداخل بحيث يمكنه تحيئة شئ فيها أو جعلها بهيئة بحيث يمكنه أن يكتب بها أو جعل الإبهام مع السبابة بهيئة حلقة وهكذا مع بقية الأصابع . فهذه هيئات تعد بالعشرات بل ربما تصل المئات لأن الهيئات المذكورة كثيرة جدا . فانظر ماذا يقول علماء التشريح . هاأنذا الآن أنظر أمامي للعضلات التي في الشراع التي بها تتم هذه الحركات المختلفة أنواعها والرسوم التي أراها الآن أمامي التي رسمها الاستاذ (تشيزمان) وأراها لي هذا الشاب تبلغ (١٢) رسما أولها رسم الجلد أي جلد اليد وقد وضع على ورق شفاف ثم رفع هذا الرسم فظهر تحته رسم ماتحت الجلد مباشرة وفيه الدهن وفيه الأعصاب الجلدية مباشرة والأوردة وهذه الطبقة وظيفتها إعطاء الاحساس بحيث يصل ما يحس به الانسان الى دماغه فإذا هذه الطبقة الثانية لمساعدة الجلد والطبقة الثالثة تحت الأولى وفيها عضلتان بهما يقدر الانسان أن يثنى يده من عند رسغه وكذلك عضلات لثني الأصابع كلها مجتمعة أو منفردة بواسطة أوتار تفعل ذلك فلكل أصبع عصب محرك يحركه الى الأمام بوتره كما قلناه فيما تقدم والرابعة تحتها فيها الشرايين المغذية وهي تغذي هذه العضلات والجلد فوظيفتها للتغذية العامة

في اليد وفيها أعصاب تصل الى ما فوقها وإلى ما تحتها والخامسة تحت الرابعة وفيها الأعصاب الواصلة لعضلات أخرى غير المتقدمة وهي العضلات العميقة الغائرة وهي تساعد على القبض بأنواعه المتقدمة كلها والسادسة الهيكل العظمي المتقدم ذكره . ثم ننقل الكلام إلى الناحية الثانية وهي جلد ظهر اليد وأظافره وشعره وهي الطبقة الثانية عشرة ثم الطبقة الحادية عشرة فيها أعصاب الحس والعروق الوريدية كالمقدم وفائدتها مساعدة الجلد على الحس كما تقدم في الناحية الأخرى والطبقة العاشرة العضلات التي فيها هذه الحركة البسط كما أن الثالثة فيما تقدم حركة القبض وتنوع الحركات هنا كتنوعها هناك ولكن تلك للقبض وهذه للبسط وتحتها الطبقة التاسعة وفيها الشرايين المغذية والرابعة كالتاسعة والخامسة كالثامنة . وأما السابعة فهي نفس الهيكل العظمي المتقدم من ناحية ظهر اليد

فلما سمع صاحبي ذلك قال لا تزال طبقات اليد غامضة غير واضحة . فقلت إن جميع العقلاء من المسلمين وغير المسلمين يعيشون ويموتون وهم يجهلون خواص جسم الإنسان كله إلا قليلا وهذه اليد مشل من أمثاله والمسلم لا يعرف من أمر اليد إلا أنها تقطع في السرقة وأنه يأكل بها ويدافع العدو ولكن التفكير في عجائبها قليل والله يقول - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - ويقول - فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين - . فاذا نظرنا إلى اليد نظرا علميا كالذي نظرته الآن في هذه الصورة التي رأيتموها أمامي وهي ١٢ صورة رأيتموها طبقات من جهة باطن اليد وستا من جهة ظاهرها وطبقتان من هذه الست في الوسط وهي عظم الساعد . فالعظم له (وجهان) وجه يلي باطن اليد ووجه يلي ظاهرها . فهذان وجهان من الأوجه الاثني عشر . وهناك جلد على باطن اليد وجلد على ظاهرها وهذه يسمونها في الطب (بالناحية الانسية) و(الناحية الوحشية) فهاتان طبقتان أيضا . فبقي أربع طبقات من جهة الباطن وأربع طبقات من جهة ظاهرها اليد . فهنا طبقتان كل واحدة منهما في جهة من الجهتين هما تحت الجلدين المذكورين . وهاتان الطبقتان فيهما قوة الحس . ولولاهما لم نحس بما يمس جلودنا من نفع أو ضرر . وهناك طبقتان أخريان في كل ناحية طبقة تحت السابقتين بهما جهاز الحركة كما تقدم في أمر التفاحة فالحس أولا والحركة ثانيا . فهكذا هنا حس وحركة والحس أولا والحركة ثانيا وتحتهما طبقتان في الناحيتين أيضا للتغذية بواسطة الجهاز الدموي ثم طبقتان في الناحيتين فيهما عضلات أخرى غير العليا للحركة أيضا

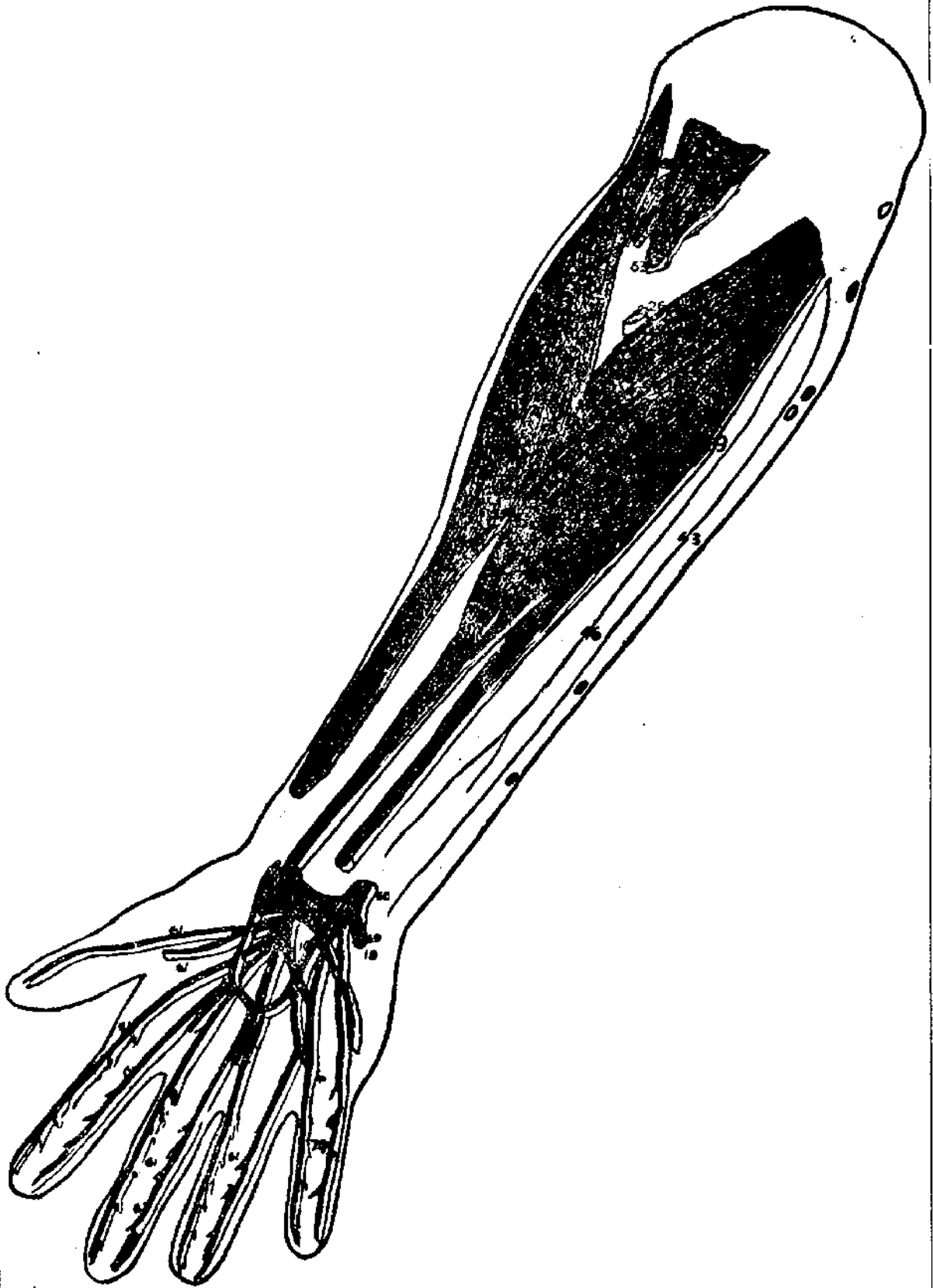
هذا ملخص ما رأيته في الصور الاثني عشر المذكورة . ولقد اصطفيت من هذه الصور (صورتين اثنتين) وهما الصورتان اللتان فيهما عضلات الحركات التي للقبض والحركات التي للبسط . فالأولى موضعها من جهة باطن اليد والثانية موضعها من جهة ظاهرها . فأما التي للقبض فانظر صورتها في الصفحة التالية (شكل ١١) ولقد تقدم قريبا في (سورة الحج) عند قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ إيضاح أجل لهذا المقام فاقرأه هناك إن شئت



(شكل ١١)

(صورة العضلات التي للقبض من جهة باطن اليد وهذه طبقة من طبقات ست)

وأما التي للبسط فصورتها في الصفحة الآتية (انظر شكل ١٢)



(شكل ١٢)

(صورة العضلات التي هي طبقة من الطبقات الست من ظاهر اليد وهي للبسط بجميع أنواعه)

فقال صاحبي الآن فهمت الفصل الثاني وعجبت من الصنع كما عجبت أنت ولستكني أريد كلاما عاما على ماتقدم
 ليستبين جلال الله عز وجل وبدائع حكمته . فقلت إن الأجهزة الثمانية في الجسم الانساني السابقة قد اتحدت
 على العمل بجهاز الحس وجهاز الحركة وجهاز الهضم وجهاز التنفس وجهاز البول وغيرها مما تقدم كلها متعاونات
 متحدات متحابات . فاعجب لسورة دموية متحدة مع دورة تنفسية . فاحداهما تنظف الأخرى مما علق بها من
 المضار وثانيتهما تعين الأخرى وتغذي أعضائها . فهذه تغذي وهذه تنظف وهما متجاورتان متحابتان وقد
 ظهر أثر تلك الأجهزة في كل عضو ومنها اليد فأننا نرى جهاز الحس وصل الى ماتحت الجلد في الناحيتين وجهاز
 الحركة وصل أثره الى ماتحت جهاز الحس في طبقات اليد . إن دوائر هذا الجسم الانساني متحدات متعاونات
 علامات كلها تحت اشراف مسيطر واحد هو المدير العام للجسم الذي نسميه روحا . هذا النظام العجيب المدهش
 قد وضع في جسم هذا الانسان . يظن الانسان من أى طبقة كان أن عضلات القبض عين عضلات البسط
 فوجدنا في الصورتين المتقدمتين أن عضلات القبض من جهة الباطن وعضلات البسط من جهة الخارج ومعنى
 هذا أن لكل حركة عضلات خاصة وقس على ذلك جميع الحركات في اليد صغيرة وكبيرة . ومماثل اليد إلا
 كمثل الفسطاط المثبت بالأوتاد قد ربطت فيها الاطناب المشدودة المثبتة ولكن لكل ناحية أوتاد وأطناب غير
 الناحية الأخرى فهكذا اليد لها أوتار وعضلات في كل من الناحيتين هذه للقبض وهذه للبسط . ثم إن هذا
 الانسان الذي أنعم الله عليه بهذا الجسم المنظم المحكم هو الذي سكن هذه الأرض ولم نرم من أعماله ما يبدل على
 كماله الخلق المشابه لكمال الجسمى . فياليت شعري أين المناسبة بين نظام هذا الجسم والنظام المحكم في طبقاته
 وبين نظام كثير من نوع هذا الانسان . انظر ماتقدم في أول سورة (طه) من ذكر الأتمة التي تعيش بالقرب من
 ساحل الذهب التي ذكرناها عند قوله تعالى - الذي خلق الأرض والسموات العلى - فانظر لنظام تلك الأمم
 الذي كله قلق واضطراب واهلاك وتدمير وعيوب نظامية اجتماعية . فياليت شعري أين نظام العمران ونظام
 جسم الانسان . يظهر لي أن هذا العالم الذي نسميه انسانا لا ينال الدرجة الرفيعة والسعادة الحقة إلا اذا تعاونوا
 جميعا بحيث تكون هيئة نفوسهم في تعاونها كهية انتظام جهاز الحس وجهاز الحركة وجهاز الهضم وجهاز
 التنفس وهكذا فهي تعمل منتظمة متبادلة المنافع . يجهني ما قاله بعض الأرواح التي أحضرها في أوروبا
 وهذا نصه (إن الأرواح العالية تكون آراؤها كلها واحدة فلا يخطر لأحدهم الا ما يخطر للجميع فالراى واحد
 ويجب عليكم في الأرض أن تعرفوا هذا من الآن) وهذا القول عجيب فهو المطابق لنظام جسم الانسان وهو
 المطابق لقول الله تعالى - وزعنا مافي صدورهم من غل - إخوانا - فهم إذن أشبه بالأجهزة المتعونة في الجسم
 الانساني . ألسنت بهذا تعرف معنى قوله تعالى - لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم - وأى تقويم أحسن
 مما رأينا في هذا المقام ثم أعقبه بقوله - ثم رددناه أسفل سافلين - وهذا حق لأنه اذا كان جسمه على أحسن
 نظام فإن نظامه الماتى على أسوأ نظام

ويظهر لي حقا أن النوع الانساني في مدنيته كلما كان أقرب في التعاون الى تعاون الأجهزة الجسمية كان
 أقرب الى السعادة وكلما كان مفكك العرى غير منتظم في هيئة حكومته كان أبعد من السعادة التي توجب على
 هذا الانسان أن يكون جميع طوائفه في الشرق والغرب أشبه بنظام جسم الانسان بحيث لا يكون في صدورهم
 حرج من النظام العام الذي يعيشون فيه والله هو العليم الحكيم

فعلى أم الاسلام بعدنا وعلى قراء هذا التفسير خصوصا أن يجدوا في رقى أمهم وأن يقتبسوا كل علم وكل
 فن بحيث تنشعب الأسلاك البرقية والبريدية والطرق الحديدية في جميع أنحاء المملكة كما رأينا أعصاب الحس والحركة
 متشعبة في جميع أعضاء الجسم . وعليهم أن يربوا الشعب كله تربية اجبارية بحيث يعرفون المنافع والمضار كلها
 ويكون منهم نواب للأمم يتعاونون تعاون الأجهزة المنتشرة في أقطار الجسم . هذا أمر واجب على المسلمين

فعلينهم قراءة علوم الأمم ثم الازدياد فيها . فهذا يفهمون قوله تعالى - فكسونا العظام لحا ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين - . اللهم إني أجدك على نعمة العلم وعلى أنك لم تجعل العوائق المادية مانعة من ازدياد العلم بل أنعمت على العالم والفهم أثناء هموم الحياة وأوصابها والمجد لله رب العالمين ﴿ نور على نور في قوله تعالى - ثم أنشأناه خلقا آخر - الى قوله - ثم إنكم يوم القيامة

تبعثون * ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - ﴾

اعلم أن هذا الانسان علم أشياء كثيرة ونسى نفسه . يفرح الناس بكشف الكهرباء والمغناطيس والجاذبية وقوة البخار وأشعة الراديو والطائرات والطائرات في الجو . يفرحون بذلك وفاتهم جميعا أن ذلك أشبه بفرح الفارس بقوة فرسه وكره وفرته وحسن طاعته وهو خلو في نفسه من الكمال . وأى فرق بين الفرس الفاره وبين هذه القوى التي كشفت حديثا لراحة الانسان . كل هذه القوى والعوامل خارجة عن نفس الانسان . يفرح الناس بذلك وهم غافلون عن أنفسهم إلا قليلا . يجلس الانسان في خلوته ساعة ويتفكر في نفسه ويحصر فكره في وجهة خاصة أو ناحية من الأرض فيجد الفكر بأسرع من لمح البصر انتقل من الغرب الى الشمال ثم الى الجنوب ثم الى الشرق ثم الى أعلى الأفلاك ثم مداب السمك ثم الى داخل الأرض وما تحت البحار ثم يطير في الجوّ ثانية . يعرف الانسان ذلك من نفسه فلا يحرك له ساكنا ولا يبق له بالا . ينظر المرء في نفسه فيجدها أسرع من جري القطار بل من الكهرباء في الأسلاك ولمع اليق الحافظ فلا يهيج ولا يحركه ويظن أن ذلك كله أمور لا قيمة لها وإنما كانت لا قيمة لها لأنها حاضرة عنده لم يتجشم المشاق في تحصيلها كأن ماله في منبذ وماله تعب فيه مطروح فهذه القوة لما لازمت الانسان من صغره عدتها من سقط المتاع ولم يعرفها التفاتا مع انها قبس من الأنوار ونور من عوالم الجبال وشهاب ثاقب . النفس بسرعة حركة خواطرها تجري حيثما الى عوالم الكواكب وتسرع في خطاها الى الملاء الأعلى وتود لو تعرف كل كوكب دخل في حساب علماء الفلك وتطلع (بتشديد اللام) الى أن ترى سكانها وتفرح بالعروج اليهم والاطلاع عليهم . النفس تجري لاستقر لها إلا اذا استوعبت العوالم عالما عالما وعرفت عجائبها . هنالك يقول شاعرها فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قررت عينا بالإياب المسافر

الانسان خلق من الأرض وربى بالنور والاصل من الكواكب والهواء المحيط بالأرض فهو إذن ربيب العوالم العالوية والسفلية وهو مركب من جسم وروح جسمه أشبه الأجرام العالكية والكواكب الدائرة ومنها الأرض . تلك الكواكب تتحرك في دوراتها جميع الحركات الممكنة في الدوران . هكذا الانسان يحرك الى أعلى وإلى أسفل وإلى الجهات الأربع وذلك في صناعاته المختلفة فيحرك الانسان يده الى أعلى وإلى أسفل وإلى الجهات الأربع مشاكلة للكواكب وللأرض في انعام سائر الحركات الممكنة . هكذا نجد نفوسنا لها حركات فكرية الى هذه الجهات عينها وتزيد على ذلك بأنها تود استيعاب جميع العلوم ومعرفة العوالم كلها . إذن النفس من عالم له هذا السلطان وهو المسمى (النفس الكلية) التي استمدت منها نفوسنا

إن شوق نفوسنا الى معرفة كل شئ دليل على أن النفس التي استمدت منها نفوسنا تعلم كل شئ ولها الاحاطة والتصرف . ولولا ما فيها من هذه القوة العلمية والعملية ما اشتاقت نفوسنا الى حوز جميع العلوم وجميع النعم . فاذا قال قائل . من هذا الانسان . وما هي الأرض التي يسكنها . لقد ثبت أن هذه الأرض بالنسبة للعوالم التي نعيش فيها أشبه بجوهر فرد بالنسبة لآلاف مليون أرض فلو صغر العالم كله بحيث صار ألف مليون أرض كأرضنا كانت أرضنا جوهر فردا ومعلوم أن هذا لا يمكن رؤيته فكيف يكون سكانها أمثالنا لهم قدرة على الاطلاع على العوالم كلها وهم والعدم سواء وكيف يشاققون لما لا يصلون اليه . فاذا قال قائل هذا قلنا حقا اننا من عوالم ضعيفة ونحن بهذا المقدار بالنسبة للعوالم ولكن هذا العالم الذي نعيش فيه مملوء رجة مشمول بالحكمة

فانك ترى الجوهر المادى اذا أطلق ما فيه من القوى والكهر باء الى الخارج اشتعلت الأرض كلها نارا . وأيضا أن الجواهر الصغيرة مركبات من ذرات ككهر بائية يدور بعضها على بعض كدوران السيارات حول الشمس إذن عالمنا الذى نعيش فيه جعلت صغائر فيها مافى عظامه من القوى كل بقدره . فالجوهر الفرد فيه نور وحركات سريعة كنور الكواكب وحركاتها

فاذا كان هذا فى العوالم المادية فليس عجيب أن تكون أرواحنا مستمدة من عوالم نسبة أرواحنا الى تلك العوالم كنسبة الجواهر الفردة للكواكب . فاذا كانت النفوس العالية مطلعة على عوالم عظيمة واقفة على أسرارها فهل كان بدعا أن تحذر أرواحنا حذو تلك الأرواح العالية فتشتاق الى ممالك تلك وتقلدها هذا هو السر فى ولوع نفوسنا بالعوالم والاطلاع عليها فهى أبدا لا تنهدأ ولا تسكن مشرقة مغربة متجهة شمالا وجنوبا باحة بالفكر عن العوالم علويها وسفليها . اتجهت الذرات الجسمية فى العوالم الى ما اتجهت اليه كواكبها من الحركات واتصفت بما اتصفت به من الأنوار . هكذا اتجهت أرواحنا الى ما اتجهت اليه النفوس العالية المحيطة بعالمنا فقلدتها بالفطرة فى اشراقها والولوع بمعرفة العوالم كلها . هذه هى فطرة الانسان المستقرة فيه . وليس ما أقوله لك الآن بمجرد رأى رأيته أو خاطر خطرئى . كلا . فما من أمة من الأمم أو جيل من الأجيال إلا سمع بحوادث تدل على ما أقوله لك بحيث تكون حركات النفس الفكرية التى يحس بها كل امرئ (وأنه بينما يفكر فى بقعة فى الشرق اذا فكره قد انتقل أسرع من البرق الى بقعة بينها وبين الأخرى ألف ميل غرب الأولى) تصبح حركات فعلية لا مجرد خاطر خطر أو فكر عرض وذلك فى علم الأرواح وان فيما نقلته فى هذا الكتاب من علم الأرواح لدليلا ساطعا وبرهانا قاطعا ولكن أذكر حادثة تلك الفتاة التى تؤمها العلامة شاردل فقالت له (إنك نائم وأنا يقظانه) فانك ترى الأشياء خشة غليظة وأنا أرى باطنها وأسمع ما لا تسمع وأبصر ما لا تبصر وأدرك ما لا تدرك وأسمع من يتكلم من بلدة أخرى . وقال المعلم ذاته : ان ابنة كان يحصل لها فى السبات الطبيعى نوع من الانخفاف فقالت انها كانت تحس بأن جسمها يتمدد شيئا فشيئا الى أن تفارقه وتراه بعيدا باردا كأنه ميت ثم قالت وأرى نفسى كبخار نورانى أرى وأدرك ما لا أقوى على ادراكه فى أية حالة كنت عليها ولا تبقى هذه الحال إلا بضع دقائق وقد تصل الى ربع ساعة ثم يحس الجسم البخارى الى الجسم الغليظ فأفقد الشعور ويحول عنى الانخفاف . وهناك أناس انتقلوا الى محال بعيدة بفعل أرواحهم وهذا ليس مطلب النفوس الانسانية . إن مطلب النفوس الانسانية ادراك كل شئ والاحاطة بالعوالم كلها وهؤلاء الذين انتقلوا الى لمح البصر الى أماكن بعيدة انما انتقلت أرواحهم بأجسامهم الروحية الأثيرية وفى فترة كل امرئ هذا الانتقال متى وجه نفسه وجهة خاصة ولكن ليس هذا دالا على سمو هذه النفوس فسمو النفوس شئ وطبعها العام شئ آخر وهذا المذكور من طبعها العام لا من سموها . وأنا أذكر حادثة أيام تعلّمى بالجامع الأزهر وهما هي ذه كنا منصرفين من الجامع الأزهر الى قرانا لنرجع الى أهلنا وركبنا سفنا شراعية فقامت ليلا من المركب لأطلع الى البر وقت الفجر فوقعت فى البحر بين السفينة والشاطئ وكان البرد شديدا فلما وصلت الى قريتنا فاجأني والدتي قائلة يا بنى رأيتك وقت الفجر فى جنة البحر مرتعدا فقامت من فورى فرعة فأخبرتها الخبر فتحجب الناس من ذلك . وهذه حاصلة فى كل زمان ومكان ولكن الناس لا يعيئون بما تسكنه نفوسهم احتقارا لشأنها وجهلا بعلمها . وقصارى القول وجاداه أن النفوس الانسانية مقبلة على مستقبل علمى عظيم فى العوالم الروحية وهذا المستقبل يدل عليه أحوالها الحاضرة من حب استطلاعها وكشفها ومن سرعة خاطرها وجولانها الفكرى فى كل زمان ومكان وفيما لا يتناهى من العوالم - والله من ورائهم محيط - والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم في قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - ﴾

اعلم أيها الذكي أن هذه السورة مبتدأة بفلاح المؤمنين المتصفين بما يأتي

- (١) يصلون (٢) يخشعون في الصلاة
- (٣) يعرضون عن اللغو في الأقوال والأفعال
- (٤) يعرضون عن اللغو في المال باخراج ما فضل عن الحاجة الى المستحقين وعلى الأقل الزكاة
- (٥) وعن الشهوة الأخرى في النوع الانساني
- (٦) يعيشون بأمان مع الناس بايقاء العهد الخ
- (٧) يحافظون على صلاتهم
- (٨) ونتيجة ذلك انهم يرثون الجنة
- (٩) وعقب ذلك بذكر العلوم التي هي مفتاح الجنة فذكر خلق الانسان وتطوره ثم خلق السموات
- (١٠) ثم ذكر عدم الغفلة عن هذه المخلوقات

هنا يتبدى للعقل . ما المناسبة بين تلك الفضائل وهذه العلوم . ولماذا كررت الصلاة مرتين مرة مع الخشوع وأخرى مع المحافظة عليها . اعلم أن الانسان لا يستقيم له علم إلا بصرف الشواغل والذي يشغل الانسان بطنه ولسانه وفرجه وأمور عاتية . فالزكاة للأول وترك اللغو للثاني وحفظ الفرج للثالث وإيقاع العهد ونحوه للرابع . فاذا اكمل الانسان في هذه فعليه إذن أن يتعلم ضبط النفس وضبط النفس لتوجيهها الى المطلوب فان المطالب العلمية ان لم يتوجه لها الانسان توجهها تاما لم يدركها وهذا الضبط جعلت له الصلاة . إن المسلم حين يخشع في الصلاة ويوجه همه كلها للعبود ينال ﴿ أمرين * الأول ﴾ الاعتياد على حفظ الخواطر فيوجهها لأمر واحد ﴿ الثاني ﴾ توارد العلوم على قلبه . فهذا إذا أذكر ما ورد على قلبه في صلاة في يوم من الأيام . ذلك أن المصلي يقول ﴿ الله أكبر ﴾ في أول الصلاة وهذا التكبير مع التسليم قد شرحت الكلام عليهما في (سورة الاسراء) عند ذكر المعراج . وههنا أقول ما انشرح له الصدر في مقام هذه الآية وهي - وما كنا عن الخلق غافلين - فأقول

الله أكبر . جل العلم وجل الله الذي علم وألهم ووفق وأحسن . يكبر المسلم في أول الصلاة فلا يقول الله كبير . كلا . بل يقول إنه أكبر . فاذن كل ما علمناه من علم وحكمة فان الله أكبر مما علمنا وعليه نزيد في الرقي والتعلم وكلما ازددنا علما قلنا الله أكبر . فاذن العلم لانهاية له لأن الله بعد ما علمناه أكبر من هذا كله . الخلاه لا يتناهى والمخلوقات جهل الناس نهايتها . أفليس الله إذن يكون لانهاية له فهمما ارتقينا فأنه لانهاية له بعد ما علمناه

- (١) يوجه المسلم وجهه للذي فطر السموات والأرض فيقال هناك ما هو أعظم لأن الله أكبر
- (٢) بحمد الله لأنه ربي العوالم المعروفة فيقال له الله أكبر من هذا كله فهناك عوالم ستكشف
- (٣) يقول المسلم نحن نعبدك فيقال له وهناك عبادة أعظم لأن الله أكبر
- (٤) يستعين المسلم بربه في أموره فيقال له وهناك مواهب أعظم فيعينك فيما تطلب فوق هذا لأن الله أكبر
- (٥) يهدي الله المسلم الصراط المستقيم فيقال له وهناك هداية أعظم لأن درجات الرقي لاحصر لها فان

الله أكبر

إذا علمت هذا فانظر في قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - . هذه الآية تتدخل في العلوم كلها وكلما ازددنا علما ازددنا طلبا . فهل نفكر في نبات أم في حيوان أم في معدن أم في كوكب . حفظ الله لهذه العوالم ليس يعرف البتة إلا بالعلوم ودراستها

إن عدم غفلة الله عن خلقه لن تدرك حق ادراكها إلا بالنظر في كل علم وهذا أمر لا آخر له وكلما ازدادنا علما يقال لنا الله أكبر . إن هذا التفسير قد مزجت فيه العلوم المعروفة وفصلت تفصيلا . إن فيه من كل علم زهراته ومن كل فن ثمراته فاقطف تلك الثمرات فيما تقدم ولكن يقول المسلم الله أكبر ويقول الله لنا نبينا ﷺ - وقل رب زدني علما - فهناك ما رأيته وأشرفت إليه في (سورة هود) اني اطلعت على عجائب لا تحيط بالبال في كتاب يسمى (علوم للجميع) باللغة الانجليزية لمؤلفه الاستاذ (روبرت براون) فقد جاء في صفحة (١٢٨) وما بعدها من المجلد الثاني مالم يخصه تحت عنوان (الألوان الحافظة للحيوان)

(١) إن الفكر العادي يرى أن ألوان الحيوانات وزعت عليها بلا منفعة ولا علم وانما هي مصادفات عمياء إن كل شيء في المناطق الحارة بهيج لونه حسن شكله حيوانا كان أم نباتا
(٢) إن أكثر الناس لا يدرون لماذا كان هذا الحيوان أبيض وهذا أسود ولماذا تكون دودة الفراشة خضراء نارية وسمراء أخرى وآونة ذات خطوط وبقع من ألوان مختلفة موضوعة بلا نظام . إن أكثر الناس لا يرون أن هذه المباحث عقيمة النتائج قليلة الثمرات بل هي عندهم وهم باطل
(٣) وسندكر هنا أن حيوانات كثيرة ألوانها نافعة لها بل كثير منها لا تعيش إلا بحماية ألوانها الخفيفة

(الحيوان قسما)

قسم يعيش على غيره وقسم يأكله غيره (وبعبارة أخرى) آكل ومأكول . والقسم الثاني لا بد له من الهرب من عدوه وإلا مات وهذا الهرب (أ) إما بسرعة الطيران (ب) وإما بقوة الملاحظة (ج) وإما بأن يخفي نفسه عن الناظرين (د) وإما بأن لا يظهريلا (هـ) وإما أن يخفي تحت الأرض (و) أو تحت الأوراق (ز) أو قشور الأشجار (ح) أو الأشجار .

فهذا كاله يفر من الموت . أما القسم الأول وهو الحيوانات المفترسة فانها أيضا إن لم تكن مخفية عن أعين فرائسها حل بها البلاء . فإذا كانت الأولى يعتبرها العطب اذا لم تكن مخفية فهذه أيضا يقتلها الجوع اذا رأتها فرائسها ففرت منها . إذن الألوان التي تتصف بها الفريسة يجب أن تكون غير واضحة حتى تربي أولادها وتحصل قوتها باختفائها عن الحيوان المفترس . وهكذا الحيوان المفترس يجب أن لا يكون له لون ظاهر والاطالك وتكون النتيجة هكذا : كل لون ظاهر في الحيوان مهلك له آكلا كان أو مأكولا ، فاللون إذن يجب أن لا يكون واضحا بل يجب أن لا يكون له وجود ألبتة مع أن اللون شائع وجوده في الحيوان فضلا عن مجرد وجوده حتى يصح القول أن الزائد والناقص يتماحيان في علم الحساب . إذن لا معنى للون يحمي الحيوان

(الجواب عن ذلك)

هناك أجاب المؤلف قائلا إن امتحانات عظيمة جليلة أظهرت أن الألوان حتى ما كان منها أظهر وأبهج وأنضرحامية للحيوان حافظة لحياته

(١) ان الأرض والسماء والأوراق والأزهار كلها براقه مؤثرات في حياة الحيوان حامية له
(٢) ان جمال الحيوان وبريقه قد يكونان انذارا للحيوانات الأخرى بما يحمله الحيوان من سلاح أو مافي طعمه من كراهة . وفي أحوال أخرى توجد حيوانات كثيرة تحمي أنفسها بدون الاختفاء وهذه تصحبها الألوان وتلازمها . فلنلاحظ هذا الموضوع ولنفكر فيه فهنا مزرعة واسعة فيها ظهور الألوان وجمالها وبهجتها من وجه (ومن وجه آخر) هناك ألوان خفيفة وجدت كلها لتحمي الحيوان على حسب بيئة الحيوان وعادته وغرائزه

(أمثلة الألوان التي تحمي الحيوان * المثال الأول)

حديقتي التي اعتراها نوع من الحشرات المسمى (سلاق) بسبب رقة الشتاء سنة ١٨٧٧ ورطوبة الربيع بعده . ففي مساء ليلة أخذت أنحى تلك الحشرات عن أحسن النبات بالمبرة لأسقطه في جرة فيها ماء ملح شديد الملوحة وحين أفعل ذلك كثير منها تنقلص وتنقع على الأرض وهي (مع انها تقع على الأرض أمانى) أراها تبصر شبيهة بالحصاء التي تكثر في تلك الأرض وهي مختلفة الألوان أبيض تقريبا وأسمر وأصفر وأسود تقريبا وهي حينما تنقبض وتنقلص بشكل يضاوى تكون أشبه بالحصوات المبتلة المختلفة الألوان ثم ان حشرة من هذه سوداء كانت صفراء زينة تحت ظاهرها فلما تقلصت كان من العجب أنها أصبحت كحصاة سوداء من الصوان منشقة شقتين صفراء من الداخل وهذه حال الحصاة الصوانى هناك تماما وهذه ربما يقال انها حال خاصة إذ لا برهان على دوامها ولكن مرة زمان تبعه زمان وأنا لم أعد أرى هذه الحشرات ألبتة بنظري ولا واسطة لذلك عندي إلا أنني أئس الحصىات المنشورة على الأرض بطبعها بالمبرة ولازلت أئس حصاة بعد أخرى حتى عثرت بما لان منها . هنالك أثنى اليقين أن هناك غاية مقصودة حقا والذي يغشنى بأنه أحد الحصىات قادر أن يغش الطيور وغيرها التي تعيش على هذه الحشرة . أقول حقا ان هذا قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين -

﴿ المثال الثانى ﴾

في المناطق الاستوائية الحارة كنت أضيف حاسة الئس الى حاسة النظر أيضا لأميز بين حشرة تسمى (حشرة العصا) وبين نفس العصا فتج من هذا أنه من المسلم به أن المعانة تكون في بعض الحشرات لوقايتها لأنها تحميها من المهاجمة التي تنتابها من الطيور الآكلة للحشرات . وعليه تكون هذه الحشرة وهي (سلاق) قد حيت من الطيور الآكلة للحشرات بهذه المعانة وكذلك (حشرة العصا)

﴿ المثال الثالث ﴾

الذى يحمى بعض (السوس) في بلاد الانجليز انه أعطى قوة الانكماش عند مسه وهو إما أسمر وأما منقط وهذه لها عادة أن تسقط على الأرض عند مسها أواز عاجها بحال خاصة وحينئذ لا يعرف الفرق بينها وبين كتل الطين والحجارة

﴿ المثال الرابع ﴾

وهناك نوع آخر يوجد دائما أخضر جيل ويجرى ويطير حينما لمس

﴿ المثال الخامس ﴾

هناك نوع غريب ص. غير من الخنافس أسمر يحفر في الأرض يصير أشبه بحبوب بعض النبات المسمى (بالنبات الصوانى)

﴿ المثال السادس ﴾

الخنافس الجيلة الشكل المسماة (مسك يتل) التي تقع دائما على أوراق الصفصاف تكون خضراء

﴿ المثال السابع ﴾

الحشرات المسميات (سبردس) والتي تسمى (رقيمس) التي تلازم الخشب أو الأعمدة تكون سمراء أو تميل الى الصفرة

﴿ المثال الثامن ﴾

إن أحسن مثل يضرب للحيوان الذى برز وظهر بلونه هو الفراش الذى لا وقاية له تقيه في بلادنا الانجليزية

﴿ المثال التاسع ﴾

الفراش المسمى (أقربوس) الأخضر اللون والآخر المسمى (أكرونيسكتاسى) الرمادى اللون يقعان على جذوع الأشجار نهارا وبخفتان اختفاء تاما بمشابهتهما للنبات المسمى (لينشب) الذى يحيط بهما

(المثال العاشر)

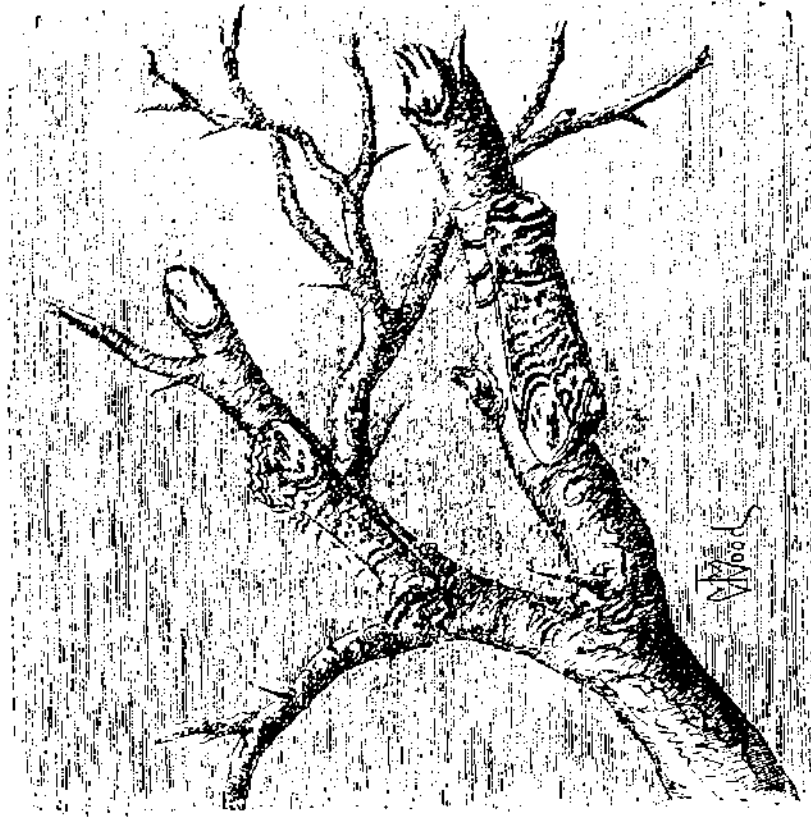
الفراش المسمى (ليتموث) حينما يقع مظهرًا جناحيه الأسمرين الكبيرين يشابه الورق الجاف في شكله ولونه (انظر شكل ١٣)



(شكل ١٣ - صورة حشرة ليتموث)

(المثال الحادى عشر)

ينما (بف تب موث) أى فراشة (بف تب) تقبض أجنحتها حتى تصبح تمامًا مثل قطعة من عصا مكسورة وفي نهاية الجناحين رقعة صفراء مشابهة لطرف عصا مكسورة حديثًا (انظر شكل ١٤)



(شكل ١٤ - صورة حشرة بفتاب)

ولاجرم أن هذه الحال تبين لنا إذا نظرنا هذه الحشرة في خزائنه كيف يستحيل علينا أن نبين أهدالون فراشة جاء لحمايتها أم لا . فليت شعري من ذا الذي يحول بخاطره أن هذا الجمال ولون الفراشة الواضح قد جرى بهما مشابهن لقطعة من عصا مقطوعة ليغشى على أبصارنا فلا نعرف أن ذلك سبب في حفظ الفراشة من أعدائها . هذا قول المؤلف . وأنا أقول ياليت شعري هل يعلم المسلمون بعدنا أن هذا هو معنى قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وأنهم بعد ما بينا في هذا التفسير يجب عليهم التبحر في هذه العلوم فهم أولى بها من الفرنجة

(المثال الثاني عشر)

انه من الامور التي يكثر وقوعها في الأقطار الحارة أن نجد خنافس وفراشا تشبه زرق الطيور وهذا أيضا يحصل في البلاد الانجليزية كما قاله الاستاذ (سيد قويك) « لقد وقعت في الخطأ أكثر من مرة إذ كنت أرى فراشة ذات لون مختلط السواد بالبياض قد أشبهت زرق الطير واقعا على الورق » (وبعبارة أخرى) رأيت الفراشة تشبه زرق الطير

(المثال الثالث عشر)

وهناك نوعان من الفراش يشبهان الحيطان المصنوعة من الطين التي يقعان عليها

(المثال الرابع عشر)

وفي بلاد (السويسرلند) كنت أسلى النفس في بعض الأزمان بملاحظة فراش يقع قريبا مني إذ يقع على حائط من الحجارة في ذلك الاقليم موافقا لها وهو لا يتميز عندي على بعد بضعة (ياردات) مني

(المثال الخامس عشر)

لقد لاحظ الناس أن اللون العام الخفيف الذي للفراش على أجنحته في الخريف وفي الشتاء يوافق لون

الطبيعة العام في ذينك الفصلين . قال العلامة (يوسف جرن) ان أكثر الفراش الحريقى مختلف لونه ما بين الصفرة والسمة وذلك يشبه الأوراق الحريفية بينما نجد الفراش الشتوى فى نحو (هبرنيا) و (كيمانوبيا) ذا لون لطيف أشيب قضى

المثال السادس عشر

إن دود الفراش لونه الواضح قد أعد لحمايته على وجه العموم . ألا ترى رعاك الله أن الجم الغفير من هذه المخلوقات أعطى لون الحضرة مشاكاة للون الورق الذى هو يعيش عليه ويتغذى منه ويعطى لون السمرة حينما يكون وقوعه على قشر جذوع الأشجار أو الأغصان وكثير من هذه المخلوقات من أنواع أخرى مثل (جيو متريدا) أو (لوررز) قد أعطى عادة أنه يفرس نفسه غرسا ناما مثل ما تفرس العصا التى هو يشبهها فى الشكل واللون

المثال السابع عشر

كل امرئ يعلم أن هناك جما غفيرا من دود الفراش ولكنه يسأل قائلا . لماذا رأينا بعض تلك الأنواع قد حيت من الهلاك . ولماذا نرى أنواعا أخرى تحتاج الى حياية ، ذلك لأنها قد فقدت ما يحفظها . والجواب على ذلك سيكون بالاستدلال والاستنتاج البرهانى . ذلك أنه ثبت بالملاحظة والامتحان أن كل دود الفراش الأخضر والأسمر يكون طعاما هنيئا لذئذا بلا استثناء للطير والضفدع والضب والعنكبوت . فهذه تسعى لتختفى من جوع هذه الأعداء بأنها تأكل فى الليل وحده أما فى النهار فانها لا تتحرك وتبقى على الأوراق والأغصان وقشور الجذوع التى شابهتها فى الألوان . ومن جهة أخرى هناك نوع آخر منه لامع اللون يأتف من أكله الطير اذا عرض له وكذلك الضب والضفدع والعنكبوت فليس أحد هذه المخلوقات بقادر أن يلمس دود الفراش المذكور (انظر شكل ١٥)



(شكل ١٥ - صورة دود الفراش المحفوظ بكرة طعمه)

وقد يقتنص الطائر ونحوه ذلك الدود بقمه ولكنه حالا يلقيه من فمه لما أحسن منه بالطعم الكريه . وهذا

القانون يسرى على دود الفراش الذى له شعر يعطى جلده والذى نسج غزلا يحيط به . والذى يزبد في العجب أن هذه المذكورات لها طبائع تخالف ما تقدمها من تلك الفرائش الخضر والسمر وهو أن هذه تأكل نهارا ولا يخفين أنفسهن كانسباقت وتأكل علنا كأنها حفظتها حكومة نظامية وكأنها أعطيت علما بنجاتها من سائر أعدائها هذه الرابطة التي بين اللون المبهج السار وعادة الاقدام والشجاعة . الفرائش تنثر لنا نورا وتضيء لنا كثيرا من أحوال الضوء الملامع الذى ان لم يكن كذلك فإن وجوده يكون معارضا لفكرة الحماية والحفظ وعلى ذلك نقول إن بين خفافسنا طائفة ساطعة اللون كالسماء (الطيور السيدات) والخنود والساحبين بين الطائفة منها المسماة (ملسكودرمس) وهذه الأنواع المذكورات حشرات مكشوفة ظاهرة ولاوقاية تقيها وهي لم تخف أنفسها يوما ما ولم تبحث عن ملجأ تلجأ إليه ولم تتظاهر بالموت كما تفعل الخفافس الأخرى . إن السبب في ذلك قد وجد الآن . ذلك أنها أشبه بدودة الفراش التي لوئت تبوينا بغير اتفاق وهي لا تصلح طعاما لآكلات الحشرات

﴿ المثال الثامن عشر ﴾

وهذا الابطاح يصح أن يعطى للبياض الذى يظهر في فراش مخصوص . إن أحد ذلك الفراش المخصوص هو المسمى (سيلماسمنسترى) وهو فراش عادى جدا ولما وضعه في طعام الفراخ الرومية الاستاذ (استانتون) في جلة مئات من الحشرات الأخرى التي لا قيمة لها رفضه ولم يأكله وهكذا كل الطيور بالتعاقب التقطته ثم رمت لما رأيته كزبه الطعم . وهذا نفسه قد حصل مع حشرة أبى دقيق الزاهية اللون المزخرفة التي تكون الطائفة المسماة (دنسدا) وقد لاحظ الاستاذ (بلى) الطيور الآكلات الحشرات في جنوب أمريكا إذ رآها قبضت حشرة (أبى دقيق) وأحضرتها الى أعشاشها . اطعم بها أفراخها الصغار وبعد نصف ساعة لم تحضر تلك الطيور أحد هذه الطائفة التي تطير في كسل بلا وجل مرات كثيرة

﴿ المثال التاسع عشر ﴾

وهناك طرق أخرى للحماية غير كراهة الطعم وبها يكون الاختفاء غير ضرورى . إن أسلحة الطير تقوم لها بحق الدفاع عنها متى كانت تامة في نوعها لتجعل هذا النوع غير نافع لعدوه أو خطرا عليه اذا هو هجم عليه وأحسن مثال لأسلحة الحشرات (النحل والزناير) فان بين هذه ألوانا زاهية عامة بينها هي تطير هنا وهناك لتبحث عن غذائها من غير أن تحاول الاختفاء وهناك حشرات أخرى لها غطاء قوى أو غزل متابك بلا نظام وذلك وضع عليها لأجل أن لا تؤكل . إن من بين الحشرات التي في الأقطار الحارة كثيرا من هذه الحشرات الظاهرات اللون المزوقات تزويقا غير منظم . خذ مثلا من أمثلة هذه الطائفة وهو الزنبور الباقوق الذيل الذى ليس له حجة تكون سلاحا له وإنما أعطى قوة بها يدحرج نفسه فيصير كرة صعبة قوية وهو ملون بلون زاه بهيج بهي حسن حتى يظهر انه جوهرة غريبة نادرة الوجود . وهناك نوع آخر ينادى بالحماية بالطيران السريع بأقصى شدة ممكنة ثم يخفى نفسه في ثقب أو بين أزهار حينما يسكن . وهذه دائما تظهر بلون لامع فنتشبه (روزشعر) المعتاد . هذه الأمثلة القليلة تفيد أنه لا حجة تقاوم استعمال اللون للحماية في بعض الحيوان مثل أن يقال ان هناك حيوانات لها ألوان مضيئة وابست للحماية . هذه أحوال أفادت أن الحيوان أعطى عوضا يجعله يعيش ويبقى نوعه . هذا العوض تقدر على فهمه في بعض الحيوان وفي بعض آخر نحن جهلاء بالعادة وبما يحيط بالنوع لنحقق هل اللون يحمى أم هناك أمر آخر للحماية واذا لم يحم اللون فما هي الحال الخاصة التي تقوم بالحماية بدل اللون

﴿ المثال العشرون ﴾

دود الفراش لأمبراطور الفراش (أى تبع الفراش) جسمه محلى بالخضرة مع نقط وردية اللون في جمال فائق منظم وبأكل في مرعى ولونه متلائم تلاؤما موسيقيا مع براعيمه الخضراء وأزهاره الوردية حتى انه يصعب كشفه بين تلك المراعى

﴿ المثال الحادى والعشرون ﴾

لنتنقل للصحراء . هناك لا أشجار ولا مراعى تحمى الحيوان بمشاكله لها . إذن نجد تغيرا فى اللون لبشاكل الحيوان ماحوله . فترى القبر (بنشيد الباء) وأنواعا أخرى من الطير وكل ماله فروة من الحيوانات الصغيرة ذوات الأربع وجلد الحيات والضب . كل ذلك بلون الرمال . وليس هذا خاصا بصحراء بل هكذا كل الصحارى والجل والأسد لهما لون لطيف رملى أو صخرى رملى

﴿ المثال الثانى والعشرون ﴾

لنبحث فى الجهات التى فى القطب الشمالى فهناك اللون الأحمر المصفر اللطيف هو المطلوب ولكن اللون الأبيض الصافى وفى بعض الأحيان الأسود الأسمر أو الأسود (حيثما يكون اللون الواضح اللامع يكون أكثر فائدة من لون الاختفاء) . كل دب فى الأرض أسمر أو أسود إلا دب القطب فهو أبيض وكذلك أرنب القطب والصائد الثلجى والبومة الثلجية كل هذه بيضاء أو قريبة من البياض . والثعلب القطبى والأرنب الذى يسكن (جبال الالب) فهذان يتغيران الى البياض زمن الشتاء . وهناك طائر يسمى (بستر ميجان) فى الأراضى المرتفعة وهذا خبر مثال للحماية بالألوان فريشه فى زمن الصيف موافق لألوان الأشجار التى يحب أن يقع عليها ولا يقدر الانسان أن يميز سر بها منها بدون أن يرى واحدا منه وهو يلوث بالبياض زمن الشتاء لأجل حمايته بمشاكل الثلوج هناك التى تغطى الجبال . يستثنى من البياض الشامل الحيوانات فى المنطقة القطبية (غنم مسك) أو (نيران مسك) وهذه تسمية معتادة هناك خطأ لونها أسمر مسود ويرى فى أثناء الثلج والجليد وليس سبب هذا صعبا أنه يعيش أسرابا لحماية باتسكاه على الجماعة والحيوان المنفرد هو الفريسة للدب القطبى أو الثعلب القطبى ويمكنها أن ترى جاعاتها فيلتحق الواحد منها بها على أى مسافة فهو خير من اختفائه من العدو. انظر الى (السمور) فهو يحفظ فروته السمراء الثمينة فى أثناء شتاء سيبيريا القادى وفى أثناء ذلك الفصل يلزم الأشجار ويأكل من ثمارها وهو نشط فيقتنص الطيور من وسط الأشجار . والغراب يكون فى أقصى الأقطار القطبية الشمالية لكنه دائما أسود لأنه لا عدو له وهو يأكل من الجيف وهى لا تحتاج الى الاختفاء من فرائسها . هذه أسباب ثلاثة (غنم خاصة تكون سمراء لأنها تكون سر بها والسمور لأنه يعيش وسط الأشجار والغراب لأنه لا عدو له) ذات قيمة من أجل وجهة نظرية . لقد برهنت هذه الثلاثة على عدم صحة الفكرة العادية التى يقال فيها أن الحيوان يتغير للبياض فى الأقطار الشمالية إما من تأثير البرد المباشر أو من تأثير انعكاس البياض من الثلج . فهذه الثلاثة علمتنا أن البياض إنما اختص بهذه الحيوانات البيضاء لأنه حافظ لها بينما تلك التى إما لا تحتاج الى الحماية واما أن لون السواد نافع لحفظها لم تلون بالبياض . إذن سبب التغير لا يرجع عقلا الى الامور الخارجية بل هو راجع الى قوانين مختلفة مختارة بحيث تغير صفات الحيوان فى طريق نافع لها

﴿ المثال الثالث والعشرون ﴾

الحيوانات الليلية تبرهن على فكرة الحماية اللونية . خذ مثلا لذلك الفيران الصغيرة والكبيرة والوطاويط والخلد كلها رمادية اللون أو سوداء اللون . إذن لا يمكن رؤيتها ليلا إذ هى إذ ذاك تسعى لجلب الرزق وفى النهار تخفى أنفسها فى منافذ أو تحت الأرض . وإذا كان لون الاختفاء لا بد منه مثل ما هو حاصل فى (البوم) فإنا نجد لونه ترابيا ذا بقع ملونة كثيرة لونا خفيفا ليحصل التشابه بينه وبين قشر الشجر أو الأرض أثناء النهار ولا يكون كثير الوضوح أثناء الليل

﴿ المثال الرابع والعشرون ﴾

بعض الحيوانات الليلية لها لون زاه وهو (سكانك) الذى هو فى أمريكا الشمالية وهو أبيض اللون وذيله طويل أبيض غاية البياض ولكن هذا ملك وانحة مهولة كريهة تنتشر فتجعله مخوفا من عجا وذيله الزاهى إنما هو علم مفرد لكل حيوان أكل اللحوم منفرله أن لا يفتك به كما يحصل فى (الفراش) الذى تنصاه الطيور لطعمه الكريه

كما تقدم وهي تأكل غيره لاهو

﴿ المثال الخامس والعشرون ﴾

(أ) ومثل ما تقدم في التأثير البرهاني أن اللون يحمي ماذكرهنا وكذلك في وسط الغابات التي عمتها الخضرة بكثرة في المناطق الحارة وما يقرب منها فانا نرى هناك طيوراً لون ريشها بلون تلك الجهات فصار أخضر مثل (الببغاء) الذي يسكن تلك الأقطار فهو أخضر على وجه العموم مع بعض رقع ذات لون برّاق بهيج (ب) وفي الجزائر الاستوائية الشرقية أنواع كثيرة من الحمام خضراء كالبيغاء وكثيراً أيضاً من أصناف غيرها بنفس هذا اللون

(ج) ومثل هذه فصيلة الطيور الآكلة الفاكهة وهي تكثر في الأغاب في الأقطار الاستوائية الآسيوية . وهناك طير (١) أخضر يسمى (بلبل) (٢) وآخر يسمى (آكل النحل) (٣) والذي في إفريقيا لاستوائية (٤) وذو العين البيضاء الصغيرة الذي في الأقطار الشرقية الاستوائية وأنواع أخرى كثيرة . كل هذه الأنواع تلازم الأفنان المورقة المشبكة الأوراق المشاكلة لونها مشاكلة موسيقية منتظمة بحيث لا يقدر الإنسان أن يميز بين المساكن وساكنيها

﴿ المثال السادس والعشرون ﴾

وتوازن بين هذا وبين الألوان العادية في الطيور بالأقطار التي هي مثل بلادنا . ليس هناك لون يقرب من الأخضر فذلك ليس بموجود بيننا الزيتي والأسمر هما العالمان في ريش الطيور . هذا لون خفيف وهو أقل مظاهر اللون بين الأشجار التي لأوراق لها والادغال أو الشجيرات التي هي كثيرة في جزء كبير من السنة وعند الاحتياج إلى الوقاية تكون الألوان أشد خضرة ﴿ المثال السابع والعشرون ﴾ إن للزواحف ألواناً خفيفة وإقصة لها . فانظر إلى الضب والحية فانهما يكونان أسمرين قليلاً أو كثيراً أو زيتين خفيفي اللون بينهما هما في الأقطار الاستوائية وحدها يكونان شديدي الخضرة البراقة لامعين ليشاكلا النباتات في تلك الأقطار . وهناك نوع من الضباب مسطح مشاكلا لجذوع الأشجار والأشجار التي يعيش عليها ولونه أخضر وأشباه مشاكلة للمسطح الذي يعيش منه

﴿ المثال الثامن والعشرون ﴾

بعض الحيات الليلية هي وكل ما كان ليلاً من الحيوانات التي تحتاج إلى الاختفاء تكون ألوانها ذات سواد أو سمرّة أوزينية

﴿ المثال التاسع والعشرون ﴾

كثير من السمك قد اتضح فيه الحفظ بواسطة اللون فترى الذي يسكن في قاع البحر له لون نفس القاع فهو منقوش نقشاً كثيراً ليوافق الرمال والحصى . فأما الذي يعيش قريباً من سطح الماء فانه يكون من فوق أزرق مائلاً للخضرة وهو من أسفل أبيض لأجل الفرار من العدو الذي في الهواء فوقه ومن العدو الذي في الماء تحته . والسمك اللامع في البحار الدافئة كثير منها تختفي حينما تكون محوطة بالأعشاب البحرية اللامعة . والمرجان والشقائق وأنواع من الحيوانات البحرية التي تجعل قاع البحر في بعض الأوقات يشبه حديقة مزهرة خيالية والسمك الذي كالانابيب وخيل البحر هي أحسن أمثلة لأساليب اللون والاحتفاء به فبعضها مخضرمشبهاً للحشائش البحرية العائمة . ولكن في استراليا هناك نوع عظيم مغطى بطبقة ورقية وكلها ذات لون أحمر وهذه تعيش وسط الأعشاب الجراء البحرية وبهذا تختفي عن أعين الناظرين

﴿ المثال الثلاثون ﴾

في الأقطار الاستوائية حشرات قد حفظت بصفات عجيبة غاية العجب من حيث ألوانها وخطوطها الجيبات وأحسن ما علم منها (حشرات الورق) التي هي حشرات كبيرة عجيبية أجفنتها وأغطيتها أجفنتها عريضة مسطحة مشكلات بأوردة وعروق مثل ما للأوراق وأرجلها ورؤسها وصندوقها لها اتساع مسطح على هيئة ماحولها

من النبات وعلى هيئة كل موجود من النباتات ذات الأوراق الخضراء لطيفة وهي التي تعيش عليها تلك الحشرة . انه لا يمكن كشف تلك الحشرات وتمييزها عما حوّلها اذا لم تنحرك

(المثال الحادى والثلاثون)

الحشرات (العصوية) فيها غرابة وهي انها أشبه باطوانة طويلة والمخالب طويلة وهي تماما كقطعة من عصا سبراء أو مخضرة فاذا كان لها جناحان فانها تضمهما معا وتختفي تحت غطاء أجنحتها كأنها عصا ممدودة بينما الرأس والرجلان مصوران إما مثل هيئة العصا أو كهيئة فرع غصن يتعلق على الشجيرات . وهذا المخلوق فى الغابات لا يميز من الفروع والأغصان التي تتدلى من الأشجار فوق رؤسنا . وهذه لا تزال ساكنة لا حراك لها أثناء النهار فاذا جاء الليل أخذت تأكل وهي تعلق أنفها بأطراف أرجلها بفصنين أو بثلاث وبقية الشجرة ملائمة لأبدانها وعلى ذلك تظهر بمظهر غير متناسب كأنها أغصان مكسرة اتفاقا . وبعض هذه الحشرات تحمى مادّة خضراء عجيبة منقشرة على جميع جسمها واذن تظهر كأنما هي قطعة من غصن مغطاة بطحلب بضيء لطيف أخضر قد عجم من جميع جوانبه . وهذا المنظر قد ظهر لكانب هذه المقالة فى الكتاب الانجليزى فى بلاد (بورنيو) فأيقن لما رآه أن الطحلب قد نما وترعرع على الحشرة وهي حية ولكنه لما امتحن ذلك تبين له أن الذى ظنه طحلبا إنما هو من مظاهر نفس الحشرة

(المثال الثانى والثلاثون)

ومن عجب حشرة (أبى دقيق) ذات المنظر الجليل الساحر الذى يجعل تلك الحشرة ظاهرة جليلة . فانظر كيف كان نفس مابه ظورها يكون به اختفاؤها وأول من كشف ذلك الاستاذ (وود) فانه قال : ان حشرة أبى دقيق الجليلة برتقالية الرأس فان هذه الحشرة وان كانت ظاهرة وهي على الأغصان تختفي اختفاء تاما وقت المساء اذا جثمت فى مكانها الملائم لها وهو أطراف الأزهار فى (شجر البقدونس) . ألا ترى أن مانتت ظاهرها هذه الحشرة فى غاية الجمال منقوش بخضرة مصحوبة ببياض لمائل البياض والخضرة فى أطراف زهر ذلك النبات انتهى ما قصدته من ذلك الكتاب (انظر شكل ١٦)



(شكل ١٦ - صورة حشرة أبى دقيق البقدونسى)

وههنا يتجلى ﴿أمران * الأول﴾ ان ما انتشر بين المتعلمين في مصر وسوريا والعراق وجميع بلاد الشرق وكثير من بلاد الغرب أن العلوم الطبيعية ومذهب (داروين) و (لامارك) تنافي وجود منظم الكون انما هو من العلوم التي أذاعها القوم في القرن الثامن عشر ومعظم القرن التاسع عشر . أما علماء أواخر القرن التاسع عشر وعلماء القرن العشرين في أوروبا فانهم بما حققوه لم يصبحوا مؤمنين بحسب بل هم موقنون فانظر الى ما تقدم في (المثال الأول) كيف يقول المؤلف « هنالك أتاني اليقين أن هناك غاية مقصودة حقا » وأن الحشرة قد أدخلت الغفلة على هذا الكاتب فبريزها من الحشرات حولها فهي على غش الطيور الآكلات لها أقر . وهذه مسألة واحدة من الأمثلة الاثنتين والثلاثين المتقدمة المملوءة من الحكمة والایمان والعلم وانظر ثم انظر في (المثال الثاني والعشرين) . انظر الى الثعلب القطبي كيف يتغير الى البياض زمن الشتاء والى الطائر الذي يكون ريشه في الصيف موافقا لألوان الأنجار التي يقع عليها ولألوان الثلوج زمن الشتاء ثم تأمل كيف اهتدى العلماء في أوروبا للحقيقة إذ كذبت تلك النظرية العتيقة التي علقت بأذهان الطلاب في جميع مدارس العالم قاطبة وهي أن الألوان انما جاءت بتأثير البيئة والوسط . فاعجب كيف يقول في نفس هذا المثال ان (السمور) و (الغراب) و (غنم مسك) هذه الثلاثة قد كذبت النظرية المعتادة القائلة ان الحيوان يتغير للبياض في الأقطار الشمالية إما من تأثير البرد وإما من انعكاس البياض من الثلج وأثبت أن البياض يوجد اذا كان نافعا للحيوان وغيره يكون عند الحاجة أيضا ﴿وبعبارة أخرى﴾ ان متأخرى الفرنجة اليوم برهنوا على هذه الآية - وما كنا عن الخلق غافلين - وأى برهان أعظم من هذا . اللهم إنك قد أرينا وعلمتنا الحكمة وأرينا من أبدع العلوم والحكم . هذه هي العلوم والحقائق التي هي بعض ملكوت السموات والأرض التي أراها الله لأبراهيم الخليل عليه السلام وبها أيقن بربه . وهاهي ذه أمامك في هذا المقام وهذا التفسير طافح بها وقد حجبت هذه العلوم عن كثير من المتعلمين في بلادنا . يقرؤون العلوم واللغات ولكنهم لم يوفقوا للاطلاع على ما علمته أوروبا في هذا القرن وأواخر القرن الذي قبله . فهم يقرؤون صدى صوت علماء القرن الثامن عشر تقريرا ولم يصلوا لنهاية العلم في هذا القرن . فها أنا ذا أريتك نهاية علم القوم حتى تعلم علما ليس بالظن أن أولئك الذين يلحدون ويكفرون متظاهرين بأنهم تابعون لعلماء أوروبا قد غرهم في عقلم ما كانوا يكذبون . فهؤلاء جهلهم جهل مركب ونه في خلقه شؤن . هذا هو الأمر الأول

﴿الأمر الثاني في هذا المقام جلال العلم ومحاسن الطبيعة وموسيقاها﴾

اعلم أن التوغل في معرفة هذه العوالم كأنها - جنة عالية * قطوفها دانية * لاتسمع فيها الاغنية - انظر الى ما سمعته الآن . انظر الى هذا الجلال وأى جمال أبدع وأى حسن أبهج من هذا . يعيش الناس ويموتون وهم مغمورون في الجلال والموسيقى ولكنهم لا يعلمون انهم في جلال وموسيقى . وما مثل الناس في هذه الحياة وقد غفلوا عن الجلال الذي رأيته الآن إلا كمثل العمى أمام الغانيات القانتات أو كمثل الصم أمام المغنين والمغنيات جلست هذه الدنيا وكلت وتعالى الله فطمس الحقائق وأبعدها عن الاستحقاق وأبرزها لمن يفقهون

﴿حكاية من رسالة القشيري المؤلفة في القرن الرابع الهجري﴾

حكى أن الجنيد رحمه الله جاءت له امرأة تشكو زوجها فقالت يا سيدي لماذا يتزوج زوجي على ووالله لولا أن كشف الوجه حرام على الأجانب لأريتك وجهي حتى تعلم انني جميلة . فلما سمع ذلك الشيخ أغشى عليه فقليل له لماذا . فقال لأن الله يخاطبني على لسان هذه المرأة انه لا يرى وجهي إلا المستحقون وهم المطيعون وسواهم محرومون . فهكذا هنا نقول ان وجه هذه الدنيا كماله جلال ولا يحظى به إلا المفكرون وسواهم غافلون انظر كيف رأيت أكثر المتعلمين في الشرق والغرب جهلوا هذا الجلال لأنهم لم يصلوا لغاية علم القوم الذين

ادعوا انهم قلدوهم . ويجمع هذا المقام كله قوله تعالى - وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون -
ولعلك تقول أين الموسيقى في هذا العالم ونحن لانعرف الموسيقى إلا المسموعات من الأوتار والغنين .
أقول إن الموسيقى على (قسمين) قسم خاص وقسم عام . أما القسم العام فهو ما يعلمه الجهلاء والعلماء على
حد سواء من الحركات والسكنات التي تؤثر في الهواء فتصل للأذان وهذه انما تسر القلوب لأنها على نسب
هندسية كما تقدم في (سورة يوسف) عند الكلام على جاله وكما ذكرته في كتابي (الموسيقى) وملخص
ذلك أن الموسيقى ترجع الى النظام والنسب الهندسية والحسابية (بحكى) أن الفيلسوف (فيثاغورس) مر
بذئبان حداد فسمع وقع أربع مطارق فأطربته لأنها موزونة فوزنها اذا هي على نسبة ٦ الى ٨ الى ٩ الى ١٢
فأتى بأوتار أربعة متساوية في الطول والثنى وربطها أثقالا على النسبة المتقدمة ففرها فكانت كتوفيع
المطارق الأربع . واعلم أن جميع علم الموسيقى يرجع الى سبب ووتد وفاصلة وهكذا علم الشعر . والسبب مثل
(من) والوتد مثل (على) ومثل (بعد) والفاصلة مثل (فعلت) ومن هذه الثلاث تتركب جميع الألحان
وتلك الألحان يحملها الهواء فتدخل الأذان فيفرح الانسان بها . ذلك لأنها على نسب هندسية مثل خفيف
الثقل الأول الذي على هذا النمط فعولن مفاعيلن . فهذا في الموسيقى أشبه بصرا الطويل في علم الشعر وهذا
الوزن نفسه هو الذي تصيح به الفاخنة وهذا صورته (ككوه كوه ككوكوكو) فهذا الوزن نفسه هو في
بحر الطويل اذا كررناه أربع مرات وهو نفسه موسيقى وهو نفسه صياح الفاخنة وانما استلذها السمع لأن
نسبتها مكررة هكذا (٧) متحركات الى (٥) سواكن كنسبة (١٤) متحركا الى (١٠) سواكن كنسبة (٢١)
متحركا الى (١٥) ساكن كنسبة (٢٨) متحركا الى (٢٠) ساكنا وهذا هو نفس بحر الطويل . ومعلوم
أن هذه النسبة حاصل ضرب الطرفين فيها يساوى حاصل ضرب الوسطين أى ان (٥) اذا ضربت في (١٤)
فانها تساوى (٧) مضروبة في (١٠) وعلى هذا أبدا فقس فيما لا يتناهى مهما تكررت هذه النسبة المتكررة
المنتظمة وهي التي عرفتها آذاننا وآذان الطير وآذان الجهال منا والعلماء . عرفت آذاننا هذه النسبة ففرحت
بهذا الجلال ولكن بعد هذا كله نقول ان هذه الموسيقى عرفها الطير وكثير من الحيوان وجميع نوع الانسان
ولكن هناك موسيقى أرفع مقاما هي الموسيقى العلمية أى النظام والابداع في هذه الدنيا فهذه الموسيقى
هي التي سبحانه الله عن أكثر هذا النوع الانساني بل أكثر المتعلمين في الأمم محرومون منها وهي الموسيقى التي
تظهر في علم الفلك وعلم الطبيعة . انظر وتجب الى نظام الأفلاك وحسابه كما تقدم في هذا التفسير وتقدم بعضه
في (سورة يوسف) عند ذكر الجبال وأن هذه النسبة التي قرأتها في الشعر والموسيقى تقرؤها في حساب سير
الشمس والقمر والكواكب وتعرفها في نظام العناصر عند تركيبها وأبدع من ذلك ما رأيت الآن في هذا المقام
الذي نحن بصدد . انظر ثم انظر الى الغراب كيف خالف لونه لون الثلج في الأقطار القطبية . لماذا . لأن فريسته
جيفة لانقرمه . وانظر كيف ترى الله عز وجل جعل حياة الحيوان متنوعة الأشكال بهجة المناظر . فتارة
يحميه بقذارة شكاه ومشاكلته لزرق الطير الذي يأكله . وتارة يحميه بمشاكلته لونه لما حوله . وتارة يحميه
بالريح الكريهة التي يؤذى بها من يقصده . وتارة يحميه بشدة العدو . وتارة باختفائه ليلا . وتارة بسلاحه
وهكذا من ضروب الابداع والانتقان . قل لى رعاك الله . ألم تكن هذه الأجسام كلها من عناصر معلومة
والعناصر كلها هي المواد الجامدة والغازية والسائلة ثم بعد ذلك يكون الضوء والحرارة . فماذا جرى . جرى
أن هذه المواد الثلاثة تنوعت أشكالها فكان منها صور حيوانية وأخرى نباتية والحيوانية تنوعت الحماة فيها
الى صور بديعة مختلفة . فانظر . أليست الموسيقى ترجع الى ما ذكرت لك من السبب والوتد والفاصلة . فهذه
الثلاث كان منها جميع الشعر وجميع الموسيقى في العالم . وما الشعر والموسيقى إلا حركات وسكنات هذه أصولها
إذن لا فرق بين الموسيقى العامة في أن لها أصولا ثلاثة والموسيقى الخاصة في الطبيعة فان أصولها أقسام الأجسام

المتقدمة فكما تنوع الشعر والموسيقى الى ما لا يتناهى من الصور المفرحة للعلماء في الهواء ولنجهال على حد سواء هكذا تنوعت أقسام الأجسام الثلاثة الى ما لا يتناهى من الجبال في هذا العالم كما رأيت في أنواع حياية الحيوان وهذا لا يكون في الهواء بل في العوالم الطبيعية كلها . يظهر أن هذا العالم مبني على أمرين حركة مستمرة ونظام جيل . فالحركة في الموسيقى والشعر معروفة والحركة في الطبيعة لا يعقلها إلا المفكرون فيها

ففر بعلم تعيش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

(ايضاح ما تقدم . بعض أسرار القرآن تظهر في هذا الزمان)

هذه الأسرار هنا ترجع الى نظام الحيوان ونظام الحساب العام . أما نظام الحيوان الذي رأيت فيه فهو السرّ المصون والجوهر المكثون والعرفان والنور . نعم هو المذكور في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - فهذا هو ذا ذكر سبحانه اختلاف ألوان الثمرات وألوان أجزاء الجبال والدواب والأنعام ثم ختم ذلك بأنه لا يخشى الله إلا العلماء . الله أكبر . ياليت شعري أي علماء هؤلاء . نعم هم علماء النبات والحيوان والجماد الذين يعقلون سرّ الألوان وهل سرّ الألوان غير ما جاء في هذه المقالة ونحوها . أيها المسلمون . أليس هذا هو الذي جاء لأجله القرآن . جاء القرآن لهذا . القرآن نزل وانتشرونا ثم خلف بعد ذلك خلف ورثوا الكتاب وحفظوه عن ظهر قلب ثم ناموا فخلقنا الله اليوم فرأينا انه وان أدام المسلمين في القرون المتأخرة قد أيقظ أئمتنا أخرى فأظهرت ما أكن القرآن من أن لكل حيوان لونا يخصه لنفسه أولبقائه إذن عرفنا الآن أن الألوان المذكورة في الآية ليست مظاهر جلالها بل منافعها الحقيقية المتقدمة إذن هي تفسير للقرآن إذ أن الله الذي أنزل القرآن وقال - ثم إن علينا بيانها - وقال - سبريكم آياته فتعرفونها - هو نفسه الذي أمر علماء أوروبا فاستخرجوا منافع الألوان وهو الذي ألهم مؤلف هذا التفسير وأمثاله أن يصيحوها في المسلمين قائلين لهم تعلموا هذه العلوم فان ألوان الحيوان مثلا النافعة له هي المقصودة في الآية والعلماء بها هم الذين يخشون الله وهم الذين قال الله لأمتهم - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - جمع عالم . الآيتان على نظام واحد . ذكر الله فيهما أن هذه الألوان لا يعقلها إلا العلماء أي العلماء بها ونظام هذه المخلوقات . إن هذا التفسير قد جاء قبيل ظهور حكماء في أمم الاسلام لم يحلم بهم الدهر . انظر الى الآيتين السابقتين هل يعقل أن أحدا يقال له (عالم بنظام وبألوان المخلوقات) إلا من يبرعون في هذه العلوم ومتى برعوا يعقلون بعض جلال ربهم ويكون العالم أمامهم جنة عرضها السموات والأرض أو موسيقى تصدح لأولئك العلماء العالمين . انتهى الكلام على نظام الحيوان أما نظام الحساب العام فان الله لم يقف نظامه عند حد الحيوان نفسه ومراعاة حياته وحفظه بل تعدى ذلك الى أصواته وخسبها ونظمها ولم يذر طيرا على شجر ولا إنسانا في بدو أو حضر إلا نظم أغانيه وموسيقاه . وهذا كله تفسير لقوله تعالى هنا - وما كنا عن الخلق غافلين - وعدم الغفلة يلزمها أن لا يضع سبحانه لونا إلا لفائدة والا لكان ذلك اللون عبثا - ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا - الى قوله - أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق - ومن الحق المذكور أن يكون لكل عرض ولون فائدة والا فكيف يسبح الناس ربهم ويقولون (سبحان الله) والتسبيح تنزيه عن كل ما لا فائدة فيه . إن الناس لا يصلون الى المقام الأعلى إلا بعد فهم هذا الوجود حتى يعقلوا عمل ربهم . وكما أن علم الغفلة عن الخلق يلزمه أن لا يكون لون بلا فائدة هكذا يلزمه أن تكون الأصوات أيضا منظمة كما قال تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقال - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - نخذ ايضاحا لما تقدمت قول الفاخرة

ككوه كوه ككوكوكو ككوه كوه ككوكوكو ككوه كوه ككوكوكو ككوه كوه ككوكوكو

والشاعر العربي يقول من بحر الطويل

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمسكتنا

والموسيقى خفيف الثقيل الأول

تنن تن تنن تن تن تنن تن تنن تن تنن تن تنن تن

وزن الشعر

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

الحساب ٧ : ٥ : ١٤ : ١٠ : ٢١ : ١٥ : ٢٨ : ٢٠

ومثل بحر الطويل في هذا الحساب بحر البسيط وبحر المديد اذا لم يدخلها علل أو زخافات كما هو مبين في محله هذا معنى قوله تعالى - إن الله سريع الحساب - وقوله - وهو أسرع الحاسبين - لأنه أسرع في حساب نغمات الموسيقى وأصوات الفاخة والشاعر العربي وجعلها كلها بحساب واحد بحيث يكون حاصل ضرب الطرفين في كل واحد يساوي حاصل ضرب الوسطين . هذا هو أعظم سر من أسرار الاسلام ظهر الآن وسيظهر أسرار وأسرار بعد انتشار هذا التفسير انتهى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - سبع طرائق - ﴾

لقد تقدم الكلام عليها في (سورة البقرة) فليرجع اليه من أراد

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - وإن لكم في الأنعام لعبرة - ﴾

لقد علمت أيها الذكي أن (المواليذ الثلاثة) وهي النبات والحيوان والانسان وكذا المعدن قد جاءت في القرآن مرارا وما ذكرت مرة إلا تامة وفي هذه السورة تامة أيضا فانه ذكر الانسان الذي هو آخر السلسلة ثم ابتداء بالعنوايات فالعناصر كالماء وذكر الأرض وفيها المعادن ثم النبات ثم الحيوان . وهذه السلسلة منتظمة كما ذكرته سابقا في هذا التفسير . وأذكر لك الآن أن هذه السلسلة نقلها الفرنجة عن آبائنا . أما قدماءنا فكانوا يقولون هكذا : ان المعادن تليها النباتات فالحيوانات وأعلاها ما هو كالقردة وكالفيل ونحوه من كل ماله صفة تشبه صفة الانسان وأعلى من هؤلاء الانسان الذي في أطراف المسكونة . فلما نقل المذهب الى أوروبا وشرحه (داروين) قال بما قاله آباؤنا تماما ولكنه قال ﴿ يحتمل أن يكون الأعلى مشتقا من الأدنى ﴾ أي متولدا منه ففتح بابا للقوم بأن الانسان كان قردا ففرق فتعصب للمذهب من بعده العالم (برن) وأمثاله وهناك عشرات بل مئات يقولون : إن هذه العوالم ليس لها موجد وانما وجدت بالمصادفة وبسبب أربعة أمور كما سيأتي وهي تطور الحياة والوراثة وتنازع البقاء وكون الأقوى يبيت الأضعف . جاء علماء العصر الحاضر في القرن العشرين وقاموا قومة واحدة على هذا المذهب فنقضوه . ويجدر بي ان أنقل لك كلامهم حتى تعرف أن قوله تعالى - فأسكناه في الأرض وانا على ذهاب به لقادرون - وقوله - ثم جعلناه - الخ - وهكذا أصبح مبرهنا عليه في العلم الحديث . واني أعلم أن هذه الآراء لن تشر سريعا في المدارس والكتب ولكن المذهب البرويني قبل تعديله سيقى على حاله يدرس الصغار التلاميذ أمدا طويلا . فها أنا ذا أسمعك العلم الحديث الذي قلبه وما قلبه وأبطله إلا علماء الألمان والنمسا والانجليز فلا أسمعك كلامهم لتكون على علم حتى اذا قيل لك (مذهب داروين) كان عندك منه خبر وأسمعهم نقضه من فطاحل خلقهم الله بعده في أوروبا فرجع الأمر للقرآن وثبت بالبرهان العقلي الحديث قوله تعالى - ولقد خلقنا - الخ

﴿ فصل في أصول مذهب داروين وبيان أقوال العلماء في نقضه من أهل أوروبا وأن أصوله أربعة ﴾
اعلم أن هذا المذهب لما انتشر في بلادنا المصرية فشا الاتحاد وعمت الرشوى وذاع الزيف وتفاخر كثير من العظماء وأرباب السطوة والنفوذ بخلع العذار وانتهاك الحرمات وتبارى كثير منهم في شرب الخمر والقمار ونبذوا الدين ظهريا وذلك عقب ظهور مؤلف الدكتور (شبل شميل) الذي هو ترجمة كتاب بنجر الألمانى وكان المترجم والمترجم عنه يميلان الى الاتحاد وانكار الخالق فكان ذلك داعيا لفشو ذلك وتقليدهما تقليدا بلا جدال . كل ذلك في أوائل هذا القرن العشرين . وبينما نحن كذلك في مصر وفي بعض بلاد الشرق كان علماء أوروبا قد نقضوا هذا المذهب نغرة على المؤمنين به السقف من فوقهم وانهارت دعائمه وأصبح هشيا تذروه الرياح كأن لم يكن بالأمس . ولأذكرك أصوله ثم بيان أقوال العلماء في نقضه

﴿ فصل في أصول هذا المذهب ﴾

بنى (داروين) هذا المذهب على ﴿ أربعة أصول ﴾ الأصل الأول ﴿ ان الحياة ذات أطوار وتغيرات بها ترتقى من حال الى حال ﴾ الثاني ﴿ ان هذه التطورات تنتقل بالوراثة الى النسل ﴾ الثالث ﴿ ان الأدياء جميعها بينها تنازع في البقاء ﴾ الرابع ﴿ إن ما كان أتم وجودا وأقوى وأكمل فهو الأصلح للبقاء وأما الأضعف فانه محكوم عليه بالفناء . فالحيوانات والنباتات كلها سلسلة واحدة أعلاها مشتق من أدناها بالارتقاء . ومن ذلك أن الانسان مشتق من القرد وهو أعلى الحيوانات بمقتضى هذه القواعد . ولما كان الأكل هو الباقي ظهر الشره والطمع في عالم السياسة وأنشئت في أوروبا المهلكات الحربية بناء على هذه النظرية وسيادة القوة الأسدية ونقضت اليهود وخربت الذمم بين الأفراد في بلادنا . وما عجت لشيء عجبى مناهم الشرقيين كيف نقّس مذهبنا نقضه أهل أوروبا . وسيعتريك العجب حين أتوا عليك من آراء حكمائهم وبراهين علمائهم ما يذيب هذا المذهب ويجعله هباء منثورا . إني آسف أشد الأسف . إن الغفلة مستحكمة في أنحاء الشرق عند المتعلمين منهم . آمنوا بالمذهب الثرويني كما شربوا الخمر اتباعا لأهل أوروبا ولم يعلموا بأنباء العلماء هناك إذ أبطلوا ذلك المذهب بطلانا تاما كما بينوا أن الخمر سم نافع حتى حرّمته دولة أمريكا وأنكرته بلاد السويد والترويج . فالخمر لا يزالون يشربونه والاتحاد في الدين باق كأن المذهب لم ينقضه أولوالآلب

﴿ فصل في نبذ مما قاله العلماء في نقض هذا المذهب ﴾

(١) قال (جوستاف لوبون) « إن المادة ليست أبدية بل هي خاضعة للناموس الختم الذي يقضى على جميع الكائنات بالفناء وهي مركبة من مجموعات شمسية مؤلفة من عناصر يدور بعضها حول بعض بسرعة عظيمة جدا وهي لا ترى ثابتة في حَسَنًا إلا بسبب تلك السرعة المفرطة » انتهى وأنت تعلم أن مذهب (داروين) مبنى على المادة وهي أنه

(٢) قال الاستاذ (هنرى بوانكاريه) العضو بالجمع العلمي الفرنسى ﴿ إذا نظرنا في ناموس خاص أيا كان فانا نستطيع أن نؤكد أنه لا يمكن أن يكون إلا تقريبا لأنه مستنتج من تحقيقات تقريبية . وهذه التحقيقات لم تكن ولا يمكن أن تكون إلا تقريبية ﴾ . وقال الدكتور (ج . جيليه) ﴿ إن النواميس يمكن أن تتغير بعراض من العوارض وأن يطل عملها أيضا ﴾ . أقول ولا جرم أن هذا من أكبر أساس مذهب (داروين) المبني على النواميس الطبيعية

(٣) قال الاستاذ (جوستاف جوليه) ﴿ إن العوامل التي ذكرها (داروين) تمجّز عن تعليل ذلك الثبات التام للصفات الأصلية للأصناف التي تتكون حديثا وتمجّز أيضا عن تعليل نشوء الإلهامات الجديدة فيها ﴾ وقد أثبت أن أنواعا جديدة لا تزال تخلق حديثا كما ستراه ثم قال الاستاذ (جوليه) ﴿ إن مذهب لامارك ومذهب (داروين) يستويان في التصور فانهما لا يفسران

التحول عن الحياة المائية الى الحياة الأرضية ولا التحول عن الحياة الأرضية الى الحياة الهوائية فكيف استطاع الحيوان الزاحف وهو سلف العصفور أن يناسب البيئة التي لبست له ولا يمكن أن تكون له إلا بعد أن يتحول من صورة حيوان زاحف الى عصفور وكيف يستطيع أن تكون له حياة هوائية قبل أن تكون له أجنحة نافعة وأن مسألة الحشرة أشد استحالة . وهل هناك أية علاقة من جهة علم الحياة بين الدودة وبين الحشرة الكاملة التي تنقلب اليها . إنها حشرة تعودت الحياة الدودية تحت الأرض أوفى المياه فكيف تصل شيئاً فشيئاً الى إيجاد أجنحة لجسمها تصلح لحياة هوائية بعيدة عنها بل بمجهولة لها ؟ انتهى باختصار

(٤) قال العلامة (دوفري) : إن التحولات المفجائية هي القاعدة في عالمي الحيوان والنبات وقد أعلن هذه الحقيقة (جوفر) و (اسان هيلير) و (كوب) وثبت أن الظهور المفجائي للأشكال الكبيرة الرئيسية كالزواحف والطيور وذوات الثدي كان في الأراضي الجيولوجية ومتى ظهرت حصلت على صفاتها كاملة (٥) قال الدكتور (جوستاف جوليه) : إن الحشرة ظهرت من أقدم عهود الحياة الأرضية وثبتت أنواعها في جميع الأحوال فهي تناقض ما ذهبوا اليه من التحولات المستمرة البطيئة وتناقض التطور بفعل الفواعل الخارجية فانها تنقلب داخل الشرنقة من حال الدودية الى حشرة طائرة ولا تأثير لشيء عليها من الخارج كما ان الهوة عميقة بين الحال الأولى وهي الدودية والحال الثانية وهي حال الحشرة وهي هوة تضيق فيها كرامة جميع النظريات الدروينية واللاماركية فالحشرة أدت شهادة حسية ببطلان مذهب (داروين) كما أثبت عجزه عن تفسير غرائزها الأولية الجينية المحيرة للعقل

(٦) رأى (فون باير) في مذهب (داروين) وهو العلامة الألماني الكبير مؤسس علم الامير بولوجيا (علم الأجنسة) ومن أقطاب الفزيولوجيين والحفرين قال : (إن للرأى القائل بأن النوع الانساني متولد من القردة السنيانية هو بلا شك أدخل رأى في الجنون قاله رجل على تاريخ الانسان) (٧) قال العلامة (فيركو) الألماني من علماء (الانثروبولوجيا) أي (التاريخ الطبيعي للانسان) وكذلك العلامة (الانثروبولوجي) الفرنسي (دوكاترفراج) يقولان ان القرابة في التاريخ الطبيعي للانسان من القرد منعدمة . ان الانسان في العهد الحفري الرابع وجد مشابهاً لنا كل المشابهة مع انه كان يجب أن يكون أقرب الى أسلافه القردة بل ان نقص الحلقة في رجال العصر الحاضر أو فرمها في تلك العصور . ثم قالاً إننا لانستطيع أن نعتبر ولادة الانسان من القرد أو من حيوان آخر من الامور العلمية

(٨) رأى العلامة (ابلي دوسيون) ذكر في كتابه : (الله والعلم) في الطبعة الصادرة سنة ١٩١٢ م ما يأتي : (ان الغرضين اللذين يقوم عليهما مذهب (داروين) هما الانتخاب الطبيعي وانتقال الصفات المكتسبة وقد أثبت (هربرت سبنسر) هدم الغرض الأول من أساسه . ونقض (ويسمان) امكان انتقال الصفات بطريق الوراثة . وبرهن على أن هذه المشاهدات المزعومة لا تقوم إلا على حكايات مخترعة ولا تعاقب قيمتها العلمية عن قيمة حكايات المرضعات

(٩) قال الاستاذ (جورج بوهرن) مدير معمل (البيولوجيا) و (البيسيكولوجيا) ما يأتي : (إن نتائج كثير من المباحث البيولوجية والبيسيكولوجية الحيوانية قد ظهر بطلانها بسبب القيمة العظيمة التي كان أصحاب هذه المباحث يعطونها للفكرية الانتخاب الطبيعي)

(١٠) كتب العلامة (ادمون برييه) في مجلة : (العالم الحى) سنة ١٩١٢ م قال : (إن ثقة الاستاذ (جينو) بتأثير البيئة (الوسط الخارجي) ضعيفة جداً فان هذه البيئة على ما يقول لا تصلح لإيجاد أى تغيير ورائى ثابت فالبط وسائر الطيور المائية ترى متمتعة بأرجل ذات أصابع متصلة بغشاء فيظن أن هذه الأغشية قد أوجدها نوع معيشتها ولكن الأمر على العكس من ذلك في مذهب المسيو (جينو) فانه يقول بأنها

وجدت لها مقدما بدون تأذير من الخارج وأخذ (البط) يعموم لأنه وجد لنفسه أرجلا مغطاة تصلح للعموم. فهذه الحيوانات قد أعدت من قبل للعموم أى أنها خلقت لتعموم قبل أن تستفيد تركيب أرجلها في العموم (١١) قال العلامة (بلوجي) الألماني (لم أجد واحدة من هذه المشاهدات تثبت انتقال الصفات بالوراثة) (١٢) قال الفزيولوجي الكبير (دوبواريمند) (إذا أردنا أن نكون مخلصين وجب علينا أن نعترف بأن وراثة الصفات المكتسبة قد اختلفت لمجرد تعليل الحوادث المراد تعليلها وأنها هي نفسها من المفترسات الغامضة)

(١٣) رأى (دائرة المعارف الكبرى الفرنسية) في مذهب (داروين) (إن النظرية الدروينية لسوء الحظ محتلة من أساسها لأنها تفرض أن جميع الصفات النافعة حدثت بالمصادفة وبالتالي جميع الحيوانات حدثت على ما هي عليه اتفاقا (مصادفة) وهو فرض يلاشى المسألة نفسها)

(١٤) قال الدكتور (ادورد هارتمان) (إن وجود هذا الرأي عند الدرويين (رأى عدم وجود القصد) هو من المسلمات التي لا يقوم عليها دليل ومن الأدغام التي لا أساس لها . وعلل ذلك بأن الطبيعة ذات نظام ميكانيكي ولا يمكن النظام بالقصد كما لا يمكن القصد بالنظام . وكل ما لانظام له فهو مهمل في فوضى كالثيران الهائلة والطبيعة التي يعالون بها ليست كذلك)

(١٥) قال العلامة (لويز بورديو) مانصه (يجب أن يعترف بأن هنالك قصدا مقصودا وروحا مدبرة لأنه بدون ذلك تفقد وحدة المجموع رابطتها فان قصد يظهر في تلازم الحوادث ويثبت به)

(١٦) رأى الاستاذ (فون باير) الألماني في القصد قال (إذا كانوا يملنون الآن بصوت جمهوري بأنه لا قصد في الطبيعة وأن السكون لا يعوزه إلا ضرورات عمية فأنا أعتقد أن من واجباتي أن أعلن عقيدتي في ذلك وهي أني على العكس أرى جميع هذه الضرورات تؤدي إلى أغراض سامية)

(١٧) قال (كاميل فلامريون) (إن درس الوجود يجعلنا ندرك أن له نظاما مقفلا وغاية دفع بها إليها وأن المقصود بهما ساكن هذا الكوكب وحده وانهما يتعاليان عن أن نلزمهما في حقارتنا . إن التبصر الذي يظهر في النباتات والحشرات والطيور الخ وهي غافلة عنه مما يقصد به حفظ ذرياتها وامتنان المشاهدات في التاريخ الطبيعي يستنتج منها أن في الطبيعة عقلا مدبرا)

(١٨) قال العلامة (لوجيل الفرنسية) مانصه (انه لصق لفلسفة عالية أن تعتبر كل القوى صادرة من قوة أولية أبدية واجبة الوجود مصدر كل حركة ومركز كل عمل)

(١٩) في دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية مانصه (ان لكل من الكائنات المتنوعة للطبيعة الحية غاية ورضع لأجلها ومركزا يدور عليها)

(٢٠) قال الاستاذ (ميلن ادوارد) في جامعة السريون بفرنسا (إن الحيوان المسمى (اكسيلوكوب) من المغيرات للفكر . ان هذا الحيوان يرى طائرا في الربيع منفردا ويعيش ويموت بعد أن يبض مباشرة فلم ير صغارها أمهاتها ولا تعبش حتى ترى أولادها اللاقي يخرج من دودا يعيش سنة في مسكن مقفل وهدوء تام فتري الأم متى حان وقت يبضها تعمد الى قطعة من الخشب فتحفر فيها سردابا طويلا فاذا أتمته على ما ينبغي أخذت في جلب ذخيرة تكفي صغارها سنة وهي طلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية فتشوها في قاع السرداب ثم تضع بيضة وتأتي بنشارة الخشب تكون منها بحينة تجعلها سقفا على تلك البيضة ثم تأتي بذخيرة جديدة تضعها فوق ذلك السقف ثم تضع بيضة أخرى وهكذا فتبنى بيتها مكونا من جلة طبقات ثم تترك الجميع وتموت ثم قال يدهش الانسان حين يرى جلال هذه المشاهدات المتكررة رجال يدعون لك أن هذه العجائب نتائج للمصادفة وأن إلهامات الغل مثل أسى مدركات الانسان نتيجة عمل الطبيعة من تجمد الماء واحتراق الفحم

وسقوط الأجسام . إن هذه الفروض الباطلة بل هذه الأضاليل العقلية التي يستترونها باسم العلم الحسى قد دحضها العلم الصحيح دحضا تاما فان الطبيعى لا يستطيع أن يعتقد بها أبدا . وإذا أطلّ الانسان على ذكر من أوكار بعض الحشرات الضعيفة يسمع بغاية الجلاء والوضوح صوت العناية الإلهية ترشد مخلوقاتها الى أصول أعمالها اليومية) انتهى كلام العلامة (ادوارد) ملخصا

وهذا عجب عجاب . كيف كان مذهب (داروين) في الغرب قد أصبح كثيبا مهيلا وهباء منتورا وقولا هراءا ونفوا الحديث وكلام المرضعات وخرافات العجايز وأساطير الأولين كما عبر عنه علماءهم بذلك وهو في بلادنا المصرية وفي البلاد الشرقية معتمد عليه موثوق به فهو الحجة القائمة عندهم على دحض جميع الالهيات والنبوتات . ترى الرجل ينيه عجا انه أعلم العلماء وأعظم المفكرين فإذا تحققته علمت انه يدعى العلم بمذهب (داروين) على أن أكثر هؤلاء لا يعلمونه مع بطلانه . إن العلم الناقص ضلال مبين فإما علم تام والا فلا . وإن تطمع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون -

فلما سمع ذلك صاحي . قال لقد كثرت الدعاوى في المجالس فلا أسمع إلا انهم يقولون (فلان فيلسوف يتعالى عن الديانات ويتعاطم على أداء الصلوات اكتفاء بما علم من الطبيعيات ومادرس من الرياضيات) أما الآن فاني اذا قابلت أحدهم أقول له * أطرق كرا إن النعام في القرى * ثم أقول فغض الطرف إنك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ولقد تمادى الناس في تسمية كل منتطح في كلامه متفريق في حديثه انه فيلسوف ففرفت الآن أن هذا كله حديث خرافة ولقد تمادوا في طغيانهم يعمهون حتى سمو ضلالة وجهالة كل مكذب للديانات مكذب بالوحى فيلسوفا حتى إن أحدهم سأل في (مجلة المقتطف) هذا السؤال (هل المعطل يسمى عبقرى) فأجابه . كلا بل المدار على النبوغ العلمى فكأن هذا الجاهل ظن أن انكار الأنبياء كاف في النبوغ أو الفلسفة وهذا غاية الحق والجهالة وما أسهل الكفر وبالتالى ما أسهل الفلسفة فليجلس المرء على كرسيه وليقذف كلمات الاستهزاء والازدراء من لسانه وليصب جام غضبه على علماء الدين والأنبياء والمرسلين وليكررها صباحا ومساء ثم ليبشر بأن اسمه يكتب في ديوان الحكماء المفكرين والأسانذة المحسنيين والعقلاء المجريين والنظار العبقريين ولامدرسة ولا تعلم بل يأتيه العلم هنيئا مريئا فيكون بطلا وبالسماحة شجاعا وبالغباوة نابغة فأف وتف القوم لا يفقهون صم بهم عمى فهم لا يرجعون

(فصل في ذم المتفلسفين والمتبذلين والمغفلين)

ولما جاء صاحبي في اليوم التالى قال هل كان المتقدمون في الأعصر الغابرة مبتلين بأمثال هؤلاء المتفلسفة فقلت نعم قال العلامة محمد بن عمر الرزى في شرحه على الاشارات للرئيس ابن سينا صفحة (٤٧٣) مانصه (العوام حتى لجزمهم بالشبوت لا لدلالة هؤلاء المتفلسفة حتى أيضا لجزمهم بالشئ لا لدلالة بل الحق الأول أقرب الى السلامة من الحق الثانى لأن الأول يوجب الأقياد للأنبياء والشرائع وذلك سبب للنظام فى الدنيا والسعادة بوجه ما فى الآخرة) الى أن قال (وأما الحق الثانى فهو سبب الفساد والخلاعة والشر فى الدنيا والشقاوة فى الآخرة . فالأحق الأول جاهل سليم والأحق الثانى شيطان رجم . ثم قال والغرض من هذا الفصل منع إلقاء هذا الكتاب ومايجرى مجراه من العلوم النفيسة فى أبدى أقوام مخصوصين . فالأول الجاهل المتبذل المستخف بالعلم كما قيل * ومن منح الجهال علما أضاعه * والثانى البليد الذى لا يفهم فانه لا يقف على الحقيقة فرما صار سببا لخروجه عن رتبة الشرائع وصار أشقى الأشقياء والثالث المقلدة فانهم لا ينتفعون بشئ من العلوم وإن كانوا فى غاية الذكاء لأن جهلهم المفرط لما عليهم من المذاهب يعميهم ويصمهم عن الوقوف على الحق وأحسن الناس وأردؤهم هؤلاء المتفلسفة فانهم ينظرون الى أصحاب الشرائع والأديان

بعين الاستخفاف مع كونهم أحسن الناس درجة وأرذلهم مرتبة واستحقاقهم اللعن في الدنيا والعذاب في الآخرة) انتهى

هذا شرح الامام الرازي لفقرتين من كلام الامام الرئيس (ابن سينا) وهما آخر الكتاب موصيا قارى كتابه أن يصون العلم عن هؤلاء وهذا تفصيل ما أجله الرئيس وهو منطبق على متفلسفة هذا الزمان انتهى تفسير المقصد الأول من (سورة المؤمنون)

(المقصود الثاني)

وَأَقْدَرُ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةُ قَرْتَبَسُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ * قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ * فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقُلْ رَبِّ انْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ * ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَنْزَلْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَكِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا خَلَسْتُمْ عَنْ أَنْفُسِكُمْ إِذَا مِثْلُكُمْ إِذَا مِثْلُكُمْ وَكُنْتُمْ ثَرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ * هَئِهِاتِ هَئِهِاتِ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ * قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَعَمَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا نُوحًا نَحْنُ نُرْسِلُهُ كَلِمًا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَنْبَتْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى

وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا حَالِينَ *
 فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ بِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ * فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ *
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى
 رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال لهم يا قوم اعبدوا الله وحدها الله مالكم من إله غيره) مالكم معبود سواه (أفلاتنقون) أى أفلاتخافون عقابه إذا عبدتم غيره (فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) يطلب الفضل عليكم ويسودكم (ولو شاء الله أن يرسل رسولا (لأنزل ملائكة) بأبلاغ الوحي (ماسمعا بهذا) الذى يدعوننا اليه نوح (في آياتنا الأولين * (إن هو) ما هو يعنون نوحا (إلا رجل به جنة) جنون (فتر بصوابه) انتظروا (حتى حين) الى حين يموت (قال) نوح (رب انصرنى) أعنى بالعذاب واهلاكهم (بما كذبون) بالرسالة (فأوحينا اليه) أرسلنا اليه جبريل (أن اصنع الفلك) أى أن خذ فى صنع السفينة (بأعيننا) بمنظرنا (ووحينا) أمرنا وتعليمنا إياك صنعها (فإذا جاء أمرنا) بالركوب أو نزول العذاب (وفار التور) أى طاع الفجر أو نبع الماء من التور وهو وجه الأرض أو أشرف موضع فيها (فاسلك فيها) فأدخل فيها من كل أمتى الذكر والأنثى واحد من مزدوجين أو من كل بالتوين أى من كل نوع زوجين واثنين للتأكيّد لأن زوجين مفردة زوج والزوج هو الفرد الذى له مقابل مقارن له . ويقال للزوج الذى هو ذكر فرد وللزوج الذى هو أنثى فردة وهذا قوله (من كل زوجين اثنين) وقوله (وأهلك) أى وأهل بيتك أو ومن آمن معك (لإلّا من سبق عليه القول منهم) أى القول من الله بأهلكه للكفرة . ويقال سبق عليه فى الشر وسبق له فى الخير (ولاتخاطبني فى الذين ظلموا) بالدعاء لهم بالانجاء (إنهم مغرقون) لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين * وقل رب أنزلنى) فى السفينة أو فى الأرض (منزلا مباركا) بالنجاة من الغرق وكثرة النسل (وأنت خير المنزلين) فإن الله يحفظ ويكلا من ينزل عليه النعم ولكن غيره ينزل النعم وليس قدرا على حفظ من أنزلها عليه (إن فى ذلك) الذى ذكر من أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله ونجاة أوليائه (آيات) دلالات على قدرتنا (وان كنا لمبتلين) أى وانه أى الحال والشان كنانا للامم هى الفارقة أى واننا كنا عتحنين عبادنا بهذه الآيات (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) هم عاد وثمود (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعنى هودا وصالحا (أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره) أى قلنا لهم على لسان الرسول - اعبدوا الله - الخ (أفلاتنقون) عذاب الله (وقال الملا) الاشراف (من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب (وأترفناهم) نعمناهم (فى الحياة الدنيا) بكثرة الأموال والأولاد (ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أى من مشربكم (واثنى أطعمهم بشرا مثلكم) فيما يأمرهم به (إنكم إذ كنتم تخاسرون) حيث أذلتكم أنفسكم وجواب القسم هو المذكور دل على جواب الشرط المحذوف (أيهدكم أنفسكم إذا كنتم وكنتم ترابا وعظاما) مجردة من اللحم والأعصاب (أنكم مخرجون) من الأجداث أو من العدم الى الوجود وأنكم تكرر بر اللؤلؤ تأكيذا (هيئات هيئات) بعد التصديق وقوله (لما توعدون) اللام للبيان كما تقول هيت لك فهيت أى تهيأت فيقال لماذا فيجاب لك

لك وهنا يقال بعد بعد فيقال لماذا فيقال لما توعدون و يقال هيهات أى بعد وهو مبتدأ خبره - لما توعدون - (إن هي إلا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا فإن معنى ما (توت ونحيا) يموت بعضنا ويولد بعضنا (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا) فيما يدعيه من إرساله وفيما يعدنا (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرني) عليهم وانتقم لي منهم (بما كذبون) بسبب تكذيبهم إياي (قال عما قليل) عن زمان قليل ومأصلة لتأكيد معنى القلة (ليصبحن نادمين) على التكاليف إذا عابنوا العذاب (فأخذتهم الصيحة بالحق) صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فيكون القوم قوم صالح . ويقال المراد بالصيحة الهلاك فيكون ما قلناه هو ما يشمل قوم هود وقوم صالح (فجعلناهم غثاء) هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى (فبعدا) مصدر بعد أى هلك منصوب بفعل محذوف واللام لبيان من دعى عليه (للقوم الظالمين) * ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين (قوم لوط وشعيب وغيرهم) (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) الأجل (ثم أرسلنا رسلنا تترى) متواترين واحدا بعد آخر من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو وهو إما مصدر وقع حالا أى متواترين أو الألف للتأنيث لأن الرسل جماعة (كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا) فى الإهلاك (وجعلناهم أحاديث) لم يبق منهم إلا حكايات يسمر بها وهم اسم جمع للحديث أوجع لأحدوته (فبعدا لقوم لا يؤمنون) * ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين) وحجة واضحة ملزمة للخصم والآيات هى الحجج العقلية والسلطان المبين هى العصا واليد ونحوها والعصا انقلبت حية وبها انطلق البحر وتفجرت العيون وابتلعت سحر الساحرين حين صارت حية وصارت أيضا شجرة مشمرة ورشاء ودلوا وقد تقدم سر ذلك فلانكن واقفا عند هذا الحد (الى فرعون وملأه فاستكبروا) عن الإيمان والمتابعة (وكانوا قوما غاليين) متكبرين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) ففى البشر لأنه يكون واحدا وجعا (وقومهما) أى بنو إسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون وكل من دان لملك فهو عابده (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالفرق (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (لعلهم) لعل بنى إسرائيل (يهتدون) الى المعارف والأحكام (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) أى دلالة على قدرتنا لأنها ولدته من غير مسيس فالآية جاءت بهما معا (وآتيناهما الى ربوة) الربوة المكان المرتفع ولا يعلم أى هو فلسطين أم مصر أم أرض بيت المقدس (ذات قرار) مستقر من أرض منبسطة أو ذات ثمار وزروع لأن أهلها يستقرون فيها (ومعين) ماء معين ظاهر جار . يقال معن الماء اذا جرى فآؤهما جامع لأسباب التنزه والنعيم ويقال معين أى معيون اسم مفعول من غانه اذا أدركه بعينه لأنه لما ظهر على وجه الأرض أدركته العيون فهو إما صفة مشبهة على الأول وأما اسم مفعول على الثانى هذا هو آخر المقصد الثانى . وللتحق به من المقصد الثالث بعض آيات لاطهار نتيجة ما تقدم قال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم) هذا خطاب عام لجميع الرسل ومنهم سيدنا محمد ﷺ خاطب كل نبي وحده بهذا الخطاب وجاء لخاتمهم الذى أرسل لجميع أهل الأرض وقد دخل فى دينه فعلا من جميع الأديان من البوذيين والمسيحيين واليهود والمجوس . فاذن هو يخاطب سيدنا محمد ﷺ ونحن معه والخطاب الآن لنا نحن أى أهل مصر وسوريا وبلاد الفرس والترك ومسلمى الصين والهند وجزائر الهند الشرقية بل أقول أيها المسلمون اسمعوا قد خاطبكم الله بما خاطب به الأنبياء يقول لكم أيها المسلمون فى جميع الأقطار - كلوا من الطيبات - أى الحلال الصافى القوام . فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافى ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل - واعملوا صالحا - فانه النافع عند ربكم - إني بما تعملون عليم - فأجازيكم (وإن هذه أمتكم أمة واحدة) ملتكم ملة واحدة أى متحدة فى العقائد وأصول الشرائع وأمة منصوب على الحال (وأنا ربكم فائقون) فى شق العصا ومخالفة الكلمة (فقطعوا أمرهم بينهم) أى قطعوا أمر دينهم (زبرا)

قطعا جمع زبور أى تفرقوا وتحزبوا فرقا فلا زبور بمعنى الفرقة * وقرئ - زبرا - بضم ففتح جمع زبرة أى قطعوا أمرهم بينهم حال كونه قطعا (كل حزب بما لديهم فرحون) معجبون معتقدون انهم على الحق (فترهم في غمرتهم) في جهالتهم شبهها بالماء الذى يضر القائمة لأنهم مغمورون فيها (حتى حين) أى الى أن يموتوا ولنقف هنا

ولعلك تقول كيف تقول ان الله خاطبنا نحن الآن مع انه خاطب الأنبياء . أقول لك الأنبياء الآن عند ربهم بل سيدنا محمد ﷺ بل أصحابه وتابعوه والقرآن يقرأ لنا ومادام المسلم يقرأ قولا ولا يجحد انه موجه له لا ينفعه وان أردت إلا نص النبوة فهالك الحديث * روى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - وقال - يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم - ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك) أخرجه مسلم . ولقد تقدم الكلام على هذه الآية قريبا في (سورة الأنبياء) وأن الله أعرض عنهم كانه يخاطب غيرهم لما تفرقوا . خاطب الله أمتنا بنص الحديث أن نأكل حلالا وخاطبها فوق ذلك أن نتخذ وجهتها وأعرض عنها قائلا - فتقطعوا أمرهم بينهم - قطعا وتفرقوا جاعات وأصبح كل فريق مجبأ بنفسه فرحا بما عنده من المال والرجال . خاطب الأنبياء بذلك وأخبرنا الحديث بأننا خاطبنا بما خاطب به الأنبياء فأتباع الأنبياء تفرقوا مع ان الدين واحد والله تعالى أرسل محمدا في آخر الزمان ينهى على القوم يقول يا أتباع الأنبياء أين عقولكم أين أخلاقكم يا أيها الجهال الغافلون أنا أرسلت رسل اليكم فما لكم لاتعقلون . أرسلت عيسى . أرسلت موسى . أرسلت فلانا . أرسلت فلانا وقصدت بذلك هدايتكم فرأيتم جعلتم أنبياءكم محل الشقاق ومحل الخلاف ومثار النزاع . ولم هذا . وهل اختلاف الشرائع مع اتحاد الاصول ينفي المودة والمحبة . ما أشأمكم يا بنى آدم . ندع هذا وننظر فأنتم يا أتباع محمد مالمكم أيضا كيف تفرقتم أحزابا . وهل مذهب الشافعى ومالك وابن حنبل ومذهب الزيدية والشيعة والسنية وغيرهم وتفرق الطرق الصوفية واتباع زيد وعمرو من هؤلاء الشيوخ أو أتباع بعض آل البيت من الرؤساء في الممالك المختلفة . هل شئ من هذا يفرق العقيدة فيالجهالة العمياء وكيف يكون هذا سبب التفرقة وهل تغير الدين وهل تغير القرآن وهل تغيرت القبلة وهل تغير الرتب وهل حصل اشراك . كلا . ثم كلا . واذا كنت أعيب على الأمم المختلفة الأديان أن تتباذل فهأنذا أعيب عليكم أيها المسلمون تتباذل كم وأنتم أهل دين واحد . نعم أيها المسلمون قل المصلحون بينكم وكثير من الرؤساء لا يريدون منكم إلا خبزكم وأكل أموالكم بالامقابل . ليقم في الاسلام مرشدون . ليقم في الاسلام علماء مصلحون . ليقم فيكم مجتهدون يقولون لكم . لماذا تتخاذل . الدين واحد . هلاقرأتم أول هذه السورة . ألم تنظروا كيف ذكرنا فيها أولا علم الأخلاق وعلم العبادات ثم ثانيا بعلم التشريع وعلم النفس وعلم الطبيعة . كل هذه تذكرة بأعمالي وجالي وحكمتي في خليقتي . كل هذه تذكرة لكم أيها المسلمون انظروا في هذه العوالم . انظروا في جالها . انظروا في الشمس والشمس المشرقات والكواكب الساطعات والنجوم البازغات والطرائق المدورات والأقمار الباهرات وتأملوا في الثوابت البديعة وكيف كانت المجرة والمجرات وراءها قد تجلت فيها آلاف الآلاف مما لا تحصى عدا . كل هذا وضعت وزينت به سماءكم . وهلا نظرتم ذلك السحاب العجيب والهواء اللطيف وضوء الشمس الجليل ووجه الأرض المطيع الذى كسوته الجلايب السندسية والأشجار العطرية والأزهار البهية والأثمار الجنية وجعلت من ذلك الغذاء وخلقت منها الدواء وكتبت في بعضه الفناء وفي بعضه الداء ولوته ألوانا وجعلته أفتانا وهكذا الحيوان اختلف صفرا وكبرا ولونا وقدرا وشكلا وبراء وبحرا وهواء

هذا هو الذي أنزلته عليكم في هذه السورة وكرره لكم في أكثر من سورة . هذا هو النظر العقلي والعلم الاسلامي والعالم العقلي والحكمة الاشراقية والآيات الربانية والعبارة الصمدانية والبدائع الاسلامية فهل أنتم ناظرون وهل أنتم تعقلون

أيها المسلمون . أتدرون لم تخاذلتم ولم تقاثلتم ولم اجتمع الناس وافترقتم لأنكم جهلاء جهلاء . حقا جهلاء جهلاء جهلاء لا يطاق . أيها المسلمون . الجهل قد خيم فوق ربوعكم وضرب أطنابه بين ظهرانيكم وعشش في مصر والشام والحجاز والعراق واليمن والهند والصين وشمال افريقيا . لماذا . لأنكم فرطتم في كتاب ربكم فرطتم في دينكم . ظننتم أن الدين ليس فيه شيء سوى مسائل القضاء والعبادات فتركتم الأخلاق ظهريا وعالوم هذه العوالم . فالأخلاق جعلتها في أكثر من (٧٥٠) آية وهكذا علم التوحيد وعلم جلالى وجمالى جعلته في نحو (٧٥٠) آية وبقية الكتاب وهوستة آلاف آية ينصونحنى هذين القسمين وأنتم ما فكرتم إلا في مائة وخسين آية وهي آيات الأحكام فزمت نوم الجاهلية وظن كل فريق أن الهبة اختصت به . أنتم حصرتم عقولكم في قليل من الدين ولو أنكم قرأتم هذه العلوم العصرية والآيات الربانية لرأيتم انكم على شريعة واحدة وآية قيمة ففراءة السموات من دينكم وقراءة الأرض من دينكم وقراءة النبات والحيوان والفسرير من دينكم وقراءة علوم النفس من دينكم وقراءة سير الأمم وأخلاقها قديما وحديثا من دينكم . هذا هو دين الاسلام فلم ينزل الله هذه السورة بلا فائدة وهي المسماة (سورة المؤمنون) فلذلك جعل الايمان فيها كاملا

فنى عرفتم هذه العلوم تفتحت بصائرهم فأيقنتم انه دين واحد فتصاغنم . عجا لكم يا أمة الاسلام بل ألف عجب لكم . كيف ترون الأمم المسيحية قد اتحدت عليكم والخلاف في دينهم وديناهم شديد ثم أنتم مع اقتراب دياركم واتحاد دينكم تتناذبون وتختصمون . أف لكم أفلا تعقلون . أف لعالم لا ينصح وجاهل لا يتعلم . حرام على علماء الاسلام أن يتركوا العلوم الكونية . حرام عليهم أن يحرموا الأمة من جمال دينها وأصول شرعها ومجائب ربها . حرام على أمة الاسلام أن تبقى متأخرة عن الأمم وهي التي جعلت رجة للعالمين وكيف تكون رجة لهم وهم أعلم منها وهي الآن أجهل الأمم . إن العذاب واقع على كل عالم وعلى كل أمير وعلى كل ذى جاه وعلى كل ذى قدرة اذا هم لم يذيعوا ما نقوله ويقوله أمثالنا في أمة الاسلام . فلينشروا هذه المبادئ والافان أوروبا لهم بالمرصاد وعين الله لاتنام وسينتقم الله من المقصرين والغافلين ومالله بغافل عما يعملون وهو الغفور الرحيم وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وهنا (ثلاث جل)

(١) في مناسبة هذه السورة لما قبلها

(٢) وفي إيضاح الطرق التعليمية للأمة الاسلامية

(٣) وفي تبيان قوله تعالى - وان هذه أمنكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون -

(١) (مناسبة هذه السورة لما قبلها)

إن هذه السورة جاءت عقب سورة الحج لأن (سورة الحج) جاء فيها البعث والجهاد فجاء بهذه لتتبع القول أى لذكر الخصال التي بها يكون الانسان كاملا منعونا بلفظ المؤمنين واللكمال وسميت السورة بالمؤمنون ثم وصفهم بصفات العبادة والأخلاق ودرس العلم والحكمة . وأيضاً ابتدأ (سورة الحج) بذكر علم التشريع استدلالا على البعث وذكره هنا لترقية العقول البشرية مع البعث فهناك استدلال وهنا تكميل

ذكر الله في أول السورة فلاح المؤمنين وأتبعه بذكر الصلاة والخشوع فيها ونرى الحديث يحثنا على أن لا نرفع أبصارنا في الصلاة وأن نعبد الله كأننا نراه وأن نفكر في القراءة . ويقول العلماء ينبغي أن لا نفكر في شيء وقت الصلاة إلا في هذا ثم نفكر في هذه الصلاة فنبعد ماذا نجد انها أى الصلاة تفسر لسورة المؤمنون نعم تفسر لها . ألم تراؤالا الى قول القارىء - الحمد لله رب العالمين - فانه ذكر العالم بمجلا كله وانه وسعه كله

بالرحمة وإلى قوله - إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط - الخ فاننا نستعين بالله أن يهدينا الصراط
الذي لا عوج فيه وهو صراط المنعم عليهم غير المغضوب عليهم . ولما كان قوله - العالمين - مجعلا غير مفصل
شرع يفصله بعض التفصيل في الركوع فيقول المصلي ﴿ خضع لك سمعي وبصري ومخى وعظمي وعصبي ﴾
أليس هذا التفصيل هو المذكور في هذه السورة أى أليس هذا هو علم التشريع الذى جاء فيها إذ قال - ولقد
خلقنا الانسان من سلاله من طين - الخ يقول الله في هذه السورة - قد أفلح المؤمنون - وذكر خشوعهم
في الصلاة وأتبعها بصفات ثم ختم الصفات بنفس الصلاة بعد أن وصفهم بأنهم حافظون للفروج لبقاء النسل
وكثرته وحفظ الأمانة ليعيشوا عيشة هنية ويحبوا بعضهم بأنهم ينفقون المال الفاضل عن حاجتهم كما يذيعون
العلوم لجعل الصلاة في أول الصفات وفي الآخر إشارة الى أن في الصلاة ما به يكون المؤمن كاملا . وأعقب ذلك
بعلم التشريع الذى يخاطب به المسلم ربه في ركوعه . وذكر بعد التشريع في هذه السورة علم الفلك كطرائق
النجوم التى يعرفها علماء العصر الحاضر القائلون ﴿ إن العالم الذى نعيش فيه هو الأثير المالى للقضاء وفيه طرائق
للنجوم وهى المدارات ﴾ وهو تصريح بعلم كان مجهولا عند الأمم قديما فظهر في هذه السورة كما ظهر في العالم
الانسانى أن النجوم لها طرائق في بحر الأثير . وأبان سبحانه أنه غير غافل عن خلقه وأتبعه بعلوم النبات
والحيوان وهذا بعينه هو ما يقوله المسلم بعد الركوع فهو في الركوع يدرس علم نفسه لأنه مطأطئ رأسه فاذا رفعها
الى أعلى قال ﴿ ربنا لك الحمد ﴾ فهو كما يقول - الحمد لله رب العالمين - في قراءة الفاتحة يقول هنا مفسرا
لذلك ﴿ مل السموات ومل الأرض ومل ما بينهما ومل ما شئت من شئ بعد ﴾ هذا هو الذى يقوله المسلم بعد
الرفع من الركوع أى يرفع رأسه فيخاطب ربه بأن حمدى لك على قدر علمى بالسموات والأرض وما بينهما
وهذا هو الذى ذكر في هذه السورة بعد علم التشريع الذى يتبعه علم النفس فالفلك والنبات والحيوان والأرض
هى العلوم التى يخاطب المسلم بها ربه . فأما الاكتفاء بالسموات والأرض وما بينهما بدون علم بها فهو كما
يكفى الحمار بنظره البصرى وكما يقرأ العامة هذه الطبيعة بعيونهم . واذا أتبع الله ذلك كله بذكر قصص
الأنبياء إجمالا وذكر بعضهم تفصيلا فذلك تفسير لقوله - اهدنا الصراط المستقيم - ولا صراط مستقيما إلا ما كان
عليه نبينا والنبيون وهم المنعم عليهم . فيا عجباً . هل المنعم عليهم نعماء دنيوية وأخروية يكونون مجهولين عندنا
ونحن نهتدى بهم والله لا هداية لطريقهم إلا بمعرفتها فلم يقل المسكون - صراط الذين أنعمت عليهم - لمجرد
اللفظ . والنعم ﴿ قسمان ﴾ دنيوية وأخروية ولا أخروية إلا بعد الدنيوية . ومستحيل أن تكون آخرة إلا
بعد الدنيا . وإن شئت برهاننا فلا سمعك ما جاء في تفسير (سورة البقرة) عند قوله تعالى - ربنا آتنا في
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار - إذ ورد أن هذا كان دعاء نبينا ﷺ وأنه ﷺ لما رأى
رجلا قد ضعف من المرض سأله قائلا هل كنت تدعوا لله قال نعم كنت أقول اللهم إن كنت تريد معاقبتى في
الآخرة فمعاقبى في الدنيا فأمره أن يدعو بهذا الدعاء - ربنا آتنا في الدنيا حسنة - الخ فدعا الله فشفي من
المرض . وقد فسر العلماء الحسنة في الدنيا بجميع النعم من صحة ومال وراحة قلب وولد وهكذا حتى قالوا إن
الانسان بلا طمأنينة في الدنيا لأعبادة له .

فمن هنا عرفنا النعم وانها دنيوية وأخروية ولا أخروية إلا بعد الدنيوية . فاذا قال الله - الذين أنعمت
عليهم - فلندرس كل علم يوصل الى دنيا وكل علم يوصل الى الآخرة لذلك ذكر الله هنا الأنبياء . وقد تقدم
تفصيل الأنبياء في (سورة الأنبياء) وقد عرفت هناك العلوم الدنيوية التى أنعم الله عليهم بها . ولعمرك ما
هذا إلا فتح باب لذكر اننا بغير الناهيين والكاشفين وعلماء الأمم أجعين بحيث ندرسهم أى اننا ندرس كل
نعمة دنيوية وكل نعمة أخروية . ندرسها لنتناول نفس النعمة الدنيوية والأخروية . فاذا قرأنا - ولقد خلقنا
الانسان من سلاله من طين - فعنا اننا ندرس علم التشريع كما ندرس علم النفس واذن نكون فهمنا ﴿ خضع

لك سمعى وبصرى في ركوعنا . واذا قرأنا . ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - فمضى هذا دراسة العلوم المذكورة واذن نكون درسنا قول المصلى ﴿ ربنا لك الحمد الخ ﴾ وكان ذلك تفصيلا لقولنا في الصلاة - الحمد لله رب العالمين - واذا قرأنا - اهدنا الصراط المستقيم - وذكرنا المنعم عليهم والمغضوب عليهم فعناه دراسة الأنبياء الذين شرحنا علومهم في سورتهم ودراسة كل نعمة في الدنيا ونعمة عالمية للعقول وارتقاؤها أى علوم الآخرة هذا هو المقصود من ذلك واذن نكون درسنا بقية ﴿ سورة المؤمنون ﴾ التى ذكرت هؤلاء الأنبياء وشرحت المنعم عليهم والمغضوب عليهم المذكورين فى الفاتحة هذا هو معنى المؤمنون ومعنى خشوعهم فى الصلاة تخشوعهم فى الصلاة ليتفكروا ومتى تفكروا عقلوا ما فى الصلاة وما فى الصلاة هو نفس ما فى هذه السورة علوم تشرىحية وعلوم نفسية وعلوم فلكية وعلوم نباتية وعلوم حيوانية وعلوم طبيعية وعلوم كيميائية وعلوم رياضية لأنه لا يمكن دراسة ما ذكر من هذه العلوم الطبيعية ولا الفلكية ولا علم التشرىح الذى هو منها إلا بعد التخلع من العلوم الرياضية . هذا هو دين الاسلام وما عداه جهل وغرور وبذامه

هاأنذا قد بينت ماوجب على وأنت أيها الذكى مسؤل عن نفسك وعن أمتك . أنت مسؤل بين يدي الله تعالى . بين لأمتك ماسمعت وتصرف بعقلك وفكرت فى أمرهم فلاسعادة لك فى دنياك ولا فى آخرتك إلا بسعادتهم ولذلك أسمعك تقول - إياك نعبد - فالعبادة مشتركة ونحن كلنا لابد أن نعبد معا وهكذا أسمعك تقول ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ وأسمعك تقول ﴿ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الخ ﴾ فأنت فى صلاتك تدعولنبينا ﷺ ولأمته وتسلم عليه وعلى أمته وتضم الأُم التى تبعت ابراهيم . فأنت فى صلاتك مع هؤلاء جميعا بل أنت فى صلاتك مع أعظم من ذلك فانك تقول ﴿ وعلى عباد الله الصالحين ﴾ والصالحون أعم من المسلمين ومن أمة ابراهيم بل هم كل صالح من كل أمة بل كل الملائكة بل وكل ملك فى كل سماء وأرض . هذا هو الذى تدعوبه فى صلاتك فأنت لست وحدك لافى الدنيا ولا فى الآخرة فاسع لارتقاء أمة الاسلام على الأقل وبلغهم ماسمعت الآن واسلك طريقا تراه لهم نافعا والله هو الهادى الى سواء الصراط ﴿ طرق علم التوحيد ﴾

هاأنت ذا قرأت علوم الاسلام فى سورة المؤمنون وفى الصلاة وعرفت أن (سورة المؤمنون) قد فسرته الصلاة وأدعيتها وأن الفاتحة المجملة قد فصلت فى الأدعية وفسر الجميع بهذه السورة وهذه السورة تكملها سورة الأنبياء وقلت لك ان المنعم عليهم فى الدنيا كثيرون فليدرس المسلمون علوم جميع الأمم ليعرفوا كيف حل غضب الله على الجاهلين وكيف أنعم على المتعلمين . كل هذا عرفته ولكن انظرأيها الذكى . انظر وتجب معى . انظر لأسلافنا الكرام . انظر كيف كانوا رجعهم الله نبراس الأمم . ماذا فعلوا . رأوا قوما درسوا شيئا من علم الطبيعة شيئا يسيرا حقيرا فافتخروا بأنهم قرؤا الفلسفة وما هم بفلاسفة بل هم جهلاء فشككوا الناس فى الدين . فإذا جرى . قام هؤلاء الأكابر فألقوا علما سموه ﴿ علم الكلام ﴾ لأن مسألة كلام الله اللفظى والنفسى كان أثارها المأمون ومن معه وتمادى القوم فأثموا تأليف هذا العلم وتكوينه فجمعوا العقائد فى خسين مسألة كصفات الله النفسية وصفات المعانى والصفات المعنوية وصفات التنزيه والتقديس وصفات الرسل وما يجب لهم من الأمانة والفظانة الخ واليوم الآخر وما أشبه ذلك وأمروا الناس أن يدرسوها . ولما شاع ذلك قام العلماء أبوا فخرم هذا العلم قوم لأنه يهوش على أذهان الطلبة وقال قوم منهم . كلا بن نخصص به طائفة لاخام الخصوم وبقية الأمة لا تدرسه ويشترط فى الدارسين له أن يكونوا ذوى صفات جيدة قالوا لأنه ربما ضلوا السبيل بسبب الشكوك التى ترد فى أثناء قراءة هذا العلم وانتهى أمر الأمة بأن جعلته علما عاما يقرؤه كل طالب ويحفظ العقائد عن ظهر قلب أو يفهم ويقول الله قادر على كل شئ الخ والأنبياء كذا وكذا . هذا كل ما حصل فى الاسلام وبهذا انصرف المسلمون عن فهم أركان الصلاة وأدعيتها وانصرفوا عن دراسة جلال الله

وعن تشرح أنفسهم وعن معرفة ماحولهم وذلك لأنهم اكتفوا بتلك القشور وظنوا أن هذا كاف الى يوم النشور وأن هذا هو النور والكتاب المسطور في الرق المنشور

أليس هذا أشبه بما قصه الله إذ قال - ففقطعوا أمرهم بينهم زبرا - . أليس كل حزب من المسلمين أصبح فرحا بما عنده من العلم ونسى الناس علوم القرآن . أليس هذا هو التقطيع . يا ويحنا اذا فرطنا في تعاليم ديننا وآبائنا . ألم يبين ذلك رسول الله ﷺ فأخبرنا بأننا سنقطع هذا التقطيع ونمزق هذا التمزق النبي ﷺ نفسه هو الذي قال ذلك فتمزقنا علما وتمزقنا أئمة فلتجتمع كاتفرقنا ولتتعلم كل العلوم كما مرقناها فانظر كيف انصرف الناس عن القرآن ، انظر كيف كان أول هذا العلم لردة الشبه ثم اختصر وجعل كلمات يتلقفها التلاميذ ثم نام الناس عليها وعكفوا . انظر وابك على أمة الاسلام . ابك على أمة الاسلام . يكرر المسلم صفات الله فيقول « قادر مريد وعالم وحى » ويقول بعد تمام صفاته « ان كماله لا يتناهى »

يا عجبا . وما فائدة القدرة لنا بدون أن نقرأ آثارها الظاهرة . انظر كيف كان هذا العلم قد حجب الناس عن نفس القرآن مع ان القرآن ينظر في نفس العلوم التي هي آثار صفات الله . فانظر الى أمة تحفظ الصفات ولا تقرأ آثارها . انظر الى الكتب المصنفة كيف منعت الناس عن القرآن . ها أنا ذا أبنت لك كيف كان آباؤنا يدفعون عن الدين بهذا العلم وحسنا فعلاوا . ثم انظر كيف جاء الخلف فظنوا أنه هو المقصود وتركوا القرآن (وبعبارة أخرى) تركوا عجائب الله في الأرض وفي السماء (وبعبارة أصح) نسوا الله فأنساهم أنفسهم فأذلم الفرنجة وهم نائمون أو هائمون في أودية الجهالة . وسيؤيد الله هذه الأمة ويخرج فيها رجالا يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم -

(بالجهل تفرق المسلمون وبالعلم اجتمعت الأمم)

(نبيان قوله تعالى - وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون * فقطعوا أمرهم بينهم زبرا

كل حزب بما لديهم فرحون -)

لقد تقدم تفسير هذه الآية وعرفت من نفس الحديث الشريف . ومن كلام المفسرين إن هذا القول يقصد به أمة الاسلام وأقول الآن إن هذا مجزأة . فاذا أورد بعض العلماء حديث افتراق الأمة نيفا وسبعين فرقة ورد الحديث بعضهم لعدم ثبوته فنقول ولكن هذه الآية لاراد لها فقد أخبر الله بتفرق أمة الاسلام وقد حصل هذا فعلا ولم يكن المقصود بمجرد الاخبار إنما المقصد أن يكون هذا القول موجها للاحتراس من التفرق فقد أخبر بذلك وأراد أن نحترز من ذلك

(التفرق في العصر الأول وكيف تلافاه الخلفاء الراشدون)

لقد كانت الأمة العربية قبل مبعث الرسول صلوات الله عليه لاتعنى كثيرا بالقراءة والكتابة وكان جل اعتمادهم في قيد أشعارهم وخطبهم ونحوها على حفظها في أوعية صدورهم وكان الورق الذي بين أيدينا اليوم لم يشتهر بينهم ومخافتهم إذ ذاك جلد أو حجارة رقيقة بيضاء وكلة (كتاب) تطلق على كل صحيفة مكتوبة من هذه الأنواع والكتابون فيهم قليلون . فلما كان القرآن ينزل نجوما وأقساما كان النبي صلوات الله عليه يعلى عليهم ما ينزل وقته فيكتبونه على ما تيسر من جلد ونحوه وخصص لذلك العمل من كان يحسن القراءة والكتابة وأطلق عليهم (كتاب الوحي) . أراد رسول الله ﷺ أن ينشر في الأمة فكرة حفظ القرآن واستظهاره فخصهم على تلاوته آتاء الليل وأطراف النهار ورغبهم في حفظه ولم يترك وسيلة للوصول الى ذلك إلا استعملها فكانت عشرات الآيات والسور الطويلة بل والقرآن كله يحفظه كثير منهم . وأعانهم على حفظه سريعا قوة حافظتهم وسرعة خاطرهم وصفاء ذاكرتهم . فالمعروف عنهم استظهار ما يترقى سمعهم بسرعة عجيبة مع الضبط بل فيهم من اذا قرئت عليه القصيدة الطويلة حفظها من أول مرة . وفي أخبارهم شواهد على ذلك كثيرة .

لم يقف صلوات الله عليه عند هذا الحد في حفظه بل أمرهم بكتابته وتدوينه . ولذا رغبتهم في تعلم القراءة والكتابة ومدحه وبالغ فيه حتى ان الأسير الذي بأسرته في حروبهم اذا عجز عن الاقتداء بالمال وهو متعلم جعل فداءه تعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة فتلاشت بينهم الأمية وتسارعوا الى تسطير القرآن على ما تبسرع ضبطه إذ كانوا يكتبونه عند سماع قراءة الرسول وهو يسمع منهم ما يكتبون . ومن اشتهر من كتاب الوحي (زيد بن ثابت) فقد شهد عرض القرآن في المرة الأخيرة على رسول الله ﷺ وكتبه له وقراه عليه وأقرأ الناس به . وذلك أن جبريل عليه السلام كان يلقي الرسول ﷺ في كل ستة في ليالي رمضان يعرض عليه القرآن كله مرة وفي العام الذي قبض فيه الرسول ﷺ عرضه عليه مرتين وما ذلك إلا ليعرضه كذلك على قومه حتى يحفظ مضبوطا . ومن كتاب وحيه أيضا (أبي بن كعب) و (الزبير بن العوام) و (خالد وابان ابنا سعيد بن العاصي بن أمية) و (حنظلة بن الربيع الاسدي) و (معيق بن أبي فاطمة) و (معاوية بن أبي سفيان) و (علي بن أبي طالب) وغيرهم وأشهرهم (زيد بن ثابت) فلم ينتقل الرسول ﷺ من هذه الحياة إلا والقرآن كله محفوظ في الصدور مكتوب على رقاع متنوعة من جلد وحجارة مع الضبط والتدقيق واقرار الرسول ﷺ على ما كتب بعد تلاوته عليه

ولما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة أصيب الاسلام بارتداد بعض القبائل وادعاء بضعة كذابين ودجالين كالأسود الغنسي ومسيلمة وسجاح للنبوّة . ولكن تداركت تلك الحوادث حكمة أبي بكر الصديق وتلاشت بسياسة وحزمه فنبعث بالجيش الى المرتدين والمتنشين وأرسل اليهم كتب يدعوهم الى الهدى والرشاد وان أبوا فالقتال فما كان إلا القتال فظفرت جيوش المسلمين وثاب الناس الى رشدهم وعاد المرتد واندهر المتنبي إلا أنه قتل جمع كبير من قراء القرآن وحفاظه في واقعة (اليمامة) إحدى هذه المعارك فاستفزعهم هذا الفرع الى المبادرة والاسراع الى جمع القرآن على الطريقة التي وجدوا عليها غيرهم من الأمم في تدوين معلوماتهم في صحف من نوع واحد خشية أن يضيع القرآن ويندرس بقتل كثير من حفاظه ووجوده في رقاع متنوعة سرعان ما تمثد اليها يد التبديد فأرسل أبو بكر الى زيد بن ثابت فقال له ان عمر بن الخطاب قد أشار على بأن آمر بجمع القرآن لأن القتل قد استحر (يوم اليمامة) بالقراء ويخشى أن يستعرق القتل بهم في مواطن أخرى فيذهب كثير من القرآن فقال زيد لأبي بكر وعمر كيف نفعل شيئا لم يفعله الرسول فقالا هذا والله خير وما زالا يراجعه حتى قرأ رأيهم على جمعه فقال أبو بكر لزيد إنك رجل شاب عاقل لا تهملك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فأجعه فتألفت لجنة من الحفاظ والقراء والكتاب يرأسها زيد بن ثابت فأخذ يتبع القرآن يجمعه من الجلد والحجارة التي كانت تكتب في عهد الرسول ومن صدور الرجال الذين تلقوه عن الرسول وكانت اللجنة لا تكتفي بحفظها ولا بما وجدته مكتوبا عندها إلا اذا راجعوا ما عند الغير مما كتب بين يدي الرسول وبأمره وان وجد عند أكثر من واحد أو يشهد عليه شاهدان عدلان منهم . وهكذا استمرت اللجنة تعمل وجميع أعضائها من أكبر الحفاظ وأدق القراء وفهم أشهر كتاب الوحي فسطروا القرآن جميعه في صحف من نوع واحد وقد أقرها وأجمع عليها جميع الصحابة لم يخالف واحد ثم أودعت هذه الصحف عند أبي بكر حتى توفي ثم عند عمر في حياته ثم عند حفصة بنت عمر بعد ذلك

وفي خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قدم عليه حذيفة بن اليمان وكان يغازي أهل الشام في فتح (أرمينية) و (أذربيجان) مع أهل العراق فقال يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . وسبب ذلك أن هذه الجيوش كانت من قبائل متعددة من أصقاع مختلفة فسمع حذيفة كل قبيلة تقرأ على وجه لم يسمعه هو من الرسول ﷺ وظن أن القراءة التي سمعها وقرأ بها هي الوحيدة وأن الرسول لم يقرئ جميع الوفود والقبائل بها مع ان الرسول صلوات الله عليه كان يقرئ المسلمين

على أحرف مختلفة حسب لهجة كل قبيلة من العرب وكأها لا تخرج عن المقصود والاعجاز ولم يفعل ذلك إلا بإحسان من الله تعالى * ففي صحيح البخاري أنه عليه السلام قال ﷺ أقرأني جبريل على حرف فراجعتة فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف وكان الكثير منهم لا يعرف إلا وجهها واحدا من القراءة وهو الذي سمعه من الرسول حسب لغة السامع ولهجة ويدل لذلك ما رواه البخاري في صحيحه من أن عمر بن الخطاب يقول سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله فكنت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلبيته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال أقرأنيها رسول الله فقلت كذبت فإن رسول الله قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله فقلت اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها فقال رسول الله أرسله فلما جاء قال اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله كذلك أنزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرؤا ما تيسر منه وهذا بعينه الذي حل حذيفة وغيره على اتهام القراءات المتعددة من القبائل المختلفة في هذه الفتوحات والحروب فلما أفضى إلى عثمان بمقالته خشي من اشتداد النزاع بين القبائل لهذا الخلاف اللغوي فتنسب بينهم نار الحرب والخاصمة فتذهب ريعهم وتضعف شوكتهم وتفترق كلمتهم فرأى رضي الله عنه بعد مشورة من كان في عهده من الصحابة أن يجمع المسلمين على مصحف واحد مكتوب بقراءة قریش ورسمها الكتابي فبعث إلى حفصة بنت عمر أن ترسل بالمصحف التي كتبت في عهد أبي بكر فأرسلت بها وجع الحفاظ والقراء وكتاب الوحي الذين في خلافته من بينهم سعيد بن العاصي وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فتألفت لجنة رئيسها زيد بن ثابت وقال لهم عثمان إذا اختلفتم في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قریش فان القرآن نزل بلسانهم . أراد بذلك أن يجمعهم على وجه واحد فلا يجد الخلاف اليهم سبيلا فسارت اللجنة في عملها بالتحرى والتدقيق كما في خلافة أبي بكر سيما وأن رئيس اللجنتين في العهدين واحد ففسخوا منه عدة مصاحف أرسلت إلى الأمصار وردة مصحف حفصة اليها وأمر بإحراق ما عدا ذلك وأجمع جميع المسلمين من قراء وكتاب وحفاظ على اعتماد هذا المصحف وأنه كما نقلوه عن الصادق الأمين فصار هو المعول عليه والمعمول به في جميع الأقطار ولم يطل بهم العهد في ذلك الحين على انتقال الرسول ﷺ

وبهذا العمل الجليل قد انحسم ما كان متوقعا من النزاع . وبهذا حفظ الله كتابه من الضياع والتحريف والتبديل وتحقق قوله تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - . هذا والواقف على أطباع العرب من شدة تمسكهم بدينهم وحرصهم على ضبط ما ينقلونه عن الرسول وغضبهم وسخطهم لأقل شيء يخالف ما كان عليه الرسول ولو أمر به أعظم عظيم . والعارف بما جبل عليه الخلفاء الراشدون من الخلق الكريم وعدم الاستبداد بالرأى وسرعة تنزلهم على ما يجمع عليه الأمة . إن العالم بذلك كله يجزم بأنه لو اختلف حرف واحد من القرآن عما نقلوه من رسول الله لاشتعلت بينهم نار الحروب وثاروا على الخليفين بل لارتدت شعوب بعلمها ولطعن عليهم أعداؤهم وعابوا كتابهم وهم مخالفون لهم يرقبون أي عيب يشنون به الغارة عليهم ولاختلفوا هم أيضا في قبول هذه المصاحف ولظهرت عدة مصاحف متغايرة متناقضة ولكن شيئا من ذلك لم يكن وأن ذلك ليدل دلالة واضحة ويقطع قطعا يقينيا أن هذه المصاحف هي عين ما نقلوه عن رسول الله والذي نطق به - وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى -

لبث القرآن عهدا كبيرا تنافله الأمم والأجيال بالكتابة اليدوية من هذه المصاحف العثمانية المجمع عليها في خلافة سيدنا عثمان وكانت الكتابة تزاد تحسبنا شيئا فشيئا على مقتضى تطورات العصور إلى عصر اختراع آلات الطباعة فكانت عملا قويا في نشر المعلومات وبث المؤلفات وأول مصحف طبع سنة (١٦٩٤) ميلادية بمدينة

(همبورغ) بألمانيا ثم انتشرت بعد ذلك انتشارها المشهود . هذا ما فعله الخلفاء رضى الله عنهم فتلافوا الأمر ولم يفرطوا فبقى القرآن محفوظا الى الآن

﴿ كيف يتحد المسلمون الآن ﴾

لقد عرفت أيها الذكي أن انحصار العقول الاسلامية في ألفاظ علم التوحيد وفي العلوم الفقهية هو الذي أدى بهم الى التخاذل . إن انطلاق العقول الى علم مافى السموات والأرض يفتح لهم ﴿ بابين ﴾ (الباب الأول) باب نظام هذا العالم ومنه يعرفون جلال الله وحكمته ﴿ الباب الثاني ﴾ أنهم يرون أن علم الفقه وعلم التوحيد المصطلح عليه ليسا إلا شيئا يسيرا جدا من دين الاسلام ويرون أن الاسلام هو كل هذه العلوم . فيرى المسلم الشيى والسنى أن الخلاف بينهما شئ يسير جدا لأنهما لا يختلفان في علم التشريع ولا علم النفس ولا علم النبات ولا علم الحيوان ولا علم الكيمياء ولا علم المعادن ولا علم طبقات الأرض ولكن الخلاف جزئى يسير واذن يتعارفون ويتقابلون ويرون أنهم اخوان على سرر متقابلين وأن انحصار الأفكار هو الذي منعهم وأضل الأمم الاسلامية . وإن شئت بيانا أكثر فقل للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . لماذا نرى ألمانيا أمما كثيرة وبمالك تعد بال عشرات ومع ذلك تكونت منها أمة واحدة . ونرى الولايات المتحدة تكونت منها أمم تبلغ فوق مائة مليون ومع ذلك هم من أمم مختلفة وعقائد متباينة حتى أنهم فيهم اليهودى والمسلم والنصراني والدرزى وكلهم يعيشون عيشا هنيئا . وكيف كان الانجليز أمما مختلفة وقد اتحدوا وهامهم أولاء يضربوننا في الشرق

أيها الذكي . إن المسلمين ما فرقهم إلا الجهل . إن هذه الأمم لما قرأت العلوم وعلمت كل واحد من أبناء البلاد مبادئ العلوم وارتقى أغنياءها في العلم عرفوا أن الفارق بينهم في الديانات قليل بالنسبة لما اتحدوا فيه من العلوم والحياة . اذا كان ذلك في أمم مختلفة فكيف يكون أمر أمة الاسلام . هذه الأمة المتحدة التي ما فرقها إلا الجهل وسوء سلوك الرؤساء والأمراء . أفلا ترى أن قراءة العلوم بين الأمم الاسلامية تجمعهم كما جمعت الأمم المختلفة . ولعمري إن أهل دين واحد أقرب الى الاتحاد من الأمم المختلفة . فكيف إذن بدين الاسلام الذي هو دين علم وحكمة . يا حسرتنا على ما فرط المسلمون . إني ليعجزنني وأيم الله أن أقول انظروا الى أوروبا ولكن ما العمل وهم سبقونا . هلا قام قائم بين المسلمين وجدد عهد عثمان وأبى بكر رضى الله عنهما وقال أيها المسلمون ادرسوا العلوم كما درسها الغربيون لتعرفوا دينكم وربكم وسر صلاتكم وتكونوا مؤمنين حقيقيين . ياليت شعري متى يقوم فيكم ذلك القائم . متى يقوم فيكم من يقول لكم كفى كفى لقد شعبنا جهالة فأين العلم أين العلم . أيها المسلمون انظروا كيف ترون التفرق والتخاذل . لا تفرق ولا تتخاذل إلا بالجهالة فبلاد العرب على قلة عددها فيها ممالك متفرقة تتقاتل وتتحارب وليس بدير أمرها إلا القرنجة . لماذا . لأنهم جهلاء لا يعرفون أمور الدنيا فيصلحونها ولا المودة بينهم التي لا تكون إلا بالعلم ولا علم اليوم . فالعلم في أوروبا وحدها . وأما أمة الاسلام فانها أصبحت في براثن أوروبا . فبالعلم ملكونا وبجهلنا بدينا تفرقنا أى بعلوم ديننا أى بحمال الله وآياته وحكمه ونظامه . نسينا الله ففسدنا . أفليس هذا هو الفسق . أفليس الفسق أن تكون مصر وتونس وطرابلس والجزائر وصراكش وسوريا والعراق كل هؤلاء أمة عربية لغتها واحدة ودينها واحد وأصلها واحد ومع ذلك لا يعرف بعضهم بعضا . أليس ذلك إلا لأنهم جهلاء جهلاء جدا لا يعرفون ماذا يصنعون . أليس ذلك حاصل في الاسلام لأننا جعلنا كتابنا بيننا - زبرا كل حزب بما لديهم فرحون -

﴿ حكاية ﴾

قال لي يوما الاستاذ المستشرق الانجليزى (ادوارد براون) اننى قابلت تلميذا من تلاميذ الفرس وقد كنت موفدا من قبل أمتنا الانجليزية لأعرف طبائع هذه الأمم . أتحد المسلمون أم هم في المستقبل لا يتحدون

قال فدرست الأمم التركية والفارسية والعربية وعلمت من أمة الفرس أنهم يستحيل أن يتحدوا مع أهل السنة فقد قال لي ذلك التلميذ الذي قابلته اتى حارب الترك مع الروس لما كانوا يحاربونهم لأننى اعتقد أن الكلب أفضل من المسلم السنى فلذلك فضلت أن أحارب الترك مع الروس . قال الاستاذ (براون) وأنا عالم علم اليقين أن هذا التلميذ لم يذبح دجاجة مدة حياته لحبسه ولكن عرفت أن تعاليم هذه الأمم قد قضت عليهم - فأصبحوا في ديارهم جاثمين - . انتهت الحكاية

أقول وكان ذلك منذ نحو (٢٠) سنة . أما الآن وأنا أكتب هذا التفسير فان الفرس والترك اقتربوا وتحابوا وظهر خطأ نظرية الاستاذ (براون) وأن الأمور قد تغيرت وأقول الآن كل هذا كان للجهالة العمياء العامة في الاسلام

﴿ سورة المؤمنون وعلوم الحكمة ونشرها في الاسلام ﴾

هل أحدثك عن تقسيم الحكمة عند أسلافنا . وهل تحب أن أقول لك ان الحكمة كلها قد نقلت الى أوروبا وجاء (بيكون) الانجليزى ورتبها ترتيباً آخر ونشرها في أوروبا وكل ذلك ملخص هذه السورة فانظر الآن لما قاله (بيكون) المذكور الذى كان في حدود المسألة السادسة عشرة من التاريخ المسيحى فانه عمد الى ما رأيت من العلوم المذكورة في هذه السورة التى سطرها آباؤنا باسم الفلسفة وقسمها على أهم القوى التى فى الدماغ وهى ثلاثة (القوة المتخيلة . والقوة المفكرة . والقوة الذاكرة) فلقوة التخيلة التى مقرها فى مقدم الدماغ عند القدماء علم الشعر ويقسمه الى ثلاثة أقسام (الشعر الوصفى . والشعر الذى تذكر فيه الروايات والشعر للأمثال) . وللقوة الذاكرة علم التاريخ والتاريخ قسمان طبيعى وبشرى والطبيعى يشمل علوم الطبيعة كلها من العلويات والسفليات كالجيولوجيا والجغرافيا والسماء والعالم والكون والفساد الى آخر ما تقدم والتاريخ البشرى يشمل التاريخ الدينى والتاريخ الاجتماعى وتاريخ الأدب والفنون . وللقوة المفكرة علوم الفلسفة وهى (ثلاثة أقسام * فن معرفة الله . وفن معرفة نظام الطبيعة . وفن معرفة نظام الانسان) كعلم النفس وعلم المنطق وعلم الأخلاق وعلم النظام الاجتماعى وعلم الجبال . وقد اعتادوا أن يقرؤا مع ذلك المذاهب الفلسفية . فهذا هو تقسيم المحدثين

فانظر الآن . أليس معرفة الله هى المذكورة فى أول سورة المؤمنون . أليس علم النفس هو الملازم لعلم التشريح المذكور فى أول هذه السورة . أليس علم نظام الطبيعة هو مجموع تلك العلوم التشريحية والفلكية والحيوانية والنباتية فى أول السورة . أليس علم النفس يتفرع عنه علم المنطق وعلم الأخلاق وعلم الجبال وعلم النظام الاجتماعى فهذه فروع له . فأما المنطق فما هو إلا ميزان والميزان لا يصح شئ بدونه . وأما علم الأخلاق فهو مفهوم من أول السورة فى الوفاء بالمهود والزكاة ونحوهما . وأما علم الجبال فهو ما يخص نظام الطبيعة وحسنها وجمالها وبهاؤها . وأما علم الاجتماع فيشار اليه بقصص الأنبياء فى هذه السورة وأمثالها وأن ندرس نظم الأمم ونحللها وتأخذ بأحسنها

﴿ الدروس التى تلقى الى المسلمين ﴾

- (١) دروس العبادة والأخلاق للأطفال عملاً لا مجرد علم كما فى أول سورة المؤمنون
- (٢) دروس علم الأشياء بحيث يذكر فيه أحسن الجبال فى الطبيعة والبدائع والنظام المتقنة فى هذا الوجود وغرائبه ليعشق التلميذ درسه وربه . كل هذا فى التعليم الأولى مع ذكر الله وصفاته
- (٣) درس العلوم الطبيعية فى التجهيزى درساً منظماً فيقرأ الحيوان والنبات والتشريح وطبقات الأرض والفلك وتلك القراءة المقصد منها اللام بهذه العلوم بهيئة منظمة كما فى هذه السورة
- (٤) ذكر سبر الملوك والأمراء والعلماء وأخلاقهم وأعمالهم وما يتبع ذلك ليكون فى الأئمة مصلحون كما

جاء في هذه السورة من ذكر النعم عليهم من الأنبياء ويكون ذلك نبذاً صالحاً جيلاً في كتب متقنة جيلاً شارحة للصدور مهتة الطفل لدراسة العلوم بانشرها صدره لدينه ولأمة الاسلام

ليقيم في الاسلام مجتدون فلينشروا هذا في مختلف الأصقاع فإذا درسوا ذلك فليدرسوا معه ما يلزم من علوم الدين ثم ليخصصوا في القسم العالى كلاً فيما هو أهل له . فهذا للعلوم العربية وهذا للحديث والتفسير وهذا للكيمياء والطبيعة وهذا للهندسة وهذا للطب الخ

هذا هو الذى يجب أن يكون عليه المسلمون في مستقبل الزمان وأن الله سبحانه هو الذى ألهم بكتابة هذا في التفسير وسيلهم كثيراً من المسلمين بنشر هذه الآراء وهو الذى سيهدى المسلمين فيسيرون على صراط مستقيم والحمد لله رب العالمين

(جوهره في قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين -)

لقد تقدم في هذا التفسير في موضع غير هذا أن التثليث عند الأمم السابقة قبل المسيح لم يكن بالمعنى الذى يتعارفه المسيحيون إذ قلّت عنهم أنه كان هكذا الله والمادة والعقل المدبر لها باذن الله والمادة والعقل يدلان على الله . ومعنى هذا أن الانسان اذا نظرى في هذه الدنيا لا يرى إلا مادة وهذه المادة يراها في غاية الانتظام وهذا الانتظام يدل على عقل نظمه وهو المعبر عنه عندنا باللائكة الذين يدبرون العوالم وهؤلاء اللائكة الذين عرفناهم بأسمائهم في السموات والأرض يدلون على أن لهم إلهاً خالقهم . إذن المادة والقوة المدبرة يدلان على الله . إذن الموجود إما مادة محسوسة وإما عقول مرتبطة بها وإما موجود مجرد من المادة مدبر للقسمين أى الموجود إما مادة وإما مختلط بها وإما مجرد عنها مدبر للقسمين . هذا ما كان يقوله فلاسفة الأمم لهم ثم تبادى الزمان فصار الثلاثة آلهة وقد جعلت لهم أصنام في الهند وعند البابليين والآشوريين وقدماء المصريين ولما نقل النصارى هذا التثليث عن الأمم لم يحسنوا النقل فبدل أن يقولوا (الله والمادة والعقل) المعبر عنها بالأب والأم والابن قالوا (الأب والابن والروح القدس) وجعلوهم جميعاً آلهة وكلهم إله واحد

أفلاتنجب لما أسمعك الآن وكيف يظهر الله عز وجل الأسرار في كلام المسيحيين أنفسهم . فانظر لما جاء في (مجلة البريد المصرى) في أكتوبر سنة ١٩٢٨ وهى المجلة الشهرية الدينية الأدبية في سنتها الخامسة عشرة عدد (٩) صفحة (١٣٩) وهى التى يدبرها المسيحيون بمصر فقد جاء فيها ما نصه (ولولا تجسده ما عرفنا الأب بالابن كما في متى ١١ : ٢٧ ويوحنا ١ : ١٨ (٢٥) انتهى)

أفلاتنجب معي . فجل الله . أليس هذا هو عين ما أسأفته نقلاً عن أصول ديانات القدماء وهو عين هذه الآية التى نحن بصدد الكلام عليها إذ يقولون (لولا تجسد المسيح ما عرفنا الأب) إذن الأمر ظهر وهو أنه لولا العالم ما عرفنا الله والعالم هو المادة والقوة العاقلة المنظمة لها . فهذه لولاها لم يعرف الناس ربهم فجاء المسيحيون وحسروا معرفة الله في ظهور جسم المسيح ونور عقله (وبعبارة أخرى) أن الرجل العالم يدرك جلال الله من كل حشرة وكل كوكب وكل نبات وهكذا ولكن طائفة من الناس اكتفوا برجل صالح ذى نور من الله فدلهم على الله تعالى . فجسم المسيح بعض جسم الأرض وعقله بعض العقل العام الذى خلقه الله في العوالم كلها . ففى هذا اكتفاء بالبعض عن الجميع . وما المسيح إلا آية واحدة من آيات الله التى منها الشمس والقمر وحيوان الأرض وغيرها . أفلاتنجب أن ترى المسيحيين ينطقون بالسرى وإن كان أكثرهم لا يعترفون به إذ يقول انجيل متى وانجيل يوحنا المتقدمين (أن تجسد المسيح يدل على الله) أليس هذا هو عين التوحيد وعين قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - فغيسى آية لاغير فى القرآن وعيسى يدل على الله فى انجيل متى وانجيل يوحنا والمادة والعقل والعالم يدلان على الله فى أديان القدماء . إذن اتفق القرآن وانجيل متى وأصول الأديان القديمة على شئ واحد وهو أنه لا تثليث بل هو توحيد حتى دين المسيح عند (متى)

و (يوحنا) الذين جعلوا وجود المسيح يدل على الله وأذن أصل التثليث استدلال بمقدمتين على نتيجة المقدمتان (الجسد والروح) والنتيجة انه لا بد من موجود أوجد الروح وأوجد الجسم وضمهما الى بعضهما ونظمهما هذا هو معنى قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - وذلك كما تقول إن البرهان يحتاج الى مقدمتين وتكون لها نتيجة . فكما تقول العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث تقول هنا العالم مادة وهي مدبرة بعقل منظم وهذان لا بد لهما من موجد منزّه عن المادة منظم لهما معا لأن الموجود إما مادة وإما منزّه عنها وأما ملتبس بها لا غير والحمد لله على نعمة العلم والحكمة

﴿ تذكرة في أن ألوهية المسيح منقولة عن الأم السابقة التي خلت ﴾

جاء في كتاب ﴿ المذهب الروحاني ﴾ صفحة (٤٢٢) مانصه

﴿ ولاتوهمن أن النصرانية وحدها اخترعت أن الإله صار بشرا فإن الهنود نسبوا الى (فشنو) وهو الاقنوم الثاني من ثالوثهم تسعة تجسّدات وفي ثامنها ظهر باسم (خريستا) وكذلك (ابولونيوس) الثباني ظنه معاصروه إلهاً لأنه علم ما علمه (يسوع) وعمل أعمالاً عظيمة وروى عن أمه انها لما كانت حاملاً به ظهر لها في الرؤيا (بروتيو) أحد آلهة المصريين وقال لها انه حلّ في أحشائها . ومثله (ليوتسو) الصيني ظنوه إلهاً صار انساناً وقد حملت به أمه بنظرها الى رجوم ساقطة من السماء . وأما ألوهية المسيح فلم تنشأ إلا بعد خراب (أورشليم) وتشتت اليهود في مصر والفرس والهند وبعد أن استتب الامن عاد هؤلاء الى وطنهم وهم متشربون مبادئ أديان الشعوب الذين عاشوا بينهم بضع سنين فقامت عندها بين عامة النصارى المجادلات والمنازعات الى أن قرّر (المجمع النيقاوى) هذه العقيدة بحكم سلطان أجنبي هو الملك (قسطنطين) الذى عضد المجمع المذكور لأغراض سياسية . ثم قال ومن العجب أن أرباب النصرانية تنازعوا حتى سفكوا الدماء فى مسائل وهمية لا طائل تحتها وقد تناشوا الشئ الجوهرى الوحيد الذى جاء المسيح لأجله وهو محبة الله والقريب هذه هي المحبة التى قال عنها عليه السلام انها الناموس كله وجاء من بعده فاستبدلوا بالعنات والحرمان واحراق بعضهم حتى أصبحت النصرانية بعد عشرين جيلاً فى حالها الحاضرة مشتملة على عقائد تافهة ينكرها العقل ويأبأها العلم ﴾

وجاء فى صفحة (٤٢٠) من هذا الكتاب أيضاً مانصه

﴿ جاء فى انجيل مرقس انه لما أتى يسوع الى مدينته احتقره آله فقال « لا يكون نبي بلا كرامة إلا فى وطنه وبين أقاربه وفى بيته » ولم يستطع أن يصنع هناك شيئاً من القوّات ﴾ (مرقس ٦)

فيسوع يقرّ ههنا عن نفسه بأنه نبي بسيط وأنه عجز عن صنع آية فكيف يتأتى منه العجز وهو (الله رب العالمين) وسأل يوماً تلاميذه قائلاً وأنتم من تقولون أنى هو فأجاب بطرس أنت المسيح (مرقس ٨) ومعنى المسيح رسول مسح بالدهن كما كان اللاويون وملوك اسرائيل فلم يقله ههنا بطرس أنت هو الله ولأنه يسوع على غلظه بقوله له (أنا الله بالذات انحدرت من السماء) متجسداً بينكم لأنقذكم من خطيئة آدم وأعوض عن الإهانة العظيمة التى لا تنهاهى التى لحقت بعزتى الإلهية بل قال فقط عن نفسه « إني رسول يعمل بإرادة مرسله » انتهى المقصود منه

وقال فى صفحة (٣٥٥) وما قبلها ما يأتى ﴿ لقد تفرّغ علماء أجلاء من أوروبا للبحث عن أصل الأنجيل وأدوار تقلباتها فقالوا إن المسيح اختار رسله من الشعب البسيط وكانوا صيادى سمك من بحيرة طبريا وأراد بذلك أن تعالجه لاحتاج الى ذكاه خارق للعادة . قال وبعد رفعه الى السماء أخذ الرسل يشربون بما رأوا يقولون بوحدة الله ومحبة لعباده ووجوب ارتباط الناس بالمحبة لأنهم إخوة وربهم واحد وقالوا بالتوبة والتكفير عن ذنب الانسان نفسه لاذنب أبيه آدم ورمزوا للتوبة بماء المعمودية الذى أخذوه عن (الأسونيين) بواسطة

(يوحنا المعمدان) الذي كان من مصافهم . والقصد منه التنبيه به على التوبة من الذنوب . ويقولون بخلود النفس والقيامة فدخل الناس في الدين أفواجا . ولكن بعد ذلك جاء رجل يسمى (بولص) وهو فرنسي ومعلم بالناموس وباللغة اليونانية فاحترق الرسل أولا وهو مع انه ما عرف المسيح ولا رآه قط ولا سمع كلامه ادعى بأنه رسول وبه وحده خست معرفة الحقائق واعلانها (غلاطيه ١) وأخذ يخاصم بطرس ويوبخه (غلاطيه ٢) فتألف عندها أي بعد رفع المسيح (١) بعشر سنين (صنفان) من النصارى (الأول) تابع لمن بقي من الرسل في اورشليم (والثاني) تابع لبشارة (بولص) الذي ادعى بأنه أخذها عن إحياء المسيح نفسه وبعد حين تمرد اليهود على (نيرون) فانتشبت الحرب في يهودية بقيادة (فسباسيانوس) الروماني ثم ابنه (طيطس) وانهت بافتتاح اورشليم عام (٧٠) وخرب الهيكل وتفرق اليهود أشتانا (انتهى الكلام على المقصد الثاني) من سورة (المؤمنون)

(المَقْصِدُ الثَّالِثُ)

يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطُّوا أُمْرَهُمْ يَتَّبِعُهُمْ زُبْرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ * أَيْحَسِبُونَ أَنَّا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنٍ * نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ * وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ * حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَأِرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ * قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَلِّى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُ صَوْنَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ * أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرَهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ نَسَاهُمْ خَرْبًا نَخْرَاجُ رَبَّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ

(١) المذكور في الكتاب المنقول عنه بعد موت المسيح لأن هذا اعتقاد الافرنج . ولقد مر بعض هذه العبارة في سورة (آل عمران) وقد سهونا أن نبدل الرفع بالموت وستصح في الطبعة الثانية فليتنبه

مُسْتَقِيمٌ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَا كَبِيرٌ * وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا
 مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوَاءِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ
 وَمَا يَتَضَرَّعُونَ * حَتَّى إِذَا فَتَخْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَهُوَ
 الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي
 الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ *
 بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا
 نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ
 الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ
 يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَاهُمْ
 بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ
 بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى
 عَمَّا يُشْرِكُونَ * قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيتُنِي مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ *
 وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ * أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيَّةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ
 * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِي * حَتَّى إِذَا
 جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا
 وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا
 يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ
 الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلَفَحَ وَجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ
 تَكُنْ آتَانِي تَثْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا
 قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ
 * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ *

فَاتَّخَذُوا لَهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاقِرُونَ * قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَأَلَ الْعَادِينَ * قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * أَخْسِيتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَادًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى قوله - فذره في غمرتهم حتى حين - تقدم تفسير هذه الآيات في آخر المقصد الثاني وقوله (أبحسون أنما نعتهم به من مال وبنين) أي نعتهم ونجعلهم مددا لهم وقوله - من مال وبنين - بيان لما أي أبحسون أن الذي نعتهم به (نسارع) به (لهم في الخيرات) فيما فيه خيرهم واکرامهم (بل لا يشعرون) بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيه فيعلموا أن ذلك الامداد استدرج لا مسارعة في الخير والمسارة التجميل (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) خائفون (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون) شركا جليا ولا خفيا (والذين يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات (وقوهم وجلة) خائفة (أنهم الى ربهم راجعون) في الآخرة فلا يقبل منهم (أولئك) أهل هذه الصفة (يسارعون في الخيرات) يبادرون في الأعمال الصالحة (وهم لها سابقون) وهم سابقون بالخيرات لا أولئك الذين أمددناهم بالمال والبنين فظنوا أن ذلك اكرام ظنا غير حق فالمال والبنون ليس اعطاؤهما والامداد بهما مما يؤهل للمسارة بالخيرات . فأما خشية الله والايمن بالله وعدم الاشراك به والتصديق مع الخوف من الله فإن ذلك هو السبق للخيرات . وملخص ذلك أن النعم ليست هي السعادة وانما النعم راجعة الى العلم والعمل فالعلم رمز اليه بالايمن بالله والعمل رمز له بالصدقة وأحاطهما معا بالخشية والخوف . وهل لك أن أسمعك ما أرسله أرسطاطاليس الى الاسكندر في رسالته السيامية لترى كيف نطق بهذه الآية قبل القرآن بنحو تسعة قرون . أذكر لك جلا تناسب المقام فأقول

﴿ أرسطاطاليس والاسكندر والسياسة ﴾

قال « يظن الناس أن الاستمتاع بالخيرات منهل عذب سهل سائق شرابه وأن مقاساة الشدائد لا يقوى عليها أحد . ولست أرى هذا صوابا بل الصواب عندي خلافه وذلك أن الناس اذا جرّبته الشدائد تحنكوا لما فيه مصلحتهم فاذا أظلتهم الأحوال تحركوا فيما يدفع ذلك عنهم واذا صاروا الى الامن والدعة مالوا الى الشره والفساد وخلعوا عذار التحفظ . وما أعسر أن تكون مع رخاء البال صيانة العقول بل قديذهب ذلك بالعقل كثيرا ويذهله . فأحوج ما يكون الناس الى التأديب اذا صاروا الى الخفض والدعة فانه ان كانت الحروب قد تحدث فيها الأحداث فإن ذلك يحدث والناس متصفظون حذرون . فأما في حال الخفض فتحدث أحداث كثيرة والناس قارون مهملون لأمرهم وعند ذلك يحتاج العامة الى الأدب والسنة »

ثم قال « وليس الاستمتاع بالهاوئ والخفض مما يحتمله كل أحد كما ظن هؤلاء ولوانه كان ذلك كذلك لوجب على الآباء أن يملكوا أبناءهم أموالهم من أول نشئهم . فكما انه لا ينبغي أن تفوض الأموال الى

الصبيان كذلك لا ينبغي أن تفوض الأمور إلى العامة فإن أخلاق العوام أشبه بأخلاق الصبيان وكلا الصنفين يحتاج إلى الرقابة والمديرين والعبرة في ذلك أيضا قد ترى من تصرف الأحوال وتنقل الدول فما بال الرياسات لا تثبت ولا تدوم على حال لصنف واحد وفي مدينة واحدة كالذي رأينا من نقلها في بلاد آسيا وفي بلاد أوروبا وفي غيرها من المدن فقد ملك (أشور) حينئذ لأهل الشام وسوريا ثم خلف بعدهم أهل (ماه) ثم خلف بعد هؤلاء أهل فارس وكذلك نجده في سائر الأمم فالقلعة في هذا كله واحدة هي التي ذكرنا من أن التقلب في الخيرات أصعب من مقاسات الشرور وكذلك نجد الذين نالوا الرئاسة بنصب ومشقة ثم زيدوا فيها شيئا بعد شيء قد حنكتهم وثقتهم التجارب أكثر ذلك ما تطول مدتهم ويؤول إلى السعادة وحسن العاقبة أمرهم . ونجد الذين نشأوا في الخفض ووافتهم الأمور عفو فلم تصبهم شدة ولم يحسبهم خوف يصيرون إلى ضد ذلك . وكذلك ترى المدائن تعمر وتعظم بالمشقة والنصب وتصير إلى الخراب بالرفاة والخفض داعية إلى البطالة والناس في أكثر ذلك مائلون إلى البطالة مستلذون بها وذلك أنهم يكرهون الأدب والسيرة الحسنة هربا من المشقة ويؤثرون الفراغ والبطالة طلبا للتودع ويفنون أعمارهم في طلب اللعب واللهو صائرون إلى الشفوة . وليس يكون مع البطالة تعطيل الأدب بقاء ملك ولا ذنب عن حريم ولا صلاح عامة .

ومما قاله أيضا : وكذلك المدائن التي دخلها الخلل والفساد إنما أثبت من سوء أثر الرؤساء والمديرين فصرفوا همهم إلى اللذات الزمنية فأهملوا التدبير الباقي أثره وذكره على وجه الأرض أبد الدهر فقد ينبغي للمدير أن لا يتخذ الرعاية مالا ولا مأكلا ولا قنية ولكن يتخذهم أهلا وأخوانا ولا يرغب في الكرامة التي من العامة كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الأدب وصواب التدبير .

ثم قال بعد كلام : « واعلم أن الأيام تأتي على كل شيء فتخلق الأفعال وتمحو الآثار وتميت الذكر إلا ما رسخ في قلوب الناس بحجة تتوارثها الأعقاب فاجتهد بالظفر بالذكر الجليل الذي لا يموت . واعلم أن المدائن التي دخلها الخلل والانتشار أتى ذلك إليها من سوء رسوم الرؤساء والمديرين وذلك أنهم آثروا جزئ المنافع إلى أنفسهم على تفقد أمور العامة وتقويم سنن المدن وصرفوا همهم في تعجيل اللذات الزمنية وأهملوا التدبير الباقي أثره وذكره على وجه الأرض والدهر . وقد رجوت أن تكون عواقب أمورك إلى سعادة وأن تجتمع لك الخصال الحمودة عند اليونانيين لأنك حقيق بها . واجتهد أن تظفر بالذكر الذي لا يموت بأن تودع قلوب الناس بحجة تبقى بها ذكر مناقبك وتشرف بها مساعيك على الأبد والسجود لذكرك والتجوع لفضلك والسلام إليك وعليك » اهـ

أيها الذكي انظر في كلام (أرسطاطاليس) وانظر إلى (الاسكندر) كيف سار على هذه الطريقة وانظر فيما هو أهم من ذلك كيف جاء هذا كله مختصرا في الآية . يقول الله إن إمدادكم بالمال والولد ليس مسارعة بالخيرات بل أنتم لا تشعرون . والتعبير بعدم الشعور قد أطل في وصفه (أرسطاطاليس) فقد جعل النعمة والمال والولد والخفض والدعة وما أشبه ذلك من أبواب الشقاء . جعلها مدعاة للبطالة . مدعاة لخراب البلاد مدعاة للذم . مدعاة لتنقل الدول . مدعاة لتنقل الرئاسة . مدعاة للذل الأبدي . فوها للعلم ووها للحكمة انظر أيها الذكي وتعجب . يقول الله هنا المال والولد ليسا خيرا ويقول إنما الخيرات تعطوا المال لمستحققيه هكذا يقول الله في هذه الآية ثم ترى أن هذا القول قد شرح قبل القرآن بنحو (٩٠٠) سنة . وأين شرح . شرح في (رسالة السياسة) من أكبر فيلسوف إلى أكبر ملك فأصبحنا ونحن نفسر في القرآن لاندري نحن في دين يقرؤه العامة والجهلاء كما هو شأن سائر الديانات أم في حكمة وفلسفة وسياسة وعمارة مدن . اللهم إن هذه المعاني تعالى عن أنظار العامة ولا يتناول إليها إلا المتعلمون . اللهم إن العامة يسمعون مثل هذا الكلام فيقولون إن القرآن يصبرنا وينكرون ذلك في قلوبهم وعلى ألسنتهم ويقولون كل ذلك ليس لنا نحن الجهلاء والحقيقة غير ذلك . وأرى الطبقة المتعامة بعضهم ينفر من مثل هذا ويعتد كإعتد العامة . فمن لي بأن يعرف

الناس مراعى دينهم ويقهوه ويرقوا شعهم ويفهموا قوله تعالى أيضا - كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى - وقوله - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقد ر عليه رزقه فيقول ربى أهانن - ثم بعد ذلك أخذ يذم الإنسان بأنه إذا أخذ فى النزاع اعتراه الذم بأنه لا تصدق ولا صلى كأنه ظن أنه خلق ليهمل فى الوجود وهو جاهل نشأه فعاش مهمل الأخلق والعلوم فحس المال وجهل تركيب جسمه ويفهموا أيضا قوله تعالى - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد - الخ وقوله - فلا تنجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا - وهكذا من الآيات التى شرح معناها أرسطاطاليس . فافظركيف جعل الله المال والولد عذابا وجعله أرسطاطاليس لا يحمل أى إن الناس يتحملون النقم ولا يتحملون النعم فكأن النعم تردى بهم الى مهاوى الخسران والحروب ترفعهم الى العلا . ومقالة أرسطاطاليس قد ذكرت فى غير هذا المكان وأعدناها هنا لمناسبة الآية وللشرح الذى رأيت . وبهذا نفهم هذه الآيات ونعرف أن المسلمين لم يفتنوا لهذا الكتاب ولم يذيعوا معانيه حتى تفهمه الأمة وحتى يتأدب الخاصة به ولم يرد الله أن يكلفنا ما لا نطبق بهذه العلوم . كلا . فقد قال (ولا تكلف نفسا إلا وسعها) فإذا حرض على انفاق المال فلم يرد أننا نعيش فقراء . كلا . بل الله يعلم ما فى كل نفس من نية الخير والاصلاح وغير ذلك (ولدينا كتاب) وهو اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) بالصدق (وهم لا يظنون) فلا زيادة فى عقاب ولا نقص فى ثواب (بل قلوبهم) قلوب الكفرة (فى غمرة من هذا) فى غفلة عما وصف به هؤلاء المؤمنون وهكذا كثير من المؤمنين غافلون مثلهم لا يعرفون ولا يعقلون . إن المتصدق الذى أبقى له ذكرا فى الدنيا وثوبا فى الآخرة سعيد وأن الغنى المترفع بالمال والولد وهو غافل شقى فى هذه الدنيا معرض لزوال النعمة كما شرحه أرسطاطاليس (ولهم أعمال) خبيثة (من دون ذلك) متخفية متجاوزة ما وصف به هؤلاء المؤمنون (هم لها عاملون) معادون فعلها فيجعلون المال للهو واللعب والتعاطف على الأقران فتشرب ذريتهم على لعب القمار والجهالة والبطالة فتخرب الديار وتزول الممالك (حتى إذا أخذنا مترفعهم بالعذاب) عذاب الأنفس وعذاب المدن وخراب القرى ويحتل البلاد غير أهلها كما حصل فى مصر لما اسرف القوم وعاشوا عيشة البذخ فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى ودخل الفرنجة البلاد وكما كان عليه ملوك الاسلام تخلفاء الترك الذين أوردوا الأمم الاسلامية موارد التهلكة . وكما كان عليه كثير من شيوخ الطرق الصوفية من جمع المال وكثره واتخاره وهم قد احتالوا بأخذه من الأمة جهارا نهارا وقد ظهروا لهم بمظهر الصلاح فانقلب ذلك فى أعقابهم الى الاثرة بالأمر وهم أدلاء للفرنجة - والله لا يهدى القوم القاسقين -

فها أنت ذا ترى كثيرا من الممالك الاسلامية طعمة للفرنجة كما حصل لأهل مكة إذ شدد الله عليهم لما دعا النبي ﷺ وقال (اللهم شدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف) ففقدوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة . وها أنت ذا ترى الأمم الاسلامية التى دخلها الفرنجة لا يعيشون إلا عيشة البهائم فالفرنجة يسومونهم سوء العذاب ويأخذون أموالهم ويذلونهم ويمنعون العلم عنهم . كل ذلك لضلال الأمراء الذين كانوا يدبرون شؤونهم وأول مصيبة تنزل من الفرنجة تنصب على أولئك الرؤساء فيقيدون أعمالهم فى الأمة ويذلونهم فى قصورهم ويدسون لهم الدسائس ومن لم يوافقهم فى أعمالهم ورغباتهم طردوه . فن هؤلاء المترفين من يصرخ بالاستغاثة ولا مغيث بل يقال له بلسان الحال أو بلسان المقال قد فرطت والعبرة تتلو العبرة والآية تتلو الآية فكنت تعرض مدبرا . فلم تتدبر القرآن . ثم قال تعالى (إذا هم يجأرون) يصيحون مستغيثين قيل لهم (لاتجأروا اليوم) فإنه لا ينفعكم (إنكم منا لاتنصرون) أى لاتمنعون منا أولا بل يحكم نصر من جهتنا لأننا جعلنا النعم والبطالة حاطا بالانسانية ومرجعها الى الحيوانية وهذا تعليل لما قبله لقد علمناكم فلم تسمعوا (فدكانت آياتى تنلى عليكم) أى القرآن (فكنتم على أعقابكم نكصون) أى ترجعون القهقرى وتعرضون عن الايمان (مستكبرين به) أى بالبيت الحرام أى مستعظمين بالبيت الحرام إذ كانوا

يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف يقول الله تعالى مستكبرين بالبيت الحرام مستعظمين حال كونكم تسمرون (سامرا) هو مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة أي حال كونكم سامرين متحدثين حول البيت مجتمعين وكان عامة سمرم في القرآن فتقولون هو سحر أو شعر (تهجرون) بذلك السمرأي حديث الليل من الهجر بضم الهاء وهو الهذيان أو من الهجر بفتحها أي القطيعة . يقول الله كنتم حين سماع الآيات تعرضون عنها مستعظمين بأن البيت الحرام لكم وأنتم جيرانه فلا تضامون وأنتم تتحدثون ليلا في أمر القرآن وذمه قاطعين الرحم (أفلم يدبروا القول) أي القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم وقد أتى لهم بحكمة عالية وسياسة منظمة (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) من الأمن من العذاب فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون كاسماعيل وأعقابهم فقد خافوا الله وآمنوا بكتبه ورسوله ولم تبطروهم النعم كما أبطرت هؤلاء فالقانون المسنون واحد . ان ترادف النعم والناس آمنون العواقب يعقبها الخطر والهلاك فهو لاء قد جهلوا (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) أي أليس عرفوا محمدا ﷺ صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا توخيخ لهم على الاعراض عنه بعد ما عرفوا من صدقه (أم يقولون به جنة) أي بل يقولون وهكذا ماقبله وجنة أي جنون وليس كذلك (بل جاءهم بالحق) بالصدق (وأكثرهم للحق كارهون) لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم (ولوانع الحق أهواءهم) بأن كان هناك آلهة شتى (لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) فالعالم قائم بالحق وهم يكرهونه والحق يكون من جهة الألوهية فاذن يكون الإله واحدا ومن جهة النظام وحسن النسق فهو إذن منتظم فلو كان الآلهة متعددا لم يكمل النظام وتشتت . ولو كان العالم على غير نظام لم يثبت ولم تقم له قائمة (بل أنيناهم بذكرهم) صينهم وهو القرآن كما قال تعالى - وانه لذكر لك ولقومك - أو وعظهم (فهم عن ذكرهم معرضون) لا يلتفتون اليه (أم تسألهم أجرا على أداء الرسالة (خارج ربك) رزقه في الدنيا ونوابه في الآخرة (خير) لسعته ودوامه . والخراج يغلب في الضرائب على الأرض وهو عادة يكون كثيرا ولازما . أما الخراج فهو مقابل الدخل وهو كل ما تخرجه لغيرك وليس ما تخرجه لغيرك في الزوم والدوام كالخراج ولذلك عبر به وقواه بقوله (وهو خير الرازقين) فهذا تقوية لكون خراج الله خيرا . وانما كان الله خير الرازقين لما نراه في عمله في هذه الأرض . ولقد تقدم في سورة ﴿آل عمران﴾ عند قوله تعالى - وترزق من تشاء بغير حساب - ولقد مر في هذا التفسير من حسن التلطف في تربية الطير والوحش والخشرات والأنعام وما أفادها من غرائز وعواطف وحسن سمي في سبل المعاش ولو أنك قرأت كل مامضى في هذا التفسير عما أشبعنا به العقول فيه لفهمت قوله تعالى - ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام - الى قوله - ما نفدت كلمة الله - وكيف تنفذ وأنت لودرست حشرة واحدة لاستنفدت الحياة فضلا عن آلاف بل مئات الآلاف . ولقد يدهشك عين أصغر حشرة إذ نجد لها أي للعين الواحدة جلة عيون كل عين مستقلة ترى وحدها مستقلة عن العيون التي حولها أي ان عين النملة أو النحلة ليست كأعيننا فعين أحدها واحدة ولكن عين النملة مثلا مركبة من عيون كعيون الغراب كل عين لها أعضاء خاصة بحيث تستقل بالنظر عن جاريتها ولو فقت واحدة لبقيت اللاتي حولها ينظرن وهن كحشرات نحو مائتين . ومنها ما تحتوي على أكثر وذلك سيتضح لك في ﴿سورة النمل﴾ فإذا كانت العين الواحدة حشرة صغيرة على هذا النمط والعين لم تخلق إلا لهدايتها لطعامها وشرابها فما بالك ببقية ما يلزم لحياتها من أعضاء داخلية وخارجية وما أعد لها من رزق تحصله في هذه الأرض - وما كنا عن الخلق غافلين - فهذه نبذة صغيرة من كونه تعالى خير الرازقين

اعمرى انما الحمد والحكمة هذه الحكمة . انه لاحكيم إلا الله - انه هو الحكيم العليم - ثم قال تعالى (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) ولما نفي تدبرهم القول ومنافاة القول لما جاء به الأولون وأن رسولهم

غير معروف لهم وجنون رسولهم وسؤالهم الأجر . لما نفي هذا كله لم يبق إلا أنهم هم غير فطنين وقد دعاهم الى صراط مستقيم (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) السوي (لناكبون) لعادلون عنه . ومعلوم أن خوف الآخرة أدعى الى عدم العدول عنه (ولورجناتهم وكشفنا ما بهم من ضرر للجوا) لثبتوا واللجاج التحادي (في طغيانهم) افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول (يعمهمون) عن الهدى * ولقد جرت عادة المفسرين في مثل هذه الآية أن يذكروا أن أهل مكة حطوا حتى أكلوا العلهز جاء أبوسفیان الى رسول الله ﷺ فقال أنشدك الله والرحم . أأنت تزعم أنك بعثت رجة للعالمين . قلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فزلت (ولقد أخذناهم بالعذاب) أي القتل يوم بدر (فما استكانوا لهم وما يتضرعون) بل أقاموا على العتو وتمادوا على الباطل (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعني الجوع فانه أشد من القتل والأسر أو القتل والأسر يوم بدر أو الموت أو قيام الساعة (إذا هم فيه مبلسون) آيسون من كل خير واعلم أنني لم أجد لذلك أثرا في كتب الصحاح الستة عند تفسيرهم هذه الآية . فهاهوذا أمامي كتاب (تيسير الوصول لجامع الاصول) فلم أجده ذكر شيئا من ذلك في تفسير هذه السورة وأيضا هذه السورة مكية والنبي ﷺ في مكة كان بين ظهرانهم . وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم . فاذن كان العذاب بعد خروجه من مكة وبعد الخروج من مكة كيف تكون السورة مكية . وأيضا كيف يؤمن أبوسفیان أن محمدا ﷺ مقبول عند الله فيستجاب دعاؤه فيأتي اليه فيستغيث به . كل ذلك في حاجة الى تمحيص . ولما فرغ من الآيات التي تخيف العباد شرع فيما هو أهم وهو ما يقنعهم من طريق العقل فقال (وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة) لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليلًا ما تشكرون) أي لم تشكروا هذه النعم (وهو الذي ذرأكم في الأرض) خلقكم (واليه تحشرون) تبعثون (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) تدير اختلافهما فيزيد في أحدهما ما ناقصه من الآخر بنظام كما تقدم في سورة الحج والبقرة وهو فيها أظهر وكذا في غيرهما من السور (أفلاتنعلون) بالنظر والتأمل ولكم أفئدة وأسماع وأبصار وما خلقناها لكم إلا لتستبصروا وتنفكروا في خلقكم وتصويركم ورزقكم وأحيائكم وأماتتكم (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أي قال كفار مكة كما قال آباؤهم الأولون (قالوا أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون) محشورون . قالوا ذلك على وجه الاستبعاد (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل) أي وعد قوم آباءنا هذا وذكروا أنهم رسل الله فلم نر له حقيقة (إن هذا إلا أساطير الأولين) أكاذيب الأولين (قل) يا محمد لأهل مكة (لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون) ان كنتم من أهل العلم (سيقولون لله) لأن العقل يأتي غير ذلك (قل) يا محمد لهم (أفلاتذكرون) فتعلموا أن من خلق هذه العوالم العجيبة لا يخلقها سدى بل إنما يخلقها لغاية ولاغاية إلا بقاءها بعد هذه الحياة والا كان عمله بلا فائدة (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) سيقولون لله قل أفلاتنقون عقابه وكيف تشركون به شيئا وهو باعترافكم خالق تلك العوالم العظيمة أم كيف تشكرون بعثه للمخلوقين وذلك يستوجب أن يكون عمله عبثا فهل صاحب هذه العوالم العجيبة العظيمة يفعل العبث (قل من بيده ملكوت كل شيء) أي خزائنه وملكه غاية ما يمكن . وهذه (درجات ثلاث) للملك (١) الأرض ومن فيها (٢) والسموات السبع والأرض الخ (٣) وملكوت كل شيء أي ما هو أعم من السموات والأرض فلذلك ناسب أن يقول (وهو يجبر ولا يجار عليه) أي يغيث من يشاء ويحرسه ولا ينافي أحد ولا يمنع منه وذلك لأنه ليس في العوالم كلها ما هو خارج عن قبضته فهو يغيث ويلبس أحد في ذلك كله بقادر أن يمنع منه (إن كنتم تعلمون) فأجيبوا (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) تخدعون وتصرفون عن توحيد وطاعته فاذا كان هذا معتمدكم ورأيكم فلماذا تشركون به بعض الأوثان أم كيف تقفون عقولكم على مخلوق عاقل أو غير عاقل وهو قد دبر الجميع فاذن يكون المعرضون عنه المغرمون ببعض البشر أو بعض الأصنام قد سحرت عقولهم كأنها قد نومت ذلك التنويم المغناطيسي فغاب عنها عقلها وتصورت الشيء على خلاف ما هو عليه كما

يعطى المنتقم (بفتح الواو) السكر ويقال له هذا حنظل فيلفظه حالا . فهاهوذا قد سحر وأخذ عقله ولوى
عن مراده وضلّ وهذا شئ أصبح مشاهدا كما ذكرته في سورة البقرة فإن التنويم المغناطيسى المذكور سار
في جميع الأمم . ومعنى هذا أن القول وتكراره على الأفتدة بخدع العقل والحواس حتى تنصرف النفوس
عما تعرفه وتتوهم صدق مايقال لها ولذلك كثرت الفرق في الأمم الاسلاميه وابتدع الرؤساء الدينيون
والسياسيون من الأساليب ماخدعوا به عقول الشعوب ومن الخدع كثرة التكرار على العقول والحث والحض
فإن ذلك يخدع الناس ويصرفهم عن الحقائق وأوروبا قد استعملت ذلك فتخدع أبناء العرب الذين فتحوا
العالم قديما وتوهمهم انها تفعل خيرهم وهي تقتلهم وتغيب عنهم شمس العلوم وتقول لهم أنتم لاتصلحون
للحياة الحرّة ودينكم لم يكن دين مدنية ولغتكم لاتصلح للعلوم وجنسكم لا يصلح للرقى وهكذا ونحن آباؤكم
الرحاء وما أشبه ذلك . فهذا وتكراره على الأذهان سنة فسنة وجيلا جيلا يصرف الناس عن عقولهم وعن
مجدداتهم ويسحروهم . هذا سر من أسرار القرآن إذ عبر بالسحر في مقام الانصراف عن الحقائق المنهوسة فإن
قوما يعترفون بالله خالق العالم كله وبعد الاعتراف يقولون إن له شريكا فلامعنى لهذا إلا أن العقول مسحورة
والعالم كله اليوم قد قام بنظرية السحر . فأم أوروبا ساحرة وأم الشرق مسحورة إلا من فطنوا وقام فيهم
مجددون فانهم نهضوا بقومهم . ولفظ السحر هنا قد جمع علوم السياسة الاوروية الاستعمارية وأزلهما في
القرآن ليتدبرها المسلمون وليعلموا أن الناس قد تكون لهم أسمع وأبصار وأفئدة ولكنهم يتركونها مكتفين
بما سمعوا والمسلمون اليوم مسحورون إلا من رحم ربك . مسحورون عن علوم الدنيا . لماذا . لأن
الاستاذ قال في الدرس لايجب عليك إلا علم الفقه وعلم التوحيد . فاذا نظر التلميذ المسكين العوالم المحيطة بنا
من شمس وقر وكواكب ومعادن ونبات وحيوان وقال أى أستاذ هذه مخلوقات ربى أفلا أدرسها فيجيبه هل
تعرف صفات الله وصفات الأنبياء فيقول نعم فيقول له كفى لايجب عليك شئ فيقول يا أستاذى إن الله ذكر
هذه العلوم كثيرا في القرآن فيجيبه نعم ولكن المدار على انك تعرف الله بالأدلة التى في كتب التوحيد
فيكرر هذا القول على مسامع التلاميذ فيسحرون ويذهب الدين والمواهب التى وهبها الله لهم هكذا الاوروبيون
يأتون بلاد الشرق فيسحرون أعين الناس ويستربونهم ويحيئون بسحر عظيم وذلك بالمدافع والرشاشات
فيدهشون الشرقيين ويقولون لهم نعطيك الشهادة الثانوية في علوم لبس فيها شئ من العلوم التى حولنا فلا
نبات ولاحيوان ولا تشريح ولا فللك ويوهمونهم انهم علماء فيصحبون مسحورين وهذا هو السحر الحقيقى الدائم
الذى يصرف العقول عن المواهب والأبصار والاسماع . والله لقد تعاون بعض رجال الدين قديما وأهل أوروبا
حديثا على سحر الأعين فسحروها . فمن للمسلمين اليوم إلا نصر الله - ألا إن نصر الله قريب -

هذا هو السحر الذى سحر به المسلمون . فائن سحر الكفار بعبادة الأصنام فقد سحرت أبصارنا نحن
المسلمين عما أبدعه الله وزين لنا الجهل في صورة العلم والحيية في صورة النجاح . هذا هو الذى فهمته
في قوله تعالى - فأنى تسحرون - فلم ينزل الله مثل هذا القول لنسمعه فنقول هذا أمر ماضى وانقضى وأنا
الآن لست أعبد الأصنام وأنا خير من أبى جهل وأمثاله فقد عرفت وهم جهالوا . نعم نحن خير لأننا آمنّا ولكن
المؤمن الجاهل معذب في الدنيا والآخرة ، وعبر الله بالسحر ليقطع لنا باب التفكير في ضحك الغرب على الشرق
سياسة . وضحك رؤساء الطرق على تابعيهم فذلة وجبنا وضحك العلماء الرسميين في كل أمة على تلاميذهم
ليصرفوهم عن عجائب الله تعالى وجلاله وبهائه وبهجة صنعه واتقانه وحكمته فيقولون لهم كفاكم الإيمان أو
الكتب التى وضعها فلان وفلان أو النسايب والذكي والتلاوة البليدة الغافلة ونحو ذلك فشكل هذا من السحر
وكل هذا من مقصود قوله - فأنى تسحرون - ثم قال تعالى (بل أتيناكم بالحق) من التوحيد والوعد
بالنور (وانهم لكاذبون) لانكارهم ذلك لأنهم سحرت عقولهم بخدع الآباء وتكرار القول والعادة التى

هي طبيعة خاصة (ما اتخذ الله من ولد) وكيف ذلك وهو لا مثل له (وما كان معه من إله) يشاركه في ألوهيته (إذن لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض) أي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل إله بما خلقه وحارب الإله الآخر وتغالبوا كما ترى في ملوك الدنيا فلم يكن إذن يسده ملكوت كل شيء وقد أقررتم بذلك (سبحان الله عما يصفون) من الولد والشريك ثم وصف نفسه تعالى بصفة العلم بعد القدرة العاتية فيما تقدم للاستدلال على الوحدة فقال (عالم الغيب والشهادة) وهم موافقون على ذلك لأنهم أقرروا بأنه ملكوت كل شيء إذن فهو عالم بما غاب وما شوهد (فتعالى عما يشركون) ولما كان ذلك يوجب وقوع العذاب في الدنيا والآخرة قال تعالى (قل رب إما ترين ما يوعدون) ما وعدتهم به من العذاب في الدارين (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) قرينا لهم في العذاب فإن شؤم العذاب قد يم كما ترى النار قد تحرق ثوب الناسك الذي لا ذنب له * قال الحسن * أخير نبيه ﷺ أن له في أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء * ثم قال تعالى (وانا على أن نريك ما وعدهم لقادرون) وانما نؤخره عنهم لأننا نعلم أن بعض أعقابهم وبعضهم سيؤمن (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) أي ادفع السيئة بالاحسان في مقابلتها واصفح عنها وانما يكون ذلك إذا لم يظن ذلك وهنا في الدين نحن أعلم بما يصفونك به فنجاز بهم عليه فكل أمرهم إلينا (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) وسأوسهم ونزغاتهم ونفخهم ونفثهم ودفعهم بالاغواء إلى المعاصي والهمز والنخس ومنه مهماز الرانض فرسه * شبه حنهم الناس على المعاصي بهمز الرانضة الدواب على المشي والجمع للمرات (وأعوذ بك رب أن يحضرون) ويحوموا حولي في شيء من أمورى لأن الشيطان إذا حضره يوسوس له وأهم ما يطلب ذلك في حال الصلاة وقراءة القرآن وحضور الأجل فإن الشياطين تلهي القارئ عن المعاني وتلهي المحتضر عن تذكر ربه وتلهي المصلي عن التفرغ لتذكر ربه * يقول الله - نحن أعلم بما يصفون - أي فهم لا يزالون يشركون (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال) تحسرا (رب ارجعون) ردتوني إلى الدنيا والوالوتعظيم المخاطب وجلة قوله - وقل رب أعوذ بك - إلى قوله - يحضرون - اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله (لعلني أعمل صالحا فيما تركت) أي في الإيمان الذي تركت وفي المال وفي جميع أحوال الدنيا (كلا) ردع (إنها كلمة) أي قوله - رب ارجعون - الخ والسكامة الطائفة من القول المنتظم بعضها مع بعض (هو قائلها ومن ورائهم برزخ) أي ومن أمامهم ومن بين أيديهم حاجز عن الرجعة وهو القبر (إلى يوم يبعثون) منه وهو اقنات لهم عن الرجوع إلى الدنيا وانما يرجعون إلى حياة أخرى غير حياة الدنيا * ثم أخذ يشرح تلك الحياة الجديدة وأحوالها فقال (فإذا نفخ في الصور) جع صورة * وقرئ - الصور - بهم ففتح وهو ظاهر في هذا المعنى (فلا أنساب بينهم يومئذ) تنفعهم فإن التعاطف زال للدهشة والحيرة (ولا يتساءلون) ولا يسأل بعضهم بعضا كما يكون ذلك في الدنيا إذ ينفع الأرحام بعضهم بعضا يسأل بعضهم بعضا فأما كون بعضهم يقبل على الآخر فيسأله فذلك بعد الاستقرار في الجنة واستقرار أهل النار في النار ويكون ذلك بعد النفخة الأولى وبعد النفخة الثانية أيضا إذ يؤخذ بيد العبد ويقال من كان له حق فليأت إلى حقه فيفرح المؤمن أن يكون له الحق على أقرب الناس إليه فيأخذه منه فأصبح الذنب غير مانع من ذلك وأيضا لا يتفخرون ولا يتساءلون سؤال تواصل لأن الأنساب إذن لا تنفد وانما تنفد الأعمال (فمن ثقلت موازينه) موازينات عقائده وأعماله وأخلاقه (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة (ومن خفت موازينه) أي ومن لم يكن له أعمال وأجر تستحق الاعتبار فتوزن (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها فأضاعوا كمالها الذي كانت مستعدة له (في جهنم خالدون * تلفح) تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) عابسون أو متقلصو الشفتين عن الأسنان من شدة الاحتراق ويقال لهم (ألم تكن آياتي تأتي عليكم فكنتم بها تكذبون * قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أو شقاوتنا على وزن سعادة ووزن كتابة أي ملكتنا الأخلاق والعادات فبستنا في سجنها

المظلم فلم تر النور ولم تعرف الحقائق (وكنا قوما ضالين) عن الحق ذلك لأن الخلق متى ثبت في الإنسان وأحاط به منعه التجاوز عنه كما يرى في شارب التبغ والحر والمواد المخدرة والمولعين بالعظمة والكبرياء والمغرمين بالاسراف فهؤلاء قد يعرفون الحقائق ولكن الاعتياد والرياء وخشية الناس ملكتهم فلا يقدر على التخلص من ذلك (ربنا أخرجنا منها) من النار (فإن عدنا) إلى التكذيب (فأنا ظالمون) لأنفسنا (قال اخسؤا فيها) استكثروا سكوت ذلة وهوان أو ابعثوا كما يقال للكلب إذا طرد اخسأ (ولانكم لم تؤمنوا) أي في رفع العذاب أو لانكم لم تؤمنوا أصلا وذلك لأنه لا مناسبة بيني وبينكم لأنكم ماديون وأنا فوق المادة وإنما يكلمني من صفى نفسه من المادة وتقرّب مني باحتقارها والتبحر في العلم والحكمة . ويقال إن هذا آخر كلام يتكلمه أهل النار ثم لا يكون منهم بعدها إلا الزفير والشهيق وعواء كهواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون فانهم أولا يدعون مالكا خازن النار - يا مالكا ليقض علينا ربك - فلا يجيبهم ثم يقول - انكم ما كثبون - ثم ينادون ربهم - ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فانا ظالمون - فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يردّ عليهم - اخسؤا فيها ولا تكلّمون - إلى آخر ما تقدم وهذه ليست في الصحاح ثم قال تعالى (إنه كان فريق من عبادي) أي المؤمنين كأهل الصفة (يقولون ربنا آمنا فأغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخريا) تسخرون منهم وتستهزئون (حتى أنسواكم ذكرى) من فرط اشتغالكم بالاستهزاء بهم (وكنتم منهم تضحكون) قد كان كفار قريش يستهزئون بالفقراء من أصحاب رسول الله ﷺ كبلال وعمار وصهيب وخباب (إني جزيتهم اليوم بما صبروا) على إذا كنتم واستهزأتمكم (أنهم هم الفائزون) أي فوزهم بمجامع ما يطلبون (قال) الملك المأمور بسؤال الكفار لهم يوم البعث (كم لبثتم في الأرض) في الدنيا وفي القبور (عدد سنين * قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) لأنهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا من الهول والشدائد (فأسأل العادين) أي الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم وهم خالصون أصالة من المادة فلا عذاب عليهم ينسبهم الحساب (قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) أي ما لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم في الدنيا فهذا تصديق لهم (أخسبتم) أيها الناس (أنما خلقناكم عبثا) أي عابثين فنحن لم نخلقكم تلهيا بكم وإنما خلقناكم لتهدبكم ونعلمكم فترتقوا بأنفسكم وبمجرد اختياركم مع سابق علمنا وبتريتنا إلى عالم أرقى مما أنتم فيه فلم نخلقكم عابثين وقوله (وأنكم البنا لا ترجعون) معطوف على - أنما خلقناكم - (فتعالى الله الملك الحق) أي التام الملك لا ملوك الأرض الذين ملكهم معرض للزوال (لا إله إلا هو رب العرش الكريم) الحسن وتقدم معنى العرش في ﴿هود ويونس﴾ (ومن يدع مع الله إلها آخر) يعبدده (لأبرهانه له به) أي لاجته ولاينة له به لأن ذلك مستحيل (فأنما حسابه عند ربه) فهو يجازيه وهذا جواب الشرط (إنه لا يفلح الكافرون) أنه أي الشأن . ابتداء الله السورة بفلاح المؤمنين وختمها بعدم فلاح الكافرين ثم علمنا كيف نسأل المغفرة والرحمة فقال تعالى (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) فرحة الله تغني عن رحمة غيره * روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ﴿لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ - قد أفلح المؤمنون - حتى ختم العشر﴾ انتهى التفسير اللفظي للمقصد الثالث من السورة . وهنا ﴿أربع جواهر﴾

(الأولى) في قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون -

(الثانية) و(الثالثة) في قوله تعالى - كل حزب بما لديهم فرحون - وفي قوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة -

(الرابعة) وهي جوهرة في نور الأنوار وسر الأسرار في قوله تعالى - فن قلّت موازينه فأولئك هم المفلحون -

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - يا أيها المرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم ﴾
* وان هذه أممتكم أمة واحدة - الخ ﴾

قد تقدم الكلام على اتحاد الأمم المنتظرة في أول (سورة الحج) وتقدم أيضا في (سورة الكهف) كلام عام في الذي حل بالمسلمين من الخلاف في الخلافة وكيف قطعوا فرقا وذائق بعضهم بأس بعض وهناك الآن أشرح هذا المقام بشرح أوسع وأبهرج وأجل

فاعلم يا صاح أن هذا التفسير جاء في زمان ظهور الحقائق وانتشار الروح السعيدة في هذا النوع الانساني . ولقد كنت ألفت كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ قبل الحرب العظمى بأربع سنين ونشر إذ ذاك وما كنت أعلم أن ما أكتبه إذ ذاك أي منذ ثمانى عشر سنة وذلك سنة ١٩١٠ م سيصبح فكرة عامة عند الأمم الشرقية والغربية إذن أنا أحد الله عز وجل جدا كثيرا على ما أظم وعلم وزرع في الأفئدة الشرقية والغربية الآن فكرة كانت ضئيلة قبل الحرب العظمى فبدأت كركاك الآن ملخصا من كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ ثم أتبعه بما ألقاه محفوظ (كابول) ببلاد أفغانستان في شهر يونيه سنة ١٩٢٨ ثم ما تلاه بعد ذلك في شهر أغسطس من هذه السنة أيضا بعنوان « ميثاق السلم ونبذ الحرب بين الأمم » ثم أتبعه بفكرة عامة في الموضوع . فهنا ﴿ أربعة فصول ﴾
﴿ الفصل الأول ﴾ فيما جاء في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾

﴿ الفصل الثاني ﴾ في خطاب محفوظ كابول بمصر

﴿ الفصل الثالث ﴾ ميثاق السلم ونبذ الحرب

﴿ الفصل الرابع ﴾ فكرة عامة في هذا الموضوع

﴿ الفصل الأول في ملخص مما جاء في كتاب أين الانسان ﴾

أخلص لك أيها القارئ هنا (الفصل العشرين) من كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ فيه استخراج السلام العام في الأمم من النواميس الطبيعية والنظم الفلسفية والفطر الانسانية وبيان السياسة على أساس الطبيعة وأن مدنية اليوم حيوانية ودعوة الناس للانسانية الحقيقية . وبيان أن الانسان لم يفهم انسانيته وخطاب موجه لفلاسفة الأمم ثم نوابها وملوكها يدعو الأولين لبحث هذا الموضوع والآخرين للتعاون على العمل . وهناك جاء ما ملخصه

(١) إن عدد الذكران والنساء في المواليد على سطح الكرة الأرضية يكادون يتساوون وهذه قاعدة لم تخطئ إلا نادرا لعارض

(٢) وكما حصل ذلك في الذكورة والانوثة حصل في القوى والملكات فلا يكون الجبال المقروط ولا الذكاء المقروط ولا القوة المدهشة إلا نادرا على مقدار الحاجة لذلك

(٣) الأمم الوحشية لم تفقد الذكران أو الانثى حتى تقترب من أم أخرى فهكذا هي لا تفقد العقول الكبيرة المستعدة لإدارة شؤونها وارتقاؤها علما وعملا

(٤) إذا تركت تلك العقول في الأمم الضعيفة خسر الانسان العالم خيرات من الأرض ومن الهواء والماء على مقدار تلك العقول المتروكة

(٥) الأمم القوية خسرت من ربح الأرض على مقدار ما خسرت من عقول الأمم الضعيفة وفي صفحة (٢٣٢) و (٢٣٣) من الكتاب في الفصل العشرون المذكور ما نصه . هذه أهم مباحث هذا المقام

(١) هل قوى نوع الانسان موزعة عليه توزيعا حسب الحاجة كما في الذكورة والانوثة

(٢) هل المنفع موزعة على سطح الكرة الأرضية توزيعا على العقول

(٣) أيهما أفع للأنم الرشيدة أنسير على منوالها الرسوم ولا تتجاوز في سياستها أصغر الحيوانات كالنمل

أم تتدلى عنها الى شرفها واسعادها وصدقتها

- (٤) إذا كثرتعداد أمة أفلاتعطي أرضا من بلاد أخرى بمقدار نموها
 (٥) أحسن أن نحصى أراضى الأمم العامرة والغامرة
 (٦) أوليس من الجهل الفاضح أن تصرف قوى الأمم الى قتال أنفسهم ويذرون محاربة الطبيعة لاختضاعها
 أوليس من الواجب أن يوضع ناموس عام لاصلاح الأرض في كل أمة وتمدين الشعوب التى هى نصف رشيدة
 والتضافر بعد ذلك على اصلاح الباقي من الأمم طوعا أو كرها ثم يبين مقادير ثمرات العقول الخاملة ان أوقظت
 من غفلتها وما فوائد النحل الأمم الرشيدة منها
 (٧) أليس سعادة الانسان فى أن يكون ذا ملكة فى فن خاص تضارع غرائز الحيوان كنسج العنكبوت
 وهندسة النحل . فإذا وصل النوع الانسانى الى هذه الملكات فما مقدار الفوائد إذ ذاك
 (٨) الدول اللاتى ترجى من أضعاف غيرها وجهله فما الذى يجب أن يستعوضوا به عن الرجى بدل ما
 فقدوه . هذا هو الذى أردت تلخيصه من هذا الفصل فى كتاب (أين الانسان) الذى نشر قبل الحرب
 العظمى وبه انتهى (الفصل الأول)

(الفصل الثانى فى خطاب محافظ كابول فى فندق الكنتننتال بمصر فى شهر يونيه سنة ١٩٢٨)

ألسنت تهجأ أبها الذكى أن ما كنت أكتبه منذ ثماني عشرة سنة بصفة رأى خاص لى أصبح الآن يخطب
 به على المنابر فى بلاد الغرب وفى بلاد الشرق على رؤس الأشهاد . اللهم إني أحذك على نعمة التوفيق وعلى
 نعمة العلم وعلى انك أنت أبقيت حياتى حتى رأيت أهل الشرق عاقمة والمسلمين خاصة يجهرون بمثل ما كنت
 استنبطه استنباطا عقليا . فانظر الى انتشار هذه الآراء بين الأمم بعد الحرب العظمى وانتقالها من أمة الى أمة
 فهناك صورة الخطبة التى ألقاها على أحد خان محافظ كابول بذلك الفندق بمناسبة إبرام معاهدة الصداقة بين
 مصر وأفغانستان . فمنها قوله (إن يقظة الشرق ووحدة مشاعره ليست وليدة المصادفة بل انها ثمرة الصبر
 الطويل والتفكير وقد شملت الشرق جميعه من جبال طوروس الى أرزلبنان لجبال البامير بالهند الى سهول
 أفغانستان فالبوادى العربية فالعراق ففارس فالهند فالصين فسيبريا فاليابان . إن ممالك الشرق القديم قد
 استفاقت اليوم من رقادها الطويل فنهضت وتقدمت طالبة للحاق بمن تقدمها يقودها زعمائها الذين بثوا فى
 سواد شعوبها مشاعر الاخاء والاتلاف والتعاون على الاتحاد ولاطمح لهذه الشعوب غير عقد روابط الصداقة
 والولاء ونشر السلام العام وشعارها (الناس اخوة) . إن الأمم كالأفراد يسودها الشعور بحاجتها أينما حلت
 وكيف وجدت تحدوها الى نشدان الاتحاد والاتلاف بقطع النظر عن الجنس والمذهب ومتى توفرت لها
 البواعث للروابط والانضمام أمكنها إذ ذاك بلوغ مقاصد النجاح والهناء فتصل الى درجة من التقدم الصحيح
 الذى يبعثها على الوحدة التى تدرك بها القوة ومتى أدركتها تسنى لها أن تحمل راية السلام التى ينطوى فيها
 الهناء ونعومة البال وبها تتمكن من ادراك وحدة التصورات والأفكار وبلوغ المطالب الرفيعة وتلك هى غرض
 شعوب الشرق كيفما تنوعت المقاصد . فلولا تلك الحجة المضرة فى صدور تلك الشعوب المتباينة أجناسا
 المقيمة فى متعدد البلدان والأوطان لم تكن لتوجد تلك المشابهة التامة والعلاقة فى ميولها ومشاعرها باجتماعها
 الأمم المتباعدة والأقوام المتناثية وتقريب مجموعها بعضها الى بعض بعاطفة القرين والاخاء . وليكن معلوما
 أنه ليس لممالك الشرق فى تحالفها واتحادها وجهادها فى سبيل السلم ونشدان الحرية من غرض وقصد سوى
 الاتصال والتقرب الى أمم الغرب كي يتمكن الطرفان المتباعدان من الاشتغال وبذل الجهود فى توفير الخير
 والهناء والسلام لبني الانسان . وأقوى برهان نقيمه على ما قدمناه من الكلام فى هذا الصدد شعورنا بالسرة
 والارتياح وهما دليلا التضامن والاخاء اللذين جعنا شعب هذه البلاد فى دائرة واحدة بفضل زعمائها القديرين
 وهى لا ترجو من وراء ذلك التضامن والاخاء سوى الاستمتاع بثمرات السلم ونعومة البال ومتى أدركتها بلغت

الى اتمام التفاهم مع الأمم التي تتواصل واياها في المعاملات ومبادلات الأفكار . وما يؤسفني أن أجدر رجال
جمعية الأمم على خلاف ما ينبغي أن يكونوا عليه لأنني رأيتهم مختلفين فيما يجب اتخاذه من خبر الوسائل والطرق
لتوطيد السلام العام بين الأمم وأراهم الى الساعة لم يعجزوا شطرا واحدا من مهمته العظمى لخبر البشرية .
وأحب أن أكون متفائلا لو قلت ان جمعية الأمم الشرقية المنتظرة تكون يوما خير معوان لجمعية الأمم الاوروبية
لأنها تشد أزرها في اكمال تلك المهمة الكبرى واني قوى الرجاء في أنه لا يمضي زمن طويل حتى أسمع صوتا
من جمعية الأمم الشرقية مناديا بلزوم اكمال تلك المهمة الانسانية العظمى الساعية لاتمامها لجمعية الأمم الاوروبية
ويطر بني أن أقول انه كان من أثر زيارة جلالة الملك أمان الله خان لهذه الديار انعقاد روابط الود والتعارف
مع حكومات بلجيكا و بولندا وجمهورية سويسرا وعقدنا معاهدات صداقة ووداد مع حكومة بريطانيا العظمى
وجمهورية السوفيت وحكومة ايطاليا وجمهوريات فرنسا وألمانيا وتركيا وحكومة ايران . نعم ليس لنا في القارة
الافريقية أصدقاء ولبست لنا فيها علاقات . وان كان من حسن حظي انني نذبت الى مهمة عقد معاهدة ودة
وولاء مع حكومة مصر . ويسرني انها عقدت وأمضيت على أحسن ما يكون)

ثم قال) واني لأرجو أن تعقد معاهدة صداقة بيننا وبين جمهورية الولايات المتحدة وأود أن لا يفوتني مطلب
جدير بالنظر ألا وهو ان قصد عقدنا تلك المعاهدات مع الحكومة المصرية هو ضرورة توثيق صلات الود
والتعاون بين شعوب قارتى افريقية وآسيا)

يا حضرات الأصدقاء) تعرفون أنه ليس في وسع شرق يحترم ذاته أو يكرم وطنه أن يكتم سروره أو
يضمر شعوره حتى يذكر له تقدم اليابان ووثبة الترك ونهضة أفغانستان وبقضة ايران وتقدم مصر وما أصابته من
العزة والنجاح أولئك ثورة سورية أو لا تتر بمخيلته نهضة الشرقيين بالاجماع . كيف لا يفرح الشرقي ويهتز
طربا حين يتلى على سمعه ما تقدم من البيانات . الباعث الذي يحسه ويتأكده من أن الشرق أصبح قويا
لأنه عرف بأن جاءت الساعة التي أمكنت شعوب الشرق أن تقف وجها لوجه أمام أمم الغرب فتطرحها القول
مخاطبة إياها قائلة (أن ليس من همي وقصدي التنافس والسباق ولكن مقصدي أن أنقل عنك كل ما يحسن
اقتباسه من مدنيك ولا أترك شيئا مفيدا) وهذا ما يجب أن يكون صالحا لكلتا القارتين العظيمتين . ليس
ما شمل الأمم الشرقية من عوامل الجذل والسرور إلا لكونها مزقت غواشي الجهالة والتعصب وانقضت
أيدي أهلها عن انتداج والتقتيل وأدركوا الواجبات المفروضة نحو أوطانهم واخوانهم في الانسانية ذلك لأن
مشاعر التعاطف والائاء قد أوجبت عليهم هذه الفريضة نحو شركائهم في البشرية . هلا كان ذلك لداعي انهم
نبذوا الخلاف والشقاق واطرحوا النزاع أولأن كل أمة منهم كفت عن محاربة جارتها . كلا . ولكن لأنهم
اتحدوا واجتمعوا أمة واحدة وبهذا الاتحاد أمكنهم أن يقوموا بنصيبهم من العمل ويستعدوا لخبر الانسانية
جمعاء ناظرين الى جميع الأمم بأوطانها قاصبها ودانها كأحلاف واخوان صدق بقطع النظر عن اختلاف اللسان
وتباين العقيدة . ولا أكون مبالغا اذا قلت ان مصر جادة في هذا السبيل فانا نراها باذلة منتهى الجهد في
توثيق عرى الصداقة والسعى الى محالقة أكبر الدول وهو مأخذ لا ينشده إلا أعظم الرجال والأمم وهو الغرض
الأسمي الذي تسعى اليه بلادى المحبوبة وهي بلارب ستدرك ضالتها المنشودة . إن بلاد أفغانستان تبذل
أقصى جهدها لتحقيق روابط الصداقة مع شعوب العالم أجمع وتفرغ مجهودها لتوطيد قواعد السلام
العام والاتحاد بين أبناء البشرية . انني في هذه اللحظة أطير في سماء الخيال وأرى بعين البصرة كما لو أن
أجدادنا الذين رحلوا عن هذا العالم منذ مئات وآلاف السنين يخاطبونا فتصل الينا أصواتهم عن طريق
(اللاسلكي) منادبة إيانا قائلة (إن أرواحنا تخاطبكم بلهجة الصدق والاخلاص وانها تهزأ بكم وتسخر من
مدنيكم الكاذبة المصطنعة فانكم وسمتمونا بالخشونة والبربرية ولكن واحرقوا بنا منكم فانها نهمة كاذبة

وهي مردودة عليكم ولا يلحقنا شيء من عارها) . هم يقولون لنا (إننا كنا محددين لهذه العالوم الحديثة والمخترعات الجديدة والعلماء المتبحرين ولم يكن لدينا شيء من جبال وكال الأشياء والمواد التي هي اليوم بين أيديكم ولم يكن عندنا تليفون ولا ناظر ولا (لاسلكي) ومع ذلك تعودنا على أن يقتل الواحد منا الآخر إنما كان يحدث ذلك نادرا عند ثورات الطبع وفي أحوال الجوع أو الغضب أو في أحوال كان الإنسان لا يملك شعوره . وجهد ما كنا نعرفه من أساليب القتل هو استعمال أداة من شجر أو خنجر من حجر ولكنكم أنتم قد اطلختم جبال مدنيتم وعدائكم كال مخيم عازكم . فبدلا من أن تكون هذه المخترعات وسائل خير وفضل صارت سبة وعارا على العصر الذي وجدتم فيه . لقد تعمدت القتل على أهون سبيل بلا اكتراث ولا اهتمام واخترتكم الغازات السامة للهلاك واستئصال بني الانسان . واستخدمتم لكهربائية وطرق الاختراعات لتقصير الابعاد وتقريب المواصلات لاجبا بنفع بني النوع الانساني بل لقضاءهم وقطع دابرهم من على وجه البسيطة . أما نحن فلم يكن في وسعنا لنقتل فوق الأرض وتحت سطحها وفوق صفحة البحر وفي أعماقه وفوق صفحة السحب وفي جند السماء . وقد يأخذنا الشفاق عليكم لأنكم أجهلتم أدهمتكم وقواكم العقلية وتفكيرانكم وبذلتم المال والبلاتين من الأصفر الزمان لاستزادة مخترعات الهلاك والتصال النفوس البشرية التي حرم الله قتلها (إلا بالحق) ولم يخلقها إلا لاستمتاع الحياة وخدمة الآخرين . نعم انكم لا تتلون أفرادا ولكنكم تفرغون جهودكم في استئصال بني نوعكم واخوانكم في البشرية . إننا وغرة جبين الحق نهزأ بمخترعاتكم ونسخر بأفعالكم وبجرائنا أن نقول لكم ابقوا على حياة اخوانكم . لا تشربوا النزاع ولا تقووا أسباب الخصام والصراع . دعوا اخوانكم في البشرية يعيشون في سلام ويهنئون بدعة الحياة . دعوهم يشغلون خيرا أنفسهم وخيرا البشرية ولنفع أوطانهم . نعم إننا ارتكبنا ذنوبا ولكننا نبت الى الله عنها وسألناه رحمة ومغفرة . أما أنتم فتصوِّروا كيف نكون حالكم وبأى شيء تمثل مشاعركم عواطفكم بينما تسألون لتعطوا جوابا عن كبريائكم وشؤونكم التي استفحل أمرها واستطار ضررها . فكيف إذن يقارن موقفكم بموقفنا والفرق بيننا وبينكم عظيم . إن جمعية الأمم التي نظمتموها لم تنجز شيئا كما كان يجب أن تفعله على الحقيقة . ومن الواجب أن ترتبط بجمعية الأمم الشرقية وكلتا الجمعيتين تعملان بذا واحدة خير وتقدم بني النوع الانساني وكان حقا لازما على جمعية الأمم أن تصدر الأوامر التي كان يجب على دول الأرض المتعددة أن تمتثل أوامرها وتقوم باتمامها . ما فائدة مصاحفة اخوانكم في الانسانية بينما قلوبكم بعيدة عن استعمار أضعف العواطف اعتدادا بأن السياسة تقضي بذلك . ألا تعلمون أنه يجب علينا أن نكون مخلصين وصادقين في جميع مشاعرنا وعواطفنا حتى في السياسة فلا نستخدمها بطرق عوجاء لتكون سياسة المداينة والتدليس . إن بعضا منكم يوافقني والبعض الآخر يخالفني ولكنني أرجو أن يحمل نفر منكم أقوال وأفكارى على مجمل العطف بحسن النية والقصد . ويقتنى انكم توافقون على مبادئ وتعاليم السلم والاخاء البشرى فتمثلوا مقالى هذا بقصيدة من الشعر أو مقال من الشعر يبدو فيه جلال المطلع ولطف الأسلوب والقصد من سلامة الذوق . وإنى لأناشدكم السعى الى وجدان الوسائل لبث الدعاية لذلك الغرض الأسمى الذي أعتقد انكم توافقون على الغاية المنشودة من ورائه بروح الاخاء العام . وإنه ليسرتنى ويطر بنى أن أقول أن ملكتنا المحبوب جلالة (أمان الله خان) وجميع مواطني وشخصي الضعيف لاشأن لهم ولا غاية في مشايعة أو مناصرة دين على دين أو طائفة على أخرى بل إننا وبين الحق نرعى ذمة كل فرد من الناس ويسرنا أن نكون أصدقاء واخوان جميع الأمم والأشخاص ونعد أنفسنا إخوانا لكل دولة وأمة تحت أديم السماء مصافين أولئك الاخوان بيد الصداقة الخالصة وشعارنا يفصح عن قصدنا بهذا القول « كونوا خلصاء وأمناء لجميع اخوانكم » انتهى

(الفصل الثالث في ميثاق السلم ونبذ الحروب الذي أرسلته الحكومة الأمريكية الى الأمم كلها)

ونشر في مصر يوم الخميس ٣٠ أغسطس سنة ١٩٢٨)

فما جاء فيه مانصه (إن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس الجمهورية الفرنسية و جلالة ملك بلجيكا ورئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا و جلالة ملك بريطانيا العظمى و أيرلندا و الأملك البريطانية فيما إلى البحار و إمبراطور الهند و رئيس جمهورية الأرجنتين و جلالة ملك إيطاليا و جلالة إمبراطور اليابان و رئيس جمهورية بولونيا نظرا لما يشعرون به من الواجب الملقى على عاقلهم لزيادة خير الانسانية . ونظرا الى ايقانهم بأن الوقت قد آن للعمل على نبذ الحرب نبذا صريحا باعتبارها أداة لسياسة قومية توسلا لدوام بقاء العلاقات السلمية القائمة الآن بين شعوبهم . ونظرا الى اقتناعهم بأن كل تغيير في علاقاتهم بعضهم ببعض يجب أن لا يعمل له إلا بالطرق السلمية ولا يتحقق إلا بوسائل السلم والنظام و بأن كل دولة من الدول الموقعة تسمى من الآن فصاعدا لتنمية مصالحها القومية بحربها بالاعتناق بمزايا هذه المعاهدة (كذا) . ونظرا الى أنهم يرجون أن جميع الدول الأخرى محتذية مثاهم لا تلبث أن تشترك في هذه الجهود الانسانية وأن تلك الدول بانضمامها الى هذه المعاهدة بمجرد العمل بها تمهد لشعوبها سبيل الاستفادة بما احتوته نصوصها من المزايا فتجتمع بذلك كلمة شعوب العالم المتحدين على نبذ الحرب باعتبارها أداة لسياسة القومية نبذا عاما قد قرروا فيما بينهم إبرام معاهدة وعينوا لهذا الغرض المفوضين اللازمين . وبعد أن تبادل هؤلاء المفوضون وثائق تفويضهم التام و بعد أن تبيينوا صحتها اتفقوا فيما بينهم على المواد الآتية

(المادة الأولى) تعلن الدول المتعاقدة في صراحة وتأكيد باسم شعوبها المختلفة أشد استنكارها للانتحاء الى الحرب لتسوية الخلافات الدولية كما تعلن نبذها إياها في علاقاتها المتبادلة باعتبارها أداة سياسية قومية (المادة الثانية) تقرر الدول المتعاقدة بأن تسوية أو حل المنازعات أيا كان نوعها أو سببها يجب أن لا يعالج أبدا إلا بالوسائل السلمية

(المادة الثالثة) تصدق الدول المتعاقدة المبينة أسماؤها في الديباجة على هذه المعاهدة وفقا لمقتضيات دساتيرها وتصبح المعاهدة نافذة بينها متى أودعت جميع وثائق التصديق في (وشنجطون) وعند ما تصبح هذه المعاهدة معمولا بها على الوجه المشار اليه في الفقرة السابقة يباح لسائر دول العالم الانضمام اليها طوال الزمن اللازم لذلك وتودع الوثيقة الدالة على انضمام كل دولة في (وشنجطون) وبمجرد هذا الإيداع تصبح المعاهدة نافذة بين هذه الدولة وبين الدول الأخرى المتعاقدة . وعلى حكومة الولايات المتحدة أن تقدم الى كل من الحكومات المبينة في الديباجة ولكل حكومة تنضم الى هذه المعاهدة فيما بعد صورة طبق الأصل من المعاهدة المشار اليها ومن كل وثيقة من وثائق التصديق أو الانضمام . وعلى حكومة الولايات المتحدة أيضا أن تخطر تلغرافيا تلك الحكومات بكل وثيقة من وثائق التصديق أو الانضمام بمجرد ايداعها . واشهادا بما تقدم وقع المفوضون ووضعوا أختامهم على هذه المعاهدة باللغتين الفرنسية والانجليزية على أن يعتبر كلا النصين مرجعا يعتمد عليه . وقد صدر بباريس في اليوم السابع والعشرين من شهر أغسطس سنة ألف وتسعمائة وثمانية وعشرين

كل ما يتعلق بالتصديق على هذه المعاهدة والانضمام اليها من الأحكام مبين (كما نلاحظون معاليكم) في (المادة الثالثة) الأخيرة . فهذه المادة تنص على أن المعاهدة تصبح نافذة بمجرد ايداع تصديق جميع الدول المبينة أسماؤها في الديباجة في وشنجطون وعلى أن باب الانضمام اليها سيظل مفتوحا لجميع دول العالم كما أن وثائق الانضمام تودع أيضا في وشنجطون . وكل دولة ترغب في الاشتراك في هذه المعاهدة لها حق الانضمام اليها . وعلى ذلك فإن حكومتني تكون سعيدة بأن تتلقى في أي وقت مناسب اعلان الانضمام من الحكومات

التي ترغب في الاشتراك في نجاح هذه الحركة الجديدة لسلم العالم بادخال شعوبها في دائرتها المباركة . ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد أن هذه المعاهدة تنص بكل وضوح على أنها عند ما يعمل بها تصبح نافذة بين الدولة المنظمة وبين باقي الدول المتعاقدة على وجه السواء وعلى ذلك فمن الواضح أن كل حكومة منظمة سنشارك اشتراكا كاملا في المزايا منذ الوقت الذي تصبح المعاهدة فيه نافذة . انتهى الفصل الثالث

(الفصل الرابع فكرة عامة في هذا الموضوع)

سبحانك اللهم تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك أنت الذي خلقت هذا الانسان وقلت له بعد أن قطع أجالا طويلة تبلغ آلاف مؤلفة - وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون - ثم ذكرت أنهم أعرضوا ففقطعوا أمرهم بينهم زبرا - . اللهم إنك عاملت هذا الانسان معاملة الرفق والتربية الحسنة . فأولا قلت له إني رببتك والتربية تشمل جميع العلوم المجملة في الفاتحة في قوله تعالى - الحمد لله رب العالمين - وهي تشمل العلوم كلها ثم أمرته بالعبادة والعبادة ترجع الى (أمرين) العلاقة بين العبد وربّه . وبينه وبين نفسه وبني الانسان . فالأولى يرمز لها بنحو الصلاة لأنها صلة بين العبد وربّه والثانية يرمز لها بنحو علم الأخلاق وبنحو الزكاة . فعمل الأخلاق يطهر النفس والزكاة وأمثالها لتحاب نوع الانسان والمودة معهم . أما هذا الانسان فإنه قد سها كثير من نوعه عن العلوم التي أمر بها في قوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - مثلا وكثير منهم أيضا ضلوا السبيل في معاملة بعضهم بعضا فهم في حرب وضرب أمد الحياة . أمركم (كونفوشيوس) في الشرق الأقصى قديما بالمحبة العامة والمودة وكذلك المصلحون من الهند مثل (خريستا) ومثل (بوذا) ثم جاء المسيح ابن مريم وأمر بالحب العام . كل ذلك جاء لنصح الناس أن يكونوا أمة واحدة . وجاء القرآن الشريف بالسلم وأن يكون الناس أمة واحدة بالدخول في الاسلام وهناك لا يكون حرب فلم يكن ذلك

ألا تتجنبوا أن القرآن الذي جاء فيه محاربة الكافرين هو الذي جاء فيه آية تفيد أن الحرب ستنتهي يوما ما إذ قال تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وقال علماءنا (ذلك يوم لا يبقى في الأرض إلا مسلم أو مسلم) فانظر ماذا فعل الله لذلك اليوم أي يوم السلام العام . ألهم علماء الكيمياء والهندسة ذوى العقول العبقريّة فاخترعوا آلات الحرب والدمار وكثرا استعداد للحرب وآلات الهدم والتخريب . سبحانك اللهم أنت الذي سلطت على قطن الولايات المتحدة (كما تقدم في سورة الأنبياء عند قوله تعالى - ونبلوكم بالشدة والخيرفة -) دودة اللوز ففتكت بنفس القطن داخل غلافه الذي يسمى باللوز . فهذه الدودة التي أرسلتها اليهم ففتكت بقطنهم هي التي علمتهم كيف يقتصدون في زراعته وكيف ينتفعون بأرضهم في زرع أخرى وكان ذلك الشرّ الناجم من الدود هو عين الخير الذي نصحت به الحكومة هناك والعلماء والخطباء فلم يفد يا الله نصح الناصحين هناك ولا خطب الخطباء ولكن الذي أفادهم إنما هي دودتك التي وعظتهم بالعمل لا بالقول فتم الخطيب خطيبك ونعم المعلم معلمك . فهكذا يارب عاملت الأمم كلها معاملتك لأهل أمريكا في قطنها . أرسلت الأنبياء وألهمت الحكماء فقالوا للناس عيشوا بسلا فأتوا ونحاربوا وتقاتلوا ولم نجد في التاريخ الحديث ولا القديم أمة من امة الأرض إلا وقد افتخرت بالحرب والفتك وجعلته أهم فضائلها ومناقبها . هنالك أرسلت لهم خطباء غير الخطباء السابقين وماهم إلا تلك الدمرات . وهاك أيها الذكي ماقالته جريدة (منشستر جارديان) تحت عنوان (الحرب المقبلة)

تبين من التمرينات الحربية الجوية الأخيرة أن الدفاع عن لندن غير مستطاع حتى في رابعة النهار من هجمات الطائرات الحربية . فما نقول عن سائر المدن الانكليزية الأخرى . ماذا نقول عن (برمنجهام) و (منشستر) و (ليدس) و (لفربول) والجهات الشمالية (واسكوتلنده) . ولربّ معترض يقول ان (لندن) يمكن اخلاؤها ولكن أين تذهب ملايين السكان وإلى أين يلجئون . إلى المعسكرات والمضارب حيث يكونون

أكثر استهدافا للخطار مما لو كانوا في مدينة ذات مبان عالية تقبهم شرّ الغازات السامة وأقبة أرضية تخفف عنهم فتك القنابل الهائلة الانفجار . ربما كان هناك بعض الانصاف في ما طرأ على حالة الحروب الحديثة من التغيير والتبديل فالملكيون لا الجنود هم الذين يصنعون الحرب فمسؤولية الحروب ليست على الجيش بل على الحكومات والبرلمانات والناخبين وكان الجنود فيما مضى هم الذين يقاسون ويلات الحرب . نعم ان الملكيين قد قاسوا وبال الحرب العالمية الأخيرة أيضا ولكن ذلك كان في انكلترا أقل منه في فرنسا وفي فرنسا أقل منه في ألمانيا وفي ألمانيا أقل منه في روسيا . ففي روسيا عانى الجميع أهوال الحرب سواسية فقد سقطت قنابل من الجوّ على لندن وباريس ومدن ألمانيا الغربية وفتكت بالرجال والنساء والأولاد . وقد شعر جميع السكان بهول الهجمات الجوّية وتولاهم الرعب ولكن سرعان ما نسي الناس المخاوف . وقد كان عدد الذين قتلوا وأصيبوا في الحرب العالمية كبيرا جدا ومع هذا كان باعتبار البشر من الامور الطفيفة وكاد يصبح نسيا منسيا ولكن كل أوروبا الوسطى حوصرت وكاد الناس في ألمانيا والنمسا يموتون جوعا ولم تكن حالة الملكيين غير المحاربين أفضل كثيرا من حالة الجنود المحاربين في الصفوف الأمامية . ولهذا السبب بات الألمان والنمساويون يكرهون الحرب أكثر مما نكرهها نحن في انكلترا . ولكن في الحرب المقبلة سينال الملكيون في انكلترا نصيبهم من الأهوال إذ من المؤكد أن الجنود في الصفوف الأمامية (ان كان هناك صفوف أمامية) والبصارة في السفن الحربية والطيارين في الجوّ سيكونون أكثر طمأنينة من أهالي لندن أو منشستر أو غيرها من المدن عند ما تكون طيارات العدو في جّوها . وقد بدأ الانكليز يدركون الآن أهوال الحرب الجوّية ويعلمون أن مخاطرها فوق ما يتسنى للعقل البشري تصوّره والفضل في معرفة ذلك للتمرنات الحربية الجوّية . فهل تفهم الحكومات هذا الفهم . ففي اليوم العشرين من شهر يونيو عام ١٩١٨ وقف المستر (بلفور) وقال في مجلس العموم البريطاني ما يلي

﴿ من يشعر بأهوال الحرب أكثر من الذين كانوا السبب في اضرام ناراها وعلى من تقع تبعه الدماء المسفوكة والأموال الضائعة ومن الذي يرزح تحت عبئها . وكيف يمكن أن يشعر رجل أوطانقة من الرجال أكثر مما يشعر بها الجالسون على هذه المقاعد ﴾

إن أقوالا كهذه جعلت الجنود في الخنادق يدركون بعد الشقة السحيقة بينهم وبين الحكومات التي في أيديها مصيرهم ولكن في الحرب المقبلة سيكون الأهالي في مدنها وولاة الامور في دوائرها والجنود في خنادقهم رفاق حرب سواسية أكثر مما كانوا في الحرب الأخيرة . ولكن هل يزيد التقارب بينهم الى حدّ التفاهم المتبادل . لا ريب أن الأهالي الملكيين والجنود سيتفاهمون ولكن أعضاء الحكومة يتسنى لهم أن يلتجؤوا الى أما كن بعيدة ويحصنوا في معازل مأمونة . ولكن في الحرب المقبلة سوف لا نكون هناك أما كن بعيدة أو ملاجئ منيعة . وربّ معترض يقول انه مع هذا تكون الحكومات أقل استهدافا للخطار من الأهالي والجنود . فهل هذه الفكرة أو الافتقار الى سعة التصوّر ماحدا بالحكومات ولاسيما حكومتى انكلترا وفرنسا الى التسكّؤ في الموافقة على تحريم الحرب والتخوّف منه . إن ميثاق تحريم الحرب الذي هو أفضل مشروع قام به البشر حتى الآن قد أضعف وخط من شأنه بالتحفظات والتعابير حتى بات شبحا مما كان يقصد منه . ان الدوائر المتعقّلة ذات الروية والتفكير العميق في انكلترا غير مرتاحة الى ما حلّ بميثاق تحريم الحرب من البتر والانتهاك ولا يتسنى لأية حكومة أن تردى آراء هذه الطبقة ولاسيما عند ما ترى مساعي أمريكا السلمية ونشاهد ألمانيا تقبل الميثاق بلا قيد ولا شرط . أليس في ذلك ما يحجل حكومتنا وحكومة فرنسا حليفنا السابقة . كان من الواجب على انكلترا أن تكون هي الساعية الى تحريم الحرب ليس لما لها من النفوذ العظيم والمكانة العالية في المدينة حسب بل لأن عليها أن تهتم براحة رعاياها ومستقبلهم . لقد كان أهالي انكلترا في القرون

الغارة مطمئنين الى سكتى هذه الجزيرة آمين هجمات الأعداء بفضل أساطيل دولتهم الضخمة وحصولها المنيع . أما الآن فانهم معرضون للمخاطر كثيرهم بل أكثر من غيرهم . نعم إن طائرات انكارترا يتدنى لها مهاجمة (باريس) و (كولون) ولكن الدفاع الجوى عن لندن غير مستطاع إلا بطريقة واحدة وهي صد الطائرات قبل وصولها الى جوق (لندن) ولكن لندن أكبر المدن وأقربها الى معظم قواعد الطيران الأجنبية فهي والحالة هذه أسهل تدبيراً من سواها وباريس وكولون معرضتان لهجوم الطائرات مثل (منشستر) وليتصور القارئ كيف يكون منظر (ميدان البرت) لو أقيمت فيه قنبلة واحدة من القنابل الضخمة (وهي تعد جسيمة جداً اذا قورنت بالقنابل التي استعملت في الحرب العظمى) التي ستستعمل في الحرب المقبلة . إن (ميدان البرت) يصبح إذ ذاك حفرة هائلة محوطة بأطلال المنازل المدمرة تقطعها أشلاء الناس المعزقة ثم تصور أيها القارئ ماذا تكون حالة (لندن) اذا أقيمت عليها مئة قنبلة من هذا النوع (وايس ذلك بالعدد المستحيل) وانظر الى ذلك الدمار الهائل وانصت الى صياح المصابين من الآدميين الذي لا يعرفه إلا من خاض غمار الحرب . إنه أقطع صوت يصدر من أي حيوان . اذا كبرت إحدى الحكومات ولم تشأ أن تفهم ماذا يفكر الناس وماذا يخافون فيجدر بها أن ترجع بذكريتها الى الحوادث التي نجمت عن الحرب العالمية منذ عشر سنوات . ولتعتبر بما أصاب حكومات (روسيا) و (ألمانيا) و (النمسا) و (بلغاريا) وكيف قلبت واستهدفت لمخاطر الثورات والفتن حتى أن روح الثورة لم يقصر على الدول المقهورة بل تعداها الى غيرها . فهل غاب عنا أن فرقة فرنسوية ولت ظهورها للميدان وشرعت في الزحف على باريس عام ١٩١٧ م وهي تهتف بسقوط الحكومة واقامة حكومة جديدة ذات نظام جديد . ففي الحرب المقبلة سيقاسى الغالب أكثر مما قاسى المغلوب في الحرب الماضية . وقد لا يتسنى للحكومات المنتصرة التخلص من انتقام رعاياها . نعم يجب على حكومات هذا العصر أن لا يعزب عن بالها ما حدث في الحرب الأخيرة فان ما حدث في روسيا لا يبعد أن يحدث في كل مكان . فتحريم الحرب والحالة هذه هو أول واجبات الحكومات . ويجب أن يكون محكماً لتأييدها أو إسقاطها وأن يكون أساس جميع أعمال وزارات الخارجية وأهم برامج مرشحي الانتخابات اهـ

(حكمة إلهية ونور على نور ونبصرة وذكرى وشكر لله تعالى)

ها هو ذا خطاب لمحافظ كابول . فهو يقول ان أوروبا لم تقم بالأمر حق القيام ويقول ان الشرق سيقوم بأمر السلام العام . وأنا أقول . أليس هذا من العجب . لقد كتبت في سورة (الأنفال) حين طبعها منذ سنتين في صفحة (١٣) في تفسير قوله تعالى - وأصلحوا ذات بينكم - مانصه

(الأم الإسلامية وجميع الأمم . انظر رعاك الله نحن أولاء في عصرنا الحاضر كيف نسمع أن أوروبا لها جمعية أمم وان لم تقم بواجبها بل ظهر أنها تريد ابتلاع الشرق وهضمه وأهم بلاد الشرق بلاد الاسلام ، فلماذا لا نرى أمم الاسلام لرابطة بينها ولا قوة تحفظ توازنها ولو صورية كجمعية الأمم الصورية فان هذه الجمعية وكذلك محكمة لاهاي ربما تأتيان بالغرض على طول الزمان وهم الآن يلجؤون اليها عند الخصام . فلماذا نرى المسلمين ليس بين دولهم مثل هذه الجماعات) ثم قلت في صفحة (٢٠) ماملخصه (ان قوله تعالى في سورة الحجرات - انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم - الخ وقوله فيها أيضاً - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا - ويضم لهاتين الآيتين آية - وأصلحوا ذات بينكم في (الأنفال) فينتج من ذلك صلح بين المسلمين وتعارف بينهم وبين غيرهم . وقد قدم لله الصلح بينهم في الذكر على التعارف مع الأمم كترتيب العمل إذ لا يتعارفون مع الأمم إلا اذا اصطلحوا فيها بينهم)

هذا ملخص ما ذكرته هناك . انه لم يض على كتابة هذا وطبعه سنتان اثنتان . أفلا تعجب اننا الآن نسمع محافظ كابول جاء من أقصى البلاد في الشرق الى مصر وهو يخطب قائلاً نحن الذين نقوم بالسلام العام

وأظهر تباطؤ أوروبا . اللهم إنك أنت المعلم الملهم الحكيم العليم . لقد وضح واستبان السبيل وأظهر لي أن هذا زمان الإصلاح والافاضة هذا الاسراع في ظهور الحقائق . أنلهف على « جمعية أم شرقية » فلا يمضي زمن حتى أسمع من أفواه رجال السياسة في الشرق الذين كانوا عندما كتبت الموضوع السابق لا يسمع لهم صوت . صدق الله إذ قال - اعملوا أن الله يحيى الأرض بعد موتها - . إن نهضة الشرق اليوم بحمد الله الاسراع حينئذ والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - اهـ

هذا الذى ذكر قبل الحكمة الالهية المذكورة هنا هو ما جاء في تلك الجريدة الافتتاحية وهو بين صفحة من أحوال الأمم التى تعيش معها اليوم وأن الله فعل معهم ما يفعله الأب الشفيق بأولاده والاستاذ الصالح بتلاميذه فأولا يأمرهم وينهاهم ثم بعد ذلك يعاقبهم لا انتقاما بل تعليما . فهنا علم الله الأمم السلام العام الذى أشار له بقوله - حتى تضع الحرب أوزارها - بالهام المفكرين اختراع آلات جهنمية فأجفلت الأمم من الحرب وقالوا كلا . كلا . نصطليح يا الله . نصطليح ونسمع قولك - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - فهانحن يارب جئنا لتعارف بصوت الرهبة لا الرغبة لأننا بالرغبة ما أطعناك ولكننا بالرغبة اتبعناك . هذا هو الذى ظهر في الأمم الآن من الآية التى نحن بصدددها وهى قوله تعالى - وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون - وقد قلنا إن السلام العام من أحد شقى العبادة وكما فعل الله عز وجل مع الأمم في أمر السلام هكذا فعل معهم في أمر العلم الذى تضمنه قوله - وأنا ربكم - فإن الناس لما قصروا فيه لاسيا المسلمون منهم سلط عليهم أنواع المؤذيات ومنها الحشرات لتسوقهم الى العلم لأنهم اذا رأوا أنهم تنتابهم الحى بلا سبب يعرفونه بالاحشرة صغيرة تسمى (الكولاكس) فهذه هى التى تضع في أجسامهم الحى فانهم لاحالة يجتدون في علم الطب وعلم الطب يحتاج الى أكثر علوم الحيوان والنبات والمعادن والهواء والماء وأضواء الكواكب والحرارة والبرودة وما أشبه ذلك . إذن هذه الحشرة وأمثالها أرسلها الله (لأمرين) تعليم الناس جميع العلوم واتحاد الأمم في مطاردتها . إذن المدمرات على (قسمين) مدمرات طبيعية تعرض على معرفة العلوم وعلى الاتحاد العام في مطاردتها . فلما لم يفهم النوع الانسانى ذلك سلط عليه المدمرات الصناعية المتقدم ذكرها . ولعلك تقول في أى وقت جاءت هذه الحشرة . أقول قد جاء ذكرها في آخر شهر أغسطس سنة ١٩٢٨ فإن المرض تفشى في اليونان فمات كثير من الأطفال والشيوخ وأصيب به مائتا ألف وقال الأطباء إن هذه الناموسة هى التى تنقل هذا المرض وليس ينتقل باللامسة . إن الله لم يرسل لنا ذلك إلا للتحض على علم الطب كما قدمنا والطب لا يقوم به إلا طائفة في الأمة وبقيتها لهم أعمال أخرى والأمم متجاورة وكامهم يجب أن يتعاونوا على درء هذا الخطر وكل وباء عام . إذن هى تعليم من الله لا غير وهذا كله داخل في قوله تعالى - وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم ذربا كل حزب بما لديهم فرحون - ثم قال تعالى - فنذرهم في غمرتهم حتى حين - ثم أشار سبحانه الى أن ما يمتهم به من المال والبنين ليس مسارعة لهم في الخيرات بل هم ممتحنون . هذا ما فتح الله به في تفسير هذه الآية ومصادقها في زماننا ولست أقول ان ما ذكرته الآن سيمنع الحرب حتما ولكننى أقول ان العجب أن يكون ما ذكرته قبل الحرب فكرا أصبح اليوم منتشرا بين أمم الأرض والمستقبل لله وحده هو علام الغيوب والحمد لله رب العالمين

(الجوهرة الثانية في قوله تعالى - كل حزب بما لديهم فرحون -)

(الفيل والعميان الست)

اعلم أن هذا النوع الانسانى مجبول على الخلاف . مقصور على الشقاق . تنوعت البصائر فاختافت الآراء . الحقيقة واحدة والآراء شتى ولا يحصى عنها ولا فرار منها . وهل أنك نبأ العميان الست في كتب الانجليز الذين يقال انهم كانوا في بلاد الهند وقد أغرموا بالعلم والبحث غراما وأولعوا به هياما فأجبعوا أمرهم بينهم أن يدرسوا

(الفيل) دراسة تامة فقام ﴿ أولهم ﴾ وتقدم الى الفيل فاصطدم به حتى كاد يسقط على الأرض لأنه قابله من جانبه فصاح قائلا ﴿ أيها الاخوان إن الفيل أشبه بالخناظر ﴾

﴿ الأعمى الثاني ﴾

فاقترب الثاني منه وقد عثر بنابه اذا هو مدور وناعم وحاد فصاح قائلا ﴿ إن الفيل أشبه بالحربة ﴾

﴿ الأعمى الثالث ﴾

فاقترب الثالث منه وقد عثر على خرطوم فصاح قائلا ﴿ إن الفيل أشبه بحية تسمى ﴾

﴿ الأعمى الرابع ﴾

فاقترب الرابع منه وقد عثر بركبته فصاح قائلا ﴿ ما أقوى هذا الحيوان إنه كالشجرة ﴾

﴿ الأعمى الخامس ﴾

فاقترب الخامس منه وقد عثر بأذنه فصاح قائلا ﴿ ما أشد عماكم أيها القائلون . وكيف تقولون ما لاتقولون . إنما الفيل أشبه بالمروحة ﴾

﴿ الأعمى السادس ﴾

فاقترب الأعمى السادس منه وقد أمسك بذنبه فقال ﴿ إنما الفيل كالجبل . وهذا قول الحق الذى فيه تختلفون ﴾ . إن هؤلاء العميان الست المندبين قد تناقشوا وكل أدلى برأيه وكل منهم مصيب فى رأيه من وجه ومخطئ من وجه آخر . هذا تمام الحكاية الانجليزية . ولقد رأيت نفس هذا المثال فى كتاب ﴿ إحياء علوم الدين ﴾ للغزالي . وليس المقام مقام البحث عن أصل هذا المثل من الذى قاله ولكن اذا كان الانجليز قد كتبوه فى كتبهم ونقلتها الآن عنهم وقبلهم الغزالي فى الاحياء دلنا ذلك على أن هذا المثل من وضع الهند لأن الكتاب الانجليزى يقول انهم من الهند وافق الغزالي وعلماء الانجليز على أن موضوع المثل هو (الفيل) والفيل يعظمه الهنود . إذن فلنشرح فوائد هذا المثل . إن هذا المثل ينطبق على أحوال هذه الدنيا فالناس فى ما كانهم ومشاربهم وملايسهم ولذاتهم ودياناتهم وعلومهم يختلفون ويجمع هذا كله من أول هذا المثال الى الآن - كل حزب بما لديهم فرحون - فالذى ربي فى قرية لا يحب أكثر منها وعالم الرياضة يألفها وعالم النبات معرم به وهكذا الحيوان والسياسة وعالم اللغة وهكذا نجد الذى قرأ اللغة الانجليزية من المسلمين أو الفرنسة أو الألمانية وقد درس تاريخ القوم فانه لا محالة يحبهم وهكذا الشافعية والحنفية والمالكية والشيعة وهكذا الزراع والصناع والتجار كل له غرض يهواه بحسب مائشأ عليه وما اعتاده فقله تعالى - كل حزب بما لديهم فرحون - قد فسر المثل المضروب بالفيل فى الشرق والغرب معا . الله أكبر . القرآن كتاب عام والمثل المذكور عام ولكن الحكمة القرآنية أبهى وأجل وأبهر وبهذا تظهر البلاغة والجد لله رب العالمين

هذه مسألة (الفيل والعميان) تمثل لنا اختلاف العقول وأحوال الأمم والحكام . وأذكركم نبأهم فى هذا المقام مجلا فأقول

اعلم أن كل حكيم من حكماء الأرض وعالم يلقى للناس من العلم ما يراه سعادة لهم فى أمورهم المادية والمعنوية وجيمهم كهؤلاء العميان يدورون حول الحقائق وكل يقول ما يفهمه والله يقول لهم جميعا - وما أوتيتهم من العلم إلا قليلا - . فانظر الى

﴿ (١) سقراط ﴾

كيف استخلص الباحثون من آرائه القواعد الآتى ببيانها

(أولا) ان الانسان فى ميوله وأحواله يقصد السعادة

(ثانيا) ان الخير والمنفعة مترادفان

(ثالثاً) ان العلم هو أس الفضيلة

(رابعاً) ان الخير العام مقدم على الخير الخاص

(خامساً) ان الجبال شطر من الأخلاق

(سادساً) إن الشرائع الوضعية مستمدة من الشرائع السماوية

ويقولون بأنه يرى أن حياة الفيلسوف هي أسى ضروب الحياة لأنها مؤسسة على الحكمة والتمييز ولأنها تجلب لصاحبها أكثر ما يتيسر ليله من السعادة والمسرّة الخاليتين من شوائب الأكدار وأن حياته هي الحياة المثلى لأن رائده فيها البصيرة ورعاية المصلحة . وما يستخلص من آراء (أفلاطون) أن الناس ليسوا سواسية في المداكر والأخلاق وأنه من الخرق أن الجاهل يحكم العاقل والسفلة تحكم العلية لأن العاتية في رأيه ليس عندهم من البصيرة ما به يدركون الخير لهم فهم يجهزون لذلك عن ادراك ما هو خير لغيرهم وكذلك لامناص لهم من أن يجتنبوا التعرض لشؤون الأمة بل أن يلقوا مقاليدهم لمن أوتوا الفطنة والبصيرة وحسن الإدارة وهم الفلاسفة فاذا أصبح الفلاسفة حكاما سلكوا بالناس سبيل السداد ورفعوا عنهم أذى القوضى والاستبداد ويوجب (أفلاطون) أن يجعل وصف العقلاء مقتصرًا على الفضيلة كالشجاعة والعفة وينفر من الرذيلة كالخيانة والفتجور وأن تحظر الأشياء الغرامية التي تحدث خورا في العزائم ووهنا في القلوب . وكذلك يجب على الحكومة أن تحمل الناس على دينها فلا تدعهم يعيشون بالعقائد ويدبنون بما يشاؤون اهـ

(٢) آراء الفارابي

ويقول الفارابي من علماء الاسلام في كتابه ﴿آراء أهل المدينة الفاضلة﴾ مملخصه «إن الأمم تجتمع إما باللغة وإما بالدين وإما بالقرابة والنسب وإما بالمصاهرة وإما بالوطن وإما بالمعاهدات وإما بالملك الذي يجمع الجميع وإما بأن تستعد الأمة جماعة وهؤلاء وعبيدهم يستعدون غيرهم وهكذا . ويقول إن هذه كلها مدن فاسقة وليس عنده مدينة فاضلة إلا في أن تكون الأمة كلها هيئة مركبة من جماعات كل منهم يعمل فيما يناسبه بحيث يكون فيهم من هم كالقلب ومن هم كالرأس ومنهم من هم كالعدة ومن هم كالعظام ففيهم الخادم والمخدوم ولكل منهم حظ بما يناسبه من العمل ورئيس المدينة إما واحد إن اجتمعت فيه صفات الكمال وإما جماعة بحيث يكون لكل واحد صفات تغير غيره وصفات الجماعة كلها تكون قائمة مقام صفات رئيس المدينة الفاضلة وتكون الممالك كالمملكة الواحدة فتكون الأرض كلها كرة فاضلة . هذا ملخص ما قاله الفارابي

(٣) آراء أرسطو

ويقول (أرسطو) من حكماء اليونان مانصه ﴿إن الفضائل وسط بين طرفين فالحكمة وسط بين السفه والبله والشجاعة وسط بين الجبن والجور وهكذا والفضائل العقلية تكتسب بطرق تهذيب النفوس . وأوجب أن تعتني الحكومة بالطفل قبل خلقه بأن تسق للزواج قوانين خاصة لرعاية صحة الأجنة والأطفال . وأوجب الاعتناء بتغذية الطفل وملبسه وتربيته كتمرين تلاميذ المدارس الآن وإذا كبر تهيمن الحكومة على تربيته وعنده أن الموالى والصناع بحاجة الى العناية بهم وهكذا النساء بخلاف بذلك (سقراط) القائل بأنهن يربين كما يربي الرجال وأوجب الموسيقى . وقال ان الأعمال البدنية يجب أن تكون غائبة ضبط النفس وكبح جراح الشهوات وتجميل صورة الجسم وتكوين العادات الفاضلة لا مجرد القوة الجنائية التي بها يتباهى المغرمون بالألعاب البدنية ولا الضراوة والقساوة اللتين يفتخر بهما الجنود في الحروب فانها إن قصد منها القوة الجنائية خسب كانت متعبة للأجسام شاقة على النفس وان قصد منها الضراوة وتقسية القلوب كانت مظهرًا من مظاهر الوحشية القاسية . ويجب أن تتدرج هذه الألعاب في صعوبتها وأن لا تبدى التمرينات العنيفة أو الحسنة

إلا بعد هذه السن . وأوجب الموضوعات الأدبية وهي تشمل القراءة والكتابة والرسم . وأوجب أن لا تعلم من أجل منافعها المادية فحسب وإنما تعلم لأسباب نفسية أسمى وأعلى . فالقراءة والكتابة وسيلتان لتزويد الفكر بأنواع المعارف والرسم يربي قوة الذوق ويساعد على تعرف الجبال والموسيقى عنده العدة في تثقيف العقول وتعليل النفوس المكدودة واثارة العواطف السكامة وشغل أوقات الفراغ بأفضل أنواع المسرات . وبعد أن أفاض (أرسطو) في فوائد الموسيقى شرح أنواعها وما يسوغ منها تعلمه والأنشيد التي يحسن انشادها وفضل أن يتعلم الأطفال الإيقاع على المزاهر حتى تتسكون لهم ملكة الذوق والنقد ولكن يجب أن لا يغالى في ذلك حتى يصلوا الى المهارة الفنية لأن ذلك لا يليق بالرجل المهذب . وأوجب أيضا التربية الفكرية ويوافق (أرسطو) أفلاطون في دراسة العلوم الرياضية في هذه المرحلة دراسة عالية ولا سيما العلوم الهندسية والطبيعية والفلكية وينصح بدراسة المنطق وعلوم الحياة . ويرى مع هذه التربية النظرية العالية ان تسيروا الى جانبها التربية العملية فيأخذ الشبان بتجربات في الأعمال والواجبات الوطنية كالأعمال الادارية والتشريعية والقضائية اه

(٤) آراء ابن سينا

ذكر في (كتاب القانون) في علم الطب بأنه يجب العناية بتدبير الحوامل واللاتي قاربن الولادة بان يتناولن الغذاء الجيد ويأخذن نصيبهن من الرياضة البدنية ويحجن الاجهاد في العمل ويتحررن جودة الغذاء ونظافته الخ . ثم ذكر في هذا الفصل واجب المولدة والأُم لينشأ طفلا يقاوم الأمراض موفور الصحة حسن الأعضاء والشكل . وذكر أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فان منع مانع من ارضاعه لبن أمه من ضعف أو فساد لبن أُممى الى الرقة فينبغي أن تختار له مرضع على الشروط التي نصفها بأن تكون سنها بين ٢٥ الى ٣٠ لأن هذه سن الصحة والكمال وأن تكون حسنة اللون قوية العنق والصدر واسعة اللحم حسنة الأخلاق بعيدة عن الانفعالات النفسية لأن سوء الخلق يؤثر في تربية الطفل وأن يكون لبنها معتدل القوام والمقدار ولونه الى البياض ورائحته طيبة وطعمه الى الحلاوة وأجزاء متشابهة . فاذا توافرت هذه الشروط في المرضع قبلت وتجب العناية بغذائها طول المدة أيضا حتى يكون اللبن الذي تنتجه جيدا فاذا طرأ عليها مرض منع من ارضاعها . ثم ذكر كيفية التحريك العلمي الذي يهيئ الأعضاء ولا يضرها وضرورة الموسيقى والتلحين الذي جرت به العادة لتنويم الأطفال . وأوجب أن يكون أوكد العناية مصروفا الى مراعاة أخلاق الصبي فيعدل وذلك بأن يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد أو غم أو سهر وذلك بأن يتأمل كل وقت ما الذي يشتهي ويحج الىه فيقرب اليه وما الذي يكرهه فيبتعد عنه وجهه (ويشبه مذهب هذا مذهب روسو) وفي ذلك منفعتان (إحداهما) في نفسه بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ويصير ذلك له ملكة لازمة (والثانية) لبدنه لأن الأخلاق الرديئة تؤثر في مزاج الجسم فان غضب يستخن جدا والنم يحفف جدا . ففي تعديل الأخلاق حفظ الصحة للنفس والبدن جميعا . ثم ذكر نظاما يتبع في حياة الطفل فقال (واذا تنبه الصبي من نومه فلا تحرى أن يستحم ثم يغلى بينه وبين اللعب ساعة ثم يطعم شيئا يسيرا ثم يترك الى اللعب الأطول ثم يستحم ثم يغذى وإذا أتى عليه من عمره ست سنين فيجب أن يقدم الى المؤدب والمعلم ويتدرج في ذلك أيضا ولا يحكم عليه بلازمة الكتاب كرة واحدة

وذكر فصلا في التدبير المشترك للبالغين وهو (١٧) فصلا قال في الفصل الأول (إن قوام الصحة على ثلاثة أشياء) الرياضة والغذاء والنوم . ثم بسط الكلام على الرياضة بسطا لانهاية بعده وذكر من أنواعها المنازعة والملاكمة وسرعة المشي والرمي عن القوس والقفز والحبل وركوب الخيل وشد الحبل الخ . ثم ذكر رياضة كل عضو وزمن الرياضة . وتناول في الفصول الأخرى الاستحمام وأنواعه وفوائدها للجسم وتقوية الأعضاء الضعيفة وتسميتها وتعظيم حجمها والاعياء الذي ينبغ الرياضات وعلاج الاعياء الرياضي وتدبير الشيوخ اه

(٥) آراء العالم الهندي السر (جاجاديس بوز) النابعة في علم حياة النبات الذي تقدم

ذكره وآراء غاندى الزعيم الهندي

أما آراء (غاندى) فقد تقدمت في آخر سورة (آل عمران) وذلك انه يحرض الناس على الصناعة ويمنع الانسكال على صناعات الفرنجة . وأما آراء (السر جاجاديس) فانه أوصى التلاميذ الهنود بهذه الوصايا في زماننا وهي خمسة وقد خاطبهم بها قائلا في هذه السنة (١٩٢٨) مايلي

(١) الثقة بالنفس وهي التي يعبر عنها الانسان بقوله (أنا أريد) فهذه الكلمة يجب أن تفهموها جيدا كثيرا ما أسمع الناس يقولون اذا طلب منهم عمل ما (سجته في عمله) وانى لأشتم شيئا من رائحة التواضع في هذه العبارة بل أراها عنوان الجبن . هل تحت السماء أمرا لا يستطيعون أن يجعلوه طوع ارادكم إن أردتم ذلك بكل قوتكم العقلية والروحية . أنا أقول لكم إن الذين لا يقفون أمام الصعوبات والمشكلات خوفا منها ليسوا إلا جبناء ضعفاء بل هم عار على الانسانية التي يتصفون بها وينتمون اليها . ليس للانسان أن يتجنب الصعوبات أو يفر منها أو يشكو أمرها بل عليه أن يذلها مادام فيه رمق من الحياة . اعملوا أنه ليس على وجه الأرض قوة تستطيع الوقوف في سبيلكم إن أردتم المضي فيه وجميع العقبات تنحى بنفسها عن طريقكم وما يظل معترضا لكم منها تدوسونه وتطحونه بأقدامكم القوية . وهكذا يصبح كل عسير أمامكم سيرا وكل صعب سهلا

(٢) اختيار طريق الحق والصدق والمضي فيها بأقدام ثابتة فلا تضعوا أوقانكم في بيان الفضائل ومحاسن الخير بل انتهجوها وسبروا عليها . هذا هو الأساس المقدس الذي قامت عليه الانسانية الطاهرة

(٣) الاتحاد الوطني . اتركوا التعصب للولايات وللأديان والمذاهب والطوائف وكونوا جميعا أبناء الهند الحنونة البارة . كونوا هنودا أولا وآخرا

(٤) اعتقدوا أن أساس الدين هو التسامح فلا يحملكم اختلاف عقائدكم الدينية على الاعتداء بل ليكن الدين بينكم عنوان المحبة والوداد والوثام

(٥) لا تتركوا مدنيتكم القديمة تموت بفلككم وضعفكم بل كونوا رجالا ونساء أقوياء مخلصين غيورين لتتمكنوا من انشاء مجد جديد لوطنكم ووطني العظيم

(٦) وههنا جاء دوري أنا فأقول (سادس) الجماعة أدلى دلولي في الدلاء

فها هوذا (سقراط) وها هوذا (أرسطاطاليس) و (الفارابي) و (ابن سينا) وعلماء هنديان يطلبان الصناعة والاقدام والأخلاق والاتحاد . فأما أنا فقد ألقت كتاب (أين الانسان) وقد خلصت بعضه في هذا التفسير وذكرته في مواضع كثيرة فيه وملخصه أن جميع هذه المجالس النيابية في العالم الانساني تخضع شهوات المتخمين (أولئك التواب) وهذه الانسانية يجب أن تكون كل أمة منها قائمة بتعليم جميع الذكور والاناث وأن تستخرج مواهب أرضها وعقولها وكل شئ فيها وكل الأمم يجب أن يكونوا متضامنين في الشرق والغرب وعلى مقدار نقص أمة يكون ثمرات لأمة أخرى ولكن الله يقول - كل حزب بما لديهم فرحون - ويقول - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - . إذن كل هؤلاء المفكرين يبحثون عن سعادة الانسان كما بحث العميان عن (الفيل) فأمسك كل بطرف وعرفه والفيل أوسع من علمهم هكذا هنا الانسانية وسعادتها أوسع من علم العلماء وحكمة الحكماء . فلا سعادة للناس إلا اذا جدت الأمم كلها في التفكير لسعادة المجموع باخلاص والاخلاص يكون من قوم اختصوا بمواهب عالية ومدارك عظيمة وهؤلاء قليل ولكنهم مفرقون في الأمم كلها . فحتى عم التعليم الأمم فهناك يظهر أرباب المواهب من كل أمة ويسعدون نوع الانسان ولقد رأيت في كتاب (أين الانسان) أن موافقة تعداد الذكور للاناث غالبا في هذا العالم دليل على

أن فيه نظاما ثابتا يشمل كل شئ . فأهل الحكمة أو الصناعة أو السياسة لكل طائفة قوم خلقوا في الأرض هكذا خلق في هذه الأرض عقول خاصة لارشادهم فيجب البعث عنهم في جميع الأمم وهم الذين يدبرون دقة العالم كله وغير هذا عندى باطل . ولقد اطلعت على مقال للعلامة (هولدين) من أشهر كتّاب الانجليز وكبار مفكرينهم ومن أشهر علماء (البيولوجيا) في عصرنا قال فيه مانصه

(ان نظرنا الى صحة الأجسام بقطع النظر عن سواها يوجب بلامراء أن يعنى الناس جميعا بعضهم ببعض لأن مرض فرد يعنى الآخر وينقل الى أمة أخرى) ويقول (اذا نظرنا الى علم الاقتصاد والسياسة فإنا نجد سوء طالع زيد يكون حسن طالع عمرو وخراب أمة ربما كان نعمة على أخرى ولكن في علم الصحة تنعكس الحال فان الدساكر في وسط المدن والمحافرات التي ينتشر فيها الغبار في الجو أو ساط حسنة يربى فيها مكروب السل الذي يصيب الفقير والغنى على حد سواء . وهذه مسألة لا تقتصر على شعب واحد بل ان الطفل الرومانى المصاب بالفالج والهندي المصاب بالجذري والجرد الذي يحمل الطاعون كل هؤلاء يؤثرون في الأعمار وينقصونها إذن تجب العناية بكل فرد وبكل أمة لاسيما أن طرق النقل الآن صارت أسرع منها قبل الآن)

ومن قوله أيضا (إن خطأ اذا كان قد وقع في بلاد الصين منذ قرنين مضيا لم يكن ليضع الرجل الانجليزى أو الأمريكى إزاء أية مسؤولية لأنه ليس لديه وسائل النقل أما اليوم فان استخدام البخار في السفن والكهربائية في نقل الأخبار كلاهما جعل القيام بمثل هذا الواجب مستطاعا)

فهذا العالم ينحو نحو كتابي (أين الانسان) والحمد لله رب العالمين

(الجوهرة الثالثة في قوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون -)

لقد تقدم الكلام على السمع والبصر في سورة (آل عمران) وهناك صورتاهما مرسومتان وموضحتان ايضا تاما ومشروحتان شرحا كافيا . ولكن هنا وجدت صورتين أخريين مرسومتين في كتاب (قانون الصحة) وهما واضحتان ظاهرتان يراهما الانسان أمامه كأنهما آلتان من الآلات المشاهدات في عصرنا وفيهما من دقة الصنع واتقان القطع المختلفة الاحجام والأقمار والصور ما يبهز العقلاء إذ يرون عناية صانع هذا العالم بمخلوقاته فهما أوضح من بينك الصورتين وأقرب الى الفهم والايضاح التام . ولا جرم أن السمع والبصر والفؤاد عادة لا يفكر فيها الناس ولا في حسن اتقانها لأنها مبذولات لكل حتى تغفل الناس عنها لذلك كررها الله في القرآن وحث على النظر والتفكير فيها حتى تخرج هذه النفوس البشرية من عالم الحيوانية الى عالم الحكمة والعقل والرقى العلمى . أما الفؤاد فارجع الى ما تقدم في (سورة الاسراء) عند الكلام على قوله تعالى - قل الروح من أمرى - وأما السمع والبصر فهناك ما جاء في ذلك الكتاب صفحة ٢٣ و٢٤ وهذا نصه

(حاسة السمع)

عضو السمع هو الأذن وينقسم الى أذن ظاهرة وأذن متوسطة وأذن باطنة (الأذن الباطنة هي التي تحتوى على أعضاء أى أعصاب السمع) فالأذن الظاهرة تتركب من الصيوان والقناة السمعية الظاهرة ويوجد بها شعر وغدد تفرز مادة شمعية تسمى (بالصملاخ) وهي تتراكم اذا لم تنظف وتضعف السمع . والأذن المتوسطة تتكون من الطبلة وغشائها وثلاث عظام صغيرة . والأذن الباطنة مكوّنة من تجويف في عظم الصدغ مبطن بغشاء ينتهى فيه أطراف العصب السمعى . واذا حدث صوت بجوار الأذن يخترق الأذن الظاهرة ثم الأذن المتوسطة ثم الباطنة فينتبه العصب السمعى فينقل الصوت الى مركزه في المخ فيوجه المخ الاحساس الى الأذن فيجعلنا نشعر كأن الأذن هي التي أحست بالسمع (انظر شكل ١٧ في الصفحة التالية)

﴿ الصوت والكلام ﴾

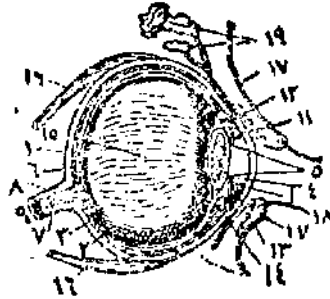


تحدث نغمات الصوت الأساسية باهتزاز الحبال الصوتية للحنجرة بواسطة هواء الزفير ويتنوع الصوت باللسان والأسنان والشفيتين والكلام يحصل بتغيير نغمات الصوت في التجاويف التي فوق الحبال الصوتية فثلا تغيير حجم وشكل البلعوم والفم والأنف يحدث نغمات مختلفة تكون حروف النطق

﴿ حاسة الابصار ﴾

مركزها العين وتوجد هذه في تجويف الحجاج ومعها الأعوية والأعصاب التي تغذيها وفي مقدمتها الجفون والجهاز الدمعي . والجفون في حافتها الأهداب وهي تقي العين ليلا ونهارا من الاجسام الغريبة التي تصادفها (انظر شكل ١٨)

والجهاز الدمعي في الجهة الوحشية للحجاج ويفرز الدمع منعاً للجفاف المتتمة (انظر شكل ١٨)



(شكل ١٨ - رسم قطاع من مقلة العين)

والعين مكونة على التوالي من الطبقات الآتية وهي (الصلبة والقرنية والمشيمة والشبكية) والعين مملوءة بالرطوبة المائية والجسم الزجاجي والبلورية وتجويفها تنقسم بالقزحية الى قسمين وهي ستار قابل للانقباض والانبساط ومثقوبة في وسطها بالحدقة التي وظيفتها تنظيم كمية الضوء الداخل في العين . وتوجد القزحية عند ملتقى الصلبة بالقرنية ووظيفتها إعداد العين للرؤية وهي تؤثر في تحديد البلورية بانقباضها وانبساطها فتري الاشياء على أبعاد مختلفة وفي الشبكية ينتهي العصب البصري (انظر شكل ١٨) . إن شرح العين والأذن في (آل عمران) أوسع جدا

والعين تماثل صندوق التصوير الشمسي فأشعة الشئ المرئي تمر بالقرنية والبلورية والرطوبة المائية والجسم الزجاجي فتطبع صورته معكوسة على الشبكية التي تشبه زجاجة التصوير فينقل العصب البصري هذه الصورة المعكوسة الشكل الى المخ فبردها هذا الى العين غير معكوسة فنشعر برؤية الشئ ونحكم على شكله ولونه وحجمه

- أرقام شكل ١٧ - (١) الأذن الظاهرة (صوان الأذن) (٢) قناة السمع الظاهرة (٣) طبلة الأذن (٤) صندوق الطبلة (٥) قناة استاك بوس (٦) المطرقة (٧) السندان (٨) الركاب (٩) النيه (١٠) مدخل القوقعة (١١) القوقعة (١٢) القنوات النصف الحلالية (١٣) العصب السمي
- أرقام شكل ١٨ - (١) القرنية (٢) الصلبة (٣) المشيمة (٤) القزحية (٥) الحدقة (٦) الشبكية (٧) العصب البصري (٨) الشريان المركزي للشبكية (٩) قطاع العصب البصري (١٠) البقعة الصفراء (١١) الخزانة المقدمة (١٢) الخزانة الخلفية (١٣) البلورية (١٤) العضلة الهدية (١٥) الجسم الزجاجي (١٦) العضلات المحركة للعين (١٧) الجفنان (١٨) الأهداب (١٩) الغدة الدمعية

﴿ القلب والأوعية الدموية وسير الدورة فيها ﴾



القلب هو عضو عضلي لائحكم للإرادة عليه فينقبض وينبسط بنظام خاص وله أوعية خاصة وهو مخروطي الشكل ومغلف بغشاء وينقسم إلى ﴿ أربعة تجاويف ﴾ العلويان منها يسميان بالأذنين والسفليان يسميان بالبطينين . ففي الجهة اليمنى أذين وبطين وفي اليسرى مثلهما ولا تتصل تجاويف جهة بالجهة الأخرى بل يفصل الجهة اليمنى عن اليسرى حاجز عضلي . ولكل بطين فتحة لها صمام يسمح بمرور الدم من الأذين للبطين لا العكس ويذهب الدم إلى أجزاء الجسم من البطين بواسطة عروق تسمى بالشرايين ﴿ الدورة الدموية ﴾

يمرّ الدم مرتين في القلب ليتم دورته . ففي المرة الأولى يذهب من البطين الأيسر إلى جميع أجزاء الجسم ثم يعود إلى البطين الأيمن وهذه تسمى بالدورة الكبرى . وفي الثانية يذهب من هذا البطين إلى الرئتين ثم يعود إلى البطين الأيسر وهذه تسمى بالدورة الصغرى (انظر شكل ١٩)

فتبتدى الدورة بمرور الدم من البطين الأيسر إلى أكبر شريان (الأورطي) ثم إلى فروع الكبيرة فالصغيرة فالشعيرة التي هي أدق أوعية الجسم ووظيفتها تغذية خلايا الجسم وأنسجته ثم يرجع الدم بعد تغذيتها إلى القلب بواسطة الأوردة الصغيرة التي تصب في وريدين كبيرين يسميان بالوريدين الأجوفين (السفلي والعلوي) وهذان يصبان في الأذين الأيمن حيث يمرّ الدم منه إلى البطين الأيمن ثم منه إلى الرئة وذلك بمروره في الشريان الرئوي وفروعه ثم يصل بعد اتصاله بواسطة الهواء إلى الوريد الرئوي ومنه إلى الأذين الأيسر أعني حيث تبتدى الدورة . وهناك فرع آخر للدورة يسمى بالدورة الكبدية وهي أن الدم بعد مروره بفروع الأورطي البطني لتغذية الأعضاء يجتمع في أوعية وريدية تصب في وريد أعظم ولكن بعض الأوردة الآتية من المعدة والأمعاء والطحال والبنكرياس تجتمع وتصب في وريد واحد يسمى بالوريد الباب الذي يذهب إلى الكبد ويتفرّع فيها إلى أوعية شعيرة وهي التي يتكوّن من اتحادها بأوعية الكبد الأصلية الوريد الكبدى الذي يصب في الوريد الأجوف السفلى ﴿ كرات الدم في الأوعية أى العروق ﴾



الدم مكون من سائل شفاف مصلى يسمى (بالـ بلازما) سائح فيه كرات صغيرة تسمى بالكرات الدموية وهي (نوعان) حمراء وبيضاء . وعدد الحمراء خمسة ملايين عادة في المليمتر المكعب من الدم والبيضاء من خمسة إلى ثمانية آلاف والحمراء تحتوى على الأكسى هيموجلوبين الذى يحتوى على الاوكسيجين . والبيضاء أكبر بكثير من الحمراء ولها أشكال مختلفة (انظر شكل ٢٠)

والدم إذا سال خارج الجسم يتجمد ويكون جاطا دموية مركبة من الكرات الحمراء والبيضاء في شبكة من ليفية الدم وهذه الجاط مغمورة في سائل شفاف يسمى بمصل الدم

أرقام شكل ١٩ - (١) الأذين الأيسر (٢) البطين الأيسر (٣) الأذين الأيمن (٤) البطين الأيمن (٥) الابهر أو الأورطي (٦) فروع من الأورطي (٧) الأوعية الشعرية (٨) أوعية شعيرة موصلة للأوردة (٩) وريد (١٠) الرئتين (١١) الأوعية الشعرية الرئوية (١٢) الوريد الرئوي (١٣) الشريان الرئوي (١٤) الشريان الكبدى (١٥) الكبد (١٦) الوريد الكبدى (١٧) القناة الهضمية (١٨) و (١٩) القناة الصدرية (٢٠) الأوعية اللمفاوية

أرقام شكل ٢٠ - (١) جدر الشريان (٢) الكرات الدموية الحمراء (٣) الكرات الدموية البيضاء

الشرايين والأوردة والأوعية الشعرية



الأوعية هي التي تحمل الدم وهي على (ثلاثة أنواع) الشرايين والأوعية الشعرية والأوردة فالشرايين أنابيب مرنة تنقبض وتنبسط بمرور الدم فيها وبذلك يحدث النبض وتنقسم الشرايين الى شرايين شعرية دقيقة تغذي الجسم بما احتوته من الدم الأحمر وهذا الدم يتحول بعد الغذاء الى دم أسود اللون يتجمع فيما يسمى (بالأوردة الشعرية) ويمر منها الى أوردة كبيرة . ولهذه الأوردة الأخيرة صمامات تمنع رجوع الدم الى الوراء (انظر شكل ٢١)

شكل ٢١

بيان السمع والبصر والفؤاد بالقول بعد ظهور رسمها بالمصور الشمسي الذي ظهر في قوله تعالى - سربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وقوله - ثم إن علينا بيانه - وقوله - وقل الحمد لله سربكم آياته فتعرفونها - وأن هذه الصور المرسومة هي مصداق هذه الآيات

اعلم أن الفؤاد هو القلب والقلب يطلق على اللحم الصنوبري المرسوم هنا الموضحة أجزاءه المنظم . وفي الانسان قوة عظيمة فمن حيث تصريفها للبدن تسمى روحا . ومن حيث انها تشتهي تسمى نفسا . ومن حيث انها تدرك المعاني يقال لها عقل . ومن حيث انها تسري في بخار الدم الساري في الجسم الذي ينظمه ذلك اللحم الصنوبري الشكل يقال له قلب . والفؤاد هنا يراد به العقل . ولما كانت هذه المعاني لها به ارتباط وجب أن أوضح هذا القلب المرسوم أمامك لتجرب من الحكمة والعلم وتدرك من البهجة والبهاء والحسن والاشراق والجمال ما يبهرك العقول ويسر أولى الألباب . حدثني الحارث بن همام قال أخذتني سنة من النوم أو كأنني بين اليقظة والنمائم اذا أمامى أرض فقراء واسعة الأطراف مزامية الأكفاف لا أنيس بها ولا جليس حتى اليغاير وحتى العيس . فأخذت أنأمل أكفافها وأسرح طرفي في أرجائها وأقول ما للحكمة في هذا الخلاء وما المقصد من هذه الأرض الفقراء فلا جمال ولا كمال ولا حسن ولا بهاء ولا شجرة خضراء ولا معالم بها يهتدى السائرون ولا مظال يستظل بها الغادون والرائحون . وبينما أنا على هذه الحال إذ رأيت شعبا ظهر كأنه بخار ثم أخذ يلتم شيئا فشيئا حتى استقام بشرا سويا ورأيت معه بذورا عجبية مختلفة الألوان والأقمار والصفات قد مزجها بماء وهواء وأنواع من الأرض وسحقها كلها - محقا ناما ثم صارت كهية اللبن ثم أخذ ينثر هذه القطرات في تلك الأرض الفقراء . فأولا نثر قطرة ثم اثنتين ثم أربعا ثم ثمانيا ثم ١٦ ثم ٣٢ وهكذا الى أن وصل عشرات الألوف ومئات الألوف وآلاف الألوف . فما كان إلا كبح البصر أو هو أقرب حتى رأيت الأرض الفقراء مجللة بتلك القطرات ولكن وجدتها أخذت تتكاثف بهيئات مختلفة . وعجبت كل العجب إذ رأيت ما لا يصفه الواصفون ولا يدركه العاقلون . ذلك أني رأيت هذه الأرض صارت حقولا وحدائق وجنات ورياضا وهذه الحقول قسمت أصنافا وأنواعا . فمنها حقول القمح وحقول الفول والبرسيم وأنواع الخضرة . ومنها ما رأيت حداث غناء ثم الحداث الغناء رأيتها أسرع من لمح البصر قد قسمت أصنافا وأنواعا . فمنها ما صفت فيها أشجار الفاكهة الزينة والفاكهة السكرية والفاكهة العطرية والفاكهة الحضية والفاكهة النشوية والفاكهة المائية كالزيتون والتمر والتفاح والليمون والبرتقال والكمثرى والبطيخ والشمام ومن عجب أنها صفوف و صفوف منتظمة لا خطأ فيها ولا خلل . ووجدت الحديقة قد صفت بالنخل والباسقات المصفوفات حولها وقد هبت النسبات وفاءت الأفياء . فصرت أعجب وأقول هذه أرض فقراء وهذا الرجل كان معه حبوب ومواد مائة وأرضية وهوائية فزجها وأخذ يرميها على قاعدة الحساب (التوالي)

(١) أوعية شعرية شريانية (٢) شريان متفرع الى أوعية شعرية شريانية

(٣) أوعية شعرية وريدية متصلة لتكوين وريد (٤) وريد صغير

الهندسية) فما للحساب وما لهذا النظام وما الذي جعل كل طائفة في موضعها . ثم نظرت فوجدت أنواع الرياحين قد صفت لها دوائر (اهليلجية) كدوائر الكواكب الجارات حول الشمس فجمعت إذ أرى الدائرة ترسم أمامي شيئا فشيئا ولارسم لها . فأنا أرى الرسم ولا أرى راسه . فبالت أرضنا على هذا المتوال تنظم وتزرع بساتينها وتنظم حقولها وحدائقها ونحن نجنيها بلانعب ولا نصب . ثم نظرت فوجدت هذه الرياض نبئت فيها الرياحين مختلفة الألوان (أحمر وأصفر وأزرق وباقوتيا وألماسيا) وأنا في غاية العجب من أن كل روضة من الرياض مختصة بنوع لا يختلط بسواه . ثم قلت في نفسي من أين تسقى هذه الحقول وهذه الحدائق الغناء فنظرت إذا آلة بخارية كبيرة منظمة امتدت أنابيبها في كل حقل وفي كل حديقة وفي كل روضة وتلك الأنابيب كلها ترجع إلى أنبوبتين عظيمتين ممتدتين من تلك الآلة البخارية وجهازها العظيم المنظم البديع وهذه الأنابيب كلما طال امتدادها دقت وركت حتى صارت كالشعرات عند أطراف الحدائق والبساتين والروضات ثم نظرت إذا قصور شامخات بديعات مزينات بأجمل الصور وفيها المناظر المعظمت وأدوات السمع وهي المسرات المسميات (التلفون) فأخذتني العجب كل مأخذ وقلت أنا في يقظة أم في منام لعلني أضعف أحلام . فبينما أنا على هذه الحال إذ تبدى أمامي ذلك الذي كان أولا قد بذرت تلك القطرات في الأرض القفراء وهو جيل الحيا بهج الطلعة حسن الشكل معتدل القوام باسم الثغر ظريف الشمائل حكيم عليم فسلم على وحياني وأخذ يجاذبي أطراف الحديث من قديم وحديث . ولما أيقن أنني استأنست بمراء أخذ يسألني عما يدور بخلدِي وما حار فيه لي فقلت له هذه حدائق وهذه بساتين لازارح لها ولا منظم فكيف رأيت فيها مالا تراه العيون ولا تتخيله الظنون . فقال اسمع يا صاح وبلغ الناس عني . اعلم أن هذه حال تمثل خلق جسم الانسان . فالقطرات التي رमित بها في الأرض القفراء منظمة العدد على مقتضى (المتوالي الهندسية ٢ و ٤ و ٨ و ١٦ و ٣٢) وهكذا فهي بيضة الجنين في الرحم تنقسم على هذا المتوال وفي أثناء ذلك يمتد الدم الجاري إلى الرحم من جسم الأم . فالدم يمتد البيضات والبيضات تنقسم على هذا المتوال ثم هذه الخلايا المتكاثرة تنضم كل جماعة منها من طبع واحد وتتحد بنظام غائب عنكم لا تعرفونه . ففما ما يصير عظاما . ومنها ما يصير عضلات . ومنها ما يصير عروقا . ومنها ما يصير عضلا وهكذا ، ثم اعلم أن الأجسام على (ثلاثة أقسام) مضيئة كالشمس والكواكب والنار والكهرباء في حال خاصة . ومعنة كالأجسام الحجرية والطينية . ومنها شفاقة كالهواء والماء والكرزجاج . وهذه الأجزاء كلها داخلية في الغذاء مع الدم الساري في جسم الانسان وأيضا المادة إما غازية كالهواء وأما صلبة كالخجر وأما سائلة كالماء وهذه الأنواع كلها يحتوي عليها الدم . وإنما اشتمل الدم على هذا كله لتستمد منه الأعضاء المختلفة ما يصلح لها . إنك لما نظرت البساتين والحقول والرياض تنظم بلا عمل تميزت أن لو كانت هذه حالكم على وجه الأرض فاعلم أن هذا الأحكام وهذا النظام الجليل الذي رأيته بعقله (أمران الأول) تمثيل لما يقع عندكم في كل حين . فإمن نبات أو حيوان أو إنسان إلا وهذه حاله من نظام سريع وشكل بديع منظم ولا عمل لكم فيه (الأمر الثاني) أن الله لوجعل هذه حال مزارعكم أتم وصناعانكم لأورث خلافا في نظامكم ولأصبحتم دودا أو حشرات لأنكم لا تعمل لكم ولا عقول . وهل تخلق العقول إلا للفكر أو الأيدي إلا للعمل أو الأعين إلا للبصر . فإذا كان كل شيء حاضرا عندكم فما الداعي إذن لأسماعكم وأبصاركم . الأسماع والأبصار والعقول إنما خلقت لكم لتشكروا الله بها ولا معنى للشكر إلا صرف هذه الأعضاء والجوارح فيما خلقت له . فإذا زرع الله لكم نخيلكم وبساتينكم وقطنكم وقمحكم وشعيركم وفصل في حقولكم وجنائكم ما فعله في داخل أجسامكم من خالق الأعضاء وترتيبها ونظامها بلا عمل منكم ولا علم فعناه أنه أهملكم أهلا لا كليا وقطع عنكم مدده . قال الحرث بن همام . هل لهذا ما يستأنس به من القرآن . قال نعم . انظر إلى أهل مكة طلبوا من النبي ﷺ أن يفجر لهم من الأرض

ينبوعا أو تكون له جنة من نخيل وعنب فيفجر الأنهار خلالها فتجيرا أو يكون له - بيت من زخرف -
 أو يرقى في السماء وهكذا فقال لهم هل كنت أنا - إلا بشرا رسولا - فما هو إلا رسول لأُم تعلم وتعمل لا
 أنها يؤتى لها بالثمرات بلا عمل . قال الحرث بن همام . فلما سمعت ذلك منه . قلت له فماذا تقصد من
 هذه الروضات والحدائق المختلفة . فقال الأعضاء المختلفة في الجسم . فقلت له وماذا تقصد (بالسرة)
 التلفون أى آلة السمع وماذا تقصد بالمناظير المعظمة وماذا تقصد بهذه الأنابيب الممتدة . فقال هذا هو
 تفسير آية - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون - . ألا ترى أن الأذن في الرسم
 الذى أمامك عبارة عن عظام صلبة متينة قوية وضعت وراء طبلة والطبلة أمامها فتحة والفصحة انتهت بالأذن
 البارزة خارجا . وهذه العظام المسميات بالمطرقة والسندان والركاب لها رنين خفى وهذا الرنين ينتقل الى
 ما وراءها ويصل الى الدماغ فيعلم ما يقال له . فلماذا وضعت هذه العظام في هذا المكان . ولماذا انجذبت الى
 جهتي الرأس . ولماذا جعلت بنظام وحساب بحيث لو صغرت أو كبرت أو لم تكن في موضعها أوزححت قيد
 شعرة واحدة لم يمكن السمع . فهذا هو معنى المثل الذى مثل به آلة السمع . وأما المناظير المعظمة في القصر
 فلم أرد بها إلا أن أمثل لك البصر . ذكرت لك أن المواد منها الجامدة ومنها السائلة الخ ومنها الشفافة وهكذا
 أليس من العجب أننا رأينا البيضة في رحم المرأة أخذت تنقسم على طريق المتواليات الهندسية وفي الوقت
 نفسه حصل حساب ونظام في الوضع . الشمس والقمر مضيئات أشرق منها النور على الجوّ ووصل الى الإنسان
 فكانت طبقات العين المنظومات البديعات الجليات شفافات كما أن الهواء شفاف . فما هذا الحساب الذى
 خصّ حجاج العين بتلك المواد الشفافة . ولم جعل الشفاف في موضع العين وجعل الصلب في موضع الأذن .
 هذا يوجب الشكر ولن يكون الشكر إلا بالمعرفة لأن من لا يعرف حق النعمة لا يشكرها ولا يجب المحسن لأن
 المحسن لا يشكر إلا اذا عرف قدر احسانه وهل يعرف إحسانه إلا بالدراسة . هذا هو السبب في قوله تعالى
 - قليلا ما تشكرون -

ثم قال الطيف للحرث بن همام وأما الذى أقصده بالأنابيب الممتدة في الحقيقة فهو القلب الذى رسم أمامك
 فانك تراه مقسما أربع أقسام فالبطين الأيسر الذى أمامك في الرسم قد خرج منه (الأورطى) وقد تفرع فرعين
 والفرعان تفرعا فروعا كثيرة ولما تغذى الجسم بالدم رجع ثانيا بواسطة الأوردة الى القلب الى آخر ما هو
 مشروح فاقراء . ثم قال هذا الطيف للحرث بن همام . انظر هذه الأعضاء الثلاثة (السمع والبصر والقلب)
 واعجب من تركيبها المنظم وعملها المتقن . فالقلب جعلت بئنه بأجهزة تقبل التمدد قوية متينة لمناسبة عملها
 والأذن جعلت أجهزتها تناسب الصوت والعين أجهزتها تناسب الهواء الشفاف . فهل يعرف ذلك من الناس
 إلا قليل . هذا معنى - قليلا ما تشكرون -

قال فقلت للطيف . هل الجهل بهذا يضر المسلمين في حياتهم الدنيا أم الضرر اللاحق بهم يرجع الى
 جهلهم بنعم ربهم . قال الضرر اللاحق بالمسلمين يرجع لهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة معا . فأما
 الضرر الآخري فإن الرجل القادر على فهم علم التشرّح مثلا وقد غفل عنه وتركه هو وأمثاله من عجائب
 صنع الله فهذا قد أعرض عن آيات الله والمعرض عن آيات الله مقصر فكان خيرا له أن يملأ قلبه حكمة وعلم
 وأيضا هذه العلوم من فروض الكفايات والأمة كلها تعذب بترك فروض الكفايات . فقلت للطيف فاذكر
 لى مثلا بما أضرّ المسلمين بسبب جهل هذه العلوم حتى يظهر معنى - قليلا ما تشكرون - واذن تكون قلة
 الشكر صارت سببا في العذاب في الدنيا . قال ان الدنيا كلها اليوم قد عمها العلم والمسلمون نائمون وأضرّ
 لك مثلا فأقول إن الناس قد أظهروا علوم جسم الإنسان بطريق الصور المتحركة (السينما) فالسينما الآن قد
 أظهرت أحشاء الإنسان وأعضائه الظاهرة والباطنة . واقد ظهر للعيان الآن في الشرق والغرب كيف يربى

الجنين في بطن أمه . أنا مثل لك ذلك مثالا بالحدائق والجنات ولكن الناس الآن أصبحوا يرون نمو الطفل في بطن أمه وتدرجه وكيف تكون البيضة في الرحم واحدة فتقسم اثنتين وتضاعف ولا يزال ينمو حتى تتم أعضاؤه . كل ذلك يرونه بالصورة المتحركة في بضع دقائق ويكمل الجنين . وفوق ذلك يرون بتلك الصور نمو الأمراض كالزهرى . ألم تر أنك أنت في ليلة الجمعة ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٨ قد شاهدت بنفسك تكوين الجنين وكيف تنمو حيوانات المرض المسمى بالزهرى وكيف يلتهب الجسم مرضا ويمتلئ حبوبا وقروحا ويسود الجلد وتنتثر الأعضاء . وهذه الحشرات المتكاثرات تنمو كما ينمو الجنين ويظهر في الرجل وفي المرأة وفي طفلها الذي تربى في رحم المرأة المريضة بهذا الداء . وقد يولد الطفل أعرج مقرح الوجه والجسم . كل ذلك أنت شاهدته وهذه المشاهدة أبلغ من المثل الذي ضربته لك وإنما أبنت لك هذا لتعلم أن الله عز وجل لم يكن غافلا عن الخلق لأنه خلق الأعضاء والسمع والبصر والجسم للنافع . فإذا صرف الانسان قواه للشهوات التي جعلت مقدمة للنافع وغفل عن المقاصد شوه الله هذه الأعضاء وجعل الذنب على قدر المرض - جزاء وفاقا - فقلت للطيف مامعنى هذا . فقال معنى هذا أن الشهوة البهيمية في الانسان تأخذ بمجامع قلبه وهى ألد شئ عنده وهى لم تجعل فيه إلا لأجل الذرية . فإذا جعلها مقصودة لذاتها سلط عليها أمراض الزهرى وغيرها فشوهت نفس الأعضاء وجعلته منبوذا محقورا فهو قصد أن يكون دائما فاسقا معتزا بصولة قوته وجماله فقال له . كلا . أعضاؤك أشوهها وجمالك أذهب . وأجعلك بهيمة منفرة بحيث إذا قرب منك أحد يقول له الناس (لامساس) لأنهم إذا مسوك أصيبوا بمرضك كالسامرى الذى عبد الجمل . فهذا الذى عبد شهوته أصيب بالحقارة فهو يريد الشهوة والتمتع لذاتهما والشهوة البهيمية مع النساء فقليل له كل من قرب منك يصاب بمرضك فاعتزل فأنت محذور منبوذ . هذا في عذاب الفرد من نوع الانسان على ترك الشكر وقلته في قوله تعالى هنا - قليلا ماتشكرون - . أما عذاب الأمة فهناك مثلا لذلك . أما قرأت ما جاء في خطبة (السرمصونيل هور) في الجمعية الجغرافية الملكية المذكور في التلغرافات العامة الواردة الى مصر بتاريخ (٢٩) أكتوبر سنة ١٩٢٨ إذ قال ما يأتى

« إن اختراع الطيران أوجد مشكلة خطيرة في الامبراطورية البريطانية فقد دخلنا الحرب العظمى كدولة تقطن في جزيرة آمنة من المهاجمة وخرجنا من تلك الحرب ظافرين ولكن باتت عاصمتنا بسبب اختراع الطيران مستهدفة للمهاجمة من الخارج أكثر من أية عاصمة أخرى من عواصم غربى أوروبا وقد اضطرتنا وسنظل مضطرين سنة فستة الى بذل مجهوداتنا العقلية وأموالنا لإنشاء قوات جوية كافية لصدهجمات أى عدو يخطر له أن يضرب على بلادنا . ويسرنى بأن أقول أننا قبل خمس سنوات لم يكن لدينا من قوات الطيران للدفاع عن البلاد ما يستحق الذكر . أما الآن فلدينا ثلاثون سربا من طائرات الدفاع وهى التى أنجزت حتى الآن من الاثنين والخمسين سربا التى تقرر انشاؤها . نعم إن الطيران قد أضاف عبئا جديدا على عاتق دافعى الضرائب البريطانيين وبأيا للنفقة على التسليح في العصر الذى كنا نود فيه تخفيف أعباء التسليح في جميع العالم فكيف يتسنى لنا أن ننال فائدة من الطيران لقاء هذه النفقات الجديدة . وقد دلتى اختبار خمس سنين قضيتها في هذه الوزارة على أن الطريقة الوحيدة التى يتسنى بها تعويض هذه النفقات هى استخدام قوات الطيران استخداما يؤدى الى الاقتصاد في نفقات الدفاع عن الامبراطورية وتحسين المواصلات والموارد في أجزائها المتفرقة . وقد تبين لنا أن هناك مناطق معلومة للدفاع الامبراطورى يتسنى للطائرات أن تقوم فيها مقام القوات الحربية القديمة لأن تكون اضافية اليها . وأهم شاهد على صحة هذه السياسة هو (العراق) حيث استطعنا أن نحفض قوات الحامية التى كانت في سنة ١٩٢١ ثلاثة وثلاثين أوطية من جنود الامبراطورية تكلفنا أكثر من عشرين مليوناً من الجنهات سنويا الى خمسة أسراب من سلاح الطيران الملكى ولم يبق ولا

أورطة واحدة من الجيش الامبراطوري لمساعدة قوات الطيران وكل ما ينفق الآن على هذه الاسراب هودون مليوني جنيه في العام . وسرب واحد من الطيارات كان كافيا لارغام امام اليمن الذي ظل عدة سنين يهاجم (عدن) على الاقلاع عنها واطلق سراح بعض مشايخ مصادقين لبريطانيا كان قد اختطفهم . وكذلك كان للطيران فضل عظيم في تهدئة رجال الدين في بلاد (الصومال) وعلى حدود الهند الغربية وكانت أعمالها خالية من القتل وسفك الدماء تقريبا في كلا الجانبين . وقد أخضعت الطيارات عدة قبائل كان اخضاعها قبل اختراع الطيران مستحيلا . اهـ

هذه هي خطبة (السرمونيل هور) . أفلمت نرى أن المسلمين الآن في (العراق) و (اليمن) هم محل التجربة والقتل . أليس هذا الدل الذي حلّ بالمسلمين لجهلهم نعم هذه الدنيا وعلومها والأمم كلها اغترفت من نعم الله وهم لم يعترفوا . أليس هذا تفسيراً لقوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون * إنما يتذكر أولو الألباب - فهل يسوى الله بين من علموا علم الطيران في الجوّ ومن جهلوه . ألم يكن هذا العذاب الذي حلّ بالمسلمين الذين ضرب بهم المثل (السرمونيل) كالعذاب الذي حلّ بالرجل والمرأة اللذين أصابهما داء الزهري فشوه جسميهما وأعمى أولادهما . أليست ترى أن هذا الجيل من أمة الاسلام اذا لم يتعلم فترك ذريته جهلاء فأصابهم نار الطيارات كما أصابت اليمن يكون هذا الجيل أشبه بالرجل المشوه الجسم بالزهري الذي خلف ذرية أصيبت مثله بالزهري لأن الأب والأم لما جهلا نعمة الصحة والحياة وصرفاهما في لذاتهما وفسوقهما عاقبهما الله ونقل المرض الى نسلهما كما قال تعالى في قوم نوح - ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا - فهكذا هذا الجيل من الأمم الاسلامية اذا فرط في معرفة العلوم فلم يدرس جلال الله وحكمته فان عدوى الجهالة تنتقل الى ذريته حالا ويكون الأبناء كالأباء جهالة . إذن لافرق بين الرجل المصاب بالزهري مع ذريته الذين يصابون بمرضه وبين الجيل الجاهل الذي يجهل نعمة الله ولا يدركها ولا ينتفع بها فيورث الاجيال الآتية جهالة ويكون مثلاً للشر وسوء الملكة والجهل العظيم . قال الحارث بن همام فقلت للطيف إن هذا التشبيه قاس شديد الوقع . فقال هذا حق والحق أحق أن يتبع . إن العرب القدماء هم الذين عمموا العلم في العالم وهم آباء أهل اليمن والحجاز والعراق ومصر وسكان شمال أفريقيا والسودان والصحراء الكبرى . فآباء هؤلاء هم الذين نقل عنهم العلم أهل أوروبا فقد استفاد اللاتينيون المعلومات من العرب أي آباء هؤلاء الذين يضرّبون بالطيارات

(١) فان (جوربت) الذي كان بابارومة الملقب (باسلستر الثاني) أدخل من سنة ٩٧٠ الى سنة ٩٨٠ ميلادية عند الفرنج العلوم الرياضية التي كسبها من عرب اسبانيا

(٢) واهيلارد الانكليزي ساح من سنة ١١٠٠ الى سنة ١١٢٠ ميلادية في كل من اسبانيا ووادي مصر وترجم مبادئ اقليدس من العربية بعد أن ترجمها العرب من اليونانية

(٣) وترجم افلاطون المنسوب (لطيفوليا) وهي مدينة قرب (روسيا) من العربية الرياضيات السكروية المنسوبة الى (تيودوز) كما ان الاستاذ (رودلف) أحداها الى (بروجس الباجيقية) ترجم مسائل بطليموس للتعلمة بالكرة الأرضية والسموية مبسطة على خريطة وهكذا الخ (انظر ما تقدم في سورة ابراهيم فهذا المقام هناك واضح)

ثم قال الطيف . فهؤلاء الانجليز لم يتعلموا الهندسة إلا في القرن الثاني عشر من أهل مصر والأندلس فليس بدعا اذا جاؤا في القرن العشرين أي بعد تعلمهم بنحو تسع قرون وضربوا أبناء أساتذتهم في العراق واليمن وغيرهما بالطيارات فان الله خلق الناس كلهم جسما واحدا كجسم الانسان . والانسان رأيناه اذا أهمل أعضائه وفرط فيها وشغلها بالذات عاقبه بادخال حيوانات تشوه خلقته وتجعله ذليلا محقورا . فهل يكون بدعا

إذا سلب هؤلاء الفرنجة على المسلمين لما أصبحوا جاهلين بنعم الله وبالعلوم . ويكون مثل القنابل الملقاة من الطيارات على أوائل العرب الأمنين أشبه بحيوانات المرض الزهري التي تنتشر في الجسم هذان هما كه في الشهوات . فهنا ترك العرب وأبناء الاسلام العلوم النافعة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ تركوا مواهب العقول ومواهب النعم في هذا العالم فسلطت عليهم الطيارات . ولا جرم أن العقل أرقى من عضو التناسل . فعوض التناسل لما فسق أصيب نفس العضو بمرض الزهري فابتعد الناس عنه ولكن العقل الذي هو أرق وأعظم لما عطله المسلم فلم يشغله بالعلوم كان العقاب أشد فدل أن يكون المرض بشورا وقروحا أصبح المرض نارا تنزل من الطيارات تهلك الحرث والنسل - جزاء وفاقا - لما كانوا يجهلون . فعقاب الله الناس على ترك عقولهم بالمهلكات لمدهم وأجسامهم أشد من عقابه لهم بالزهري على استعمال أعضاء تناسلهم في غير ما وضعت له . ولما كان العقل يعم أثره البلاد والعباد كان العقاب المرتب على اغفاله يعم البلاد والعباد . ولما كانت أعضاء التناسل جعلت للذرية وقد استعملت في اللذات لذاتها شوهت أجسام الآباء وأجسام الأبناء - جزاء وفاقا - إنا كل شئ خلقناه بقدر - هذا بعض سر قوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون -

﴿ تذكرتان * التذكرة الأولى ﴾

اعلم أنه لافرق بين تلك النيران المقدوفة من طيارات الانجليز على اليمن والعراق وغيرها وبين تلك الحيوانات الذرية (المكروبات) في داء الزهري الذي يعيش في أجسام أرباب الشهوات المقيح لأجسامهم ولكل من يصاحبهم ويلامسهم . فأهل أوروبا الذين تعلموا من آباءنا العرب كما قدمنا هنا هم هم أنفسهم يقذفون النار على اخواننا وعلينا من طياراتهم . فكما حذقوا بعلم العرب القدماء تغذت الحيوانات الذرية من دم الفساق في الداء الزهري . وكما ان هؤلاء الاوربيين المتعلمين عن آباءنا قذفوا بالنار احتقارا لشأننا فشوهوا الأجسام وأهلكوا الحرث والنسل وهدموا الدور والقصور . هكذا نرى تلك الحيوانات الذرية في داء الزهري شوهت محاسن أولئك الفساق . فحيوانات الزهري من أجسامهم تغذت ولجأهم قبعت ولأعضاء تناسلهم مزقت ولحاسن وجوههم شوهت كذلك هؤلاء الاوربيون لعلوم آباءنا نقلوا ولأجسام أبنائهم شوهوا ولدورهم خربوا . وكما أن الفساق لما عطلوا مواهبهم وأناموا قواهم وعكفوا على عبادة شهواتهم وتركوا نعم الله في سمائه وأرضه أصابهم بحيوان بخلقه في أجسامهم ويغذيه من لحومهم ويسقيه من دماهم ويقول لهم أيها الناس خير لكم أن تكونوا مرضى لأسفل الحيوان ومأكلا لأدنى المخلوقات . كنت اصطفتكم لعبادتي وخلقكم وأعددكم لأدراك نظامي فقصدتم عن المعالي فأنزلكم الى أسفل سافلين - جزاء وفاقا - فالغنى بالفرم والجزاء على مقدار الذنب . هكذا أنتم أيها المسلمون قلت لكم - كنتم خير أمة أخرجت للناس - وأرسلت لكم خير الأنبياء وهو آخرهم وفتحت لكم البلاد فغفلتم عن العلوم وجهلتم المنطوق والمفهوم ولم تعقلوا ما بأرضكم من كنوز ولا بما في سماتكم من جبال ولا بما لديكم من نبات وجاد وحيوان فغضبت عليكم غضبة لن أرجع عنها إلا بابقاظكم فأرسلت لكم أمما تعلمت علوم آباءكم وقلت لها خربي دورهم وهدمي مساكنهم وشوحي محاسنهم حتى يستيقظوا ويدرسوا . فوعزتي وجلالي لا يسكن أرضي بعد اليوم بعزة إلا المفكرون ولا يعيش فيها بهناء إلا العاقلون - ولتعلن نبأ بعد حين -

﴿ فصل ﴾

ألم يعلم أبناء العرب خصوصا والمسلمون عموما أن بلاد العراق وبلاد اليمن كانت لهما مدينة عظيمة وكان في الأولى مدينة الآشوريين والبابليين ذوى العلم والحكمة والملك العظيم أيام الجاهلية . وكان في أيام الاسلام لهم ملك دولة العباسيين تلك الدولة التي ملكها أعظم الممالك فكان له ملك في آسيا وأفريقيا وأوروبا وهي التي دوخت أمما وأزال عروشا . وكان للثانية وهي اليمن في الجاهلية عرش عظيم وذكرت لها سورة في

القرآن سميت باسم (سأ) فيها سد العرم وفيها بلدة طيبة ولها رب غفور . فهاتان الأمتان العراقية والعينية هذه سيرتهما وممالكهما فهل يفعل الله بهما ذلك في الاسلام ويقلب لهما ظهر الجحيم إلانما اتصف به رجال الأمتين هم وأكثرا المسلمين من الجهل والاعراض عن آيات الله وشوّهت محاسن دورهم وقصورهم وقتلت رجالهم بالطيارات كما شوّهت أجسام الفساق بمرض الزهري . اللهم إنك أنت المعلم والمعلم الحكيم العليم . لك الحمد على نعمة العلم . شوّهت محاسن الفساق بمرض الزهري ومحاسن هذه الأمم الاسلامية بالمقتدوات من الطيارات لأن القبيلين غفلا عن نعم الله في أنفسهما فعوقبا ولكن لله رحمة عامة على الأمم وعلى الأفراد . اللهم إنك رحيم وإنك حكيم . أنت القائل في كتابك - ولا تكونوا كالذين أوثوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون - . إن فسوق الأفراد بالشهوات البهيمية عقابه الزهري وفسوق الأمم بالعبادة عقابه المدافع والطيارات . وأنت قلت في الكتاب بعد تلك الآيات - اعلّموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها - مريدا بذلك فتح الباب للعفوة والرحمة الشاملة للأمة وللأفراد . أما رحمتك يا الله للفساق من الأفراد فهي ظاهرة واضحة اليوم فان طبيبا أوروبيا كان له تلميذ ياباني في زماننا قد عملا تجارب بلغت (٦٠٦) وهذه التجارب جعلوها العقاقير وأدوية ركبوها وأخذوا يجربونها واحدا بعد الآخر اشفاء مرض الزهري فلم ينهيا لها ذلك إلا بعد (٦٠٦) تجربة . فأطلقوا على الدواء ذلك الاسم وشفي به قوم ولم يشف آخرون . فهل هناك دواء للأمم الاسلامية التي حادت عن جذاة الصراط المستقيم كدواء (٦٠٦) الحمد لله نعم واعلّم هذا التفسير وأمثاله الذي هو مزيج مركب من علوم قديمة شرقية ومن علوم أوروبية عصرية مع الآيات القرآنية هو وأمثاله دواء الأمم الاسلامية في هذه الأيام . فكما ركب دواء (٦٠٦) للزهري بمعرفة طبيب شرقي وطبيب غربي هكذا هنا صار الدواء مركبا من علوم شرقية وعلوم غربية وزاد دواؤنا الآيات القرآنية والله يقول - قل هو الذي آمنوا هدى وشفاه - ويقول - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون -

﴿ التذكرة الثانية ﴾

لما اطلع على هذا بعض الأصمّة من العلماء . قال ألا جل قوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون - . تكون هذه الانذارات للمسلمين بالزهري والطيارات . قلت نعم ألم يقل الله تعالى - وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . فقال وهل المسلمون يجحدون بآيات الله . قلت الاعراض عن النعم فيه معنى للجحود ومعنى الاستهزاء عملا . نعم لاسلم في الأرض يجحد هذه النعم ولكنه من جهة أخرى أشبه بمن كفر النعمة ومن كفر النعمة لم يقبلها ومن لم يقبل النعمة لا يعقلها ومن لا يعقلها لا يشكرها وما الشكر إلا صرفها فيما خلقت له فاذا لم تصرف فيما خلقت له من العلوم والصناعات أذهبا الله وذلك قوله تعالى - وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون - واستأقصد أن هذا هو معنى الآية نصا بل أقصده ان يراد به الاعتبار وكأنه كناية والسكناية لفظ لا يمنع المعنى الأصلي ويقصد منه المعنى العارض . فقال هذا حسن

﴿ الجوهرة الرابعة في قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق فمن ظلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾

ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدين - مع قوله تعالى في سورة الأنبياء - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل

أتينا بها وكفى بنا حاسبين -

لما كتبت هذا العنوان حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير . فقال ماذا تريد أن تكتب هنا بعد ما كتبت في سور كثيرة عجائب العدد والوزن والنظام الخ وهل هذا إلا تكرار . فقلت له

لا تتجمل ولا تحملى أن أقول لك - إنك أن تستطيع معى صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا - . قال
يعجبا . أنا لم أسمع منك هذا الاقتباس إلا الآن ففسى أن يكون هنا كثر عثرت عليه حتى اقتبست الآية من
قصة موسى والخضر عليهما السلام . قلت نعم هنا كثر الكنوز وسر الأسرار وعلم الحكماء قد خبأه الله في
هذا الزمان ليبرزه للأجيال المقبلة في هذه الآيات . علم نفيس شريف لم يظهره الله إلا للأئمة الحالية تشريفا
للأئمة الإسلامية . ومتى اطلع عليه أبناءنا طاروا فرحا وشوقا إلى العلوم واستيقظوا من رقدتهم وقاموا من
نومتهم وسيكون اقراء هذا التفسير نهضة لم ينلها قبلهم أحد من العالمين . فقال

أسرع برّد جواب ما أنا باحث * عنه فنار العلم ذات تشعشع

فقلت ألم تسمع قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - فلم ذكر الله لفظ الحق هنا . قال هذه
عادة القرآن والله يسمى الحق وأعماله كلها حق . فهذه ليست تحتاج إلى علم ولا حكمة . فقلت هذه
الاجابة منك تداني انك تنظر لهذا القرآن وهذه الدنيا نظرة بغير عناية . إن لفظ الحق هنا لهامعنى لا يتم إلا
بعلوم كثيرة سأظهرها لك الآن . علم الله قبل أن ينزل القرآن أن بعض الناس لا يهتم بلفظة مثل هذه
يجعلها أمرا عاديا فأشار إلى دفع هذا بقوله بعد آيات - أنفستم أنما خلقناكم عبثا - فعادة الناس أن
يظنوا أن مثل هذه الكلمة جاءت عفوا لا معنى يخصها وهذا لعدم التدبر والفتنة كما لا يتدبر أكثر الناس في
أعضائهم وحواسهم وتركيبها العجيب . فقال انها لفظة مفهومة بذاتها لا تحتاج إلى شرح . قلت لا وأزيدك
على ذلك أن قوله تعالى بعد آيات - فتعالى الله الملك الحق - تعطى هذه الكلمة صبغة خاصة . ألا ترى رعاك
الله انه كما أن الملك (قسمان) قسم هو حق لا يموت ولا يفوته شيء ولا ينزعه أحد ولا ولد له يرثه ولا أخ ولا
شريك ولا ضعف يعتريه . وقسم هو باطل لأنه يمرض ويموت ويشاركه سواء ويحاربه ويغلبه الغالبون
ويوزلونه الخ فهذه المعاني وأمثالها تؤخذ من قوله تعالى - فتعالى الله الملك الحق - وانما تعالى لأن الملك
الباطل وهم ملوك الأرض قاطبة لا يتعالون بل هم في الخضيض . قال هذا حسن ثم ماذا . قلت اذا صح
هذا في قوله تعالى - فتعالى الله الملك الحق - فانه يصح نظيره في قوله - والوزن يومئذ الحق - فقال ان هذه
الجملة حاصرة فكأن الدنيا لا وزن فيها بحق وليس هناك حق في الوزن إلا يوم القيامة وهذا غير معقول فان
في الدنيا من الوزن ما هو حق ومنه ما هو باطل فقياسك الحق الأول على الحق الثاني قياس مع الفارق . فقلت
كلا . إن وزن الدنيا كله ليس محققا ولا وزن مع التحقيق إلا عند الله تعالى وهذا الحكم مستحيل أن يعرفه
الناس إلا بعلم الفلك والطبيعة . فقال أريد أولا أن أعرف الوزن في هذه الحياة الدنيا ثم بعد ذلك أعرف
كيف يكون غير حق بحيث يكون ذلك مبرهنا عليه فإننى ماسمعت أن موازين الأمم كلها ناقصة غير تامة إلا
منك . فقلت (الجواب عن الأول) اعلم أن أصل الموازين الجاذبية التي جعلها الله من صفات المادة كما
قال تعالى - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - فهذا الامساك هو المسمى جاذبية فكل حجر أو شجر
منجذب إلى الأرض ولولا تلك الجاذبية لأصبحتا جميعا بعيدا عن هذه الأرض وبهذه الجاذبية يكون

(١) الحجر ينزل من أعلى إلى أسفل بقانون فينزل في (باريس) في الثانية الأولى (٩ر٩) أربعة أمتار
وتسعا من عشر أى وتسع ديسات وفي مصر أقل ضرورة لقربها من خط الاستواء ولا يجوز التطويل في هذا
لأنه مشروح شرحا تاما في أول سورة (آل عمران) فارجع إليه هناك

(٢) اذا كان جسمان خفيفان يقتربان من بعضهما على وجه الماء كالفلين مثلا فان المسافة اذا كانت
بينهما مترا مثلا كانت السرعة بينهما أكثر منها والمسافة بينهما متران بمقدار أربعة أمتار أى على حسب عكس
الربع إذ مربع المتر الواحد متر واحد واذا كان بينهما متران كانت السرعة بعكس المربع فاعطى ربع الثاني
للأول وربع الأول للثاني وقس عليه ما اذا كان بينهما ثلاثة أمتار وهكذا

(٣) البندول وهو عبارة عن خيط أو حبل أو معدن طويل في آخره قطعة من الرصاص أو غيره تعلق في مكان بشروط مخصوصة ويترك يذهب ويحجىء من نفسه متذبذباً مضطرباً فإن هذا له حركات منتظمة في أوقات معينة

(أ) فإذا نظرنا إلى بندولين يتحركان في مكان واحد نجد زمان حركتهما واحداً إذا كانا متساويين فإن اختلافاً كانت ذبذبتهم على حسب جذر طولهما فإذا كان أحدهما طولاً أربعة والآخر تذبذب الأول في (٢) والثاني في (٣) والمعنى أن الحركات المتساوية عدداً تخمسة مثلاً تقع من الأول في (٢ من ٣) من الثاني (ب) وإذا أخذنا بندولاً واحداً في أماكن مختلفة كانت سرعته على حسب عكس الجذر التربيعي لشدة الثقل إذ معلوم أن الثقل يكون أكثر كلما قربنا من القطبين وأقل كلما قربنا من خط الاستواء . فإذا كان البندول في النوبة قوة ثقله (١) وفي بلاد روسيا قوة في الثقل (٤) تحرك في الأولى حركات مضروبة في (٢) الذي هو الجذر التربيعي لأربعة وتحرك في الثانية تلك الحركات بعينها مضروبة في (١) الذي هو الجذر التربيعي لواحد . والنتيجة أن البندول الواحد في الأماكن المختلفة تكون سرعته على حسب عكس الجذر التربيعي لشدة الثقل (وبعبارة أخرى) يكون في الجهات القطبية وما والاها لشدة ثقله مناسباً للجذر التربيعي في الجهات الاستوائية وهكذا بالعكس

(٤) ثم انظر إلى الموازين التي يزن بها نوع الإنسان أمتعته فانها تابعة للميزان العمومي وهذا وضع في كتابي (ميزان الجواهر) وكتابي (نظام العالم والأمم) وملخص ذلك أن لكل ميزان من موازين (القبان) (جهتين) جهة صغرى تسمى (ذراع القوة) وجهة كبرى تسمى (ذراع المقاومة) وعلاقة في الوسط فيها لسان دال على الاعتدال وعلى ضده . وإذا تساوى ذراع القوة وذراع المقاومة كان الرطل الموزون يعادل رطلا نظيره من حديد مثلاً موضوع في الكفة الثانية وهذا متداول بين صغار الباعة . فأما إذا طالت إحدى الجهتين وقصرت الأخرى كميزان القبان المذكور فإن القوة (التي هي عبارة عن الشيء الموزون كالقطن مثلاً) والمقاومة (التي هي عبارة عما يعادله من المعدن) لهما قانون خاص . ذلك أن المقاومة دائماً عكس ذراعها فإذا كان ذراعها قدر ذراع القوة عشر مرات كانت هي أقل من القوة عشر مرات . وإن كان ذراعها أكبر مائة مرة كانت أقل من القوة مائة مرة . فإذا كانت هي عشرة أطرال كانت القوة ألف رطل وهكذا . فانظر كيف أمكن الإنسان وزن أشياء كثيرة بمعدل قليل مع ناموس حق لا يتغير

فهذه المسائل نظر فيها إلى اعتبار طول الرافع ومربع المسافة في الحجر النازل وعكس المربع في الجسمين المتجاذبين والجذر في البنادل المختلفة في المكان الواحد وعكس الجذر في البندول الواحد في الأماكن المختلفة هكذا

(١) الطول (٢) المربع (٣) عكس المربع (٤) الجذر (٥) عكس الجذر

هذا هو الجال في أرضنا . هذا هو الميزان في دنيانا التي نعيش فيها

(جهل أكثر الناس)

الناس يعيشون ويموتون وأكثرهم لا يفكرون أما الجاهلة فلا يعقلون من هذا شيئاً وأما الذين درسوا هذه العلوم فإن أكثرهم يعمرون على هذا وهم لا يدركون وإنما يظنون إليها نظر الزارع لزراعته والموظف لمرتبه الذي ينقضاء من صاحب العمل وهناك مستبصرون في النوع الإنساني وهم في الأرض قليل . خلقهم الله وبشهم مع قلتهم في الأقطار ليبينوا للناس هذا الجال وليقولوا لهم أيها الناس إذا كان البندول في الساعة يعرفكم زمانها والقبان يعرفكم مقدار المبيع لتبادل المنافع فما ذلك إلا منافع لأجسامكم . أما عقولكم فغداؤها هو هذا الجال . والتأمل في وضع هذا الوجود وكيف ظهر الجال فيه والميزان والعندل وتبدي لعقولكم جبال

الوضع والاتقان فاعتبرت جميع الأوضاع من طول ومربع وعكسه وجذر وعكسه دلالة على حكمة بالغة وآية باهرة ظاهرة وأن هذا العقل الانساني الذي أدرك هذا أجل وأجل وأبدع وأبدع لأنه فرح بهذه المعاني الخبوءة في المادة حين اقتنصها منها . فهذا الاقتناص دلالة على أن القنيصة غذاء المقتنص وأن هذا الجوهر العقلي الذي هو سر الانسانية مناسب لتلك الأسرار في الطبيعة . هذه الموازين والأسرار الخبوءة في الطبيعة إنما هي مما يليق للعقل لأنها لطيفة وهواطيف فتجاذب اللطيفان وتعاين الجيلان . إن العقل الخبوء في الانسان هو الذي غاص على هذه الجواهر في المادة ليتصل بها خلاصة الانسان وهو العقل غذاؤه خلاصة الطبيعة وسرها وهي القوانين كما أن جرم المادة غذاء لجرم الانسان فالمادة للمادة والمعنى للمعنى . إن اختفاء معاني المادة واحتجابها وجعلها وعدم ظهورها إلا للعقل وحده تارة ولغريزة بعض الحيوانات تارة أخرى دليل على أن هناك (عالَمين) عالما لطيفاروحيا وعالما كشيئا ماديا وأن العالم الكثيف المادى أشبه باللوح الذي يقرأ فيه العالم اللطيف المادى علومه . إن الدنيا كلها لوح لنفس كلية مشرقة على هذا العالم . تلك النفس تنوعت في الأحياء كما تنوعت المادة الى صور وأشكال تنوعت المادة وتنوعت العقول والفرايز وربك على كل شيء حفيظ

(٥) المسألة الخامسة وهي ارتفاع الجوّ . يرتفع الجوّ عن سطح الأرض (٤٨٠٠٠) متر وحرارة الطبقات الجوّية تنقص درجة في كل (١٥٠) مترا أو (٢٠٠) مترا من الارتفاع لغاية (٧٠٠٠) متر تقريبا . ويظن أن التناقص بعد هذا الارتفاع أقل من ذلك وأن الطبقات الأخيرة ذات حرارة لا تنخفض عن ستين درجة .

وقل الجوّ وزن عمودا من الزئبق ارتفاعه (٧٦) سنتيمترا أو عمود من الماء ارتفاعه ١٠٣٣٤ متر فالضغط الكلى على سطح الأرض يعادل ثقل عمود من الماء قاعدته سطح الأرض وارتفاعه (١٠٣٣٤) مترا وهذا يعادل ثقل (٥٨٥٠٠٠) مكعب من النحاس كل مكعب ضلعه كيلومتر واحد . فهذا من الموازين التي وضعها الله في الأرض ليزن بها هذا الوجود وإنما قلنا انه من الموازين لأن الشمس اذا أرسلت أشعتها الى أرضنا وهي تحت الأفق صباحا ومساء أو فوقه نهارا فان هذا الضوء إنما يتفرق عليها بنسبة محفوظة بواسطة الهواء في جميع الجهات وهذا يسمى الضوء المنتشر أو المتفرق . فلو فرضنا أنه لم يكن هناك هواء فوق أرضنا فإنه لا يتم شيء في هذا الوجود فلانبات ولاحيوان ولاماء لأن الماء لا يكون إلا بجري الرياح وهذه تحمل السحاب وهنا لاهواء فلاسحاب وأيضا لا يستقي من الأرض إلا الجزء المقابل للشمس وحده وما عداه لا يصل له الضوء وكيف يصل له وهو إنما يأتي له بواسطة الهواء التي ينشر الأشعة المنعكسة من المادة الأرضية وهنا لاهواء فلا انتشار لتلك الأشعة المنعكسة . ثم إننا الآن نرى لون السماء الزرقاء وهذه الزرقاء لون الهواء نفسه لان سمكه العظيم الذي يبلغ عشرات آلاف الامتار هذا شأنه كالون ماء البحر العميق . فهذا اللون اذا لم يكن هواء لا يكون وإنما ترى السماء حالكة السواد . ويرى جميع الناس الكواكب السيارة والثابتة وقت الظهر وينتقل الناس من النهار الى الليل دفعة واحدة ومن الليل الى النهار دفعة واحدة . فانظر الى ميزان الهواء الذي قدر بمقدار . يحمل السحب ويأتي بلون الزرقاء وينشر النور وله درجات من الحرارة متدرجة من أسفل الى أعلى

(٦) المسألة السادسة . هذا الهواء نفسه هو الذي فيه يطير الطير وقد طار فيه الانسان في أيامنا هذه . وقد تقدم في سورة (المائدة) عند قوله تعالى - فبعث الله غرابا يبعث في الأرض - الخ كيف كان طيران الانسان في الجوّ على (ضربين) ضرب على هيئة سبر السفن والسمك في البحر وضرب على هيئة طيران الطير في السماء فاقراء هناك ولا تعيد . وإنما هنا تأتي (بفائدتين * الفائدة الأولى) ان الناس اذا طاروا في الجوّ فاهمهم الى الآن لم يصلوا الى أكثر من عشرة آلاف متر بالطيارات ولا الى أكثر من (١٥) ألف متر بالمنطاد . وقد علمت في سورة (المائدة) أن المنطاد يرتفع بخفة حجمه . فأما الطيارة المسماة باللغة الفرنسية (البرو بلن) فإنها إنما ترتفع بقوة تحريكها مع ثقل جسمها كثقل جسم الطائر بالنسبة للهواء (الفائدة الثانية)

إن الطائرة إنما تجرى بقوة تحريك آلة أو أكثر في مقدمها وهذه الآلة تتحرك بقوة ناتجة من المادة المسماة (البززين) التي يستخرجونها من الفحم الحجري وهذه الحركة تطرد الهواء أمامها فيخلو لها الجو من الهواء فتندفع وتأخذ في العلو أيضاً لأن اللوحين الأماميين اللذين في الطائرة مرتفعان إلى أعلى ارتفاعاً منظماً فيضربهما الهواء إلى أعلى فيحصل (أمران) اندفاع إلى الأمام يخلو الهواء وارتفاع إلى أعلى يدفع الهواء إلى أعلى لمقدم الطائرة

(٧) المسألة السابعة بيان المقصود من قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق -

اعلم أن هذه الموازين المتقدمة التي وضعها الله في الأرض سواء أكانت موازين طبيعية أو صناعية ليست في انقائها كموازين الله يوم القيامة فإن عالمنا الذي نعيش فيه أقل نظاماً من العالم الأعلى حينئذ نخرج من الأرض إلى عالم أجل من هذا وألطف منه . والبرهان على ذلك أن سرعة دوران الأرض في الثانية الواحدة (٤٦٥) متراً في خط الاستواء و (٤١٩) متراً في عرض مصر و (٣٠٥) متراً في باريس ولا تزال قوة السرعة تقل إلى القطبين . ثم إنه كلما كانت السرعة أشد كان الجسم أخف كما نرى أن الجسم فوق الرجي وهي مسرعة الدوران يكون أخف منه لو كانت الرجي ساكنة بنسبة السرعة . فاذن الأجسام تكون أخف في خط الاستواء منها في القطبين . فأما ما بينهما فإنه يكون بالنسبة لذلك وعليه استنتج العلماء أن الكيلوجرام ينقص وزنه في خط الاستواء بقدر (٣٥) ثلاث جرامات ونصف جرام أي مقدار جزء من (٢٨٩) جزءاً ومعلوم أن الكيلوجرام ألف جرام . فاذن كل ألف جرام تنقص نحو (٣٥) في الوزن في هذه الدنيا . ويقول العلماء لو أن الأرض كانت أسرع دوراناً عما هي عليه (١٧) مرة فقط لانعدم وزن الأجسام في خط الاستواء بحيث يصير الجسم هناك لا وزن له لشدة الحركة ويكون أقل من وزنه كثيراً جداً في غير خط الاستواء

هذا هو تفسير الآية التي نحن بصدددها . يقول الله تعالى - والوزن يومئذ الحق - ويقول - فتعالى الله الملك الحق - أما كونه ملكاً حقاً فهو ظاهر لأن ملوك الأرض تحت تصرفه هو فهذا ظاهر أي أن ملكهم باطل زائل . أما كون وزن يوم القيامة حقاً ووزن هذه الدنيا غير حق فهو غير معلوم وإنما يعلم بطريق العلوم التي ظهرت في الدنيا والمسلمون عنها نائمون . لقد استبان هنا أن جميع الأجسام التي تزن في هذه الأرض ليس وزنها جازياً على الحقيقة تماماً لأن أرضنا تجرى جرياً سريعاً وإذا كان كذلك فسرعتها تنقص وزن الأجسام التي عليها فالجسم الذي ينقص في خط الاستواء جزءاً من (٢٨٩) ينقص في مصر وفي غيرها جزءاً أقل من ذلك فتكون الأوزان غير حقة عندنا لأن عالمنا ثقيل ليس نوريا بل هو مظلم فلذلك كانت موازينه غير حقة ولإصادقة . هذا هو تفسير القرآن . القرآن أظهر لنا أن الوزن يوم القيامة حق أما وزن الدنيا فإنه ناقص ولو جزءاً قليلاً جداً . وهذا ظهر لنا من العلوم المنتشرة في ربوع الشرق والغرب الآن ومن قوله تعالى - فتعالى الله الملك الحق - وفهم معنى الحق في المقامين ومن قوله تعالى - أحسبتم أنما خلقناكم عبثاً - الخ الذي يشير إلى أن أي كلمة في الكتاب ليست عبثاً بل لها مقصود خاص ومنها قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - أي أما في الدنيا فإن الوزن عندكم فيه قريب لا تحقيق . فبالت شعري كيف يعرف المسلمون معنى قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - إلا بما يلائم ما بيناه وكيف وافق نظام هذا الكون سر القرآن وكيف أصبح العلم الحديث والقديم سرين من أسرار القرآن . فيأسفاً على أمة ماتت علماتها وضاع مجدها وطلح قوادها وذهبت كأمس الدابر - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال - . اللهم إن المسلمين غيروا ما بأنفسهم من حب العلم والمعرفة فأصبحوا طغين الرجي أذلاء ضعفاء جهلاء ، وعسى الله أن ينقذهم برجال يقرؤن أمثال هذا التفسير ويكونون قادة للأمة الإسلامية والحمد لله رب العالمين

(٨) المسألة الثامنة . قال ذلك الصالح لما سمع هذا إذن جميع الموازين على الأرض غير موصلة لحقيقة الموازين بسبب حركة الأرض الدورية وهذا عسر لا يعرفه إلا الدارسون لهذه العلوم فهل تذكر لي مثلاً آخر أعرف به أن موازين هذه الأرض لا توصل إلى الحقيقة حتى يتبين لي معنى قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - التي نحن بصدد الكلام عليها . فقلت مسألة (أرشميدس) قال وما هي . قلت إن (أرشميدس) الفيلسوف كان ملك زمانه قد أعطى للصائغ ذهباً يصنعه له تاجاً فلما وقع في يد الملك شك في أمره وقال لابد أن يكون هذا الذهب قد خلط بفضة وأحضر (أرشميدس) وقال له أريد أن تبحث لي في ذلك ففكر أياماً وبينا هو يستحم إذ أحس بأن جسمه في الماء أخف منه وهو فوق الأرض فأدرك حالاً أن جميع الأجسام تخف في الماء فأسرع بالخروج من الحمام من غير أن يستتر بلباس وقال عرفتها عرفتها ثم صنع تاجاً بوزن هذا التاج من الذهب وتاجاً آخر بوزنه من الفضة فوضع تاج الذهب في إناء فيه ماء فارتفع الماء في الإناء فجعل هناك علامة ثم وضع تاج الفضة في الماء فارتفع الماء طبعاً فوق علامة ارتفاعه للذهب لأن الذهب أثقل والفضة أخف فتأخذ حجماً أكبر مما يأخذ الذهب ثم أتى بالتاج المطلوب معرفته فارتفع الماء إلى علامة بين العلامتين فعرف يقيناً أن هذا التاج مخلوط فيه ذهب بالفضة ولولا ذلك لم يرتفع الماء في الإناء عن ارتفاعه في تاج الذهب فسر ملكه بذلك وظهر أن ظن الملك كان صادقاً وأن الصائغ غاش . وهذه القاعدة هي أسـ لسيير السفن في البحر والسماك في الماء والمنطاد في الهواء . إن السفينة في البحر لا تطفو على الماء إلا إذا كانت أخف من الماء الذي أزاحته وهكذا السمك لا يطفو إلا إذا نفخ المنفاخ الهوائي الذي في جسمه فكبر حجمه فصار أخف من الماء الذي يزيحه وهكذا المنطاد في الجو يسرع في الارتفاع بمقدار خفته . فتبين من ذلك أن الجسم في الماء أخف منه وهو في الهواء ثم الجسم الذي في الهواء فوق سطح الأرض أقل من حقيقته بحظه قليل كما تقدم هذا هو معنى قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - وقوله - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين - فقوله - ليوم القيامة - قيد لدقة الوزن أما في الدنيا فإن الوزن لا يكون تماماً ولا يأتي بمثل حبة من خردل لأنك علمت أن كل ألف جرام في خط الاستواء تنقص ثلاثة وأصفا وهذه فيها حبات خردل لائحة واحدة بل فيها عشرات بل فيها مئات الحبات . هذا هو سر القرآن ظهر في هذا الزمان . قال فهل هناك موازين من هذا الباب عامة . فقلت نعم الهواء جعله الله أخف من الماء (٨٠٠) مرة والبخار أخف من الماء (١٧٢٨) مرة ولذلك الميزان ترى الهواء فوق الماء وترى البخار يعلو سحاباً ويرتفع في طبقات الجو

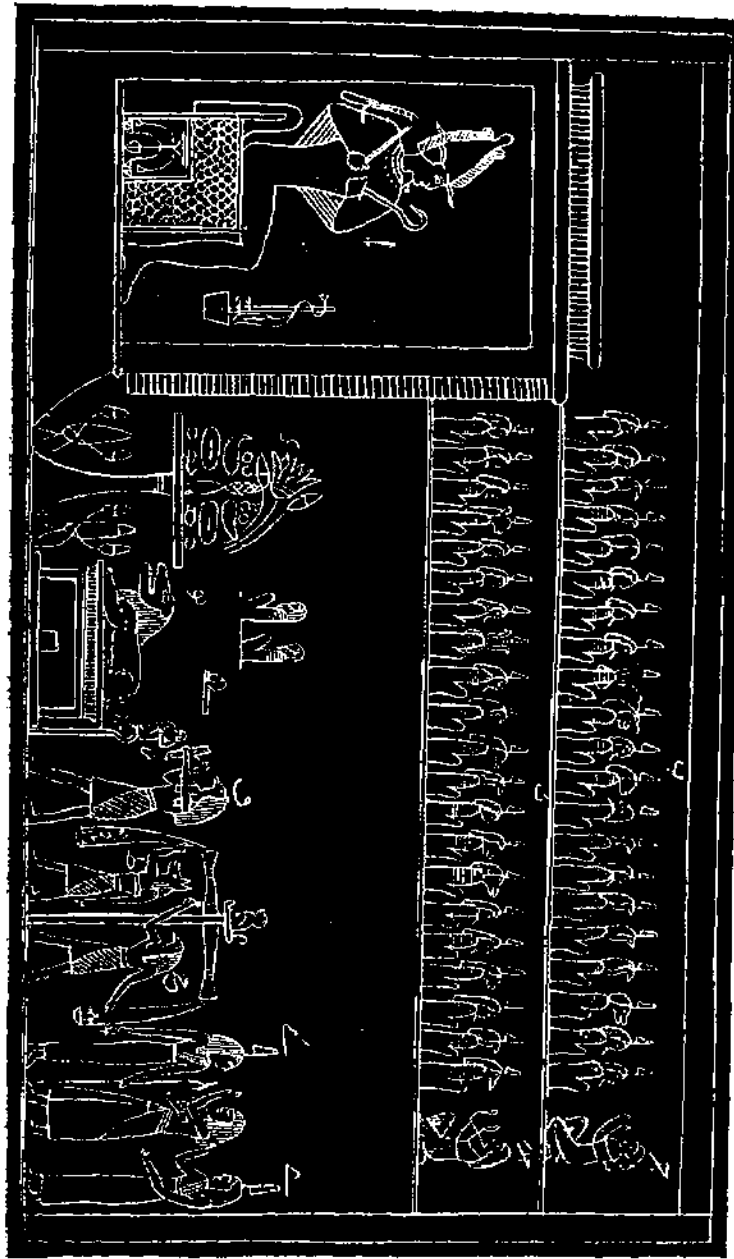
(٩) المسألة التاسعة . قال صاحبي هذا حسن جداً وبيان عجيب ونور مبين لم يظهر إلا في هذا الزمان فهل هذا الوزن المذكور في القرآن جاء في ديانات الأمم السابقة . فقلت نعم ولدينا دليل مشاهد ظاهر واضح لم يظهر إلا في هذا الزمان . فقال وما هو . قلت قد عرف الناس أن دين قدماء المصريين مأخوذ عن النبي ادريس عليه السلام المسمى (هرمس) ويسمى (اخنوخ) كما يسمى بهذين الاسمين أيضاً كوكب الشعرى الذي بنى الهرم لاجتماع نوره ويسمى أيضاً (نوت) فهو لاء قد صوروا لأهمهم ميزان الله يوم القيامة بصورة تمثل لهم العدل يوم القيامة . وقد تقدم الكلام على دين قدماء المصريين في سورة (يونس) عند قوله تعالى - فالיום نجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية - وأن تلك الجثث إنما بقيت بمصر ليعين الله للناس ما كان عليه القوم من علم ومن جهل وضلال وهدى . وأزيد الآن عليه ما نقله أستاذنا أحمد أفندي نجيب مفتش وأمين دار عموم الآثار المصرية إذ نقل في كتابه (الأثر الجليل) في صفحة ٣٣ وما بعدها عن (هيرودوت) أن أهل (طيبة) كانوا يعبدون الله وحده ويقولون هو الأول والآخِر الحَيُّ الأبدى السرمدي . ونقل عن (جامبليك) أنه سمع من كهنة المصريين أنفسهم أنهم يعبدون الله وحده ويقولون أنه فاطر السموات والأرض ورب كل

شيء وهو المالك لكل شيء . الخالق لكل شيء الذي لم يخلق ولم يتجزأ ولا تراه العيون . يعلم ما تكتمه الضمائر وما تخفيه الصدور وهو الفاعل المختار لكل شيء وفي كل شيء الى أن قال وأما ما نراه من كثرة المعبودات لجميعها رمز الى صفاته تعالى وهذا هو اعتقاد كهنة المصريين المدون في كتبهم المقدسة اهـ

ثم نقل أستاذا المذكور عن المؤرخ (شمبليون فيجاك) ما يفيد أن المصريين كانوا أمة واحدة يعبدون الله تعالى ولكن لما أظهروا صفاته العالية مشخصة للعيان وقد غرقوا في التوحيد تشعبت طرقهم

ونقل في صفحة (٩٤) نقلا عن (مسيرو) ما ملخصه ان الأمة المصرية كانت مخلصه لله في العبادة فكانوا يرون أن الله في كل مكان فهامت قلوبهم في حبه وشجنت كتبهم بحسن أفعاله ثم عددوا صفاته وجعلوها صورا محسوسة وصوّروا لها كل شيء نافع فاشتهرت تلك الصور حتى ملأت المدن فنشأ عن ذلك جلة معبودات متباينة في الشكل والهيئة دخلت فيها الحيوانات والطيور والسماك والحشرات ولكل واحد وظيفة خاصة مثل (أمون) الله ومثل (فتاح) الذي أنفق كل شيء ومثل (أوزيرس) الله الرحيم فاعل الخير

ونقل عن بعض المؤرخين صفحة (٩٥) ما نصه (كان مكتوبا في أحد الأسفار المصرية المنسوبة الى هرمس (ادريس عليه السلام) ما صورته « يا مصر يا مصر يأتى عليك يوم يتغير فيه دينك القويم ومنهجك القديم فتظهر الخرافات وتم الضلالات وتنحصر أخبارك في أحجارك » . لكن نقل بعد ذلك عن (ماريت باشا) انه قال « لم نجد الى الآن على الآثار أدنى شاهد على ذلك التوحيد بل هم عبدوا كل شيء إلا الرب جل جلاله » ثم قال « وهذا هو الذي عرف عن نفس الأمة أما التوحيد فهو خاص بعلماء الدين وهم الكهنة » هذا ملخص ما نقله . فهؤلاء صوّروا العدل بصورة مجسمة فيها (٤٣) قاضيا لهم رئيس هو (أوزيرس) رئيس القضاة والروح نحاسب بين يدي القضاة وعلى رؤسهم ريشة العدل وهناك ملك العذاب وتوت كاتب الأعمال يسجل ما ظهر له والميزان له كفتان في اليمنى قلب الميت وفي اليسرى معيار الحق وهناك ملك يسمى هوروس ينظر كم بلغت الحسنات والسيئات وآخر يراقب كفة معيار الحق وآخر في يده قضيب الملك وأمامه روح الميت مصورة تبرأ من كل ذنب وهذا كله ينطق بقوله تعالى - فن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون - وقوله - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أثينا بها وكفى بنا حاسبين - وإنما نقلت لك هذا لتعجب من دين الاسلام كيف كان هو الدين الذي كأنه صورة لجميع الديانات وكيف كان الوزن فيه واردا ومرسوما في ديانة قنماء المصريين بنفسه . فهو في القرآن جاء بالقول وفي ذلك الدين جاء بالرسم والتصوير وهذا صورته (انظر شكل ٢٢ في الصفحة التالية)



(شكل ٢٢ - صورة محكمة (أوزوريس) الجهنمية)

- (أ) أوزيريس رئيس القضاة جالس على منصة الحكم
 (ب ب) الاثنان والأربعون قاضيا من الملائكة المكلفون بحساب الروح وعلى رؤسهم ريشة العدل
 (ج ج) الروح تحاسب بين يدي القضاة
 (د) مائدة عليها بعض أرواح الموتى وقليل من القرابين
 (هـ) ملك العذاب
 (و) توت كاتب الأعمال يسجل ما ظهر له
 (ز) علامة العدل ثم الميزان في كفته اليمنى قلب الميت وفي اليسرى معيار الحق كما تقدم
 (ح) الملك هوروس ينظر كم بلغت الحسنات والسيئات
 (ط) (أنونيس) يراقب كفة معيار الحق
 (ى) ملك العدل له صورتان بيد أحدهما قضيب الملك وبوسطهما روح الميت تتبرأ من كل ذنب اهـ

﴿ الجوهره الرابعة في قوله تعالى - فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون * تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون - ﴾

اللهم إنك قد حكمت بحبس أرواحنا في هذه الأجسام المظلمة وحجبتها عن الاطلاع على سرّ التكوين وأسرار الوجود ولكنك لم تفعل ذلك بخلا كلا والله ولا حبسا للعطاء وانك سبحانك لا تعطي إلا على مقدار قوة المعطي وذلك بالوزن ولقد شاهدنا الوزن في هذه الدنيا . شاهدناه يا الله حتى أصبحنا به موقنين إيقانا تاما وقرأنا كتب علماء الأرواح الذين توموا أنفسهم وقالوا إنا شاهدنا بعض عالم الأرواح فرأينا النظام هناك كالنظام هنا من حيث إن كل روح قد وضعت في المركز اللائق به في أعلى عليين أو في أسفل سافلين فالعوالم هناك على وزن العوالم هنا وأصحاب النار هناك قد استحقوها بما غلب على عقولهم في الدنيا

ولما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه أحد الأصدقاء الفضلاء قال لي كيف تقول إنك شاهدت الوزن في الدنيا وكيف تستدل بقول علماء الأرواح فأما في الأولى فلا يخلو إما أن تكون من أهل الكشف أو من أهل العلم فإن كنت من أهل الكشف فانك لا تفيدنا علما لأن كشفك خاص بك لا يتعداك كالم يتعد كشف أولياء المسلمين ولا كشف نسائك الهنود أشخاصهم الى أمهم بدليل ضعف الامتين معا . وان كنت من أهل العلم فأحرارك أن تذكر لنا البراهين التي جعلتك موقنا بالوزن حتى ننظر فيها بعقولنا كما نظرت . وأما في الثانية وهي استدلالك بأقوال علماء الأرواح فان قولهم ليس برهانا . فقلت سأوضح هذا المقام ﴿ بفصلين ﴾ الفصل الأول ﴿ فيما هو مشاهد في الدنيا من الوزن ﴾ (الفصل الثاني) ﴿ في أن كلام علماء الأرواح الذين شاهدوها وقالوا انهم قد اطلعوا على مراتبها موافق كل الموافقة لما نشاهد في الدنيا سواء بسواء مما يفهمنا قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - ويوافق قوله تعالى - ونزغنا ما في صدورهم من غل - إخوانا على سرر متقابلين - إن كلام هؤلاء العلماء موافق للآية كل الموافقة وهذا عجب عجاب . ثم قلت

﴿ الفصل الأول فيما هو مشاهد في الدنيا من الوزن ﴾

اللهم إنك (وان حبستنا في الدنيا وأغرقت أرواحنا في هذه الاجسام المظلمة والعوالم التي أحيطت بسلاسل وأغلال من الشهوات أحكمت وثاقها علينا فلم نستطع التخلص منها) قد أنرت لنا السبل وفتحت بصائرنا وكتبت بيدك على قرطاس الطبيعة كتابا منشورا رأيناه . سطورا فيها فقرأناه فألفينا فيه انك خصصت لكل حي من الأحياء عملا لا يتعداه وعلم لا يخطئه . ذلك انك سبحانك لم تدع كوكبا يجري بلا نظام وحكمت عليه أن لا يترك فلكه ومداره وأمرنه أن يجري بحساب لا يخطئ فيه ثانية واحدة . وهذا رأيناه مطردا في الكواكب السيارة والثابتة لانشد قاعدته ولا يخطئ قانونه . ومن عجب انك لم تقتصر في تلك القوانين على الأجرام العظيمة بل رأينا السنان جارية في أصغر الحشرات وأدنى المخلوقات بحيث لا يخالف ما رسم لها ولا يشابه واحدا منها الآخر في سننه كما لم يشابه كوكب كوكبا آخر في نظامه وقوانينه المحكمة . ولقد وجدنا الانسان جرى على هذه السنان عينها فألفينا كل واحد من الناس سار على منهج يخالف سواء مخالفة ما فانا نفرق بين لون زيد وعقله ومذهبه في الحياة كما نفرق بين الكوكب والكوكب والحشرة والحشرة فلكل عمل خاص يشارك غيره في بعض الصفات ويخالفه في بعضها . فهذا هو الميزان المنسوب في الأرض . ومن ذلك ما سأذكره من ﴿ اثني عشر مثالا الآن ﴾ في عوالم الحيوان أذكرها هنا لأقيس عليها عوالم الانسان في الدنيا والآخرة حتى يلتئم عالمنا فيكون آخوه كأوليه وغائبه كشاهده وآخريته كأولاه ليكون ذلك دليلا لنا على ما سنلقاه بعد الموت ويوقن كل منا بمستقبله هناك متى عرف ما ركز في نفسه وفهم ما توجهت اليه هي في الحياة من المناهج والسيرة والأحوال فيعلم علما ليس بالظن ما حاه هناك وما درجته وهل أخلاقه وذنوبه تلازمه هناك كما تلازمه

هنا أم هناك حال خاصة ينزع فيها من الفاضل رذائله ومن الشرير فضائله حتى يتجبر ذلك لما غلب على عقله كما نرى في الحيوانات في الدنيا إذ كل سار فيها رسم له من الصفات . كل هذا سيفصل في الفصل الثاني . أما هذا الفصل فاعلم أن ذكر فيه الأحد عشر مثالا

(المثال الأول)

إنك يا الله سبحانه خلقت (السلحفاة البحرية) وقد سبق علمك أنها تكون باردة الدم فلا حرارة فيها كافية لتدفئة البيض فاقضت حكمتك أن تبتلع لها ضريبا من التدبير يناسبها فعلمتها علما يخصها إذ أمرتها أن تبحث في طبقات الرمل على شاطئ البحر لا ينفذ إليها الماء وذلك البحث في ظلمات الليالي الحوالك والناس لا يشعرون ولا تزال تبحث عن تلك الطبقات بعد خروجها من البحر حتى تظفر بها ومتى ظفرت بها وضعت نحو (١٢٠) بيضة ثم تغطيها بالرمل بغاية العناية وتعود إلى البحر ولا يشعر بها أحد . وكما ألهمت الأم ذلك وعلمتها أن تبحث على المكان المناسب . علمت أفراسها إذا خرجن من البيض أن يرجعن إلى البحر ولا مرشد لها ولا معين فلا أب يعرفه ولا أم مشفقة بل هي لورأتهن لم تعرفهن فتراهن قد خرجن من تحت الرمل وقاسين الشدائد وسرن في الوهاد والرمال والحواجر العظيمة التي تكون بالنسبة لها كأنها الجبال الشاهقات حتى ترجع البحر ولا تعود وتعيش هناك وهي لا تعلم آباءها ولا أمهاتها . إنك أنت المعلم لها والمرشد وقد وزنت أحوالها وزنا حقا وجعلت الآخرين في الميزان كالأولين . ومثل (السلحفاة البحرية) في ذلك جميع الحيوانات الزاحفة وهكذا التماسيح لأنهن ليس عندهن من الحرارة ما يبدى البيض فجعلت يا الله حرارة الرمل لهن بدل الحرارة الطبيعية . انتهى المثال الأول

(المثال الثاني)

إن بعض التماسيح (وإن فعل مثل الزواحف في كيفية التناسل) يراقب بيضه في الرمل آنا فآنا حتى إذا تم تكوين أفراسه أخذ يكسر لأبنائه الصفار البيض إذا سمع أصواتهن من وراء قشور البيض فهو إذا ذاك يساعدهن كما تفعل القابلات في مساعدة الولادات وأولادهن وكما تفعل القابلات من النمل من مساعدة النملات الصغيرات المكبلات في خيوطهن وهن ضعيفات ليخرجن حشرات كاملات انتهى المثال الثاني

(المثال الثالث والرابع)

إن أكثر الثعابين جارية على القاعدة العاتة في الحيوانات الزاحفة ولكن بعضها ابتليت بأعداء يؤذونها ويترصون بها وبأولادها الدوائر فأنت يا الله للطفك بها وحكمتك خصمت هذا النوع بأن يرقد على بيضه يضع أسابع كما يرقد البجاء سواء بسواء وذلك هو الميزان لأن هذه الأنواع لما احتاجت إلى دفع أعدائها أعطيت قوة المحافظة على بيضها والا فلا

(المثال الخامس)

إن جميع الطيور ترقد على بيضها بعكس الثعابين وقليل منها تترك أفراسها لغيرها وذلك أن طائرا يسمى (الككم) وهو طير كالباشق لا يبنى له عشا وإنما يضع بيضه في عش طائر غيره وذلك الطائر يخلفه كل المحافظة وهو لا يخص نوعا دون نوع بل وجسدوا أنه قد وضع بيضه في أعشاش ثمانية نوعا من الطيور وهذه الطيور التي تودع (الككم) عندها بيضها تر بها بكل حنان وشفقة ومتى كبرت طارت إلى مواطن أنواعها الساكنات في (أفريقيا) بلا هاد يهديها ولا مرشد يرشدها وهي تقطع المسافات تلو المسافات والسبب وراء السباسب ثم تلد كما ولدت أمهاتها وكل لا يعرف والد ولا مولودا . وهذه صورة فرخ من أفراسها (انظر شكل ٢٣ في الصفحة التالية)



(شكل ٢٣ - صورة فرخ صغير من طائر الكعك يطلب من حاضنته أن تغذيه مع أنها من نوع آخر)

﴿ المثال السادس ﴾

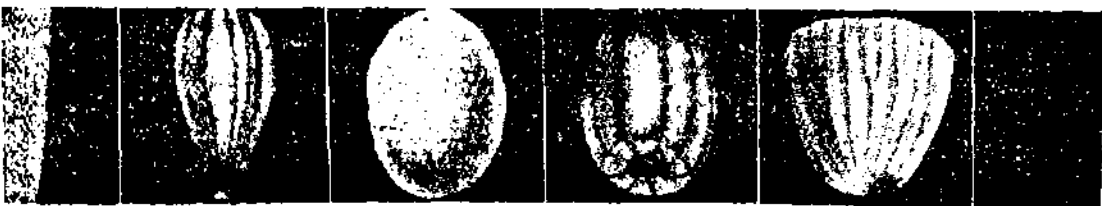
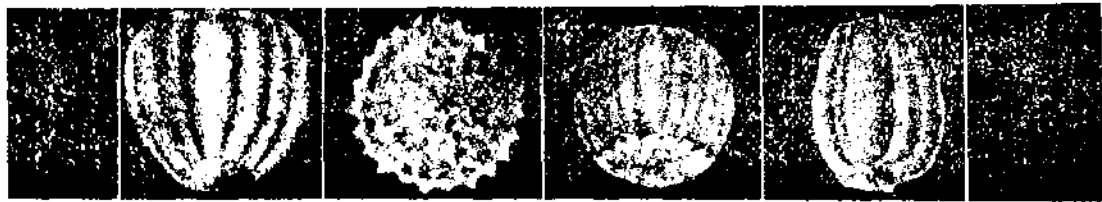
إن السجاج الاسرائلي يصنع كما تقدم في الحيوانات الراحقة ولكن هذه لها طريقة خاصة فان دجاجتين او ثلثا تصنع حظيرة بأرجلها يبلغ قطرها نحو (١٥) قدما ثم تضع كل واحدة منهن بيضا منظما ويفطين البيض بغطاء منظم محكم . ومن العجيب أن درجة الحرارة في تلك الحظيرة أعلى من الحرارة العادية عشر درجات ومتى فقس البيض خرجت الأفراخ وحفرت لها نفقا في تلك الحظيرة وخرجت تجرى ثم تعيش في مكان يصلح لحياتها

﴿ المثال السابع ﴾

وهو ما تقدم في سورة (طه) من أن السمك تنزل ذكوره على بيض أنثاه فيترى الصغار ولا علم للأبوين بما حل بالذرية وذلك في قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى -

﴿ المثال الثامن ﴾

ما قد تقدم في سور كثيرة كسورة البقرة والأنعام والحجر في قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - إلى آخره في الأولى وفي قوله تعالى - انظروا إلى ثمره إذا أثمر - في الثانية وفي قوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح - في الثالثة من أن الحشرات زينت لها الأزهار فكانت تلك الزينة سببا لتهاقت الحشرات عليها لتأكل منها رزقها وهو العسل وتكون سببا في إلقاح النبات إنائه من ذكرانه وبعض الحشرات تبحث بعد الجهد والعناء على أوراق خاصة صالحة لأن تربي عليها صغارها فتضع عليها بيضا بحيث تكون تلك الأوراق بعد الفقس صالحة للتغذية منها (انظر شكل ٢٤)



(شكل ٢٤ - رسم بعض أنواع بيض الفراش)

(٢٤ - جواهر - حادي عشر)

﴿ المثال التاسع ﴾

الدود المتقدم ذكره في آخر سورة (الحج) بنقلب الى صور بديعة جيلة من حشرات لامعات مرقشات منقوشات ببدايع الألوان وغريب الأشكال مع انها كلها دودات حقيرات مخلوقات في أماكن قذرات - فتبارك الله أحسن الخالقين -

﴿ المثال العاشر ﴾

إن جمهوريات (النحل والنمل والزناير) المعروفة تسير على النمط المعروف من حيث إن الأبناء يكونون معروفين عند الآباء . ولكن المدهش العجيب أن الأنواع الوحشية من هذه تضع بيضها في أماكن مختلفة كل بيضة في مكان خاص وتضع معها غذاء خاصا كما تفعل المرأة اذا حملت من السفاح ورمت ولدها فانها قد تضع معه نقودا ليصرفها عليه من يجده في الطريق

﴿ المثال الحادى عشر الزناير الوحشية ﴾

ان الاناث منها تفعل ما تقدم هنا من وضع كل بيضة منفردة وحدها وتضع بجانبها الديدان أو الخنافس أو العناكب ولا تريد اماتها لئلا تفسد وانما تحقنها في مركز مجموعها العصي بسائل مخدر لتبقى لاهى حية تسمى فتذهب ولاهى ميتة فتفسد جثتها حتى اذا خرجت ذريتها من البيض أكلت من تلك الجثث التي أحضرها الوالد للولد كما قال تعالى - ووالد وما ولد - . أقسم الله بالوالد والولد تذكيرا بهذه العجائب المدهشة والرحجات المتنوعة البديعة انتهى وبهذه انتم الفصل الأول فيها هو مشاهد في الدنيا من الوزن بمناسبة آية - فمن نقلت موازينه -

﴿ الفصل الثانى فى أن كلام علماء الأرواح الذين شاهدوا الأرواح وقالوا انهم قد اطلعوا على

مراتبها موافق كل الموافقة لما نشاهد فى الدنيا سواء بسواء مما يفهمنا قوله تعالى - ما ترى

فى خلق الرحمن من تفاوت - إذن لا تفاوت بين نظامه فى الدنيا ونظامه فى الآخرة فكلاهما

على صراط مستقيم ويفهمنا قوله تعالى - وزعنا ما فى صدورهم من غل - إخوانا على سرر

متقابلين - وبيان أن كلام هؤلاء العلماء موافق لهذه الآيات كل الموافقة ﴾

ذلك انك يا الله سبحانه كما أرينا ما تقدم فى الفصل الأول (فعرناه وتحققناه لاسما فى زماننا هذا الذى أبدعت وأبرزت فيه هذه العلوم للمسلمين وشرحت قلبى لهذا التفسير وأبرزت فيه من العجائب ما أعرض عنه الكثير إما غرورا وإما جهلا وإما ضعفا فى بصائرهم وخورا فى عزائمهم فكبرت تلك العجائب فى أعين المسلمين فى زماننا فارتقت نفوسهم اليك وعرفوك معرفة أعظم من معرفة المتأخرين من أسلافنا) هكذا أسمعنا عجبا من كلام أحد علماء الأرواح المذكور سابقا فى هذا التفسير فى مواضع كثيرة المسمى عثمان بن سويل سودنج الذى يقول انه شاهد الأرواح وخطبها ولذلك نراه ليس متعصبا للمسيحيين بل ذم أكثرهم ومدح كثيرا من المسلمين وحكم بدخولهم الجنة وقد تقدم بعض كلامه فى (سورة التوبة) مع تاريخ حياته فهذا العالم يقول

(١) إن الانسان بعد الموت ليس له من السعادة أو الشقاء إلا ما فكر فيه أولا وعمله ثانيا والفكر بلا عمل كبرر طرحنه فى الرمل فذلك لا ينبت والفكر مع العمل كالبرزاد نبت وأزهر وأثمر ولقد جعل المدار فى الحياة الأخرى على ما غلب على طبع الانسان واستولى على نفسه وملك قيادها وصار لها أشبه بغرائز الزناير المتقدمة والنحل والنمل والدجاج الاسترالى بحيث يفعل الانسان فعلة بناء على حب قلبى فيكون إذن أشبه من بعض الوجوه بتلك الحيوانات فى الأمثال التى قدمناها . فكما نرى الحيوانات الزاحفة تعطف على صغارها قبل خلقها وتبني لها الأماكن التى تلائمها لا تطلب جزاء ولا شكورا إلا أداء الواجب طاعة لضمائرها هكذا لا يرى الناس لهم بعد الموت منزلة ومقاما إلا مع قوم نجدهم وياهم رابطة فكرية عملية بحيث يلتصمون فى آرائهم التثامات قلبيا حقيقيا . أما ما ليس له أصل فى القلب من الأعمال ولاله منزلة من المحبة فى نفس الانسان فهذا ملغى لا

عمل له . فاذا رأينا رجلا مغرما بإيذاء جيرانه أو مقاضاة أعدائه أو الحسد والحاربة وقلبه فرح بهذه الأعمال وغلبت عليه غلبة حقيقية ومع ذلك يعمل أعمالا صالحة فهذا بعد الموت ينظر في أمره وهو نفسه لا يستحلي إلا ما غلب عليه في الدنيا من هذه الأمور الشيطانية ولا سبيل للتفان والخذاع هناك . فهذا يستحيل عليه أن يدخل مع الأبرار بل يدخل مع أمثاله الذين هم اخوان الشياطين في جهنم . وبالعكس ذلك الذي عشق الفضيلة ومنفعة الناس وصار ذلك ديدنا له أو أحب العلم وكان أكثر غرامه . فهذا بعد الموت ينطلق إلى أمثاله ولا يعرف كيف يعاشر إلا أولئك الذين أحبه ولا يأنف سواهم . وهناك لا أحد يحجز أحدا عن مرتبته فحق استحق مرتبة دخلها ومن لا يستحق ولا استعداد عنده فانه لا يقدر هو نفسه أن يعيش بين أهلها بل يفتر منهم فرار الغم من الذناب

وقد وضع في صفحة ٢٨٩ من كتابه هذا الموضوع إيضاحا لم أجده له نظيرا إلا في بعض كتب محيي الدين ابن عربي وفي إشارة قرآنية . ذلك انه قال ﴿ إن الروح الصالحة تسلب منها جميع ما لا يتفق مع صلاحها ثم تدخل مع الصالحين ويفعل نظير هذا الفعل مع الروح الشريرة فتسلب الفضائل لغلبة الرذائل عليها وحجبها لها حتى يتمكن أن تعيش مع الأشرار مشاكلة لهم فتجد الروح هي نفسها تحوّل وجهها إلى الوجهة التي غلبت عليها من تلقاء نفسها ولن تقدر الروح أن تقاوم ما غلب على طبعها فتكون الروح إذ ذاك أشبه بمن غلب عليه في الدنيا شرب الخمر فلم يقدر على التخلص من ذلك أو غلب عليه الاحسان للناس فكل منهما لا يقدر على تغيير طبعه هكذا هناك وتبصر تلك الأخلاق أشبه بالجاذبية بين الأرض وما عليها واذن تكون الرذائل القليلة وسط الفضائل الكثيرة أشبه بالحشائش النابتة في وسط الذرة المزروعة زرعاً متقناً في أرض طيبة قد سمدت تسميدا جيدا فهذه تهلك حشائشها في وسط تلك الذرة وتكون الفضائل القليلة وسط الرذائل الكثيرة كالنمرة النابتة وسط الحشائش في أرض غير طيبة التربة ولم تسمد تسميدا جيدا ولم يقم عليها الزارع حق القيام فان الحشائش إذ ذاك تغلب على الذرة فلا تهر . فهذا هو المثل الذي اخترته لغلبة الخير على الشر أو غلبة الشر على الخير . اللهم إن هذا القول عينه ينطبق على ما يقوله المؤلف المذكور وترجع سجايا الانسان الغالبة عليه أشبه بما أودع في غرائز الحشرات من العطف على ذريتها فيصكون عالم الآخرة كعالم الدنيا نظاما واحدا - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وبهذا يظهر قوله تعالى - أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا - ويظهر أيضا ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ سئل عن الساعة فقال للسائل ما أعددت لها قال حب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت . وهذا عجب فهو موافق لقول هذا العالم الروحي . ويشهد لنزع الرذائل من نفوس الأبرار الذين لم تغلب عليهم شقوتهم قوله تعالى - ونزعنا ما في صدورهم من غل - اخوانا على سرر متقابلين - . أقول وإذا لم يكن الأمر كذلك ولم يكن هناك نزع بل بقي جميع الصفات ملازمة للناس بعد الموت فان هذه الصفات نفسها عذاب أليم . فالحقد والبغضاء والخوف والجبن وأمثالها هي نفسها عذاب وأكثر الناس قد لزمهم بعض العادات فلا يقدر على التخلص منها . فهل الفضلاء الذين على هذه الصفة تلازمهم ولا تفارقهم صفاتهم واذن يكونون إلى الأبد في عذاب أليم فهذا النزاع يكون فرجا لهم . ومن قرأ كتاب ﴿ إحياء علوم الدين ﴾ لاسيما الجزء الثالث منه واطلع على المهلكات فيه لم يدخل في قلبه شك أن صفات الشر لا تفارق الانسان بعد الموت وهذا غالبا يورث اليأس فأما هنا فانه يقول إن سيئات من غلبت عليهم الفضائل تفصل عنهم واذن يدخلون الجنة مع أحبائهم . وقد جاء في هذه السورة - قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا - وهذه الآية موافقة لما قاله الروح كل الموافقة . فغلبة الشقوة كافية في ادخال جهنم كما أن طالب العلم الذي غلبت عليه اللصوذية تراه يترك العلماء ويعيش مع اللصوص كأن الشقوة غلبت فحقت العلم وآثار العلم . ويقول الله تعالى هنا - فن نقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت

موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون - . أليس هذا من العجب . ان القرآن يصرح بثقل الموازين وخفتها أى ان المدار على الغلبة . ويرجع الأمر لما يشبه غرائز الحيوانات المتقدمة في الفصل السابق ويطابق قول الأرواح معاني القرآن .

رب إن الهدي هداك * وأياك نورتهدي بهامن نشاء

هديتي فرأيت كتاب العالم الروحي ورأيت من كل وجه يشبه الذرة والحشائش ورأيت يوافق القرآن . ثم أطلعتني على ما كان يعتقد قديما المصريين اذا هو أشبه بما في القرآن . وكلام الأرواح ومثل النبات المتقدم وغرائز الحيوان كما تقدم في وزن الأعمال عندهم . فالحمد لله على نعمة العلم وبدايع الحكمة وعجائب الفرقان

(١) وقد قال (عيمانويل) : إن روحا صالحة معلومة أرادت أن تعلم شريرة فهربت بعيدا فلما وصلت الى أمثالها سرت بهم وعاشت معهم »

(٢) وقال أيضا انه رأى روحا صالحة تعلم قوما صالحين فأصغوا اليها اصغاه تاما وأما الأشرار فانهم لم يصغوا كأنهم لا يسمعون

(٣) ومن عجب انه في صفحة (٢٩٢) من كتاب (السماء وجهنم) للمؤلف المذكور يقول (قالت الملائكة ان حياة المحبة السائدة لا تتغير مطلقا مع أحد الى الأبد لأن كل واحد هو محبة الخاصة به فاذا أريد تغيير هذه المحبة في روح فذلك يوجب حرمانها من حياتها واعدامها وقالوا إن سبب ذلك أن الانسان بعد الموت لا يمكن فيما بعد اصلاحه بالتعليم كما في العالم) ثم قال (فالعواطف القلبية والآراء العقائية أشبه بأساس البيت وهم يتجسسون من الناس كيف لا يفهمون أن رجة الله ماهي إلا واسطة فقط وسخروا ممن يعتقدون أن الرجة وحدها تخلصهم مع الايمان) وهذا القول ناطق بقوله تعالى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون - وناطق بقوله تعالى - يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم - (٤) وجاء في صفحة (٣٣٠) من الكتاب المذكور ما ملخصه أن أناسا من الأشرار لما ماتوا ظنوا انهم يقبلون التعاليم النافعة لدخول الجنة ولكنهم لما سمعوها من الملائكة قبلوها أولا ولكنهم لم يقدرُوا أن يعيشوا بها ويستمرروا عليها وانما أبيض لهم ذلك ليكونوا على بينة من أمرهم وأن تلك الحال لا يكون أساسا إلا في الدنيا فأما بعد الموت فإن الباب أقفل . وهذا نفسه قول الله تعالى - يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل - الخ وقوله تعالى - الآن وقد عصيت قبل - وقوله تعالى هنا - حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني * لعلی أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون -

ثم قال المؤلف في نفس الصفحة (١) (إن بعض الأرواح لما سمعوا تعاليم الملائكة المذكورة رفضوها حالا ولم يحبوا سماعها) (ب) (و بعضهم قالوا اذا كانت أخلاقنا و عواطفنا الشريرة قد منعنا من دخول جهنم فنحن نحب أن نؤخذ منا هذه العواطف والأميال فأجيبوا الى طلبهم ولكن أصبحت تلك الأرواح بعد أخذ أخلاقها وعواطفها منها مطروحة كالموتى ولم تبق لهم حواس) ثم قالت الملائكة (إن تغيير الروح بعد الموت أشبه بتغيير اليوم الذي يعيش في الليل الى حمام يعيش في النهار) انتهى ما أردت نقله من ذلك الكتاب . أنا أحمدك يا الله إذ وفقني لنقل هذا وفهمه . لقدنيين من هذا أيها الدكي أن أرواحنا بعد الموت تصبح حياتها موقوفة على صفاتها التي كسبتها في الدنيا وهنا ظهر فيها تقدم (أمران عجيبان * الأمر الأول) ان الروح الصالحة التي أحببت الأعمال الفاضلة تنزع منها الشرور حتى يمكنها أن تعيش مع الفضلاء الذين هم في

درجتها وقد تقدم هذا هنا أولا وأن الروح الشريرة التي غلبت عليها شقوتها تنزع منها فضائلها لقلتها لتكون موافقة لأصحابها وأمثالها (الأمر الثاني) أن الروح الشريرة التي غلب عليها الشر إذا أخذ الشر منها وسلبت تلك الصفات تكون معدومة الحس والحركة فهذا لا يسلب شرها . لماذا هذا . لأن روحها ليس لها قوة سوى قوة الشر ولو كانت لها قوة خيرية لاعتمدت عليها في الحياة والبقاء . فبهنا لابد من رجوع شرورها لها حتى يمكنها أن تعيش . فإذا نصير الأرواح الشريرة أشبه بالقيران التي تعيش في المراحيض والحيات والعقارب فإن هذه إذا نزع منها أوصاف القييران وأوصاف الحيات والعقارب لم تعيش يوما واحدا . ولواتنا وضعنا حماما مع البواشق والشواهين لم تستقم حياته . وهكذا لا تعيش الأرضة في أماكن الغل ولا النمل في أماكن الأرضة (انظره في سورة النمل) إذ ظهر الآن سر عظيم وذلك السر أن الله لا يعدم أهل جهنم كما لا يعدم الحيات لأن الحيات تكره الموت لأنها ترى لها حياة وهي عزيزة عليها . هكذا أهل جهنم إذ يرون أنهم في حياة كما ترى الحية ولا يحبون زوالها فلما أخذت منهم الصفات التي بها حياتهم صاروا أشبه بالأموات فرجعت إليهم الحياة لأنهم يقولون « شئ خير من لا شئ » فلافروا بينهم وبين المسجونين فالمسجونون يحبون الحياة وإن كانوا أذلاء . إذن حياة أهل جهنم مع عذابهم لطف من الله بهم وكان ذلك من الرحمة العاتية إذ قال تعالى - ورسختي وسعت كل شئ -

(مذكرة)

لا تظنن أيها الذكي أني وإن كنت أوضحت هذا المقام إيضاحا إلى أقطع به . كلا . وإنما أقول إن هذا قول علماء الأرواح وقد نقلته من كتاب المؤلف المذكور وعلقت عليه فإذا صح قوله فهذا توجيهه . ومعنى هذا أن تكون مشكلة جهنم قد انحلت في هذا التفسير انحلالا تاما فإنه إذا قال قائل (لماذا يعذب الله الناس إلى الأبد وما ذنبهم وهل هذا إلا الظلم المبين وهاهناهم) فيقال (إن الله فعل الممكن وليس من الإمكان أن تحوّل العقارب إلى عصافير ولا العصافير إلى عقارب ومتى حوّل أحدهما إلى الآخر مات فلا سبيل للحياة التي هي مستمدة من الرحمة إلا ببقاء الخلق على ما كان عليه ونقله من هذه الصفات معناه اهلاكه وهذا يناق الرحمة ومتى أمكن بقاء الروح مع حذف بعض الصفات بقيت الروح وحذفت تلك الصفات كالروح الصالحة التي لها من الصلاح ما به تقدر أن تعيش ويكون لها به قوام فإن الملائكة إذ ذاك تنزع منها الشر فيبقى الخير الذي غلب حافظا للروح فتعيش ولا يكون أخذ الشر منها مضرا لها غاية الأمر أنها ضعفت بعض الضعف كما يضعف الذي تعاطى المسهل . الله أكبر . أليس هذا إن صح يفسر كثيرا من آيات القرآن وكلام السنة . فقد ورد في الحديث (لعن الله من أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما كنتم قد غفرت لكم) وذلك لأن النبي ﷺ علم أن هذه النفوس قوية جدا وليست تذهب إلا أصغر الذنوب وهذه لا تؤثر فيها لأن محبتها للخير تامة وقد قال تعالى - الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم - وإن صح ما جاء في كلام هذا المؤلف يدخل في أحاديث الشفاعة فإذن تكون الشفاعة بالفجران لأرواح قويت في الخير حتى يمكن أن تعيش هناك فلو أن الأرواح صارت كالحيات والعقارب في الشر فكيف تصير أشبه بطيور أو طواريس . وهكذا تعرف قوله تعالى - ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون - . لماذا ذلك . لأنهم لا يعيشون إلا على أخلاق خاصة ولا معنى لأخذهم منها إلا هلاكهم فالرحمة تقتضي أن يعيشوا . إذن الروح تأتي إلى أرضنا وهي خالية فتعطي من القوة ما به تعيش والقوة إما قوة شر كاللصوصية وإما قوة خير كالاحسان فلن يعيش الأول ولن يعيش الأخير في الجنة أو النار إلا بقوة التي كسبها . انتهى ما أردت ذكره في هذا المقام والحمد لله رب العالمين (بهجة العلم في آيتين من هذه السورة آية - وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم - وآية - فمن نقلت موازينه فأولئك هم المفلحون -)

ها أنت ذا أيها الذكي شاهدت الميزان الذي رسمه قدماء المصريين إظهاراً للعقول في هيئة المحسوس وتبييناً للعاني بالأمثال . فاعجب من تنابع الديانات وتلاحقها وتشابهها . ففي القرآن ميزان وفي الكتب قبله ميزان . وهنا أريد أن أبين لك ما فتح الله به ليلة الأربعاء (٧) نوفمبر سنة ١٩٢١ م في معنى هاتين الآيتين . ذلك ان قوله تعالى - وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم - قد ثبت بها أن لله صراطاً وآية الوزن أثبتت أن له ميزانا ويقول في سورة أخرى - وانك لتهدى الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - وفي سورة إبراهيم يقول - كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد * الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - وفي سورة هود يقول - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وفي الفاتحة يقول - اهدنا الصراط المستقيم - الخ

فها هو ذا الصراط جاء في هذه السور الخمس . ففي هذه السورة ذكر مطلقاً غير موصوف منكراً ولكنه في السورتين الثانية والثالثة وصف الصراط بأنه صراط الله وفي الرابعة أشار الى أنه خلق الحيوان ونظمه وأحكم أمره وجعله على هذا الصراط وفي الفاتحة جعله صراط الذين أنعم عليهم من بنى آدم . اللهم اني أجدك على نعمة العلم ونعمة التوفيق . لقد مننت يا الله بالحكمة وأنعمت بالعلم فلا أشرح ما شرحت به صدرى في هذه الأيام لتبتهج النفوس وتشرح الصدور بما مننت من العلم وما ألهمت من العرفان . سبحانك اللهم . لقد ذكرت الصراط نكرة في هذه السورة ثم أثبتت في السورتين الأخريين انه - صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - فعرفنا أن الصراط في هذه السورة وفي السورتين الأخريين انما نعرفه بما في السموات والأرض ولا معنى لهذه المعرفة إلا بالعلم والعلم يرجع الى علم الفلك ونظام الطبيعة . نظرنا في علم الفلك فألفيناك قد عدت وقومت وهندست وزوقت ونظمت وأحكمت . كيف لا ونحن نعلم

(١) ان الشهور العربية مثلاً لها موازين معاومة وحساب لا يتغير حتى ان السنين الكبيسة والسنين البسيطة لا تتغير ولا يتبدل بحيث يكون في كل (٣٠) سنة (١١) سنة كبيسة و(١٩) سنة بسيطة وذلك في الدور الأصغر وتكرر الثلاثون سبع مرات فيكون الدور الأكبر (٢١٠) ويعود ذلك ويكرر أمد الدهر فالسنة الكبيسة (٣٥٥) يوماً والبسيطة (٣٥٤) وقد مر شرح هذا مراراً في هذا التفسير . وكأنما هذا الحساب موسيقى تصدح فان نسبة (١١) الى (١٩) كنسبة (٢٢) الى (٣٨) وحاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين وهكذا يستمر هذا النظام مهما تكرر الى ما لا يتناهى . فهذا مثال واحد من أمثلة نظامك في سموانك

(٢) وهذه الشهور العربية لن تعرف حق معرفتها عند علماء الفلك وتوزن حق وزنها إلا بأن يحسبوا ما بين كل كسوفين للشمس ويقسموه على عدد الأشهر فيخرج لهم الحساب بالدقة بالدقائق والثواني وما هو أقل من ذلك . إذن حدوث الكسوف والخسوف (بحيث يكون القمر بين الأرض والشمس في الكسوف في أواخر الشهور وتكون الأرض بين الشمس والقمر في أنصاف الشهور في الخسوف ويكون الثلاثة في الحالين في عقدة واحدة) لم يكن رمية من غير رام ولا مصادفة واتفاق بل لها منافع كثيرة ومنها هذه فان اللحظة التي يقف فيها القمر بين الأرض والشمس وقد منع عن أبصارنا ضوء الشمس بها ندرك أن هذه اللحظة هي نهاية الشهر فيكون ما بين هذه الحادثة والتي قبلها معلوماً عندنا ونقسمه على عدد الشهور . فهذا ضبط الحساب لنا في معاملتنا وأعمالنا في الأرض . وفوق ذلك قد عرفنا أن عدد مرات الكسوف والخسوف في كل مدة تبلغ نحو ١٨ سنة محدوداً لن يتغير أمد الدهر فالخسوف والكسوف محدود العدد والأشهر التي يحصرانها تضبط بهما

﴿ بيان تام لمائتين المسألين ﴾

اعلم أن الأقدمين قد سمو مدة قدرها (١٨) سنة و(١١) يوما باسم مخصوص وهو (ساروس) وهذه المدة تحتوي على (٧٠) خسوفا وكسوفا منها (٢٩) خسوفا و(٤١) كسوفا والخسوفات والكسوفات التي تشاهد في غضون هذه المدة تحصل في المدة التالية لها بالعدد بعينه وفي التواريخ بعينها وبذلك توصلوا الى القول بالخسوف والكسوف مقدما كما يتوصلون الى معرفة الظهر والعصر والمغرب قبل حصولها . ثم إنهم اعتادوا أن يعينوا خسوفين اثنين منفصلين بعدد عظيم من الدورات الاقترانية المسماة (الحركات البورية) أيضا أي دورات القمر حول الأرض ويقسمون المدة الكلية بينهما على عدد الدورات فتحصل المدة المتوسطة وهي ٢٩٥٣٠٥٨٨ يوما أو ٢٩ ٢٤ ٢٩ يوما وهل تم هذا الحساب الذي عرفنا به مدة الأشهر إلا بفضل الخسوف . فالخسوف إذن أشبه بمدفع الظهر بمصر الذي تضبط الساعات عليه فهو ضابط أزمان الأشهر العربية ومندها ولولاه لم تتم هذه الحكمة

هذان مثالان لما فعلته يا الله في الفلك وديبرته في الحساب . فهذا صراطك الذي سلكته في سمواتك فقول الله لنا في سورة ابراهيم - الى صراط العزيز الحكيم الذي له مافي السموات ومافي الأرض - وقوله في سورة اخرى - صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض - . يذكر اننا بهذا الصراط المستقيم الذي اتضح لنا بحسابه ونظامه وبأدنى تأمل في نظام الأرض والسموات في هذا التفسير نعرف صراطه فيهما . ألم تر الى ما تقدم في قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - في (سورة الرعد) فهناك تجد مقادير حركات الأنهار الساقطة وحسابها المنظم وبدائع الحكمة في السموات والأرض بحيث ترى أن ابعاد الكواكب عن الشمس جارية على مقتضى المتوالية الهندسية (٣ - ٦ - ١٢ - ٢٤ - ٤٨ - ٩٦) وهذا أمر الثلج ونظامه فهو مرسوم هناك مبين حسابيه وبهجته . فهذا وأمثاله كثير في هذا التفسير . صراط الله هذا هو الذي هدانا اليه قوله تعالى - صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض - فهو يذكر السموات والأرض أفهمننا أن نبحث عن صراطه فيهما ولا سبيل للبحث فيهما على ذلك الصراط إلا بعلم الطبيعة وعلم الفلك . فقارى القرآن حين يسمع قوله تعالى في هذه السورة - وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم - يريد أن يعرف أى صراط هذا فيقال له صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض فيدرس هذه العلوم فيعرف صراط الله المستقيم ثم يسمع قوله تعالى أيضا في سورة (هود) - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - . هنالك يدرس الحيوان بعد أن درس نظام السموات ونظام الأرض على وجه عام . أما الحيوان فإن له حالا خاصة فيدرسه أيضا ليعرف صراط الله فيه فيرى أن الجرذان عاشت تحت الأرض والظباء في الأوداج والفيل اتخذت البيوت والكستور يتخذ له من أغصان الأشجار جسرا متينا على هيئة سد يمنع عنه قوة السيل وذلك بهندسة لا تنقص عن هندسة الانسان بل الانسان تعلم منه . والدب في المنطقة الشمالية يسافر في البحر على قطع من الثلج الى حيث يقصد . أو السنجاب يركب خشبة في البحر بدل الثلج ويحمله ذنبه قائما مقام القلعة وقائما مقام (السكان) وهي الدقة عند العائمة التي بها يدير هذه السفينة بمتعة ويسرة . والطوفا وهو نوع من ذوات الاصداف يركب صدفته ويرفع مرساته وينشر أغشيه للريح ويسافر من مكان الى مكان وهكذا . والديمورا أعطيت قوة بأن تذلل أى حيوان بحري لتركبه بهيئة خاصة . وهذه المسائل تقدمت بعينها في (سورة طه) ذكرت قليلا منها هنا لتكون مثلا لصراط الله المستقيم في الحيوان لأننا رأينا كما ان صراطه مستقيم في حساب الكواكب وشهورها وسنيناها وفي حساب العوالم الأرضية رأينا أيضا يعطى كل ذى حق حقه من الحيوانات وينوع في الاعطاء بحسب حال الحيوان ذاته ويجعل ألوانه مناسبة لحال معيشته وهذا الأخير تقدم في أول السورة

فارجع اليه تجده هناك موضحا . فالصراط في هذه السور الثلاث أفهمنا قوله تعالى - اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم - فالنعم عليهم من الناس ينهجون نهج الله في صراطه المستقيم وصراطهم المستقيم هو المتوسط بين الإفراط والتفريط . ولا جرم أن هذا يفتح لنا باب فهم الميزان الذي أصل كلامنا فيه

(الميزان)

جاء الميزان في (سورة الرحمن) إذ يقول تعالى - والسماء رفعها ووضع الميزان - والميزان في السموات هو جعلها منظمة كما رأيت في الأمثلة المتقدمة . فأنه حسب حركات الأفلاك أزلانم أدارها على مقتضى ذلك الحساب فالحساب يعبر عنه بالميزان وجريها على مقتضى الحساب يعبر عنه بالصراط فهو وزن الأمور ويجعل العمل على مقتضى الوزن وهذان ينطبقان على لفظي (القضاء والقدر) فالقضاء التقدير أزالا والقدر هو سير الحوادث على مقتضى القضاء . وأفضل أحوال العبد أن ينهج نهج ربه فأنه على صراط مستقيم فليكن العبد على صراط مستقيم . فإذا كان الصراط المستقيم الإلهي في السموات بحسب حالها وفي الأرض بحسب حالها وفي الحيوان بحسب حاله هكذا فليكن الصراط المستقيم عند الإنسان هو صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم . ولقد أشار الله إلى ذلك في سورة إبراهيم إذ أمر النبي ﷺ أن يذكر الناس بأيام الله ووقائعهم في الأمم وجعل أن في ذلك آيات للصابرين الشاكرين فينهجون نهج الخيرات في الخير ويبتعدون الشرور في الشر بحسب ما ذكرناه من وقائع الأمم وذلك نفسه هو المذكور في الفاتحة إذ يقول تعالى - صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين - ومعلوم أن النعم عليهم والضالين والمغضوب عليهم لا يعرفون إلا بالتاريخ ولا معنى للتاريخ إلا وقائع الأمم المذكورة في (سورة إبراهيم) يقول الله تعالى - وذكرهم بأيام الله - إذن يجب أن يقوم جماعات في الأمم الإسلامية فيؤلفوا كتبها فيها شذرات جليات من التاريخ العام والتاريخ الخاص بالاسلام والأوطان التي يراد انتظامها ليكون ذلك صراطا ينهجه المجتهدون لهذه الأمم الإسلامية ويناسب ذلك كله قوله تعالى - والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تظفون في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان - وأنت أيها الذكي تعرف هذا مما تقدم في أول (سورة يونس) عند قوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا - وكيف كان هرم قدماء المصريين مبني على مقتضى مقدار مدار الأرض حول الشمس فحيط الهرم منسوب لمدار الأرض وارتفاعه لبعده ما بيننا وبين الشمس والضلع الواحد من الهرم جعل أذرعاً معلومة والنراع جعل مقياساً للأطوال والسطوح وجعل مكعبه مكاييل مصرية من حيث الحجم وموازين مصرية من حيث الثقل وكل ذلك مستعمل إلى الآن في بلادنا المصرية كما مر هناك موضحاً أيضاً تماماً . فأنه يقول لنا هذا هو ميزاني في عوالي فنزوا على مقتضاه واجعلوا نموذج ميزانكم من نموذج ميزاني كما هو واضح في البلاد المصرية . إذن عدلنا في الأرض على نسق عدل الله في السموات . وإذا قرأنا تاريخ الأمم ظهر لنا جلال العدل وقبح الظلم في أفعالها فترجع لسنة الله . فإذا رأينا قوم شعيب عليه السلام يطفقون المكيال والميزان وقد حادوا عن سنة الله في ذلك احترسنا من فعلهم ورجعنا لاعدل الذي سنة الله في عوالمه . فليكن تاريخ الأمم الحاضرة للعبارة والذكرى كما بينه الله في القرآن

(تذكرة)

لقد كنت قرأت منذ (٤٠) سنة في بعض كتب الامام الغزالي أن الميزان لا يعرفه إلا من درس سائر العلوم . ولما اطلعت على شذرات منها في (دار العلوم) وفي دراستي الخاصة ألفت كتاباً صغيراً بعد ذلك سميت (ميزان الجواهر) وهوناني كتاب ألفت في هذه العلوم . فأنا الآن أحط الله عز وجل إذ علمني ما لم أكن أعلم وأنعم علي وعلى الناس بهذا التفسير . فانظر أيها الذكي كيف كان دين الاسلام شائقاً لكل علم . وكيف غفل بعض صفار المتعلمين في عصرنا فظنوا أنه دين لا يألف العلم ولا العقل . انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ تبيان ﴾

هل التبخر في العلوم الطبيعية والرياضية الذي يقضيه الميزان المذكور في القرآن والصراط كذا كثرناه مرقى للأخلاق الإنسانية . أم ترى أولئك المتبحرين فضل أعمالهم في هذه الحياة الدنيا ﴿ الجواب ﴾ اعلم أن العلم والجمال والمال والصيت والسلطان كل أولئك صالحات للنجير وللشمر سواسية تصلح للشمر والنجير . وآية ذلك أن كثيرا من هؤلاء يسارعون إلى الشرور والموبقات والاحتيال ويهيئون على وجوههم في المخازي والعار كما أن كثيرا منهم رفعوا أعمهم إلى المستوى الرفيع والمجد الباذخ . فإلما سلاح العلم صراط مستقيم والجاه والسلطان أجنحة ومن لا مال له قل عمله ومن لا علم عنده ضل وغوى ومن لا سلطان له أصبح كظاير لا أجنحة له ولا قوة . ولقد حض (سقراط) في تعاليمه على فتح عين البصيرة لأولى العلم وأبان أن هذه الطائفة إن لم تكن عاشقة له ساء مصيرها وضل سعيها مبرها بما يأتي

﴿ إن للإنسان (ثلاث قوى : الشهوية) للغذاء والتناسل واللباس والمساكن (والغضبية) للاستعلاء والاستيلاء والمدافعة (والعقلية) للعلم والحكمة ﴾

فإذا كان القائمون بأمر المدن لم تفتح بصائرهم فتعشق العلم عشقا مفرطا بحيث تضارع في عشقتها له وحبا القوتين الآخرين (الشهوية والغضبية) فإن صاحبها لا يرى أمامه إلا (باين من المذات) باب الانتقام بالقوة الغضبية وباب الشهوات في المال والنساء واذن يقول في نفسه « ما فائدتي من علوي على الناس آكل مما يأكلون وأقتصر من الشهوة البهيمية على القليل . كلا . فلأشارك الناس في أموالمهم بالرشا وفي أعراضهم بالزنا والا كنت غير راجح من هذه الحياة ربما يناسب علوي على الناس » . فأما ذلك الذي فتحت عين بصيرته وحشق العلم واستنارت بصيرته فإنه بينما تراه يحكم بين الناس بالعدل يكون غرامه موجه إلى إدراك الحقائق باحثا عن عجائب هذا الوجود مبتهجا بهجة لا يحصى بها غيره واذ ذلك يعلم علما ليس بالظن أن بينه وبين صانع هذا العالم محبة فائقة وعلى مقدار ارتقائه في تلك المدارك تكون لذته بها . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون . ويرى الناس أبناءه وكأنما هو خليفة عليهم أوأم لهم وتمثل له هذه الدنيا والعدل فيها بهيئة قناطر بناها المهندسون فإذا غفلوا عن أحكامها وانتظامها وحسن انتقانها اعترها الاختلال جفري الماء وأغرق البلاد وأهلك العباد . فالوزن والنظام في القناطر والجسور يضارعه الوزن والنظام في الأخلاق . والحساب في المعاملات ونظام البنين يضارعه قراءة التاريخ وسير الرجال في علم الأخلاق فالترجيح والحوادث وعلم الأخلاق والقانون والفقه . كل هذه موازين لأعمال الناس وأحكامهم ومعاملاتهم وقضائهم كما كان علم الهندسة والحساب والجبر وأمثالها موازين توزن بها أعمال دواوينهم ونظام مدنها وهندسة مبانيهم . وكما كان رصاص الساعة تبياناً لأوقاتهم ومواعيد أعمالهم وخسوف القمر مبينا مقادير شهورهم كما تقدم موضعا وهكذا مقاييسهم وموازنهم المرتبة على النظام العام كافي ضلع الهرم المبني على مقتضى مدار الأرض حول الشمس إذ كان محيط الهرم جزءاً من مليار منه والارتفاع جزء من البعد بين الأرض والشمس وضلع الهرم المذكور أصل كل مقياس في مصر . هكذا (المتر) لم يصنعه الفرنسيون إلا على مقتضى محيط الأرض (واليارده) عند الانجليز ترجع للمعدن في رصاص الساعة الذي يثق في الثانية مرة واحدة فهو إذن رجع للنظام العام . وهكذا نرى في هذا العصر أن الماء يعرف مقداره بآلة تعدد . وهكذا بخار القطار له جهاز يعرف به عدده كما يعرف الزمن بالساعات . وتقاس الحرارة بالمقياس المتيني (ستجراي) أو بمقياس (فارنهيغ) الانجليزى أو بالمقياس التلياني وهو الثماني . كل تلك المقاييس تنبئ على الطابع الثابت فتقوى الحرارة لا خطأ فيها كما لا خطأ في سير الكواكب وفي الجاذبية . وهكذا مقاييس الكهرباء . فهذا كله من الميزان الذي قامت به السموات والأرض وكلما كثرت موازين الأثمة زاد ارتقاؤها وعقولها وبنقص الموازين

تنقص العقول والنعم وموارد الرزق ويجمع هذا كله قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فأنه يشهد بوحديته مع القيام بالقسط وهو ما شرعنا وبليه الملائكة وبعدهم أولوا العلم وهم المذكورون في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - فظهر أن هؤلاء هم الذين يخشون الله ومتى عمت هذه الآراء في أعم الإسلام ظهر فيهم حكاما مجتدون بهم يدوم مجد هذه الأمة الإسلامية كما دام مجد قدماء المصريين آلافا وآلافا قبل أن يحل بهم الفساد والفسوق والترف فان هذه المباحث قد أثرت بها نفوسهم وحببت إلى قلوبهم - حتى كتبوها على صناديق موتاهم للتبرك بالبروج السماوية والكواكب الدرية المرسومة كما رأيت في الكتب المنشورة حديثا ونظير صراط الله في السموات والأرض صراط الانسان بالعمل الصالح والأخلاق الفاضلة لانها وسط بين الإفراط والتفريط - وخبر معرفي لحسن الأخلاق تاريخ الأمم والله يقول في ذلك - اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم - وهم الذين يقرأ الناس سيرهم في التاريخ - ويقول أيضا - وذكرهم بأيام الله - ومن ذلك علم التاريخ والوقائع - هذا ما فتح الله به صباح يوم السبت (١٠) نوفمبر سنة ١٩٢٨ م وبه تم تفسير (سورة المؤمنون) والحمد لله رب العالمين

﴿ تذكرة ﴾

قد اطلع أحد الاخوان على ما كتبت هنا في أقوال (عمانوئيل) في صفحة (١٨٨) وما بعدها فقال إن هذا الكلام منه أنه لا تغيير للأخلاق بعد الموت وكان هذا يأس للنفوس فهل أنت واثق بأقواله - قلت هذه أمور غيبية والغيب لله ولكن هذا القول أشبه مما جاء في علم الأعداد فان علماء خواص الأعداد يقولون إن لكل عدد خاص لا يشركه فيها سواه فالانسان أول الأعداد أما الواحد فليس منها لأنه لا تعدد فيه والثلاثة أول عدد فردي والأربعة أول عدد زوجي والخمسة عدد كروي أي أنه متى ضرب في نفسه مرة أو مرتين أو آلافا فان (٢٥) يكون محفوظا دائما ولم يجدوا عددا مثله وهكذا (٦) مثله في أنه يحفظ عدد (٦) في جميع مضروباته لا غير وليس مثل (٥) في حفظه الآحاد والعشرات - فالعالم الذي نعيش فيه كأنه أعداد وكل عدد لا يشترك سواه فكل فرد لا يشترك سواه في خواصه - هذا من جهة يوافق حديث ﴿ كل ميسر لما خاق له ﴾ ومن جهة أخرى قول نحن نجهل خواص النفوس والله هو العليم وحده بها - فاذا قرأنا حديثه ﷺ في الشفاعة وأن الله لا يزال يخرج العصاة من النار حتى يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ثم هو نفسه (وهو أرحم الراحمين) يخرج أناسا منها برحمة لم يفعلوا خيرا قط رأينا ينطبق على الرحمة التي شاهدناها في الدنيا وهو الذي يليق بجماله وجلاله - وأما مشاهدات (عمانوئيل) إن صح ما نقلناه عنه فهي جزئية لا كلية والله وسعت رحمة كل شيء ومع هذا علينا أن نحترس من الذنوب حتى لا يحجبنا عن مشاهدته وعن النظر لوجهه وعن دخول جنته - وينبغي أن نزداد علما حتى نحشاء وكلما قل علم الانسان قلت خشيته من ربه وكلما كثر علما زادت خشيته والحمد لله رب العالمين

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الحادى عشر من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم
وبليه الجزء الثانى عشر وأوله تفسير سورة النور)

(الخطأ والصواب)

غلينا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
فاتها تعيش	والناموس فانها لا	٣٥	٧٧	وأقواها	في السنة	٦	١٩
تعيش	تعيش			وكواكب	وأقواها	١٤	٢٠
درجة	قدم	١٤	٧٩	سنة ١٣٤٤	سنة ١٣٤٦	٢٩	٢٧
بالاستعمار	بالاستعمار	٢٣	٨٠	فرجعوا	فوجعوا	١٦	٣١
والعلم	والعلم	٢٥	٨٠	فكان	فكان	٢٦	٣٤
الحشرة	الفراشة	١	٨٢	نتيجته	نتيجة	١٤	٣٥
القول	حديث	٦	٨٧	نصرت	نصرتك على	٤	٣٧
فون	فون	٣٤	٨٧	وأبغضوا	و أبغضوا	٣	٤٠
انتهى . وقد بلغنا	انتهى	٢٠	٩١	رسول رسول	رسول رسول	٣	٤٤
من بعض حجاج سنة				وكل نبي نبي	وكل نبي مني		٤٧
١٣٤٦ أن الحكومة				حقيقته	حقيقة	٣٢	٥٣
الحجازية منعت هذا				الذين عرفاه هذه	الذين عرفاه هذه	١٥	٥٥
الضرر فالجد لله				الحقائق ودونوها	الحقائق ودونوها		
تقرى	تقرى	٣٣	٩٤	بعدها	يبدا	٢٦	٥٨
يفرى	يفرى	٣٣	٩٤	الذي له سلك	الذي	٢٢	٦٢
الفراش	الفراش	٢	١١٧	والذي			
هذه هي	هذه	٤	١١٧	وبالعكس إن	وبالعكس	٣٤	٦٢
الفراش	الفراش	٤	١١٧	كانت في باطنها			
رفضته ولم تأكله	راضه ولم يأكله	١٣	١١٧	إنه	إن	١٠	٦٣
تبع (بتشديد الباء)	تبع	٣٣	١١٧	نبأني	نبأني	٣١	٦٣
آكل	أكل	٣٥	١١٨	تلاميذ	تلاميذا	٤	٦٤
العوالم يريها	العوالم	٢٤	١٢١	المتقدة	المتقدة	٧	٦٤
المغنين	المغنيين	٢	١٢٢	منار	لنار	٢٨	٦٧
أنفسكم	أنفسكم	٣٢	١٣٠	الوطن	الجنس	١٣	٦٨
مستكبرين	مستكبرين	١٨	١٣١	صنعوها	صنعوه	١٦	٦٩
وعشش	وعشش	٥	١٣٣	بالتعلم	بالتعليم	٣٠	٧٠
فماذا نجد	فنجد ماذا	٣٤	١٣٣	القلب	في القلب	٣٠	٧٠
سيما أن	سيما وأن	١٩	١٣٨	وتعممها	وتعممها	٧	٧٧
طباع	أطباع	٢٤	١٣٨				
المائة	المسألة	١٢	١٤٠				

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٤٢	١٩	فاستبدلوها	فاستبدلوا اللغات	١٧٤	٢٧	ولا بما	ولاما
		باللغات	بها	١٧٥	٢٧	أذمها الله	سببت الذل
١٤٣	٢	فرنسي	فريسي	١٧٥	٣٠	والوزن يومئذ	- والوزن يومئذ
١٥١	١	خاصة	خامسة			الحق	الحق - في الأعراف
١٥٤	٦	النحل					المناسب لما هنا
١٦٣	١٢	التي	والتي	١٧٦	١٥	تعطى	يعطى
١٦٨	١٨	الأيسر	الأيسر ثم البطين	١٧٦	٣٠	عموان	عمران
			الأيسر	١٧٨	١٥	أو بعمود	أو وعمود
١٧٠	٢١	عضلا	حواس	١٧٩	٦	والوزن يومئذ	والوزن يومئذ الحق
١٧١	١٤	والقمر	والقمر والكواكب			الحق	في سورة الأعراف
١٧٤	٢٧	ولا بما	ولاما				المناسب لما هنا
				١٧٩	١٠	مترا	أمتار

(تمت)

فهرست الجزء الحادى عشر من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

صحيحة

- ٢ تقسيم سورة الحج الى ثلاثة أقسام وذكر القسم الأول مكتوباً مشكلاً
- ٤ تفسير القسم الأول المبتدئ بأول السورة المنتهى بقوله تعالى - وهديا الى صراط الحيد -
- ٥ عجيبه من عجائب العلم وبيان أن استدلال (سقراط) على العالم الآخر هو غوى هذه الآية ذم المعجيين بأنفسهم
- ٧ العذاب المصغر فى الدنيا مقدمة العذاب فى جهنم
- ٩ هنا (أربع اطائف الخ) . فصل فى الكلام على قرب الساعة وبيان اضطراب أقوال بعض العلماء الذين تعرضوا لمعرفة يوم القيامة من محدثين وصوفية ومنجمين فهؤلاء كلهم أخطؤا مثل السهيل المستدل بحروف أوائل السور ومثل (شاذان البلخي) النجم الخ
- ١٠ (الفصل الثانى) فى الكلام على ظهور المهدي المنتظر وبيان نقد الأحاديث الواردة فيه وأن الجرح مقدم على التعديل وبيان أن المهدي لو صح لا يكون إلا فى عصبة من قومه وعصبة قریش قد انحلت إلا قليلا كما يقول ابن خلدون
- ١١ بيان آراء الصوفية فى المهدي المنتظر وأن أوائلهم لم يتكلموا فى ذلك وأواخرهم ظهر فيهم أمثال ذلك وهو دال على التشيع . وبيان (خاتم الأولياء) ومراتب الولاية التى يدعون أنها تشبه مراتب النبوة وبيان خطئهم فى تعيين زمن المهدي فقد ظهر كذبه ورأى المؤلف أن الهداية يجب أن تنهى لها الأمة كلها فلا يجوز الاتكال على رجل واحد فهذا من مصائب التقليد
- ١٢ (اللطيفة الثانية) فى قوله تعالى - ثم من مضفة مخلقة وغير مخلقة - وبيان أن الجنين كتاب كتبه الله لنا بحروف كبيرة وأنه تدرج فى نموه كما يتدرج الحيوان فى مراتبه فماله حاسة وحاستان وهكذا الى الخمس . الكلام على التوهمين المتصلين
- ١٥ توهمان هنديان وتوهمان صينيان وتوهمان سياميان وقد اتحدا بعظم القصر فى أسفل الصدر وتفرج عليهما الناس بأوروبا وذكر قصة حياتهما . وتوهمان آخران أحدهما صغير والآخر كبير . وبيان الحكمة فى خلق هذه التوائم . ذلك أن (شانغ) و (انغ) اتحدا فى الحياة بحكم الضرورة . هكذا نوع الانسان كله شرقا وغربا يضر الجميع ما يضر البعض غاية الأمر انهم لا يعلمون إلا قليلا فكيف إذن يكون أهل البلد الواحد أو أهل الدين الواحد . هذا هو الذى فهمناه من خلق هذه التوائم
- (اللطيفة الثالثة) فى قوله تعالى - ثم نخرجكم طفلا - التناسل على (قسمين) قسم بطريق الذكور والاناث وهو معروف والآخر يكون بطريق الانقسام ونحوه . وبيان أن الذى يناسل بالزواج بيضا إما أن يحضنه الطائر وإما أن يكون جنينا فى الرحم
- الكلام على نبات الكرنب وأن منافعه مرتبة على العناصر الداخلة فيه فكيف أنتجت الفتحات تلك العناصر مما حولها وكيف قترت بحكمة . تعاون الحيوان والنبات على الحياة وهما لا يشعرا وبيان تنفس النبات وتنفس الحيوان وكيف علم الناس أن نفس الحيوان يخرج منه المادة الفعمية فنصل الى النبات فتصير فى تركيبه ويخرج منه اكسوجين فيصل للحيوان وهذا تبادل عجيب وأمر بديع وبيان كيفية تنفس النبات وأنه يتنفس بأوراقه ففيها آلاف آلاف من الفتحات فيها يكون تنفسه
- ١٩ بيان مقدار ما يتنفسه الانسان من الاكسوجين فى السنة وأن الحيوان يتنفس أربعة أمثاله . التعجب

من أن النبات والحيوان يتبادلان المنافع بالتنفس ولاحياة لأحدهما إلا بما يتنفسه الآخر
 ٢٠ جوهرة في مقال عام في قوله تعالى - يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا من البعث - الخ وفيها قصة خيالية
 تخيل فيها المؤلف طوائف من الناس اجتمعوا ولهم رئيس فاصطفى من بينهم خسا وجعلهم قوامين على
 هذه الطوائف التي هي (٣٦) طائفة وهم يخاطبون رئيسهم برسم الصور لا بالكلام في أسرع من لمح
 البصر وبين بذلك أن الرئيس هو الانسان والحس هي الحواس والطوائف هي (٣٦) محسوسات كالسموعات
 والمذوقات وهذه تجتمع في السماع الذي ضربه المؤلف مثلا لالوح المحفوظ مع انه لا تماثل بينهما ففرق بين
 الحادث والقديم وهنا ذكر القوى الباطنة كالذاكرة والفكرة والتخيلة والحس المشترك . فكما أطاعت
 الحواس الانسان أطاع الملائكة الله وان كان لا تشابه ولا تماثل بل هو ضرب مثل لاغير . وكما أن للانسان
 غرائز كالجوع والعطش والشبق والغضب والحب والبغض والطيران في الهواء . فاما من غريزة من هذه
 إلاوجد لها ماخلفت له كالماكل والمشارب والنساء والأعداء والأحباب . هكذا غريزة حب البقاء وجد
 لها ماخلفت له وهو عدم الفناء بعد موت الأجساد . وهكذا يجد الانسان في نفسه غراما بهذه النجوم
 الجميلة واشتياقا اليها . كل ذلك غريزة في النفوس الكسيرة كما ان حب التزويج وحب الولد غريزة في
 البالغ لاني الصبي . وهنا ذكر المؤلف سديم المرأة المسلسلة وسديم الشلياق الحاقق والسلاقي اللولبي
 وسديم الجبار المرسومات كلها في صفحة (٢٥) والانسان مغرم بها فلايد من وصول نفوس بعض الناس
 اليها متى كمل استعدادها بعد خروجها من أجسادها

لطيفة في قوله تعالى - ومنكم من يرد الى أرذل العمر - وبيان كلام (كلنصو) الوزير الفرنسي الذي
 بلغ الثمانين ويقول اني قوى كالشباب . ايضاح الكلام على النبوغ (العبقريّة)
 ٢٦ صفات النابغين وانهم يحسون بنقص في زمن الصبا فيريدون تكميل أنفسهم وانهم يعتنون بصحة
 أنفسهم وانهم يعيشون طويلا وهذا مصداق لقوله تعالى - وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض -
 (القسم الثاني) قد كتب مشكلا أولا - إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله - الى قوله تعالى
 - وبشر المحسنين - والتفسير اللفظي لهذا القسم

٢٩ ذكر خمس لطائف في المسجد الحرام ومابعده (اللطيفة الأولى) وفيها تبيان لطف الله تعالى بكل نبات
 وحيوان حتى انه راعى أمر الامن لجعل البيت مأمنا لهم كما خلق الجبال المنيعه يأمن فيها الخائفون .
 وهكذا جعل أهل أوروبا سويسرا مأمنا يأوى اليها المضطهدون السياسيون

٣١ (اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - فكلوا منها - الخ (واللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - لكم فيها
 منافع الى أجل مسمى - وبيان اختلاف العلماء في المنافع المذكورة مثل ابن عباس ومالك والشافعي
 وغيرهم . مسامرة في قوله تعالى - فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - وبيان
 محاوره بين المؤلف وبعض الحجاج وملخصها أن ذبح الضحايا والهدايا ورميها على الجبال أيام منى (انصح)
 انها تلقى هناك وتعفن الجثث وتميت الناس ولا تعطي للفقراء فان هذا حرام لأن الله أمرنا أن نعطي البائس
 الفقير لا أن نرميها تعفن الجثث وتمهلك الناس والاستشهاد بكلام الأطباء والعلماء وبحث مسألة الوباء العام
 وهل يدخل الناس القرية الموبوءة ويخرجون منها وهكذا . وبيان مايقوله (ابن القيم) من أن دين
 الاسلام يسر كله لا عسر . وبيان تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف . ودخل في هذا المقام
 شرح مسألة التوكل وهل دخول الناس أرض الوباء مع العلم به توكل . الجواب . كلا . كمايقوله الغزالي
 ٣٦ (اللطيفة الرابعة) في قوله تعالى - لكل أمة جعلنا منسكا - (والخامسة) في قوله تعالى - لن

ينال الله لحومها ولادماؤها - الخ

٣٧ ﴿ القسم الثالث ﴾ - إن الله يدافع عن الذين آمنوا - مكتوبا مشكلا الى آخر السورة

التفسير اللفظي لهذا القسم

٤٠ نصر الأنبياء المذكورين في السور السابقة ونصر سيدنا محمد ﷺ وأصحابه وبيان أن التجربة هي الحكم في أمر الأديان . فاذا جرب الانسان نصائح الدين ووجد النتيجة كما ورد فذلك دليل على الصدق كقوله تعالى - إن تنصروا الله ينصركم - وهكذا

٤١ بقية التفسير اللفظي من قوله - إن الله لقوى عزيز - الى قوله - والى المصير -

٤٣ لطيفة لبيان ما تقدم و بيان ما يقوله ابن رشد الفيلسوف ان علم التوحيد مجرد قواعد أصعب جدا من التوحيد الفطري والتعريف يجب أن يكون أعرف من المعرفة . وبيان أن (سورة النبأ) مثلا فيها ذكر الأرض والجبال وهكذا . وبيان أن كتب الفلسفة العربية عاشت في أوروبا الى النصف الأول من القرن السابع عشر . وبيان أن السفر سفران جسمي أولا فعلى ثانيا

٤٤ نظر المسلمين في المستقبل يكون ﴿ لأمرين ﴾ الأمم البائدة ولم يأت كالأندلس ومدينة بغداد العربية وأسباب ذلك ثم يدرسون الأمم الحاضرة المحيطة بنا كاليابان والصين وأوروبا . علوم الحكمة أيضا في الأمم وبيان أن أهل اليونان تبرموا من فلسفة (أرسطو) فتركوها فخر بوا مثل ما فعل العرب بعدهم سواء بسواء . بقية التفسير اللفظي - قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين - الى قوله - وإن الله لعليم حكيم -

٤٥ فصل في تفصيل الكلام على قوله تعالى - إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته - وبيان أن أكاذيب المبشرين والقسيسين على دين الاسلام في زماننا ومدارسهم المفتوحة فيها أشبه بالخشائش في زرعنا وأن شيوع القرآن في بلاد الاسلام وطردهم من بعضها نسخ لما ألقى الشياطين ومصدق للآية

جوهرية في ايضاح تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول - وبيان ما قاله (الشيخ الدباغ) الأبي بطريق الفتح إذ قطع بأن الحق مع عياض وابن العربي لا مع ابن حجر في هذه المسألة وأن مسألة الفرائق لا أصل لها وقد سرت بذلك الشيخ أحمد بن المبارك وأيدها بعلم مصطلح الحديث . ويقول الشيخ الدباغ ﴿ الأمنية في الآية أن يتخلى النبي الصالح لأتمته فيوسوس لهم الشيطان فينسخ الله تلك الوسوسة من قلوبهم ﴾ . وهنا استطراد بذكر حال هذا الشيخ وقد سئل في حديث ﴿ أنزل القرآن على سبعة أحرف ﴾ وكيف بين هو أن القرآن أتى بسبعة أصناف ﴿ آيات الصبر وآيات الآخرة ومقدرة الانسان على الكلام وآيات صفات الله وآيات الأمم الماضية وآيات الكفار وآيات المنعم عليهم ﴾ ولكل واحد منها اسم مثل حرف النبوة حرف للرسالة وهكذا الى آخرها وحرف البسط وقسم كل واحد منها سبعة أقسام كالسطر مثلا جعله سبعة أقسام مثل الفرج الكامل الذي ينفي الحقد والحسد الخ ومثل سكون الخير في الذات ومثل فتح الحواس الظاهرة أي الاستئذان بالمحسوسات كالبعصرات مثلا فيجد لذة بالصور الحسنة وهكذا . وبيان سبب اقتصاري على هذا من (٤٠) صفحة مكتوبة في هذا المعنى لمناسبة الآية وتبيان أن هذا الأني أرجع الأحرف التي أنزل عليها القرآن الى ما يخص النفس من الشوائب لتقرب من ربها

٥٠ اعتراض الشيخ ابن المبارك على الشيخ الدباغ بأن الأحاديث تدل على أن المراد بالأحرف السبعة كيفية النطق بألفاظ القرآن واجابة الاستاذ الدباغ بأن اختلاف الحركات في الكلمات تابع لاختلاف الأنوار

الباطنة وأخذ يرجع القراءات السبع في القرآن الى تلك الامور السبعة المقسمة كل منها الى سبعة بحيث لا يكون خفض ولا رفع ولا تسكين في كلمة من القرآن إلا وهو راجع الى حال من تلك الأحوال الباطنة . وتبيان الحكمة في ظهور أمثال (الشيخ الدباغ) في أمة الاسلام وأن ذلك ليعلّم المؤلفون أن علومهم إنما هي شيء قليل جدا وأذن يعرفون قدر أنفسهم وليعلم مشايخ الطرق انهم اذا لم يفيضوا على تلاميذهم مثل ما أفاض هذا الشيخ على ابن المبارك فهم إذن مغرورون وليجدة العلماء في العلم وبيان أن هذا الشيخ عرف جبال الثلج الآتي ذكرها في (سورة النور) قبل معرفتها بالطيارات في أوروبا وسأتي ذلك عند قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ في (سورة النور) وتبيان أن هذا يوجب أن يكون المسلمون أعلم الأمم بهذه العلوم وأن هذه تحمل لنا مشكلة الانسانية تلك التي سخرت لها الأرضون والسموات فهل ذلك التسخير لأجل هؤلاء الناس على ما هم عليه . كلا . بل الناس اليوم أطفال يريهم الله وأن أمثال هذا الشيخ عرفونا قدر الانسانية التي ربما تصل لها الأرواح يوما ما . وتبيان أن آراء هذا الشيخ في الحديث مع اختصارها جعلت زبدة الجزء الثالث والرابع من كتاب ﴿إحياء علوم الدين﴾ للإمام الغزالي أي المهلكات والمنجيات وأيضا هذه الروح فهمتنا ما معنى الروح الكاملة والناقصة وأن أرواح أهل الأرض تصل الى الصلاح أما الكمال فتأدر جدا

٥٢ بيان أن رجال السياسة الآن أشبه بالأطفال يقولون بالمساعدة العامة لفظا وقلوبهم كلها خبت كما نرى الأطفال يركبون الأعواد تشبه براكي الخيول من آبائهم . وبيان أن قراء هذا التفسير سيكونون على رأي واحد ومشرب واحد لأنهم يرون ديننا كل العلوم فأين الخلاف إذن سؤال لمؤلف هذا التفسير في أنه اذا صحّ هذا أوجب ﴿أمرين﴾ الحزن على جهلنا بالنسبة لأمثال هذا الشيخ واننا نعيش متعطشين الى هذه المرتبة وهذا يضرّ بالعلماء في هذه الأمة فلا يخلص من هذا كله إلا المكذبون لهذه الامور وجواب المؤلف على ذلك بأن هذه العلوم لا يصح التطلع لها فان الجنين لا يصح أن يولد قبل تمام أشهره والا حصل الضرر . وأيضا نفس (الشيخ الدباغ) يقول ﴿إن بين السماء والأرض نارا هي نار البرزخ فيها الأرواح المعذبة يشاهدها هؤلاء المفتوح عليهم ويشاهدون الأفلاك والنجوم وجيع العوالم وهذا كله ظلام فاذا اغترّوا به انقطعوا عن الله فالفتوح خطر لأنهم معرضون لمخادئات الشياطين﴾ وقال نحو ذلك الشيخ الخواص الذي أبان أن الفتوح قد يكون شرا على صاحبه واستدل بآية - فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد - الخ بل قال ﴿لا يصح قبول الفتوح إلا اذا لم يكن للنفس حظ فيه﴾

٥٤ بيان نتيجة ما تقدم من أننا قد استوفينا هنا هذا المقام لنبين للمسلمين بعدنا أن كثرة العاطلين في أمم الاسلام باسم الولاية والصلاح أضاعت مجد الأمة فقد استبان هنا أن المفتوح عليه نادر ولو فرض ظهوره للناس وأقبلوا عليه كان الاكرام نفسه محسوبا عليه وأن كثيرا من المفتوح عليهم يصبحون سحرة وكهانا وهم مغرورون وأيضا لا ينبغي لهم قبول الصدقة . وبيان أن ما شرحت هنا أيد لي ما قرأته في كتاب (راجا يوقا) الهندي إذ أظهر أنهم مع وتبينهم يفتح عليهم فعملت انه فتح ظاهري وهو شهوة نفسية لأقل وبهذا تبين أن ما يقوله الامام الغزالي في كتاب أيها الولد وفي الإحياء وما يقوله محي الدين بن عربي في (الفتوحات المكية) من الكشف يجب أن يحترس منه لأن ذلك قد يهيم كثير من العلماء فتركوا مواهبهم العقلية وبحوثهم وراء الحس فأضاعوا الأمة وحرمت من أمثال (أديسن) مخترع الفونوغراف إذن ما كتبه في هذا التفسير نعمة وجهت لي وللمسلمين بعدنا . وبيان أن الله جعل بعض أنواع

النبات والحيوان مبتليات بالمرعجات المهلكات كالخشائش في مزارع الدرة والقمح وكالهوم والميكروبات
المسلطات على الحيوانات الكبيرة هكذا ديانا الانسان ان لم تكن فيها شبه يعوزها عقل نامت الأم
وكسل الناس

٥٧ فصل في أن العقاب يجب أن يكون على قدر الذنب وتمثيل ذلك بإبلاج كل من الليل والنهار في الآخر
وبيان أن الفرق بين الليل والنهار في مصر أربع ساعات وفي أطراف الهند والصين ساعتان وهكذا يكون
١٢ و ١٨ و ٢٤ وستة أشهر . فأما في خط الاستواء فهو (١٢) ساعة لاغير

٥٨ لطيفة في قوله تعالى - ذلك بأن الله يولي الليل في النهار - أيضا وبيان أن القتال مع العدو ليس هو
مقصود هذه الدنيا بل العلوم فارتفعوا رؤسكم الى السموات وهذا يتم بعد نظام الأخلاق وجالها الذي
شرع لأجله الجهاد . وبيان أن هذه المناسبة في الآية وجالها بجهلها عالم البلاغة

٥٩ فصل في ذكر عجائب الأرض بعد العجائب السماوية قال تعالى - ألم تر أن الله أنزل - الى قوله - لكفور -
لطيفة في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - وأن الأمم ان لم تهذبها
الحوادث فلاسيبل الى رقيها والتي هذبها الحوادث تكون كأرض نزل عليها الغيث فنبتت بعد يبسها .
وهنا أقوال الأرواح ان الحوادث العظيمة يحدث بعدها رقي الانسان وهكذا قول علماء الألمان ان وقوع
الأزمات والحروب في الأمم مرقيات لها وهذا خوى معنى الآية أو ما يقرب منها وبيان أن دراسة البلاغة
لا تنكفي لفهم القرآن

بهجة العلم في قوله تعالى - فتصبح الأرض مخضرة - وبيان أن كتاب (أين الانسان) فيه وجوب
خدمة جميع الناس بعضهم لبعض وأن أرض كل أمة يجب استخراج ماكن فيها وأن الأمم يجب أن تفعل
ذلك طوعا أو كرها وأن انتهاب مافي أيدي الناس بالحرب جريمة في عصرنا لا تغفر وأيضا يجب ترقية جميع
العقول في الأرض . فها هو ذا العالم الهندي (جاجاديس بوز) جاء للنوع الانساني بعلم جديد ينفع أهل
الشرق والغرب مصداقا لما ذكرت في كتاب (أين الانسان) فقال في خطبته بمصر في ١٧ سبتمبر
سنة ١٩٢٨ انه عرف أن النبات كالانسان والحيوان سواء بسواء فله إحساس وله حركة وقد برهن على
ذلك بألته المسماة (كوسيكوغراف) وهي تكبير الحجم خمسين مليون مرة مع ان (الميكروسكوب)
يكبره أثنى مرة فقط وتبيان مقدمة لهذا في أن يد الانسان الآتي بيانها في (سورة المؤمنون) ١٢ طبقة
في كل ناحية ست طبقات وأن الجلد يتلوه أعصاب الحس فأعصاب الحركة فالشرابين التي تغذي الجسم
وهذا أشبه بهيئة ما نراه في الأرض من أسلاك التلفراف (البرق) أعلى والقطار على سكة الحديد تحته ثم
المساقى تحنها تسقى الأرض فتزيب جسم الانسان الذي ظهر في اليد هو عينه ترتيب الناس في نظامهم .
كل ذلك لمعرفة خطبة (جاجاديس بوز) وملخص خطبته في حياة النبات وأن الشرق والغرب كل منهما
يخدم الآخر وقد سلبت الكهرباء على نباتة فأخذت في النزع كالانسان ثم ماتت وكل هذا روضح بالعمل
والحركات وعدمها وقد أعطى نباتا آخر سما فأخذ في النزع ثم أعطاه تريبا فتبعت النباتة من الموت

٦٦ بيان أن جذب الأرض لنا أشبه بمقامع من حديد والا فلماذا لانسير في أعلى لنرى النجوم التي تحبها
فصل في ذكر أن كل أمة لها شريعة ونحو ذلك قال تعالى - لكل أمة جعلنا منسكاً - وتفسيرها تفسيراً
لفظيا الى - وبئس المصير - . لطيفة في قوله تعالى أيضا - لكل أمة جعلنا منسكاً -

بهجة ومسامرة في قوله تعالى - لكل أمة جعلنا منسكاً - الى - وبشر المحبتين - ووصف أمم ملكة
(اشائى) الذين هم وثنيون وحشيون وهكذا وصف قوم آخرين على نهر (نيجر) قد أسلموا وتبدلت
عاداتهم وصاروا عادلين وذلك في رواية (المستمرسون) الامريكي

٦٨ بيان عادات الزواج عند المتوحشين هناك وكيف يجزعون لوضع الأتني ويفرحون للذكر وان من القبائل من جعلت النساء عليهن الصيد والعمل وعلى الرجال صنع الطعام في البيت . واذا جاء الحرب حارب الرجال وعلى النساء القيادة والتسيير . وهكذا هناك قوم آخرون بعكس هؤلاء فلرجال السلطان والنساء أشبه بالسواثم والقرآن جاء لاصلاح أهل الأرض قاطبة

٦٩ كيف كان مبدأ اشتغالي بالعلم وذكر انني كنت أقول إن هذا العالم مبعثر غير منظم ونظرت في العالم العلوي والسفلي كما يقول العلماء فلم أجد إلا خللا على حسب فهمي إذ ذاك ولكن لما قرأت حديث ﴿ لقد أنزلت على الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتدبرها وهي - إن في خلق السموات والأرض - الح ففكرت إذن وانفتح لي الباب الى الآن

٧٠ بيان مطالعتي لتفسير الجلايين ودخولي ﴿ دارالعلوم ﴾ وكيف وجدت دروس الفلك والطبيعة والكيمياء هي التي كنت أطلبها في الحقول اجالا وكيف كانت مسراتي بذلك . ﴿ أمة الاسلام والعلوم ﴾ وبيان آتي تعجبت من أمة الاسلام كيف يكون هذا دينها وهذه مطالبه وكيف يكون أهل أوروبا الذين ابس في دينهم شيء من ذلك أعلم من المسلمين بهذه العلوم

٧١ بيان أن حمد الانسان على مقدار المعرفة وكيف يخاطب المسلم ربه بقوله في ركوعه ﴿ خضع لك سمع الح ﴾ وفي سجوده بقوله ﴿ سجد وجهي الح ﴾ . كيف يفقهه - معه وبهمره المذكورين في خطاب ربه إلا الا اذا عرف حقيقتهم ومجائبهم

(فصل) في ضرب المثل بالذباب وهو التفسير اللفظي لقوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - الى آخر السورة

٧٢ لطيفة في قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - وبيان درس من كتاب الإنجليزي مترجم عن الفرنسية وأن المدرس سأل التلاميذ عن الفرق بين الذبابة والحصان . فأجاب بالكبر والصغر . وردة بالمناظر المعظمة . فأجاب آخر بالأجنحة وعدمها فردة بقطع أجنحة الذبابة . وهكذا الشعر فردة بأن الذبابة لها شعر فقال غيره بعدد الأرجل فردة بكسر رجلين اثنين من الذبابة ثم قال . كلا . فالحصان له عظم ودم والذبابة لا عظم لها ولا دم وعلى هذه النظرية رجع تقسيم الحيوان الى ﴿ أربعة أقسام ﴾

(١) الحيوانات الفقرية كالسمك والانسان

(٢) الحيوانات الحلقية كالحشرات والعناكب وذوات الأرجل الكثيرة والحيوانات القشرية والدود

(٣) الحيوانات الهلامية وجسمها أشبه بالفلوذج

(٤) الحيوانات الشعاعية مثل (سمك النجم) و(المرجان) و(الاسفنج) وهنا في صفحة ٧٥ صورة المرجان والسمك النجمي . وبيان أن هذا كل ما خلق الله في أرضنا منه وقد عدتها (اسبنسر) مليونين

٧٦ جوهرة في قوله تعالى - وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه -

روضات الجنات ومناهج الحكمة في قوله تعالى أيضا - وان يسلبهم الذباب - الى - إن الله لقوى عزيز -

٧٧ بيان أن الذباب والحيات ونحوها مخلوقة من المواد القادرة الضارة لتصلح الحق ولكن هناك في تلك الأنواع يبقى أصل الاضرار فينقلب الضرر الى سم في الحيات والى نقل العدوى في الذباب ونحوه

بيان أوصاف الذباب والحشرات وكيف كثرت وكيف سلط الله عليها مهلكاتها وأن لها ستة أرجل وأجنحة وبقية أوصافها وانها تبيض كالطير ولكنها لا تحضن بيضها كما يحضن الطير وجنينها يخرج من الحشرة دودة بخلاف الطير فانه يخرج طيرا

٧٧ ادخار الحشرات وعدم ادخارها وبيان أن أمثال الذباب رزقه موفراً لا يحتاج إلى ادخار . وأيضاً هو ودعوى الناموس والجراد لا تعيش للعام المقبل فلم تدخر إذن

٧٨ العنكبوت والطيور والنبات الحيواني . وبيان أن الله يقول بلسان الطبيعة التي خلقها : أيتها الطيور ويا أيتها العنكبوت ويا أيها النبات الآكل للحيوان (المتقدم في سورة الرعد مرسوماً مشروحاً هناك) أن هذا الذباب (وإن نفع أهل الأرض بأكله القاذورات) قد أضرتهم بنقله العدوى فهأنذا سلطتك على لآتي رحيم بخلق الذباب ورحيم باهلاكه وأنت أيتها العنكبوت قد جعلتك ذات قوة وبطش بالذباب الذي أعنته بالعيون التي تبلغ (٤) آلاف عين وهكذا أنت أيها النبات الآكل للحيوان قد سلطتك على الذباب فاحتل عليه بنفسك كما احتالت العنكبوت عليه بشبكها . فهذا اتفاق في صنعي فكيف يعبد الناس الأصنام وقد سلطت عليها أضواء مخلوقاتي وهي لا تمتنع . ولقد أنزلت هذا القرآن ليكون ملجأً يلجأ له الناس بعد القرون الأولى أولئك الذين لم يعقلوا عجائب خلقي للذباب وللعنكبوت فعبدوا الأصنام ولوعقلوا ما يعقله الناس اليوم لم يبن أهل الصين مثلاً أصنامهم فوق أعلى الجبال والأمم المستقبلية هي التي تنبد الأصنام ويعبدون لوقوفهم على بدائع خلقي في أحقر مخلوقاتي كالذباب الذي كان عيشه الرغد لا يلزم الشرف بل معيشة السعي الملازمة للعنكبوت أشرف كالأمم الصانعة فهي أشرف من أumm الفلاحة كشرف العنكبوت وعلوه على الذباب . وبيان أن العنكبوت يجب على رجال الزراعة ابقاؤها وابقاء الطيور لأنها قتالة للحشرات . وبيان أن بعض أهل العلم في المدارس ونظارها يحجلون أمثال هذا لحقارة هذا العالم عند بعضهم والمحاورات بين المؤلف وناظر مدرسة . وبيان مداربين المؤلف وبين بعض مدرسي المعارف في مجمع عام أيام الامتحان العام وانكارهم عليه جميعاً كون الفلمة لها (٤٠٠) عين وأظهاره الحق لهم ونشر ذلك في الجرائد في حينه . وسنشر تلك الرسالة في (سورة النمل) وأن ذلك لوجود عاطفة العلم في البلاد لأحوال عارضة . وبيان أن المدار في العلم على الشوق إليه وذوقه لأعلى قراءته وحضوره كالجبال فقد يكون الجليل لديك ولا تعقل جلاله لعدم استعدادك لفهمه والكلام على الجنادب والذباب والحشرات . وأن اللبن المخلوط مع الملح عند الفلاحين بعد بقاءه مدة مغطى في الأواني يرون فيه ذباباً ودوداً وذلك بسبب بيض الذباب فيه قبل تغطيته

٨٣ رسم الذبابة وشرقتها ودودتها وأن الله ألهمها أن تضع بيضها في طعامنا وشرابنا ثم إن الحشرات خلقت من العفونات وهي تخرج أنواعاً وأصنافاً ذات ألوان بديعة ونقوش جميلة ومحاسن بديعة كالعقرب والذهب وغيرها ولم يعرف الناس من الحشرات إلا (٢٠٠.٠٠٠) مثل الجعلان ونحوها ، ثم إن الخنافس عتقوا منها (٨٠.٠٠٠) ولما كانت هذه المخلوقات في غاية الإبداع جعل المصريون (الجعل) علامة الخصب أولاً ثم جعلوها قبيلتهم ثم عبدوها

٨٤ ههنا وصف جميل بديع للحشرات وأدوار نقابها ووصف (الشرنقة) بقلم المرحوم أستاذنا على باشا مبارك وبهجة الجعلان وحسن نقشها وعبادة المصريين لها وهذا كله بأحسن بيان يشرح الصدر

٨٥ محاضرة في قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - الخ وبيان اعتراض على المؤلف وأنه لما إذا يصف الذبابة ويطلق في هذا المقام والاجابة عليه بأن اللسان العربي يقتضي ذلك وأن اسراً القيس في قصيدته وصف الذباب لما عوى بيتين وطرفة بن العبد وصف ناقته التي ليست مقصودة له في (٢٩) بيت وليبدن ربيعة وصف الناقة بنحو (١٤) ثم زاد (١٧) وما ذكر الذباب ولا الناقة عند هؤلاء إلا في عرض الكلام على المحبوبة . فإذا صح هذا في أغراض ساقطة سافلة أفلا يصح نظيره في أغراض شريفة

عالية لرفعة الأمم وبناء مجدها في مستقبل الأيام . وهذا التفسير قد هبأ الله لبناء مجد الأمم الإسلامية وغيرها في المستقبل

٨٦ نمط آخر في المحاضرة وبيان اننا نحن المسلمين لجهلنا لم يكتف الله بتسليط الذباب علينا . كلا . بل أرسل (مكروب الطاعون) ونحن لانعلم انه موجود في الأرض وهكذا مكروب الأمراض الأخرى . ولما جهلنا هذا وذاك سلط علينا أوروبا . ذلك لأن المسلم الغبي أشبه بمن يعبد هواه . وهذه الأمم الإسلامية طال عليها الأمد فقسست قلوبها وأذهلتها ملوك ظالمون . والمسلمون أقرب الى رجوع مجدهم من الأمم الأخرى واستطرد في شأن العلاقة التي هي أحد أقسام الحيوان التي عرفت بمناسبة الذباب وانها حيوان مائي والحيوان المائي يقال انه ارتقى فصار برّياً وأخذت ترتقى الحيوانات طبقاً عن طبق فهي أولاً متشابهة ثم تأخذ في التباعد كلما ارتقت ثم ذكر ملخص المحاضرة وذلك في (١٢) مسألة

٨٩ محادثات بين المؤلف وبين السامعين في علم الفقه كالبيع والطلاق والصلوات وانه مفهوم وأن العلوم الأخرى متروكة مع انها في القرآن مذكورة بكثرة . وايضاح معنى عبادة الهوى وأن عباد الصنم ماعبدوا إلا أهواءهم . أفلا يكون اعراض المسلم عن جلال الله في الطبيعة أشبه بعبادة الهوى . وبيان أن دراسة هذه الجوانب في الحيوان دراسة لأنفسنا كما جاء في كلام (بول برت) . ثم بيان أن هذه الدراسة ترقى العقول الإسلامية وتحبب الناس في ربهم . تذكرة في ايضاح - فاذا وجبت جنوبها - الخ . وبهذا تم الكلام على (سورة الحج)

٩٢ (سورة المؤمنون) تقسيمها (ثلاثة مقاصد) وكتابة المقصد الأول شكلاً وتفسيره اللفظي من أول السورة الى قوله تعالى - وعليها وعلى الفلك نحملون -

٩٧ (ثلاث لطائف) رأى جديد في مهد البشرية وحضارة ما قبل التاريخ وقول (جيمس) الضابط الانجليزي انه قرأ (١٢٥) لوحة في الهند قديمة تدل على قارة (مو) في الأوقيانوس الباسفيكي قبل (١٥) ألف سنة ثم ابتلعها البحر وكانوا يطبرون بطياراتهم والطيارة فيها (٢٠) جندياً

٩٨ (هداية نجمت من هذه الآيات) . ذكر الله تاريخ خلق الانسان . فلماذا هذا . ليدلنا على سبيل التعلم في المستقبل بأن نقرأ تاريخ العلوم . إن العلم بدون تاريخه ناقص كالقراءة بلا معرفة الحروف الهجائية وكزج الأرض بدون حوث وهذا صراط ربك مستقيماً فلنسر على صراطه وكتاب (كشف الظنون) وأمثاله يقوم بأكثر ذلك . إن أوروبا تفرقه كما هو صراط الله فليقرأ المسلمون لأنه صراط الله

٩٩ جوهرة في قوله تعالى - نخلقنا المصفة عظماً - الى - خلقاً آخر - وبيان أن العين والأذن شرحهما في (سورة آل عمران) وكذلك جميع أعضاء الجسم التي لها أهمية كلها مشروحة هناك تفصيلاً

١٠٠ (خاطران متباينان) المؤلف عند اطلاعه على نظام جسم الانسان (خاطر العظمة) و (خاطر الخجل) فالعظمة لأن أرواحنا أعد لها مسكن فوق ما يتخيله العقل من الاتقان والخجل من أن الانسان جهول يعيش ويموت وهو لا يعلم هذا الجلال إلا النادر جداً من الناس

(الفصل الثاني) في تركيب جسم الانسان

١٠١ (شكل ٩) قطاع عمودي لجسم الانسان وفيه مجاورة الأعضاء بعضها لبعض وفيه بيان العنق والخفيرة والقصة الهوائية والجذع وما فيه من صدر وتجويف وبيان القلب والرئتين والأورطي . وهكذا تفصيل (٢٠) عضواً موضحة أياً ايضاح

١٠٢ جهاز الحركة مرسوماً (شكل ١٠) وفيه ايضاح (٢٩) عضواً كعظام الجمجمة والوجه والفقرات والقص

وهكذا الى عضلات الساق وضرب مثل لذلك كله بتفاحة يأكلها الانسان فهي كزائر المنزل والعين توصل الخبر للمخ كما توصل الكهرباء الخبر لأهل المنزل وهكذا أعصاب الحس وأعصاب الحركة كل له عمل في دخول التفاحة كما ان للخدام وغيره عملا في دخول الزائر

١٠٣ إيضاح الكلام على الجهاز العصبي وجهاز الحركة والجهاز الهضمي والدورة الدموية والتنفسية والليفاوية والجهاز البولي والجهاز الجلدي . فهذه (أ) أجهزة كلها تعاونت على قبول الزائر لها وهي التفاحة التي استأذنت من الخاتم في المخ بواسطة أعصاب الحس ودخلت بواسطة أعصاب الحركة

١٠٤ (الفصل الثامن) في أبداع ما رأيته في هذا المقام . وذلك اني حصلت لي موانع منزلية نغفت أن تلهيني عن جبال التفسير فقابلني في أثناء عملي من جاء من أوروبا ومعه صور في تشرج اليد وانها (١٢) طبقة . وهنا تبدى لي العجب إذ رأينا أعصاب الحركة القابضة مثلا غير الأعصاب الباسطة وكل منهما أنواع تعد بالعشرات . فأنواع البسط كثيرة فقد يكون قليلا وقد يكون كثيرا وهكذا ولكل نوع منها أعضاء خاصة فأخذت بعض الصور ورسمت في صفحة (١٠٦) و (١٠٧) والذي رسم هو أعصاب الحركة التي للقبض وأعصاب الحركة التي للبسط نتيها على غيرها

١٠٨ ايضاح أن الأجهزة الثمانية كلها متعاونات والمسيطر واحد . وهما يتجهب المؤلف من نظام هذا الانسان في جسمه المثقن اتقاناً تاماً مع نظام الاجتماع وتذكير القارئ بما تقدم في أول (سورة طه) من أم حياتها كلها قتل وتوحش فظيع وأن ذلك النظام الوحشي لا يناسب نظام الانسان وانما الذي يناسب نظام جسم الانسان ما نقوله الأرواح (إن الأرواح العالية لا خلاف بينها فما يراه بعضها يكون فكراً للجميع) هذا هو النظام الموافق لنظام جسم الانسان فان التعاون الذي بين هذه الأعضاء هو نفسه الذي نسمعه عن الأرواح العالية الذي جاء في قوله تعالى - وزعنا ما في صدورهم من غل - اخوانا - ثم إننا نرى رجال الحكومات متعاونين تعاوناً صناعياً تاماً تشبهاً بالنظام الأعلى ونرى رجال الأمم السياسيين متعاونين تعاوناً على طريق النفاق والخداع والكذب فهو تشبه خيالي

١٠٩ نور على نور في قوله تعالى - ثم أنشأناه خلقاً آخر - الى قوله - ثم إنكم يوم القيامة تبعثون * - ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - وبيان أن الناس قد سخروا البر والبحر والكهرباء والمغناطيس وطاروا في الهواء وقرأهم فرحين بهذا وقائهم أن هذا الفرح كفرح الفارس بفروسه والطفل بلعبته . انه فرح بما هو خارج عن النفس أي مالا يملك فكيف فرحوا . يجلس الانسان ساعة فيجد نفسه تنقل من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ومن السموات الى الأرض فلا يبالى بهذا السر الذي فيه ويعتد من سقط المتاع وذلك لأنه لم يتعب فيه ولم ينصب . لذلك كشف الله الناس بالعلم والعبادة والعمل جميعه ليعرفوا أنفسهم وقواهم بكدهم وجتهم حتى لا يحقروها وهذا هو سر التكليف وأيضا ان ولوعنا بجميع العالوم واتجاه نفوسنا لجميع الجهات دليل على أن نفوسنا مستمعة من عوالم محيطة بنا كما أن الجوهر الفرد مركب من ذرات كهربائية تدور حول بعضها دوران السيارات حول الشمس فدل ذلك على أن نفوسنا المشتركة للاطلاع على جميع العوالم نسبتها الى النفس الكلية المحيطة بجميع العوالم كنسبة الجوهر الفرد الى النظام الشمسي وحكم الجزء حكم الكل في الحالين . وكما أن الجوهر الفرد له أصل كلي يجمع أمثاله وهي الأجرام العظيمة كالأرض والشمس . هكذا الأرواح الصغيرة في الأرض لها روح كبيرة تجمعها كما جمعت الشمس والأرض مثلاً جواهرهما الفردة . إن هذا العالم مشمول بالرحمة وصغيره ملحق بكبيره . ودليل ذلك حادثة الفتاة التي توّمتها (شاردل) وقولها أنا يقظانة

وأنت نائم . وهناك ابنة أخرى كانت ترى جسمها يتمدد شيئاً فشيئاً في حال الانخفاف . وأيضاً كم من أناس انتقلوا إلى أماكن بعيدة بأرواحهم في حال الحياة . ومنهم من عرفوا حوادث بعيدة عنهم وهذه ملأت الأقطار ومنها حادثة والدتي لما غرقت وقت الفجر وقد كنت في المركب ثم نجوت بهجة العلم في قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وذكر أوصاف المؤمنين الذين أفلحوا فهم وصفوا (بعشرة أوصاف) كالصلاة والخشوع فيها وكعدم الغفلة عن هذه المخاوف وبيان أن الخشوع في الصلاة يفيد توجيه الخواطر لأمر واحد وكذلك توارد العلوم على قلبه وقول المسلم (الله أكبر) في الصلاة دليل أن العلم لانهائية له لأن كل ما علمناه رأينا الله أكبر منه

١١٢ بيان ما يقوله مؤلف (علوم للجميع) بالانجليزية أن المفكر العادي يرى أن الألوان وزعت على الحيوان بلا منفعة وهذا خلاف الحقيقة . الحيوان منه الآكل ومنه المأكول ، والألوان لا تظهر للمأكول فيفر منه فلا يعيش الآكل وهكذا لو أظهر لون الحيوانات المأكولة لكان ذلك هلاكاً لها . إذن اللون ضرر للجميع ولكن الألوان ملأت هذه الدنيا والحيوان باق فإذا نقول . نقول إن جميع ألوان النبات وأنوار الأزهار وأضواء الشمس والكواكب واضحة وهي حياة الحيوان وحفظه وهكذا ظهر أن أكثر هذه الألوان خلقت قصداً لحياة الحيوان (مثال ذلك) الحشرات المسميات (سلاق) حين تقع على الأرض تكون مثل حصائها في لونها وشكلها وذلك حماية لها . وهناك حشرة تشبه (العصا) فتنجو بذلك من الهلاك وبعض السوس لا يفرق بينه وبين قطع الطين في الأرض فيحفظ بذلك . ومنه ماهو أخضر وجيل لا يميزه الناس . وهنا خنافس تشبه حبوب بعض النبات وأخرى تعيش على ورق (المصفاة) فتصير مثله . وهناك فراش أخضر وآخر رمادي يشبهان النبات الذي يعيشان عليه . وفراش آخر مرسوم في صفحة (١١٤) أجضته أشبهت الورق الجاف فيحفظ بذلك من الهلاك . وهناك حشرة أخرى تشبه قطعة من (عصا) مكسورة حديثاً كما في شكل (١٤) صفحة (١١٥) وهناك حشرات تشبه زرق الطيور فتتمشاهظانة أنه زرقها وبذلك تحفظ لجل الحكيم العليم لون الفراش أعد لحفظه لأنه يشاكل ما يعيش عليه من خضرة إن كان أخضر ومن سمرة إن كان أسمر . إن دود الفراش على (قسمين) دود يكون لونه أخضر وأسمر يأكل ليلاً أما في النهار فإنه يبقى ساكناً فيحفظ من أكل الطيور له والقسم الآخر له لون واضح ولكنه لا يختفي نهاراً بل يأكل جمهرة ولا تقربه الحيوانات . والسبب في ذلك أن طعمه ردي لا تقبله الطيور ولا تسيفه كما في الصورة المرسومة في صفحة (١١٦) (شكل ١٥) . وقد يكون لدود الفراش شعر يغطي جلده . وقد يكون له غزل فكل هذا يجعل الطيور تأنف من أكله فهذا لا يختفي فتأكل علنا ولا تختفي وكأنها علمت أن الله جعلها في أمان من الهلاك

١١٧ وهناك حشرات مكشوفات لا تخاف لأنها أشبهت في لونها الذي لا انتقان فيه (دودة الفراش) التي خبث طعمها فكانت المشابهة سبباً في حفظها . والنحل والزناير تغدو وتروح ملونة لما لها من الحماية بالسلاح الذي خلق لها فلونها إذن إنذار للهاجم عليها وحفظ لها من المهاجمة . وهناك امبراطور الفراش جميل الشكل واللون مشابه لما يحيط به من الأغصان والأزهار فلا يمتاز عنها فيحفظ بذلك . ونجد في الصحراء لون (القبر) وألوان أنواع أخرى من الطيور وكذلك الحيوانات ذوات الفرو من ذوات الأربع وجلد الحيات والضب . كل هذه مشاكلات لألوان الرمال والجل والأسد لهما لون لطيف رملي أو صخري والدب القطبي وأرنب القطب وغيرهما كلها بيضاء ولكن ذلك لم يكن من تأثير الوسط والمبئية بل

الجبابة اقتضت ذلك والا فلماذا نرى الغراب هناك أسود لأن قريسته وهي الرم لانفرته منه اذا رآته ولا طالب له والسمور الذي يعيش وسط الأشجار لا يتغير لونه كما لا يتغير لون الغراب فدل هذا على أن الوسط لا تأثير له في اللون . وانما المدار على منفعة الحيوان كما يرى في الطائر الأمريكي (سكانك) في أمريكا الشمالية فذيله الزاهي الطويل يرى ليلا وانما تحفظه الرائحة الكريهة التي يطلقها على عدوه . والببغاء يكون لونه كلون الأشجار التي يسكنها

١١٩ في الجزائر الاستوائية حمام أخضر كالبيغاء للشاكلة . الضب والحية أسمران زنيان في بعض الأقطار واسكنهما في الأقطار الاستوائية وحدها يكونان شديدي الخضرة البراقة اللامعة لمساكنة النبات هناك وبلاد الانجيزليس فيها لون يقرب من الأخضر ولكن الأسمر والزيتي هما الظاهران في ريش الطيور وهذا هو نفس لون الأشجار التي لا أوراق لها وهي كثيرة فيكون ذلك حافظا لتلك الطيور . السمك الذي يسكن قاع البحر تكون ألوانه كألوان الحديقة منمقة جميلة مساكنة لما هناك في قاع البحر من الرمال والحصى المنقوشة . فأما ما قرب من سطح الماء فانه يكون أزرق مائلا للخضرة من أعلى مساكنة للبحر وأبيض من أسفل لأجل أن يحفظ من العدو في الهواء وفي الماء . وخيل البحر في أساليب لونها السحرية تشبه الأعشاب البحرية من الرجان والشقائق وغيرها التي هي حقائق بهجة المنظر هناك تسر الناظرين . وفي الأقطار الاستوائية حشرات أجنتها وعروقها مشابهاة كل المشابهة أوراق الأشجار ثم نفس الأرجل والصندوق وهيئة الرأس كلها مشاكلات لما تعيش عليه من أغصان وأوراق بحيث لا يمكن تمييز تلك الحشرات منها . ومن الحشرات ما تظهر كأنها قطعة من غصن مغطاة بطحلب . وهناك حشرة (أبي دقيق) البرتقالية الرأس تعيش على أطراف الأزهار في شجر البقدونس (شكل ١٦) صفحة ١٢٠

١٢١ وههنا يتجلى (أسمران * أولا) ان ماشاع في مصر وبلاد الشرق أن مذهب (داروين) و (لامارك) ينافي وجود منظم الكون خطأ فذلك كان في قرون مضت . أما علماء أواخر القرن التاسع عشر والعشرين . فهذه هي نفس آرائهم ومنهم نقلت هذه الأقوال فعنى آية - وما كنا عن الخلق غافلين - قد فهمه علماء هذا القرن العشرين وبعض المتعلمين في أم الاسلام لم يبلغهم هذا الخبر جبال العلم ومحاسن الطبيعة . وبيان أن الناس في هذا العالم أكثرهم كالعمى أمام الغايات أو الصمم أمام المغنين لغلغلتهم عن الجمال . وحكاية الجنيد مع المرأة الجميلة وتذكيرها له بحمال الله

١٢٢ بيان أن الموسيقى ترجع الى النظام العام . وحكاية فيثاغورس إذ مر على حداد وكانت النسبة في مطارقه (٦) الى (٨) الى (٩) الى (١٢) فأثني بالأوتار على هذه النسبة فأطربت وأن الموسيقى سبب وود فاصلة كالشعر ومن هذه جميع الألحان والكلام على لحن الفاخرة وهو نفسه بحر الطويل وهو نسبة هندسية فآذان الطير والعلماء والجهال على حد سواء ولكن هناك موسيقى أرفع وهي حساب الأفلاك والعناصر وبدائع الألوان المذكورة في هذا المقام وكيف تحمى الحيوان بسواد أوجرة أو خضرة . فهذه موسيقى أبدع مما تقدم كله . وهذه الجباب كنها ترجع الى عناصر والعناصر عبارة عن ضوء وحرارة ترجع الى كهرباء . هذا هو الوجود الحادث كله فالوحد والسبب والفاصلة تنوعت بهذا الحساب والعناصر الراجعة للكهرباء تنوعت هذا التنوع . فالعالم راجع لحركة مستمرة ونظام جميل

١٢٣ بعض أسرار القرآن تظهر في هذا الزمان وذلك كمسألة الألوان التي ذكرناها . فليست هي بعينها قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض

وجرم مختلف ألوانها و غرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك - ثم أعقبه بقوله - انما يخشى الله من عباده العلماء - فأين هؤلاء العلماء . أليسوا هم الذين يدرسون أمثال ما ذكرناه هنا حتى يفقهوا سر الألوان بقدر الطاقة البشرية . وكيف يقول الله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألوانكم وألوانكم - ثم يقول - إن في ذلك لآيات للعالمين - . ولقد حسب الله أصوات الحيوان لا ألوانه لحسب وهذا هو الحق الذي خلق الله السموات والأرض على مقتضاه وهو التسبيح لأنه تقدس عن أن يخلق لونا أو صوتا بلا حساب

١٢٤ صوت الفاخنة وشعر من بحر الطويل وخفيف الثقيل الأول من الموسيقى وحسابها جميعها يرجع الى أن حاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسيطين . والكلام على قوله - وإن لكم في الأنعام لعبرة - وآراء الفرنجة في المواليد الثلاثة وشرح مذهب (داروين) وبعده (برن) وأن هناك أناسا يقولون إن العالم لا موجد له

١٢٥ شرح أصول مذهب (داروين) وهي (أربعة) الحياة أطوار وتكون بالوراثة في النسل وهناك تنازع والأقوى الأكل هو الباقي وأهم أوروبا جرت على هذا المبدأ في تنازع البقاء في السياسة . ونقض هذا المذهب (جوستاف لوبيون) بأن المادة ليست أبدية و (بوانسكاريه) بأن النواميس تقريبية (وجويله) بأن آراء (داروين) محجزة عن تعليل الإلهامات في الحشرات وأمثالها . ودوفرى بأن التحول الفجائي هو القاعدة أما البطيء فلا . وجويله يقول ان الحشرة وانقلابها الفجائي يبطل مذهب داروين و (فون باير) يقول « إن تولد الانسان من أعلى القردة أصبح القول به أقرب الى الجنون » وفيركو الألماني وغيره يقول « لامناسبة بين أعلى القردة والانسان » ثم ان الانتخاب الطبيعي نفاه (سبنسر) ونفى (ويسمان) انتقال الصفات بالوراثة وقال إن هذه الآراء حكايات أشبه بكلام المجاز و (بوهن) أبطل الانتخاب الطبيعي و (جينو) يقول « البط والطيور المائتة خلقت لها أرجل لتصلح للوم وتلك الأغشية بين أصابعها خلقت لها قبل أن تعوم » و (بلجر) نفى الوراثة . ودوبوار عند كذلك نفاه ودائرة المعارف الكبرى الفرنسية تقول « إن نفس آراء (داروين) محتلة لأنها تقول بالمصادفات » و (ادورد هارتمان) يقول « إن نفى القصد في الوجود وهم لا أساس له لأن الطبيعة منتظمة » . و (لويز بورديو) يثبت القصد والروح المدبرة في الوجود . و (فون باير) الألماني ينكر الضرورة العيانية ويقول بالقصد السامى . و (كاميل فلاسريون) يقول « إن هناك تبصرا في النبات والحشرات والطيور يقصد به حفظها وهي غافلة وهذه الملاحظات في التاريخ تثبت أن في الطبيعة عقلا مدبرا » و (لوجيل) الفرنسي يقول « إن كل القوى صادرة من قوة أولية » . ودائرة معارف القرن العشرين تقول « ان للسكانات غاية » . و (ميلان ادوارد) يذكر ذلك الطير الذي يضع زادا يكفي ذريته سنة وهي نفس المدة التي يحتاج اليها لاغير وقد مات الأبوان

١٢٨ يستدل من هذا كله أن طائفة عظيمة من المتعلمين في بلاد الشرق مغرورون بزعمهم أن نفى الخالق علم أوربى ، فهم أولاء يكذبون هذا الرأي وهؤلاء المتعلمون بالشرق لم يبلغهم خبر هذا التكذيب فصل في ذم المتفلسفين والتبذلين والمغفلين من شرح الرازى على اشارات ابن سينا واثباته أن المتفلسفين الذين ينفون الشرائع أشد حقا من العامة الذين يصدقون بغير دليل لأن الأولين يصيرون كالشياطين في الخلاعة والفساد . ثم ان المقلدين لا تنفعهم العلوم لأن التقليد يمنعهم منها وأحسن الناس المتفلسفة لبعدهم عن الشرائع

١٢٩ ﴿المقصد الثاني﴾ مكتوب مشكل من قوله - ولقد أرسلنا نوحا - الى - ربوة ذات قرار ومعين -

١٣٠ التفسير اللفظي للمقصد الثاني

١٣٣ مناسبة هذه السورة لما قبلها . وبيان أن - الحمد لله رب العالمين - في الفاتحة مجمل وإنما فصله قول المصلي في الركوع ﴿خشع لك سمعي الخ﴾ وهذا التفصيل في الركوع هو عين التفصيل في هذه السورة لأن فيها علم التشريع وقول المصلي ﴿ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض﴾ بعد الرفع من الركوع هو هنا علم الفلك في ذكر خلق سبع طرائق . إذن ذكر التشريع أولا وعلم الفلك ثانيا في هذه السورة قد جاء بترتيب صلاة المصلي في الركوع والرفع والاعتدال وذلك كله لأن أول السورة فلاح المؤمنين الخاشعين في صلاتهم وخشوعهم فيها لا يتم إلا بتدبر هذه المعاني المناسبة لما في الركوع والسجود إذن ما هنا في أول السورة تفصيل للحمد في الصلاة وقصص الأنبياء وأعمهم تفصيل للزم عليهم والمغضوب عليهم . إذن هذه السورة شرح للصلاة وبهذا يكون فلاح المؤمن . ثم إن سعادة الانسان لا تتم إلا بسعادة الناس معه ولذلك يقول - نعيد - بالنون لابلهمز . فالانسان في صلاته مع الصالحين من كل الأمم ومن الملائكة

طرق علم التوحيد وبيان أن (سورة الأنبياء) تكميل لهذه السورة . وبيان أن علم التوحيد اللفظي الذي أصبح عاما لا قيمة له بالنسبة لما يطلبه القرآن فالمسلمون بعدنا يدرسون على طريقة هذا الكتاب وأمثاله ولما جهلوا أمثال هذا تفرقوا شيعا وهذا قوله تعالى في سورة المؤمنون - فنقطعوا أمرهم بينهم - الخ . وهن حفظ الأطفال صفات الله كالقدرة والارادة يفيد المسلمين فائدة هذه العلوم . كلا . إذن بعض هؤلاء نسوا الله فنسيهم . بيان - كل حزب بما لديهم فرحون - وبيان التفرق في العصر الأول في قراءة القرآن الذي تلاه الخلفاء الراشدون وتدوين القرآن واستظهاره وفداء الأسير بأن يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة . وذكر كتاب الوحي وهم (زيد بن ثابت) و (أبي بن كعب) و (الزبير بن العوام) و (خالد بن الوليد) و (حنظلة) و (معيقب) و (معاوية) و (علي) و (زيد) و بيان أن القراء قتل كثير منهم في قتال المرتدين في واقعة (اليمامة) فأمر أبو بكر زيد بن ثابت بجمعه مع لجنة وحفظ عند أبي بكر وجعله عمر بعده عند حفصة وفي خلافة عثمان خاف حذيفة تفرق المسلمين باختلاف القراءات فأخبر أبا بكر فأرسل الى حفصة وأخذ المصحف وأمرهم أن يكتبوه وإذا اختلفوا فليجعلوه بلفظ قریش والرئيس في اللجنتين البكرية والعثمانية (زيد) وأحرق ما عدا هذا المصحف العثماني وطبع القرآن أول مرة بألمانيا سنة ١٦٩٤ م

١٣٨ كيف يتحد المسلمون . ذاك بأن يعلموا أن علم التوحيد والفقہ ليسا إلا شيئا يسيرا من علوم الدين والعلوم كلها مطالب القرآن . فأين الخلاف إذن بينهم

١٤٠ حكاية الاستاذ (ادوارد براون) الانجليزى وتعبه من العداوة التي رآها من بعض الشيعة لأهل السنة وهذه العداوة قد ذهبت الآن لرقى عقول المسلمين

علوم الحكمة في سورة المؤمنون . ورأى (يكون) وتقسيمه العلوم كلها على قوى الدماغ كالشعر للخيالة والتاريخ للقوة الذاكرة وهو (قسمان) طبيعي وبشرى ودينى والطبيعى يشمل علوم السموات والأرض وهكذا . بيان الدروس التي تلقى الى المسلمين (١) العبادة والأخلاق (٢) علم الأشياء (٣) العلوم الطبيعية (٤) سير الملوك والأمراء والعلماء الخ . وليكن في الاسلام مجددون

١٤١ الكلام على قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - الخ وفهم معنى التشييت في أصل وضعه عند الأمم

القديمة وأن المادة والعقل المدبر لها يدلان على خالق لهما فهما اثنان يدلان على الله . فالمادة كالأم والعقل العام كالابن والله موجدهما فهما دالتان وهذا هو ما جاء في الإنجيل وهو نفس هذه الآية فعيسى آية لا أقل ولا أكثر . وقد اكتفى المسيحيون عن المادة بجسم المسيح وعن العقل العام بعقله في الدلالة على الله فافرح بالعلم والحكمة

١٤٢ تذكر في أن ألوهية المسيح منقولة عن الأمم السابقة وأن هذه القصة المخترعة على المسيح هي قصة (فشنو) وهو الاقنوم الثاني عند الهنود وهو الذي صار (خريستا) الخ . وألوهية المسيح ظهرت بعد خراب (أورشليم) وتفرق اليهود في مصر والهند والفرس فرجعوا بهذا التثليث الذي نقلوه عن تلك الأمم . وفي الإنجيل (مرقس) ما ينفي الألوهية نصا . ومعنى المسيح الممسوح بالدهن كملوك بني اسرائيل وذكر مذهب (الأسونيين) الذين أخذ الدين المسيحي الحقيقي عنهم ثم أوحاه الله اليه . وبيان الكلام على (بولص) الفريسي الذي لم ير المسيح ولكنه أخذ يخاصم بطرس ويدعى انه أعلم منه ثم بعد ذلك تمرد اليهود وحصل حرب فتشتتوا منه سنة (٧٠) ب.م

(المقصد الثالث) من قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى آخر السورة التفسير اللفظي لهذا القسم . أرسطاطاليس والاسكندر والسياسة وبيان أن العاقبة لابد من كبح جماحهم وتأديبهم وأن الدعة والتتم والبطرتهلك الأمم وأن المشقة هي الكافلة برفق الأمم

١٤٦ بيان تنقل الدول والرياسات في (آشور) وأهل (ماه) و(فارس) وهذا كله قاعدة واحدة . الدعة وخففس العيش هلاك وضد ذلك بقاء . وهنا نصائح لللك أن يحجب الرعية فيه وهكذا

١٤٧ التفسير اللفظي لقوله تعالى - ولدينا كتاب ينطق بالحق - الى آخر السورة

١٥٢ وهنا أربع لطائف في قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا - الخ وفي قوله - كل حزب - الخ وفي قوله - وهو الذي أنشأ لكم - الخ وفي الأنوار في قوله تعالى - فمن قللت موازينه - الخ

١٥٣ الجوهرية الأولى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الخ وبيان أن ما قلته في كتاب (أين الانسان) قبل الحرب العظمى من أن الأمم يجب أن تكون جميعها متضامنة قد قاله محافظ كابول بمصر في خطبته وجاء في (ميثاق السلم) بين ملوك أوروبا والشرق . والذي جاء في كتاب (أين الانسان) أن عدد الذكور والاناث واحد في الأرض تقريبا وأن الأمم القوية اذا تركت عقول الأمم الضعيفة تكون هي قد قوتت منفعتها وأن المنافع موزعة على الأرض كلها وأن الأمم التي كثر عددها تأخذ أرضا من غيرها ويجب أن تحصى الأراضي كلها في الأرض وأنهم يجب أن يتحدوا ليستخرجوا المنافع وأن الملكات في العمل يجب أن تكون قوية وبيان قول محافظ كابول (إن ممالك الشرق وشعوبه استيقظوا من سباتهم العميق وانه ليس لهم قصد إلا التعاون مع أوروبا لاصلاح العالم كله) ويقول أيضا (إن الشرق قوى وإن على الشرقيين أن يقتبسوا من مدنية الغرب) وبيان أن آباءنا لو خاطبونا لسخرنا منا لأننا نستخرج بعقولنا ممالك الانسان في البر والبحر لاما ينفعه ويرقيه

١٥٧ (الفصل الثالث) في ميثاق السلم وبذ الحرب الذي أرسلته الحكومة الأمريكية الى الأمم كلها بمناسبة تفسير قوله تعالى - وإن هذه أمتكم أمة واحدة - وأن هذه الأمم كلها الآن في أوروبا وأمريكا استنكروا الحرب في هذا الميثاق وأنهم صمموا أن يحلوا المشاكل بالوسائل السلمية

١٥٨ (الفصل الرابع) فكرة عامة في هذا الموضوع وبيان أن الدين الاسلامي الذي أحل القتال بل أوجبه في بعض الأحوال الخاصة هو نفسه الذي أخبر أن الحرب ستمنع يوما ما في قوله تعالى - حتى تضع

الحرب أوزارها - حين لا يبقى على الأرض إلا مسلم أو مسلم وأن الله نفسه تولى هذا العمل وقد فصل مع الدول ما فعله مع زراع القطن في أمريكا الذين توغلوا في زراعته فسلط عليه الدودة فقللوا من زراعته فصلحت الأرض ونفعتهم في مزارع أخرى . هكذا هنا ألهم علماء الكيمياء وغيرهم فاخترعوا المهلكات فعزمت الأمم على الامتناع عن الحرب . ومتى تم هذا تمت معجزة آية - حتى تضع الحرب أوزارها - وتأيد ما تقدم بذكره ما نقوله جريدة انجليزية ﴿ ان الدول كلها قد أحست بمصائب الحرب وويلاتها غالبها ومغلوبها أمراءها وصعاليكها الملكيين والعسكريين ﴾ كلهم أدركوا أن الحرب تقع مصائبها عليهم جميعا بلا تمييز وأن انكثارا مستهدفة للخطر من كل ناحية وأن الحكومات (روسيا وألمانيا والنمسا وبلغاريا) كل هذه وقعت في الخطر

١٦٠ حكمة إلهية ونور على نور وتبصرة وذكري . وههنا تبيان ما جاء في الأنفال في قوله تعالى - وأصلحوا ذات بينكم - من أن في القرآن آيتين إحداهما تطلب جمعية أم إسلامية أو شرقية وهي - وأصلحوا ذات بينكم - والأخرى تطلب التعارف العام بين الشرق والغرب بجمعية أخرى وهي آية - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - وتجب المؤلف من أنه لم يمس على كتابة هذا سنتان حتى ظهر أن هذا الذي كان يقوله بطريق الفكر والاستنتاج أصبح الآن يخطب به على المنابر عظماء كمحافظ كابول فدل هذا على أن الإسلام كله متصد على اظهار هذه الفكرة وأن المسلمين مرتقون لاحالة . وبيان أن الله عامل الأمم جميعها معاملة الأب الشفيق والأستاذ العظيم فأولا نهاهم وأمرهم فلما لم يمتثلوا أبدع الطرق التي بها يعتلون ومن ذلك خلق الحشرات المؤذيات الموجبات للأمراض مثل حشرة تسمى (الكولاكس) فكان عملها موجبا على الناس تعلم الطب والاتحاد في مطاردتها لأنها لا تميز بين أمة وأمة وهي معدية . ومثلها المدمرات المهلكات . فههنا عذابان يقعان على الناس موجبان لاتحادهما عذاب المهلكات الطبيعية وعذاب المهلكات الصناعية وهذان المهلكان وغيرهما ما ذكره هنا يتلاقان بقوله تعالى - فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا - كأن الله يقول لهم أتم أمة واحدة وقد نقطعكم أمركم بينكم زبرا فعلى إذن أن أرجعكم للاتحاد بعدمراقي ومهلكاتي الطبيعية والصناعية وحينئذ تضع الحرب أوزارها وهذا من أعظم عجائب القرآن

١٦١ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - كل حزب بما لديهم فرحون - والكلام على (العميان الست) الذين اختلفوا في الفيل أحربه هو أم حية أم حائط أم شجرة أم مروح أم حبل وذلك بالنسبة لنابه وخطومه وجنبه وركبته وأذنه وذنبه على الترتيب وأن هذه رأيتها في الإحياء وفي كتب الانجليز وهي هندية الأصل وأن هذا المثل ينطبق على جميع الناس في كل أحوالهم في المطاهم والملابس والمساكن والديانات والمذاهب . وبيان ست من المتكلمين على الانسان مثل

(١) سقراط القائل ﴿ إن الانسان يقصد السعادة والخير وأن أسّ الفضيلة العلم وأن الخير العام يقدم على الخير الخاص وأن حياة الفيلسوف أشرف حياة لأنها مبنية على البصيرة ﴾

(٢) وأن الفارابي يقول في كتابه ﴿ إن الأمة يجب أن تكون أشبه بالجسم الواحد وكل جماعة يعملون فيما خلقوا له بل كل أمة يجب أن تكون كعضو في المجموع الانساني ويكون أهل الأرض كلهم أمة واحدة كجسم الانسان ﴾ وهذا في كتابه ﴿ آراء أهل المدينة الفاضلة ﴾

(٣) وبيان آراء (أرسطو) الذي شرح الفضائل الأربعة ﴿ الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ﴾ وأنها وسط بين طرفين وأنها تقرّب عليها سعادة الانسان . وبيان ما قاله من تعليم القراءة والكتابة

ومن طلبه تعلم الموسيقى ودراسة العلوم الرياضية والطبيعية
(٤) وبيان آراء (ابن سينا) في التحريبات الرياضية وفي تربية الأطفال وتدير الرياضة والنوم والغذاء الخ
(٥) وبيان آراء عالمين هنديين في زماننا وهما (غاندى) و (جاجاديس بوز) القائلين بالثقة بالنفس
والصدق والاتحاد الوطنى والتسامح وعدم ترك ما عندنا من منافع العلم الموروث والتحرىض على تعلم
الصناعة وعدم الاتكال على صناعة الفرنجة

(٦) وبيان ما قاله المؤلف في كتابه «أين الانسان» الذى مرّ شرحه قريبا في نفس هذه السورة
من أن الأمم كلها يجب أن تتعاون في ارتقاء العقول واستخراج منافع الأرض . فاذن يكون هؤلاء
الست ضرب لهم مثل العميان الذين يعضون عن حقيقة واحدة وهى سعادة الانسان والله تعالى يقول
- وما أوتيتم من العلم إلا قليلا -

بيان أن مذهب العلامة (هولدين) العالم الانجليزى ينحونحو كتاب «أين الانسان» بطريق يختص
به هو إذ يرجع في ذلك الى مسألة المرض والصحة . وأن الناس يجب أن يتضامنوا لأن الأمراض تفتك
بهم لافرق بين أمة وأمة بالعنوى وهذا هو الذى شرحناه في هذا التفسير وفي هذه السورة أيضا

١٦٦ «الجوهرة الثالثة» في قوله تعالى - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون -
و بيان أن الناس لما بذل الله لهم السمع والأبصار والأفئدة لم يعرفوا حق النعمة لأن المبدول لا يلتفت
اليه فوجب أن يعرف ذلك بالعلم . و بيان حاسة السمع بأوضح مما مرّ في سورة (آل عمران)

١٦٧ وكذلك الصور ورسم صورة الأذن (شكل ١٧) وتبيان (١٣) جزأ من أجزائها ورسم صورة العين
وتبيان (١٩) جزأ من أجزائها تصويرا وقولا

١٦٨ رسم صورة القلب والدورة الدموية موضحة أيضا كما ناما (شكل ١٩) وتبيان (٢٠) جزأ من أجزاء
تلك الدورة . والفرق بين الدورة الصغرى إذ يذهب الدم من البطين الأيمن الى الرئتين ثم يعود الى
البطين الأيسر وبين الدورة الكبرى إذ يذهب الدم من البطين الأيسر الى الجسم ثم يعود الى البطين
الأيمن . والدورة الكبدية فرع للدورة الدموية وهى عبارة عن بعض أوردة آتية من المعدة والأمعاء
والطحال والبنكرياس تصب في وريد واحد يسمى (الوريد الباب المتحددة فروعها الشعرية بأوعية الكبد)
و باجتماع هذه كلها يتكوّن الوريد الكبدى الذى يصبّ في الوريد الأجوف السفلى

كرات الدم في العروق (شكل ٢٠) . تعريف الدم وبيان كراته الحمراء والبيضاء وعدد الحمراء في السنتيمتر
وعدد البيضاء وبيان أن هذه الكرات ساجدة في سائل شفاف

١٦٩ بيان الشرايين والأوردة والأوعية الشعرية المنقسمة الى وريدية وشريانية وأن للدم صمامات تمنع
رجوعه (شكل ٢٠) . ايضاح السمع والبصر والفؤاد بالقول بعد نظرها في الصورة وأن تصويرها

الشمسى مصداق لقوله تعالى - وقل الحمد لله سبيريكم آياته فتعرفونها - وهنا ذكر أن القلب والروح
والعقل والنفس تدل على اللطيفة الربانية بمعان مختلفة . و بيان منظر خيالى تخيله المؤلف فيه حقول
المزارع المختلفة والحدائق الغناء فيها أنواع الفاكهة والزرايين ذات الألوان المختلفة الجليات الاشكال
وذلك كله بعد أن كانت الأرض قفراء لا أنيس بها ولا جليس وغاية الأمر أن طائفا طاف بها فبذر
فيها بذورا مشوبة بمواد كثيرة وكل ذلك ممتزج امتزاجا تاما حتى صار بهيمة خاصة فأخذ ذلك الطائف
يبذر ما في يده بحسب ما كان معروفه الأرض وأخذت زخرفها وزينت وظهرت فيها الآلات المماصة
الساقية الساقية لحشائشها وزروعها وأشجارها بخراطيم امتدت من تلك الآلة عظيمة في مبدئها دقيقة

مشتبكة عند نهايتها . وبيان أن ذلك المنظر يمثل جسم الانسان والقلب فالحدائق والمزارع تمثل الأعضاء المختلفة في جسم الانسان والمسرة (التلفون) الذي في قصر الحديقة يمثل السمع والمناظر المعظمة تمثل البصر وذلك تبيان لقوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون - وكيف يشكر الناس تلك الحكمة في وضع العظام الصلبة في الأذنين والطبقات اللطيفة في العين فتشا كل الصلب مع الهواء والشفاف اللطيف مع الضياء . ثم كيف انقسمت البيضة في رحم المرأة أقساما منظمة بحساب التوالي الهندسية ومع ذلك الحساب قد حصل الابداع في التركيب والنظام البديع . ثم إن الآلة التي تسقى الحدائق والمزارع تمثل القلب المرسوم هناك المقسم أربعة أقسام الذي خرج من البطن الأيسر في الأورطي المتفرع إلى فرعين والفرعان متفرعان إلى فروع كثيرة تصل إلى كل عضو وكل جلد وشعر وكل مادق وجل وأن الله لو فعل لنا في مزارعنا ومنازلنا وحدائقنا ما فعله في أجسامنا لكان هذا معناه أنه لا انسانية ولا حيوانية لأن ذلك لا يجعل للانسان ارادة ولا عقلا ولا فكرا . ولا معنى للانسانية إلا هذا . فتكليف الناس بالأعمال معناه حياتهم وعدم التكليف بأعمال الحياة وغيره معناه إعدامهم وبيان أن ضرر ترك ذلك يرجع إلى المسلمين في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة لأنه من فروض الكفايات التي تركها يذل المسلمين في دنياهم وفي آخرهم

١٧٢ بيان أن العلم اليوم ارتقى حتى شاهد الناس في منظر (السينما) مشاهد الصور التي تمثل الجنين وهو ينجو في بطن أمه وكيف يخلق بالتدريج وكيف تظهر فيه وتتولد وتتكاثر الحيوانات الصغيرة التي تسبب له مرض الزهري وأن المؤلف شاهد ذلك أثناء هذا التفسير وأن ذلك يسبب استعمال الشهوة البهيمية في غير ما وضعت له . وبيان أن ذلك العقاب مقدر بقدر الذنب وأن إهمال السمع والبصر والفؤاد في أمة الاسلام كان جزاؤه أن حل بساحتهم أمم الفرنجة فزقوا الأجسام وخربوا المنازل كما قاله الخطيب الانجلیزی في البرلمان القائل ﴿إنهم جربوا الطيارات في بلاد العراق وفي اليمن وفي الصومال فأذبت المسلمين خير تأديب﴾ فهاهم أولاء الانجلیز ضربوا المثل في اهلاك الطيارات بأثم الاسلام الثلاثة . إذن هذا عقاب للمسلمين على تفریطهم في عقولهم كما عوقب المسرف في الشهوة البهيمية بأن جعلت أعضاء التناسل عنده مشوهة مقرحة وجزاء إهمال العقل عند المسلمين ذل الأمة كلها وجزاء الفاسق تشويه جسمه وحده فان العقاب على قدر الجریمه . العقل عام فالعقاب عام والشهوة خاصة فالعقاب خاص . ولا جرم أن الأوروبيین تعلموا من آباءنا مثل (بابا روم) الذي أدخل العلوم الرياضية في إيطاليا ناقلها من الأندلس سنة ٩٨٠ واهيلارد الانكليزي أخذها سنة ١١٢٠ من مصر واسبانيا فترجم (اقليدس) من العربية . فهؤلاء من علوم آباءنا تعلموا ولأجسام أبناء معلمهم مزقوا كما مزق الحيوان الزهري المغتذى من أجسامنا أعضاء التناسل عند وضع الشهوة في غير ما وضعت له . وههنا نداء لأبناء العرب في اليمن وفي العراق ملخصه ﴿ألم تكن لكم يا أهل العراق قبيل الاسلام مدنية الآشوريين والبابليين وبعد الاسلام مدنية العباسيين . ثم أنتم يا أهل اليمن ألم يكن لكم عرش عظيم قبل الاسلام وملك مجيد حتى جعل الله لكم في القرآن (سورة سبأ) هل يصح أن تتركوا السمع والأبصار والأفئدة ويقل شكركم ومن قل شكره سلبت منه النعمة . ثم يقول المؤلف إن طيبا أوروبيا ساعده تلميذه الطبيب الياباني الشرقي فصنعا دواء هذا الداء الافرنجي سماه (٦٠٦) بعدد التجارب . فهل يكون هذا التفسير الذي امتزج فيه العلم الغربي والشرقي بالقرآن هو الدواء لمرض المسلمين الاجتماعي حتى لا يضرب بهم المثل في الاذلال والتأديب بالضرب بالطيارات﴾ وبيان أن المسلم

وان لم يبحد نعم الله قدرتها وهذا كفر للنعمة

١٧٦ ﴿الجوهرة الرابعة﴾ في قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - في سورة (الاعراف) المناسبة لما هنا في قوله - فن ثقلت موازينه - الخ وبيان الموازنة بين قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - وقوله تعالى - فتعالى الله الملك الحق - وأن الملك ﴿قسمان﴾ ملك ليس حقا بل هو زائل ميت وهم ملوك الأرض وملك حق لا يزول ملكه وهو الله . وهكذا الوزن ﴿قسمان﴾ قسم حق وهو وزن الله وقسم تقريبي وهو وزن الانسان وأن الأوزان في أرضنا كلها ليست إلا تقريبية لأن الجاذبية عند خط الاستواء أقل منها في جميع الكرة الأرضية لأن خط الاستواء شديد البعد عن مركز الأرض وهذا البعد يقل بالتدرج كلما توجهنا إلى القطبين شمالا وجنوبا و يترتب على ذلك اختلاف حركات البندول في الساعات المختلفة بحيث يكون البندول في خط الاستواء كثير السرعة لخفته وعند القطبين قليل السرعة لثقله فبندول خط الاستواء وما والا به يخفّ يتحرك حركات أكثر من حركات أمثاله في القطبين وما والاها وهناك نسب جذرية واضحة في التفسير . و بيان أن موازين القبان يعتبر فيها طول ذراع القوة وطول ذراع المقاومة وأن الحجر النازل اعتبرت فيه المسافة وعكس المربع في الجسمين المتجاذبين والجسدر في البندول المختلفة الخ و بيان ارتفاع الجوّ وأنه بعد (٤٨٠٠٠) مترا تنقص حرارته تناقصا قليلا ثم بعد ذلك طبقات حارة نحو (٦٠) درجة . وأن ثقل الهواء يعادل (٧٦) سنتيمترا من الزئبق و بيان ارتفاع الطيران في زماننا ثم الوصول إلى المقصود من هذا المقال وهو أن الوزن تقريبي لأن الكيلوجرام ينقص وزنه في خط الاستواء (٣٥) جرامات ونصف . ويقولون إن الأرض لو كانت أسرع مما هي عليه في الدوران (١٧) مرة لانعدم الثقل عليها . إذن الوزن عند الله حق وعند الناس تقريبي بهذا البرهان . فهذا معنى قوله - والوزن يومئذ الحق - في الأعراف وقوله هنا - فن ثقلت موازينه - الخ بيان قاعدة (أرشميدس) وقصته مع ملك زمانه الذي دلفه بتمييز التاج الذهبي أهومغشوش أم غير مغشوش فلما استحم الفيلسوف في الحمام أحس بأن جسمه خفيف فأيقن أن الجسم في الماء يكون أخف بمقدار ما أزاحه من الماء للمعادل لجسمه فصنع ذلك في التاج فظهر له غشه . فعلى ذلك تكون الاجسام في الهواء أخف من حقيقتها بمقدار الهواء الذي أزاحته وان كان ذلك يسيرا جدا . إذن وزن الله هو الحق لا وزن الناس في الأرض

١٨٠ ﴿المسألة التاسعة﴾ في بيان هذه الآية ومصادقها في دين ادريس نبي المصريين المسمى (هرمس) أو (اخوخ) أو (توت) فقد صور المصريون الميزان قبل النبوة بألاف السنين تقريبا للعقول كنص الآية وبيان انهم كانوا يعبدون الله الواحد وأن الاشراك كان يلقي الى العاتية الذين لا يقدر أن يعقلوا الوحدانية وأن هذه الآلهة كانت معتبرة صفات لله مجسمة ثم اغتروا بها فعبدها . و بيان الميزان الذي صوروه (شكل ٢٢) وهناك (أوزوريس) رئيس القضاة و٤٢ قاضيا يحاسبون الروح وصورة الروح المحاسبة وتوت كاتب الأعمال وهورس ينظر في الحسنات والسيئات وأنونيس يراقب كفة الميزان وملك العدل له صورتان وفي وسطهما الروح تبرا من الذنب ثم بيان أن العدل ليس مقتصر على الميزان المنصوب في السماء والأرض بل يكون في الحيوانات المختلفة فمنها أن السلحفاة البحرية باردة الدم فقللة الحرارة عندها ألهمها الله أن تبحث عن الرمل المناسب الدافئ في الشاطئ فتدفن فيه (١٢٠) بيضة وتتركها في هذا المكان الدافئ المناسب لها وترجع إلى البحر فاذا فقس بيضها خرجت أولادها واجاهدت الجهاد الكثير حتى رجعت إلى البحر وعاشت فيه وهي لاتعلم أن آباءها كانت فيه بل ذلك من الميزان

المنسوب في الحيوان كالمنسوب في الأرض وفي السماء . ومنها أن بعض النماذج تضع بيضها في الرمل ولكنها لا تتركه بل تراقبه حتى إذا سمعت أصوات أفراسها في البيضة ساعدتهن بنقر القشرة فتخرج الذرية مع آبائها . ومنها أن بعض الثعابين تعلم أن نسلها معرض لاهلاك أعدائه له فألمت أن ترقد عليه أسابيع كالدجاج حفظا له من الأعداء وهذا هو الميزان الحق . ومنها أن بعض الطيور وهو (الككم) لا ترقد على بيضها بل اعتادت أن تجعله في أعشاش غيرها من الطيور المختلفة التي عدوها (٨٠) نوعا . ومن الحكمة الإلهية أن تلك الطيور تعطف على هذه الذرية عطفها على أولادها مع اختلافها اختلافا ينافي كبر الكماكم الصغيرة قطعت السباسب والمفاوز ورجعت إلى مقرها في (افريقيا) موطن قومها بلانعلم كما حصل نظير ذلك من صغار السلحفاة البحرية سواء بسواء

١٨٥ (شكل ٢٣) صورة فرخ صغير من الككم يطلب من حاضنته أن تغذيه مع انها من نوع آخر

الساج الاسترالي الذي يصنع حظيرة يضع فيها بيضه . صورة بيض الحشرات (شكل ٢٤)
١٨٦ الزناير الوحشية تضع الاناث منها بيضها في أماكن خاصة وتضع بجانبها نحو الديدان والخنافس وتحققها حتى تتخثر وتبقى بجانب الذرية حتى تأكلها عند فقسها

بيان كلام علماء الأرواح موافق لما نشاهد في الدنيا سواء بسواء وهم يقولون ان الانسان بعد الموت لا سعادة له ولا شقاء إلا بما اتصف به في الدنيا فمن فكر في الصالحات ولم يعمل فلا خير فيه ومن عمل الصالحات برغبة وصدق كما تفعل أممات الحشرات والأنعام والانسان مع ذريتها . فهذا هو الذي يبقى بعد موتهم وهكذا المتصفون بحب الشر والكبرياء والعظمة والظلم فكل يموت على الصفات التي كسبها وأحبها وأغرم بها ولا عبرة بالظواهر بل بالاخلاص والصدق والمحبة . ومن غلب عليه الشر نزع منه صفات الخير والعكس بالعكس وهذا يقرب من قوله تعالى - فمن ثقلت موازينه - الخ وقوله تعالى - ومن خفت موازينه - الخ . وبيان ضرب المثل بالزرع والحشائش به وأن هذه الآراء تقرب من آراء الامام الغزالي في الاحياء . وبيان أن روحا شريرة قالت لللائكة خذوا صفاتي الشريرة لأدخل الجنة فلما سلبوها تلك الصفات بقيت مخدرة فكان من الرحمة أن ترجع اليها صفاتها لتحيي ولوعلى الشر وتعيش مع أصحابها . وجاء في كتاب (السماء وجهنم) أن الللائكة تهجوا من الناس إذ يشكلمون على الرحمة والايمن وفاتهم أن الرحمة مجرد واسطة لاغير والناس لا تغير أخلاقهم بعد الموت والايمن وحده لا يفيد وبيان أن تغيير الأخلاق بعد الموت كتغيير (حمام) النهار إلى (بوم) الليل وهو محال

١٨٩ مذكرة في بيان اني لست أقطع بما ذكر وانما أقول إن صبح هذا فان مشكلة جهنم تكون قد انحلت لأن الاخراج من جهنم معناه موت الروح الشريرة فبقاؤها إذن رحمة لها ولا يمكن تغيير العقرب الى عصفور وينطبق على هذا المغفرة لأهل بدر لغلبة الفضائل عليهم

بهجة العلم في آية - وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم - وآية - فمن ثقلت موازينه - الخ وأن لفظ الصراط جاء في سورتين آخرين وصفه بأنه صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض وفي القاعة انه صراط الذين أنعم الله عليهم وفي أخرى ذكر الدواب وأخذ الله بنواصيها . وبيان أن وصف الصراط بأنه لله الذي له مافي السموات ومافي الأرض ليعرف الناس ذلك في سير الشمس والقمر وغيرهما وشرح ذلك في السنين الكبيسة والبسيطة والأدوار (٣٠) و (٢١٠) وهكذا فهذه الأدوار لاخطأ فيها وقد جاء ذكر الميزان في قوله - والسماء رفعها ووضع الميزان - فليته ميزان ولله صراط فالميزان يرجع الى القضاء والصراط يرجع الى القدر فصراطه على مقتضى ميزانه وصراط المنعم عليهم غير المغضوب عليهم

يوجب علينا فهم أخلاق الأمم لتوجه الى الفضائل . وتبيان اتي ألقت كتابا يسمى ﴿ ميزان الجواهر ﴾
 ﴿ تذكرة ﴾ يقول الامام الغزالي « لا يعرف معنى الميزان إلا من درس من كل فن طرفا »
 ١٩٣ بيان أن التبخر في العلوم مرق لأخلاق بعض الناس وقد تفسد به أخلاق قوم فهو المال والجمال
 أسلحة تصلح للخير والشر معا . وقد حضّ (سقراط) في تعاليمه على فتح عين البصيرة ليكون العلم
 لذّة يستغنى بها المرء عن اللذة الحيوانية . للإنسان ﴿ ثلاث قوى ﴾ الشهوة للغذاء الخ والفضب للدافعة
 والعقل للحكمة . وبيان أن الذي يلي أمور الناس إن لم تفتح له عين البصيرة فيستلذ بالعلم انحصر همه
 في لذّة المال والنساء بالرشوة ولكن ذلك الذي انفتحت عين بصيرته يرى لذّة لا يعرفها غيره ويرى
 انه بينه وبين صانع العالم محبة فائقة ويرى الناس أبناءه ويرى النظام في الأخلاق كالنظام في القناطر
 ويرى القانون والأخلاق والفقه توزن بها أفعال الناس كما ان علم الهندسة ونحوه توزن بها المدن
 ومثل رقص الساعة للزمن وخسوف القمر لمعرفة متوسط أيام الشهور وبناء الهرم المبنى على دائرة
 الأرض حول الشمس نظام للموازين ونحوها بمصر وكذا رقص الساعة الذي يهتز في الثانية مرة هو
 الاردة للانجليز وميزان بخار القطار وستجراذ وقار نهيت والمقياس التلياني الثماني . كل هذه يعرف
 بها السوائل كالماء والكهرباء مقاييس . وكلما ارتقت الأمة كثرت موازينها والعكس بالعكس وذلك
 قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فأولو العلم يراد بهم من يعرفون
 مثل ما كتبناه في هذا التفسير وهم الذين يخشون الله في آية أخرى وهم العالمون بكسر اللام في آية
 أخرى أيضا وبكثرة هذه العلوم يظهر في الاسلام مجددون ويدوم مجدهم كما دام مجد قدماء المصريين
 قبل أن يحلّ بهم الفساد . ونظير صراط الله في السموات والأرض صراط الانسان بالعمل الصالح
 والأخلاق وصرط المنعم عليهم يعرف بالتاريخ المتقدم في - وذكرهم بأيام الله -
 تذكرة في أن كلام (عمانونيل) فيه ان أخلاق الأرواح لا تتغير بعد الموت وأن هذا القول على حسب
 مشاهداته هو والا ففي حديث الشفاعة أن الله تعالى يخرج من النار أقواما بالتدرج بعد انقضاء زمن
 العذاب اذا كان في قلوبهم مثقال ذرّة من إيمان ثم يدخل الله الجنة قوما لم يعملوا خيرا قط

(تمت)